

صَبْحُ الْأَسْبَحِ

الجزء التاسع

دار الكتب السلطانية

كتاب

صبح الأسماء

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء التاسع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
١٩١٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثاني

من مقاصد المكاتبات، الإخوانيات

(مما يكتُب به الرئيسُ إلى المرءوس والمرءوسُ إلى الرئيس والنظيرُ إلى النظير)
قال في ”موادّ البيان“ : ولها مَوْقعٌ خَطيرٌ من حيثُ تشتركُ الكافّةُ في الحاجةِ إليها . قال : والكَاتِبُ إذا كانَ ماهراً، أغربَ معانيها، ولطّفَ مبانيها، وتسهّلَ له فيها ما لا يكادُ أن يتسهّلَ في الكُتُبِ التي لها أمثلةٌ ورسومٌ لا تتغيّرُ ولا تُتجاوزُ، وهي على سبعةٍ عشرَ نوعاً :

النوع الأول

(التّهاني)

قال في ”موادّ البيان“ : كُتِبَ التّهاني من الكُتُبِ التي تظهرُ فيها مقاديرُ أفهامِ الكُتّابِ، ومنازلُهم من الصّناعة، ومواقِعُهم من البلاغة . وهي من ضروبِ الكتابةِ الجليّةِ النفيسةِ، لما في التّهنئةِ البليغةِ من الإفصاحِ بقدرِ النعمة، والإبانةِ عن مَوْقعِ الموهبة، وتضاعُفِ الشُّرورُ بالعطية . وأغراضُها ومعانيها متشعبةٌ لا تحفّ عندَ حدٍّ، وإنما نذكرُ منها الأصولَ التي تفرّعتُ منها فروعٌ رجعتُ إليها، وحملتُ عليها .

قال : ويجب على الكاتب أن يراعى فيها مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه في الرسالة اللائقة بهما مما لا يتساحح بمثله .

ثم التهانى على أحد عشر ضربا :

الضرب الأول

(التهنئة بالولايات ، وهى على تسعة أصناف)

الصنف الأول — التهنئة بولاية الوزارة :

قد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب الملكة أن الوزارة كانت في الزمن المتقدم هى أرفع وظائف الملكة وأعلاها رتبة ، وأنها الرتبة الثانية بعد الخلافة . وكانت في زمن الخلفاء تكاد أن تكون كالسلطنة الآن ، ^(١) فهى من الأتباع ومن في معانهم على نحو ما كانت في الزمن المتقدم بين الرؤساء والأكابر ، ومن الرؤساء والأكابر بحسب ما تقتضيه رتبة المهنة .

وهذه تسخّ تها من ذلك على ما كان عليه الحال في الزمن القديم .

تهنئة بوزارة : من إنشاء أبى الحسين بن سعد ، كتب بها إلى الوزير محمد بن القاسم بن عبيد رحمه الله ، وهى :

من كانت النعمة — أيد الله الوزير — نافرة عنه وبفنائيه غريبة ، فهى تأوى من الوزير إلى مثنوى معهود ، وكنتف محمود ، وتجاوز منه من يوفى حقها ، ويقابلها بحسن الصحبة لها ، ويجرى في الشكر لى يولاه ، والرعاية لما يستترعاه ، على شاكلة مضى عليها السلف من أهله ، ونشأ في مثلها الخلف ، مقتدياً بالأول الآخر ، وبالماضى

(١) أى التهنئة من الأتباع الخ

الغابر؛ تشابهاً في كرم الأفعال ، ورعايةً لحقوق الآمال ؛ واعتماداً للرفاة والرحمة ، وعموماً بالإنصاف والمعدلة ؛ إلى ما خصَّ الله به أهل البيت رضى الله عن الماضين منهم وأقام عزَّ الباقيين وحِراسَتهم : من العلم بالسياسة والدِّرابة بتدبير المملكة ورعاية الأُمّة ؛ والهداية فيهم لطرق الحِيطة ونهج المصلحة .

والحمد لله على ما خصَّ به الوزير من فضله الذى رفع قدره فيه عن مُساماة ومشكلة المُقادر^(٢) والشَّيْبه ، وجعله فيما حباه به نسيج وحده ، وقريع دهره ؛ وجمع له من مَوَاهِب الخير ، وخصائص الفضل ما أبان به موقعه في الدين ، وأعطاه معه الولاية من جميع المسلمين .

والحمد لله حمداً مجدداً على ما جدد له من رأى أمير المؤمنين وأجبتائه ، ومَحَلَّه من آخِيارِه وأصِطِفائه .

والحمد لله على ما منحه من كرامته ، وجدّد له من نعمته ، فيما أعاد إلى تدبيره من وزارته ، وأشركه فيه من أمانته ؛ احتياطاً منه للملكة ، ونظراً للخاصة والعامة ؛ فإنَّ عائدة رأيه سَوَتْ بين الضَّعيف والقَوِيّ ، ووصلت إلى الدَّانِي والقَصِيّ ؛ وأعادت إلى المُلْك بهاءه ، وإلى الإسلام نُورَه وضيآءَه ؛ فاكتست الدنيا من الحِدة بعد الإخلاق ، والنَّضارة بعد الإنهاج^(٣) ، ما لم يكن يوجَدُ مثله إلا بالوزير في شرف منصبه ، وكرم مُرَكَّبِه ؛ فهنَّا الله الوزير ما آتاه وتابَع له قَسْمُه ، ووصل له ما جدّد له بالسَّعادة ؛ وأمتدّه فيه بالزَّيادة ؛ وأعطاه من كلِّ مأمول أعظم حظٍّ وأوفر نصيبٍ وقِسْمٍ ؛ تراخياً

(١) في الأصل والوراثة لتدبير وهو تصحيف سخيف .

(٢) في القاموس "قادرته قايسته وفعلت مثل فعله" .

(٣) الإنهاج البلى ، أظفر القاموس في مادة (ن ه ج) .

في مُدَّة العُمُر، وتناهِياً في دَرَجَةِ العِزِّ، وَاحتِياطاً بِالمَوْهِبَةِ في العَاجِلِه ، وفَوْزاً بِالكِرامَةِ في الآجِلِه ؛ إِنَّه فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذلك : أوردَها في ترسله ، وهى :

التَّهْنِئَةُ بِالْوَزِيرِ لِلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ بِمَا جَمَّلَهُمْ بِهِ ، وَجَدَّدَ لَهُمْ مِنْ مِيسَمِ العِزِّ ، وَسَرَّ بَلَّهِمْ إِيَّاهُ مِنْ حُلَّةِ الأَمْنِ بِوِلَايَتِهِ ، وَالنِّعْمَةُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَرَعَايَاهُ عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهِمْ مِنْ مِشَارِكَتِهِ وَخُطُوطِهِمْ مِنْ مَعْدَلَتِهِ ظَاهِرَةً ، وَلِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ الْفَاضِلُ ، وَالشُّكْرُ الْكَامِلُ . وَلِلْوَزِيرِ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ ؛ أَهْنَاهَا مَوْقِعًا ، وَأَسْرَاهَا مَلْبَسًا ، وَأَدْوَمُهَا مُدَّةً ، وَأَجْمَلُهَا نَفْسَهُ ؛ وَأَنْزَاهَا مُبَوَّأً ، وَأَسْلَمُهَا عُقْبَى ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ بِالْمُعُونَةِ وَالْحِرَاسَةِ ، وَيُؤَيِّدُ اللَّهُ بِالنَّصْرِ وَالْكَفَايَةِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِمَا قَلَّدَهُ وَأَسْتَرْعَاهُ ، وَبَلَّغَهُ مَحَابَّهُ وَمُنَاهُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَوْقِعِي مِنْ ثِقَةِ الْوَزِيرِ يُلْحِقُنِي عِنْدَهُ بِمَكَتَنَةِ الْأَيَّامِ مِنْ قَضَاءِ الْحَقِّ فِي التَّلَقِّيِّ وَالْإِنْعَادِ ، وَيُعَوِّضُنِي بِتَفْضِيلِهِ مِمَّا حُرِمْتُهُ مِنْهَا مَحَلَّ ذَوَى الْإِخْلَاصِ وَالْإِعْتِدَادِ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذلك : أوردَها في ترسله أيضاً ، وهى :

وهَذَا أَوَّلُ يَتْلُوهُ مَابَعْدَهُ بِلَا تَنَاهٍ وَلَا نَقْصٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمِشِئَتِهِ ، بَلْ يَكُونُ مَوْصُولًا لَا يُتَبَلَّغُ مِنْهُ غَايَةٌ إِلَّا شَفَعَتْهَا دَرَجَةُ تَرْقِيٍّ ، تَكْنِيفُ ذَلِكَ كِفَايَةً مِنْ اللَّهِ شَامِلَةً كَامِلَةً ، وَغِبْطَةً فِي الْبَدَنِ وَالْعَاقِبَةَ بِلَا انْقِطَاعٍ ، وَلَا ارْتِجَاجٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ الْمُنْقَلَبُ مِنْهُ يَعْدُ بُلُوغَ الْعُمُرِ مِنْتَاهُ ، إِلَى فَوْزٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ . فَهَنِيئًا لِلْوَزِيرِ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي فِيهِ مُسَاعَفَةَ الْمِقْدَارِ ، وَلَا يَنَالَهُ بَغِيرُ اسْتِحْقَاقٍ ؛ إِذْ لَا مِثْلَ وَلَا نَظِيرَ لِلْوَزِيرِ : فَضْلًا ظَاهِرًا ، وَعِلْمًا عَلَى الْعُلُومِ مُوَفِيًا ، وَسَابِقَةً فِي تَقْلِيلِ الْخِلَافَةِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَحَلَبَ الدَّهْرِ شَطْرًا بَعْدَ شَطْرٍ ؛ وَجَمْعًا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ لِمَا كَانَ مُتَفَرِّقًا ، وَحِفْظًا

لما كَانَ ضَائِعًا ؛ وَحَمَايَةَ لَبِيْضَةِ الْمُلْكِ ، وَضَبْطًا لِلشُّعُورِ ، وَتَلَقِّيًّا لِلخُطُوبِ بِمَا يَفْلُ حَدَّهَا ، وَيُطْفِئُ نَارَهَا وَلَهَبَهَا وَيُقِيمُ أَوْدَهَا ؛ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ فِي رَأْيِهِ مِنْ فَتْحِ الْبِلَادِ الْمُرْتَجَّةِ ، وَقَعَ الْأَعْدَاءُ الْمُنْغَلَبَةِ ، وَسُكُونُ الدَّهْمَاءِ ، وَثُمُولُ الْأَمْنِ ، وَعُمُومُ الْعَدْلِ ؛ وَاللَّهُ يَصِلُ ذَلِكَ بِأَحْسَنِهِ .

تهنئةٌ أُخْرَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ : مِنْ إِنْشَاءِ عَلِيِّ بْنِ خَلْفٍ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَهِيَ :

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ خَضِرَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ ، فَارِعَةً مِنَ الْمَعَالِي اسْمَقَهَا نُجُودًا ، كَارِعَةً مِنَ الْمِنَنِ أَعْدَبَهَا وَرُودًا ، سَاحِبَةً مِنَ الْمَيَامِينِ أَرْقَهَا بُرُودًا ؛ مُتَمِّعَةً بِالنِّعَمِ الَّتِي يُرَامِي الشُّكْرَ عَنْ حَوَازَتِهَا ، وَيُحَامِي الْبِشْرَ عَنْ حَوَمَتِهَا ؛ مَبْلَغَةً فِي أَوْلِيَائِهَا وَأَعْدَائِهَا ، قَاضِيَةً مَا تَرْتَمِي إِلَيْهِ رِحَابُهَا ؛ فَلَا تَرَى لَهَا وَلِيًّا إِلَّا لِأَحَبِّ الْمَذْهَبِ ، نَاقِبَ الْكُوكَبِ ؛ سَامِيَ الطَّرْفِ ، حَامِيَ الْأَنْفِ ؛ وَلَا عَدُوًّا إِلَّا ضَيْقَ الْمَطْرَحِ ، وَعِرَ الْمَسْرَحِ ؛ صَالِدَ الزَّنْدِ ، مَفْلَلِ الْحَدِّ ؛ رَاغِمَ الْعَرِينِ ، مَتَلَوًّا لِلْحَيَيْنِ . وَلَا زَالَتْ أَزِمَّةُ الدُّنْيَا بِيَدِهَا حَتَّى تَبْلُغَ بِأَمَالِهَا مُنْتَهَاهَا ، وَتَجْرِيَ بِأَيَّامِهَا إِلَى أَقْصَى مَدَاهَا ؛ [فَهِيَ] مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ خَطَرًا ، وَأَحْسَنِهَا عَلَى الْكَافَّةِ أَثَرًا ؛ وَأَوْلَاهَا بَأَنْ يُفَاضَ فِي شُكْرِهَا ، وَتَتَعَطَّرَ الْآفَاقُ بِذِكْرِهَا . وَلِسَيِّدِنَا الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ يَرَاعُ يَسْتَقِظُ فِي صَلَاحِهِمْ وَهُمْ هَاجِعُونَ ، وَيَنْصَبُ فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ وَهُمْ وَادِعُونَ ؛ وَكُلَّ تَنْذِيرِهِمْ فِيهِ ، إِلَى مَدَبَرِّ يُخَافُ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ ، وَيَعْمَلُ فِيمَنْ أَسْرَعَاهُ بِمَا يَرْضَاهُ ؛ وَلَا يَمُدُّ يَدَ الْإِقْتِدَارِ عَلَيْهِمْ مُتَسَلِّطًا ، وَلَا يَتَّبِعُ دَوَاعِيَ الْهَوَى فِيهِمْ مُتَسَقِّطًا ؛ وَاضِعًا الْأَشْيَاءَ فِي حَقَائِقِهَا ، سَالِكًا بِهَا أَمْثَلِ طَرَائِقِهَا ؛ مُلَانِيًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، مُحَاشِنًا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ؛ قَرِيبًا مِنْ غَيْرِ صَغَرٍ ، بَعِيدًا مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ ؛ مُرَغَّبًا بِإِسْرَافٍ ، مُرْهَبًا بِإِنْصَافٍ ؛ نَاطِرًا إِلَى مُحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ وَأَطْرَافِهَا ، كَمَا يَنْظُرُ فِي مَعَاضِمِهَا وَأَشْرَافِهَا ؛ آخِذًا بِوَنَائِقِ الْحَزْمِ ، مَتَمَسِّكًا بِعَلَائِقِ الْعَزْمِ ؛ رَامِيًا بِفِكْرَتِهِ مِنْ وَرَاءِ الْعَوَاقِبِ ، خَاطِمًا بِآرَائِهِ أَنْوَفَ الْمَصَاعِبِ ؛

نَاطِمًا بِبَيِّنَاتِهِ عُقُودَ الْمَصَالِحِ ، مُوَطَّنًا بِرِيَاضَتِهِ ظُهُورَ الْجَوَاحِمِ ؛ إِنْ تَقَفَّ ذَا النَّبْوَ
الْقَرِيدِ ، وَالْهَفْوَ الْوَحِيدِ ؛ أَقْتَصَرَ عَلَى مَا يُؤَافِقُهُ الْوَالِدُ الْحَدْبُ ، مِنْ مُقَوِّمِ الْأَدَبِ
[وَأِنْ قَبَضَ ^(١) عَلَى الْمَرْتَكِسِ فِي غَوَايَتِهِ ، الْمُفْلِسِ فِي عِنَايَتِهِ ؛ ضَيَّقَ عَلَيْهِ مَجَالَ الْعَفْوَ ،
وَأَحَاقَ بِهِ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَالسَّطْوِ ؛ فَقَدْ سَكَنَتِ الرَّعِيَّةُ فِي عَدْلِهِ ، وَأَوْتَرَ حَرَمًا مَنِيعًا مِنْ
ظِلِّهِ ؛ وَوَقَّتْ أَنَّ الْحَقَّ بِنَظَرِهِ شَاحِخٌ شَاقِقٌ ، وَالْبَاطِلَ سَائِخٌ زَاهِقٌ ؛ وَالْإِنْصَافَ مَبْسُوطٌ
مَنْشُورٌ ، وَالْإِحْكَافَ مَحْطُوطٌ مَبْتُورٌ ؛ وَالشَّمْلَ مَنْظُومٌ ، وَالشَّرَّ مَضْمُومٌ . فَنَطَقَتْ أَلْسِنُهَا
بِإِحْمَادِهِ ، وَأَشْتَمَلَتْ أَفْنِدَتُهَا عَلَى وَدَادِهِ ؛ وَأَنْفَقَتْ أَهْوَاؤُهَا عَلَى رِيَاسَتِهِ ، وَتَطَابَقَتْ
أَرَاؤُهَا الْمَسَابِقَةُ عَلَى دَوَامِ سِيَادَتِهِ ؛ وَعَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَدَقَ النَّظَرِ فِي دَوْلَتِهِ ؛ وَسَلَّمْ
أُمُورَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى النَّصِيحِ الْمَأْمُونِ ، وَالنَّجِيحِ الْمَيْمُونِ ؛ الَّذِي وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِاخْتِيَارِهِ ،
وَيَسَّرَهُ لِاصْطِفَائِهِ وَإِيثَارِهِ ؛ وَأَنَّهُ قَدْ نَاطَ أُمُورَهُ بِنَ لَمْ يَسْتَخَفَّ تَقِيلَ حِمْلُهَا ، وَنُبُوْ
بِبَاهِظٍ ثِقْلُهَا ؛ فَتَمَتَّعَ بِلَذِيذِ الْكَرَى ، وَتَوَدَّعَ بَعْدَ السَّيْرِ وَالسَّرَى ؛ وَأَلِمَ مِنَ الْمَامِ مُلْمٌ
مُعْضِلٌ ، وَحُدُوثٌ حَدَثٌ مُشْكِلٌ . وَهَذِهِ نِعْمَةٌ تَعْمُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ عُيُومَ الْغَيْثِ
إِذَا هَمَعَ وَتَدَفَّقَ ، وَتَشَمَّلَهُمْ شُمُولَ النَّهَارِ إِذَا لَمَعَ وَتَأَلَّقَ ؛ وَهُمْ أَوْلَى بِالْتَهْنَةِ فِيهَا
وَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا .

وَسَيِّدُنَا الْوَزِيرُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ الدُّعَاءُ الْمَرْفُوعُ ، وَالتَّضَرُّعُ الْمَسْمُوعُ ؛ بِأَنْ
يُنْهَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا حَمَلَهُ ، وَيُعِينَهُ عَلَى مَا كَفَّلَهُ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ بِتَوْفِيقٍ يَثْقُبُ أَنْوَارَهُ ،
وَتَأْيِيدٍ يُطَبِّقُ غَرَارَهُ ، وَتَسْدِيدٍ يَحْسِنُ آثَارَهُ ؛ وَإِجْرَاءٍ مَا يَتَوَلَّاهُ عَلَى أَوْضَحِ سَبِيلٍ
وَأَقْصَدِهِ ، وَأَرْجَحَ دَلِيلٍ وَأَرْشَدِهِ ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَهْتَبَا بِمَالِهِ عِيَاؤُهُ وَكَلَّهُ ، وَلِذَلِكَ
صَلَاحُهُ كُلُّهُ . وَالْعَبْدُ يَسْأَلُ اللَّهَ ضَارِعًا لَدَيْهِ ، بِاسْطَايِدَةٍ إِلَيْهِ ؛ فِي أَنْ يَقْبَلَ صَالِحَ
أَدْعِيَتِهِ لِحُضْرَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا أَحَلَّهُ فِي مَحَلِّهِ مِنْ رِيَاسَتِهَا ، وَأَوْقَعَهُ

في موقعه من سياستها؛ دائماً لا يُنتزع، وخالدا لا يرتجع؛ وأن يؤيدها فيه بما يقضى له بالإحراز والتحويل، وينجيه من الابتزاز والتحويل؛ إنه سميع الدعاء، فعّال لما يشاء؛ إن شاء الله تعالى.

الصف الثاني - التهنئة بكفالة السلطنة :

وهذه نسخة من ذلك، كُتب بها عن نائب الشام، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة، وهي بعد الألقاب :

لَا زَالَ دَائِرًا بَهَائِهِ الْفَلَكَ، مُنِيرًا بَضِيَاءَ عَدْلِهِ وَيُسْرِهِ الْحَلَاكَ؛ قَرِيرًا بِحُسْنِ كِفَالَتِهِ الْمُلُوكَ شَاهِدًا بِفَضْلِ أَسْمَائِهِ وَسِمَاتِهِ الْمَلِكِ، مَقْسُومًا بِأَمْرِ اللَّهِ نَدَاهُ وَبِأُسْهِلِيحَا مِنْ حَيٍّ وَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ؛ تَقْبِيلًا يُسَافَهُ بِهِ التُّرَابَ، وَيُشَاهَدُ شَرَفَ مَطْلَعِهِ عَلَى السَّحَابِ .
وَيُنْهِى قِيَامَهُ عَلَى قَدَمٍ وَلَاءٍ وَدَعَاءٍ : هَذَا يَنْزِلُ الْقَلْبَ وَهَذَا يَصْعَدُ إِلَى الْأَفْقِ، وَمُقَامَهُ عَلَى بُشْرَى وَحَمْدٍ مِنْهُمَا الْأَمْنُ يُحَلِّي بَوْصِفِهِ النُّطْقُ كَمَا تُحَلِّي الْأَعْطَافُ بِالنُّطْقِ؛
وَأَنَّهُ وَرَدَ مِثَالُ شَرِيفٍ عَلَى يَدِ فُلَانٍ يَتَضَمَّنُ الْبِشَارَةَ الْعَامَّةَ، وَالْمَسْرَةَ التَّامَّةَ، وَالنِّعْمَةَ الَّتِي يُعَوِّدُ سَنًا جَيِّينَهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَّهُ؛ وَخَبَرَ الْخَيْرِ الَّذِي حَيَّتْ أَزْهَارُهُ الْمُتَضَوِّعَةُ نَدَّ مِصْرَ فَأَوَّلُ مَا بَلَغَهُ مَنَافِسَ الشَّامِ شَامَهُ، بِأَنَّ الْمَوَاقِفَ الشَّرِيفَةَ - أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانَهَا - قَدْ فَوِّضَتْ إِلَى مَوْلَانَا كِفَالَةَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنِهِ، وَكِفَايَةَ الْمُلُوكِ بِصَالِحِ مُؤْمِنِيهِ؛ وَنِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ وَمَا نَسَقَتْ، وَتَدْيِيرَ الْمَالِكِ وَمَا وَسَقَتْ؛ فَيَالَهَا بُشْرَى! آبَتْ سَمَتْ لَهَا ثَغُورُ الْبَشَرِ، وَمَسْرَةٌ آسَتْ جَلِي سَنَاهَا مِنْ أَمْنٍ وَبُهْتٍ الَّذِي كَفَرُ، وَخَبْرًا تَلَقَّتِ الْأَسْمَاعُ بِرَيْدِهِ مَنْشُدَةً : قُلْ وَأَعِدْ بِأَطْيَبِ الْخَبَرِ؛ هُنَاكَ أَخَذَ الْمَمْلُوكُ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ بُشْرَى، وَنَصِيبِهِ مِنْ مَسْرَةٍ حُمِدَ بِصَبَاحِ طَرِسْهَا الْمَسْرَى؛ وَحَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَقَامَ لِسُلْطَانِ الْبَسِيطَةِ مِنْ يَسْطُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ لِمَنَابِهِ، وَيَقْلَدُ رَعِيَّتَهُ

عقود النعم إذا تقلد ما وراء سريره وبابه ، ومن إذا كفل سيفه ممالك الإسلام وثقت بالمعتم والسلامة ، وإذا كتب قلبه قالت ولا سيباً أخباراً جند المسلمين : هكذا تكون العلّامة ؛ وجهز المملوك هذه الخدمة نائبة عنه في تقبيل الأرض ، وعرض الهناء بين يدي من يسر المملوك بولائه اليوم ويرجو أن يسره يوم العرض ، ولو وصف المملوك ما عنده من الشّور والشّوق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق الوقت عن أداء الفرض ؛ والله تعالى يحدّد لمولانا ثمرات الفضل الواضح ، والرأى الراجح ؛ والقدر الذي هو على ميزان الكواكب راجح ، ويمتدنا كافة الممالك بدولة سلطانه الذي علم البيت الشريف أنّه على الحقيقة الخلف الصّالح .

وهذه نسخة تهئية لأمر جاندار بولاية إمرة جاندار ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهي بعد الانقلاب :

أعلى الله منارها ومناهلها ، وخلد قبولها وإقبالها ، وأجل من الغضّ الذي تناولته ثمرها وأسبغ به ظلالها ؛ ولا زال في سيفها وعصاها مارب للملك ، وفي بأسها ونداءها مواقع للنجاة والهلك ؛ ولا برحت القضب من سيوف وغصون : هذه حاكمة بسعدها حكم الملك ؛ وهذه مسخرة في تجريدها تسخير الفلك ؛ تقبيل محاص في ولائه ودعائه ، مهنّ القلب مسرور بما يتجدّد من مسرات مولانا وهنائيه ؛ وينهى أنه بلغه ما أفاضته الصدقات الشريفة على مولانا من المبرات ، وما جدت له من المسرات ؛ وأنها ضاعفت مزيد الإحسان إليه ، ودعته أمير جاندار ودّت العصى النجومية لو قدّمت نفسها بين يديه ؛ وأنّ المواقف الشريفة قرّت به عينا وأقرّت ، وأنّ الدولة القاهرة ألقت عصاها إليه واستقرّت ؛ وكما سلّمت إليه العصا في السلم سلّمت إليه السيف في الحرب ، وكما قرّبت به في مواقف العدل والإحسان قرّبت به في مواقف الطّعن والضّرب ؛ فأخذ المملوك حظّه من البشري ، وأوجب على نفسه الفرح

وَسَجَدَ لِلَّهِ شُكْرًا ؛ وَوَدَّ لَوْ حَضَرَ يُشَافِهِ بِهَذَا الْهَنَاءِ الشَّامِلِ ، وَمَثَلُ قَائِمًا لَدَيْهِ بِحَقِّ
التَّهْنِئَةِ الْقِيَامَ الْحَقِيقِيَّ الْكَامِلَ ؛ وَحَيْثُ بُعِدَتْ دَارُهُ ، وَنَأَتْ عَنِ الْعِيَانِ أَخْبَارُهُ ؛
فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوَاسَلَتَهُ بِالْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَالْمُوَالَاةِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي يَشْهَدُ
بِهَا الْخَاطِرُ الْكَرِيمُ سِرًّا وَجَهَارًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَزِيدَ مَوْلَانَا مِنْ فَضْلِهِ ،
وَيُسِّرَهُ بِمَتَجَدِّدَاتِ الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيَمْتَعَنَّا كَافَّةً الْمَالِكِ بِدَوَامِ سُلْطَانِ هَذِهِ
الدَّوْلَةِ الَّتِي شَمِلَ بَظِلِّهَا ، وَغَنَى بِنَصْرِهَا عَنْ نَصْلِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث - التهنية بالإمارة .

من كلام الأقدمين :

تهنية من ذلك ، أوردتها أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وهى :

وَهَذَا اللَّهُ الْأَمِيرَ مُوََاهِبَهُ الْهَنِيَّةَ ، وَعَطَايَاهُ السَّوِيَّةَ ؛ وَأَدَامَ تَمْكِينَهُ وَقُدْرَتَهُ ، وَثَبَّتَ
وَطَائِتَهُ ، وَحَرَسَ مَاخُولَهُ ؛ وَجَعَلَ مَا هَيَّا لَهُ مِنْ مُؤْتَفَافِ الْكِرَامَةِ أَيْمَنَ الْأُمُورِ فَاتِحَةً
وَأَسْعَدَهَا عَاقِبَهُ ؛ وَوَصَلَ أَيَّامَهُ بِأَجَلِ الْوِلَايَةِ ، وَأَجَلَ الْكِفَايَةِ ؛ حَتَّى يَنْتَهِيَ [مِنْ]
أَسْتَيْفَاءِ سَعَادَاتِ الْحُظُوظِ وَحُوزِ الْقِسَمِ وَالْآمَالِ ، [إِلَى] الدَّرَجَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِمَا أَفْرَدَهُ
اللَّهُ بِهِ مِنَ الْكَمَالِ ، وَخَصَّ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي جَمِيعِ الْخِصَالِ . وَمَنْ أَفْضَلُ مَا اعْتَدَّ بِهِ
مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْأَمِيرِ وَبِجَمِيلِ رَأْيِهِ ، وَمَحَلِّ مِنْ طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ؛ أُنِّى لَا أَخْلُوْ فِي كُلِّ
وَقْتٍ وَحَالٍ مِنْ بَهْجَةِ تَجَدُّدِ لِي ، وَمُسْرَةٍ تَصِلُ إِلَيَّ ، وَتَتَوَفَّرُ عَلَيَّ ، بِمَا يُسَهِّلُهُ الْأَمِيرُ
عَلَى يَدِهِ مِنْ مُسْتَضْعَبِ الْأُمُورِ ، وَمُسْتَفْلِقِ الْخُطُوبِ ؛ الَّتِي تَبْعُدُ عَنِّي زَاوِلًا ،
وَيَجْعَلُ اللَّهُ بَطْوْلَهُ وَحَوْلَهُ لِلْأَمِيرِ الْقُدْرَةَ عَلَيْهَا ، وَيَتَوَحَّدُ بِالْكِفَايَةِ فِيهَا ؛ فَيَنْمُو بِجَمِيلِ
تَدْيِيرِهِ وَلَطِيفِ نَظَرِهِ ، وَيَطْرُدُ بِصَاعِدِ نَجْمِهِ وَيُمْنِ تَقَبُّبِهِ وَعِزِّ دَوْلَتِهِ ؛ وَذَلِكَ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ ، يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

الصنف الرابع - التهنية بولاية الحجابة .

وقد كَانَ لها في الزَّمنِ القديمِ المحلُّ الوافرُ في الدولة وعُلُوُّ الرتبة فيها .

من كلام الأقدمين :

تهنئةٌ من إنشاء أبي الحسين بن سعد، كُتِبَ بها إلى أبي بكر بن ياقوت حين وَلِيَ الحِجَابَةَ بعد نكبةِ أصابته ، وهي بعد الصدر :

وقد كانتْ أَنفُسُنَا مَعَشَرَ عبيدِ سَيِّدِنَا وَحَمَلَةِ إِنْعامه ، وموَمِّلِ أَيْامه ، في هذه الأحوال التي تقد سَيِّدِنَا منها فيما أَبتَلَاهُ صَبْرُهُ ، وَأَبَانَ فِيهِ قَدْرُهُ ؛ وزاد العارِفَ بفضله نفوذًا في البَصِيرَةِ ، وأعاد ذَوِي الإِرْتِيَابِ فِيهِ إِلَى التَّثَقُّ ؛ فَاسْتَوَى المَنَازِعَ والمُسْلِمَ ، وَاسْتَوَى العَالَمُ والمُعَانِدَ - نعمةٌ مِنْهُ تعالى ذكره خَصَّهَ بها وصَانَهُ عَنْ مُشَاكَلَةِ النُّظِيرِ ، ومُزَاحِمَةِ الأَكْفَاءِ - على سَبِيلِ مِنَ القَلَقِ والإِرْتِمَاضِ ، والسَّقُوطِ والإِخْفَاضِ ؛ جَزَأَ مِنْ تِلْكَ الحَالِ العَلِيظَةِ ، وإشْفَاقًا عَلَى تِلْكَ النَّفْسِ النَّفِيسَةِ ؛ وخوفًا عَلَى مَعَالِمِ البرِّ والْتِقَى ، وَبَقِيَّةِ العِلْمِ والحِجَا ، وتاريخِ الكَرَمِ والنَّدَى ؛ أَنْ يَدْرُسَ مَنَارُهَا ، وتُطْمَسَ آثَارُهَا ؛ ولولا مَا مَنَّ اللهُ بِهِ مِنْ الإِخْلَاصِ مِنْهَا وَمَا مَنَعَ بِكَرَمِهِ فِي عَاقِبَتِهَا ، لَأَوْشَكَتْ أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْهَا وتُجْلِيَهَا عَنْ مَوَاقِيتِ أَجَالِهَا ؛ لَكِنَّهُ عَظُمَتِ الآؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ؛ أَنَّى بِالْأَمْنِ والقَرَجِ ، بعدَ اسْتِيْلَاءِ الكَرْبِ والوَجَلِ ، وَأَنْبَتَاتِ أسبابِ الرَّجَاءِ والأَمَلِ ؛ فَعَرَفَ سَيِّدُنَا مَوْجِعَ الْخَيْرَةِ فيما قَضَاهُ ، وَمَيَّزَ لَهُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ مِمَّنْ عَادَاهُ وَتَوَلَّاهُ ؛ وجعل النعمةَ التي جَدَّدَهَا لَهُ فيما رَدَّهَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى تَدْيِيرِهِ مِنْ أَمْرِ دَارِهِ وَمَمْلَكَتِهِ ، وَحِرَاسَةِ بَيْضَةِ رِعْيَتِهِ ، مُشْرَكَةَ النِّفْعِ والفَائِدَةِ ، مَقْسُومَةَ الْخَيْرِ والعَائِدَةِ ؛ بَيْنَ كَافَّةِ الأُمَّةِ فيما عَمَّ مِنَ المَعْدِلِ ، وَشَمَلِ مِنَ المَصْلَحَةِ . وَلاحَ مِنْ تَبَاشِيرِ الْخَيْرِ ، وَأَمَارَاتِ البركةِ ؛ فِي اسْتِقَامَةِ أُمُورِ الْبِلَادِ ، وَصِلَاحِ أَحْوَالِ الْعِبَادِ ؛ وَأَفْرَدَ اللهُ سَيِّدَنَا بِحِطِّ مِنَ

المَوْهَبَةِ وَفَآنِي فِيهِ عَلَى حُظُوظِ الْأَوْلِيَاءِ، وَزَادَنِي عَلَى سِهَامِ الشُّرَكَاءِ . وَأَنَا أَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي إِسْعَادِ سَيِّدِنَا بِمَا جَدَّدَهُ لَهُ ، وَتَعْرِيفِهِ بِرَكَّةٍ مُفْتَتَحَةٍ وَيَمْنٍ خَاتِمَتِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي مُبْتَدَأِهِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي عُقْبَاهِ ؛ وَتَبْلِيغِهِ مِنْ حَظٍّ مَأْمُولٍ ، وَخَيْرٍ مَطْلُوبٍ ؛ وَحَالٍ عَلَيْهِ ، وَرُتْبَةٍ سَنِيَّةٍ ؛ أَفْضَلَ مَا بَلَغَ أَحَدًا أَخْتَصَّهُ بِفَضْلِهِ ، وَأَصْطَفَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ مَاجِدٌ . فَإِنْ رَأَى سَيِّدُنَا أَنْ يَتَطَوَّلَ بِإِجْرَاءِ عَبْدِهِ عَلَى كَرِيمِ عَادَتِهِ فِي تَشْرِيفِهِ بِمَكَاتِبَتِهِ ، وَتَصْرِيفِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، مُحَقِّقًا بِذَلِكَ أَمَلَهُ ، وَزَائِدًا فِي نِعَمِهِ عِنْدَهُ ، فَعَلَّ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تهنئةٌ أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ ، مِنْ إِنْشَاءٍ عَلَى بَنِ خَلْفٍ أَوْ رَدِّهَا فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَهِيَ :
إِنَّمَا يُهِنَّا بِالْوِلَايَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ - مَنْ
أَتَبَسَّطْتُ إِلَيْهَا يَدَهُ بَعْدَ انْقِبَاضٍ ، وَارْتَفَعَ لَهَا قَدْرُهُ مِنْ انْخِفَاضٍ ؛ وَأَوْجَدْتَهُ الطَّرِيقَ
إِلَى إِحْرَازِ جَزِيلِ الْأَجْرِ وَالْجَزَاءِ ، وَاكْتِنَازِ جَمِيلِ الْبَرَكَةِ وَالْثَنَاءِ ؛ وَأَفْضَتْ بِهِ إِلَى
أَسْنَاعِ السُّلْطَانِ ، وَأَنْتَفَاعِ الْأَعْوَانِ ؛ فَأَمَّا مَنْ جَعَلَ اللَّهُ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَقَدْرَهُ الْأَعْلَى ،
وَرِيَاسَتَهُ حَاصِلَةً فِي نَفْسِهِ وَجَوْهَرِهِ ، وَسِيَادَتَهُ مُجْتَنَّةً مِنْ سِنِّهِ وَعُضْرَةٍ ؛ فَلِأَوَّلَى -
إِذَا اسْتَكْنَفِي رَغْبَةً فِي إِنْصَافِهِ وَعَدْلِهِ ، وَحَاجَةً إِلَى سَدَادِهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَأَفْتَقَرًا إِلَى
فَضْلِ سِيرَتِهِ ، وَأَضْطَرَارًا إِلَى فَاضِلِ سِيَاسَتِهِ - أَنْ تُهِنَّا الرَّعِيَّةُ بَوْلَايَتِهِ ، وَتُسِّرَ الْخَاصَّةُ
وَالْعَامَّةُ بِمَا عُدِّقَ مِنْ أُمُورِهَا بِكَفَايَتِهِ ؛ وَغَيْرِ بَذِيعٍ رُبُطِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) بِالْحَاجِبِ
الْجَلِيلِ أَمْرَ حِجَابَتِهِ ، وَنَصْبِهِ لِلرَّحْمَةِ عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَجَعْلِهِ الْوَسِيطِ وَالسَّفِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
خَوَاصِّ دَوْلَتِهِ ، وَقَدْ وَثِقَ يَمِينِ تَقْيِيَّتِهِ ، وَأَطْلَعَ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ ، وَسَكَنَ إِلَى صِدْقِ
طَاعَتِهِ ؛ وَعَرَفَ طَهَارَةَ جَبِيهِ ، وَسَلَامَةَ غَيْبِهِ ؛ وَصِدْقَ مُهْجَتِهِ ، وَحَصَافَةَ أَمَانَتِهِ ؛

(١) فِي الْأَصُولِ أَرَبَاطٌ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى فِعْلِهِ فَيَا بَايَدِينَا مِنْ كُتُبِ اللَّفَةِ .

(٢) أَيْ الدَّفْعَ وَالذَّبَّ يُقَالُ زَحَمْتُهُ عَنْهُ أَيْ دَفَعْتُهُ أَنْظَرَ الْمَصْبَاحَ .

وَاعْتِمَادَهُ لِلْحَقِّ فِيمَا يُورِدُ وَيُصْدِرُ ، وَيُنْهِي وَيُجِيبُ ؛ وَأَبْتَلَاهُ فَعَرَفَ طِيبَ طَعْمَتِهِ ، وَخِفَةَ وَطْأَتِهِ ؛ وَرَأَفَتَهُ بِالضَّعِيفِ الْمَهْضُومِ ، وَغَظَّتْهُ عَلَى الْعَسُوفِ الظُّلُومِ ؛ [فَرَأَى] أَنْ يُجِلَّهُ مَحَلَّ مَنْ لَا يَغِيبُ عَمَّا شَهِدَهُ ، وَلَا يَرْتَابُ بِمَا سَمِعَهُ ، عَلَى أَنَّ الْمَهْنَأَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ يَجِدُّهَا اللَّهُ لَدَيْهِ ، وَسَعَادَةٍ يُسَبِّغُهَا عَلَيْهِ ؛ [وَلَوْ أَنْصَفْتُ] لَسَلَكْتُ مِنَ الصَّوَابِ سَنَاءً ، وَأَعْتَقَدْتُ جَمِيلًا حَسَنًا : لَا اسْتِشْعَارِي بِالْأَنْفَسِ مِنْ لَبُوسِ سِيَادَتِهِ ، وَتَحَلَّى بِالْأَنْصَعِ مِنْ عُقُودِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ رِعِيَّتُهُ أَجْدَرَ أَنْ تُهَنَّا بِوِلَايَتِهِ ، وَتَعْرِفَ قَدْرَ مَا لَهَا مِنَ الْحِظِّ فِي نَظَرِهِ ؛ فَأَنَا أَعْدِلُ مِنْ هُنَائِهِ إِلَى الدُّعَاءِ لَهُ بِأَنْ يَبَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِيمَا قَلَّدَهُ ، وَيُوقِّعَهُ فِيمَا وَّلَاهُ وَيُسَدِّدَهُ ؛ وَيُلْهِمَهُ أَدْخَالَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ ، وَآكْتَثَرَ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ ؛ وَالْهِدَايَةَ إِلَى سَنَنِ الْإِسْتِقَامَةِ ، وَمَا عَادَ بِمَجْبَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ ؛ وَإِنْ هَاضَمَهُ فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْعَمَلِ مِنْ طَاعَتِهِ بِمَا يُزِلُّفُ فِي الدُّنْيَا وَالْدِينِ ؛ وَاللَّهُ يُسْتَجِيبُ فِي الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ هَذَا الدُّعَاءَ وَيَسْمَعُهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ وَيَرْفَعُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الخامس - التهنية بولاية القضاء .

التهنية بذلك من كلام الأقدمين :

تهنية من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردتها في "مواد البيان" وهي :
أَوَّلُ الْمَنَحِ أَنْ يُتَفَاوَضَ شُكْرُهَا وَالتَّحَدُّثُ بِهَا ، وَيُتَقَارَضَ حُدُّهَا وَالْقِيَامُ بِوَاجِبِهَا ؛ نِعْمَةٌ شَمِلَتْ عِطَافُهَا ، وَعَمَّتْ أَطَافُهَا ؛ وَأَشْتَرَكَ النَّاسُ فِيهَا أَشْتَرَكَ الْعُومِمْ ، وَحَلَّتْ مِنْهُمْ فِي النِّعَمِ مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُومِ . وَهَذِهِ صُورَةُ النِّعْمَةِ فِي وِلَايَةِ قَاضِي الْقَضَاةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - لِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ إِثْبَاتِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَأَنْحِسَارِ الْجَوْرِ وَالْإِجْحَافِ ؛ وَأَعْتِلَاءِ الْحَقِّ وَظُهُورِهِ ، وَأَخْتِلَاءِ الْبَاطِلِ وَثُبُورِهِ ؛ وَعِزِّ الْمَظْلُومِ وَإِدَالَتِهِ ، وَذُلِّ الظُّلُومِ وَإِدَالَتِهِ ؛ وَتَمَكِينِ الْمَضْعُوفِ وَأَقْتِدَارِهِ ، وَأَنْخِزَالِ الْعَسُوفِ وَأَقْتِسَارِهِ .

وإن هَنَأُهُ حرس الله عُلَاهُ بموهبة أتى بآرقها بجمل الثناء ، وجزيل الجزاء ؛ قد ناء من تحملها بياض الشيء ومتعبه ، وقام من سئلها بكل الأدب ومنصبه ، عدلت عن الأمثل وضللت عن الطريقة المثلى ؛ لكنني أهنئه خصوصاً بالمواعظ المختصة به اختصاص أطواق الحمايم بأعناقها - والمناقب المظيفة به إطفاء كواكب السماء بنطاقها ، في أن ألف الله القلوب المتباينة على الإقرار بفضله ، وجمع الأفتدة المتنافية على الاعتراف بقصور كل محل عن محله ، وجعل كل نعمة تُسبغ عليه ، ومِنَّة تُسدى إليه ؛ موافقة الآمال والأمانى ، مُفضية للبشائر والتَّهاني ؛ لأنَّ مَنْ أَحَبَّ الحقَّ وآثره ، وليس الصدق وأستشعره ؛ ينطق بلسان الإرادة والاختيار ، ومن تركهما وقلاهما ، وخلعهما وألقاهما ، ينطق بلسان الافتقار والأضطرار - والخصائص التي هو فيها نسيج وحده ، وعطر يومه وغده - والمحاسن التي هي أناسي عيون الزمان ، ومصابيح أعيان الحسن والإحسان . ثم أعود فأهنئه عموماً بالنعم المشتركة الشمول ، الفضاضة الذبول ؛ التي أقرت القضاء في نصابه ، وأعادت الحكم إلى وطنه بعد تجمعه وأغترابه ؛ وأعلتهما في الرتبة الفاضلة ، وقدعت بهما أنف الذروة العاليه . وأرفع يدي إلى الله تعالى داعياً في إمداد قاضي القضاة بتوفيق يسد مراميّه ، ويرشد مساعيّه ؛ ويهدب آراءه ويصححها ،^(١) ويبلغ أحكامه ويوضحها ؛ ويخلد عليه النعمة خلودها على الشاكرين ، ويصّر بحسن العقبي في الدنيا والدين ؛ وهو سبحانه يتقبل ذلك ويرفعه ، إن شاء الله تعالى .

التهنئة بذلك ، من كلام أهل العصر :

تهنئة من ذلك : أوردتها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه "زهر الربيع في الترسل البديع" وهي :

(١) في الأصل ويفخمها وهي تصحيف لا يناسب المقام .

أَفْعَدَ اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ ، وَشَكَرَ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ؛ وَخَلَّدَهُ نَاصِرًا لِلشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
وَأَدَامَهُ ، وَجَدَّدَ سَعْدَهُ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ ؛ وَجَعَلَهُ الْمُسْتَرِشِدَ وَالْمُقْتَفَى بِأَمْرِ اللَّهِ وَالرَّاشِدَ
وَالْمُسْتَنْجِدَ وَالْمُسْتَنْصِرَ وَالنَّاصِرَ وَالْعَاضِدَ ، وَالْحَاكِمَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ (١)
مِنَ الْقَضَاةِ الثَّلَاثَةِ الْوَاحِدَ .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ تَبْرُكًا بِتَقْبِيلِهَا ، وَأَدَاءً لَوَاجِبِ تَعْظِيمِهَا وَتَعْجِيلِهَا ؛ وَيَهْتَمُّ
الْمَوْلَى بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُضَاعَفَةِ نَفَازِ كَلِمَتِهِ وَرَفْعِ مِزَانِهِ ، وَإِمَاءِ أَحْكَامِهِ
الشَّرِيفَةِ وَأَفْضِيَّتِهِ ، وَتَقْلِيدِهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ، وَتَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِ ؛ وَيَهْتَمُّ
بِالْمَوْلَى مَنْ رُدَّتْ أُمُورُهُ إِلَيْهِ ، وَعُوِّلَ فِي مِلَاحِظَةِ مَصَالِحِهِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ مَوْلَانَا مَازَالَ
بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَشْهُورًا ، وَسَعِيهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ سَعْيًا مُشْكُورًا ، وَيَقْظُهُ مَوْلَانَا
جَدِيرَةً بِزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ ، وَالْإِحْتِيَاطِ التَّامِّ ؛ بِمِلَاحِظَةِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ وَالْمُسْتَغْلِلِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ
وَالْمُدْرِسِينَ ؛ وَسَبْرِ أحوَالِ النَّوَابِ ، وَأَنْ لَا يَكْفِيَهُ الْإِعْتِدَادُ عَلَى حَسَنِ الْبِرَّةِ وَطَهَارَةِ
الْأَثْوَابِ ؛ بَلْ يُنَمِّنُ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ النَّظَرَ ، وَيُلَاحِظُ كَلَامَهُمْ إِنْ غَابَ
عَنْ مَجْلِسِهِ أَوْ حَضَرَ ؛ فَمَنْ رَأَاهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا يَقْرُبُ
إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ مَالِ الْيَتِيمِ ؛ فَيَحَقِّقُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ أَمَلًا ، وَلَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ حَرَسَ اللَّهُ الْمَوْلَى وَمَتَّعَ بِحَيَاتِهِ ، وَأَعَادَ عَلَى الْكَافَّةِ بَرَكَةَ صِيَامِهِ الْمَقْبُولِ
وَصَلَاتِهِ ؛ وَنَفَعَ الْإِسْلَامَ بِمُسْتَجَابِ دَعَوَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصَّنْفُ السَّادِسُ — التَّهْنِئَةُ بِوِلَايَةِ الدَّعْوَةِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلَكَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، بِالْأَمَارِ الْمِصْرِيَّةِ ،
ذِكْرُ مَوْضُوعِهَا وَعُلُوُّ رُتَبَتِهَا عِنْدَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا حِفْظًا لِلأَصْلِ وَلِإِحْتِمَالِ وَقُوعِهَا .

(١) بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ وَلَعَلَّهُ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْقَضَاةِ الْخ .

تهنئةٌ من ذلك : من إنشاء على بن خلف ، أوردها في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاء داعي الدعاة لصباح من الرحمة يُبْلِجُه ، وطريق من الحكمة يُظْهِرُ
 بيانه ، وليل من السنة يَنْزِعُ طَيْلَسَانَه ؛ وحرسه على الإيمان يُجَدِّدُ مَا خَلَقَ مِنْ بُرُودِه ،
 وَيُنْظِمُ مَا وَهَى مِنْ عُقُودِه ؛ وعلى المؤمنين يَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابَ الرَّشَادِ ، وَيُهَيِّمُ إِلَيْهِمْ سَمَاءَ
 الْإِفَادَةِ وَالْإِمْدَادِ . ولا زالت الحقائق مقصودةً منه بِالْمِيزَةِ الَّتِي رَسَخَتْهُ لِحِفْظِ مَبَانِيهَا ،
 وَأَهْلَتْهُ لِلْعِبَارَةِ عَنْ مَعَانِيهَا ؛ حَتَّى يَرْقُبَهَا فِي الْأَخْلَادِ ، وَيَمَحُورَ بِهَا رُسُومَ الْعِنَادِ ، وَيَنْشُرُ
 بُسْرَهَا فِي الْآفَاقِ وَالْبِلَادِ . أَنَا أَعِدُّ عَنْ هَنَاءٍ دَاعِي الدُّعَاةِ - أطال الله بقاءه -
 بِمَاعِدٍ بِهِ مِنْ أَمْرِ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ الْعَلَوِيَّةِ ، وَنُصِبَ لَهُ مِنْ فَرٍّ مَضَاحِكِ الْمُسْكَلَاتِ
 عَنْ أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالتَّرْجُمَةِ عَنْ غَوَامِضِ الْحِكْمِ الشَّرْعِيِّ ؛ وَالتَّوْقِيفِ عَلَى
 مَوَارِدِ الْهُدَى وَمَشَارِعِهِ ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَشَارِقِ الْحَقِّ وَمَطَالِعِهِ ؛ إِلَى هَنَاءِ الدَّعْوَةِ
 وَأَهْلِهَا بِمَا قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنْ مَحَلَّةِ الرَّفِيعِ الَّذِي أَلْحَقَهُ الْعَقْلُ نَحْوَ هَذَا الْكَمَالِ ،
 وَوُطِّأَ لَهُ مَدَارِجُ التَّرْقِيِّ وَالْإِتِّصَالِ ؛ فَشَقَّتْ نَفْسُهُ وَشَرُفَتْ ، وَتَطَلَّعَتْ عَلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ
 وَأَشْرَفَتْ ؛ وَجَنَى بِيَدِ التَّبَصُّرَةِ ثِمَارَ الْحِكْمَةِ ، وَأَسْتَنْزَلَ بِمَنْزِلِ الْمَوَادِّ غِيُوثَ النِّعَمَةِ ؛
 وَجَرَّدَ الضَّيَاءَ مِنَ الظَّلَامِ ، تَجَرِيدَ الْأَرْوَاحِ مِنَ الْأَجْسَامِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ؛ وَأَسْتَمَدَ
 بِلطيفته مَوَائِدَ عُلُومِ عَالَمِ اللَّطَافَةِ ؛ وَأَمَدَّ بِمَرْكَبِ أَلْفَاظِهَا تَحَاكُمَ الْكَافَّةِ ، وَحَلَّ فِي الْغَبَاءِ
 مَحَلَّ الْغَرَاءِ فِي الْخَضْرَاءِ ، إِنْ أَوْضَحْتَ سَبِيلَ سَائِرٍ بِجَنْبِ طَرِيقِ جَائِرٍ تَوْصِلُ بِنَزْوَعِهَا
 غَاشِيَةَ الظَّلَامِ ، حُسِرَ عَنِ الْحَقِّ قِنَاعُ إِبْهَامٍ ، أَوْفَعَتْ^(١) فِي الْجَوَاهِرِ زِيَادَةُ وَثْمَةِ (؟)
 أَخَذَتْ تَعَادِيَا (؟) فَأَذَلَّتْهُ لِلْهَمِّ الْعَامِلَةِ شَرْقًا وَسُمُومًا ؛ لَمَّا أَعْلَى بِذَلِكَ مِنْ قَدَرِهَا وَقَدَرِهِمْ ،
 وَطَيَّبَ مِنْ ذِكْرِهَا وَذِكْرِهِمْ ؛ وَأَعْطَفَ إِلَى الدَّعَاءِ لِدَاعِي الدُّعَاةِ بَأَنَ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) كذا في الأصلين ولم نهند الى تنقيفه تأمل .

مأخوذه من هذه الرِّياسة رَاهِنًا لَا يُرْتَجَعُ ، وَمَا تُؤَلِّهِ مِنْ هَذِهِ السِّيَادَةِ مُسْتَقَرًّا لَا يُنْتَرَعُ ؛
وَأَنْ يُؤَيِّدَهُ بِالتَّوْفِيقِ ، وَيُعَدِّ لَهُ مَنَاجِحَ التَّحْقِيقِ ؛ وَيُطْلِقَ لِسَانَهُ بِالْبَيَانِ ، وَيُمِدَّهُ بِرُوحٍ
مِنْهُ فِي نُصْرَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَقَدْ حَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِاجَابَةِ دَاعِيهِ ، وَلَا سِيَّمَا دَاعِيَ الدُّعَاةِ
[فَإِنَّهُ] جَدِيرٌ أَنْ يُجَابَ الدُّعَاءُ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قال في "موادّ البيان" : وإنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ ، لأن ألفاظ
هذا الدّاعي يجب أن تكون مشتقة من ألفاظ الدعوة ، مناسبة لمذهبها ؛ ولولا ذلك
لأغنى عنه مثال تهنئة قاضي القضاة ؛ ومن تأملهما عرف ما بينهما من الفرقان .

الصنف السابع — التهنئة بالتقدمة على الرجال .

رُقْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ :

[مِنْ حَلٍّ] محَلٌّ سِيدِي — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — مِنْ السُّؤْدَدِ النَّاطِقِ الشَّوَاهِدِ ،
الْمُنْتَظِمِ الْمَعَادِدِ ؛ الْمُتَضَارِعِ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ ، الْمُتَقِلِّ فِي الْوَلَدِ عَنِ الْوَالِدِ — وَالْحَجِدِ الَّذِي
قَصُرَ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ ، وَتَطَاوَلَتْ لَهُ الْإِنْعَامُ الْحَوَّلُ ؛ وَحَازَ مَاحَازَهُ مِنْ شَرَفِ
الرِّيَاسَةِ ، وَفَضْلِ السِّيَاسَةِ ، وَالْأَسْتِقْلَالِ بِحَقُوقِ مَا تَوَلَّاهُ ، وَتَسْدِيدِ مَا تَوَلَّاهُ وَاسْتَكْفَاهُ ؛
فَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ أَعَالَى الرَّتَبِ ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ الْمَنَازِلُ السِّنِيَّةُ مِنْ كَثَبٍ — خُطْبَتُهُ الْعُلَا
سَائِقَةٌ عَنْهُ مَهْرَهَا ، وَتَطَامَنَتْ لَهُ مَوْطِنَةٌ ظَهَرَهَا ؛ فَلَمْ يَكْثُرْ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى [أَهْلِ]
عَصْرِهِ فَضْلًا عَنْ قَبِيلَتِهِ ، وَيَتَأَمَّرَ عَلَى جَمِيعِ نَوْعِهِ فَضْلًا عَنْ طَائِفَتِهِ : لِأَنَّهُ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ
بِالرَّتْبَةِ وَالطَّبْعِ ، لَا بِالْأَصْطِلَاحِ وَالْوَضْعِ ؛ فَشَكَرَ الْمَمْلُوكُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بُزُوغِ هَلَالِهِ
وِإِبْرَاقِهِ ، وَطُلُوعِهِ لِمِيقَاتِ الْعِزِّ وَتَتَفَاقِهِ ؛ وَسَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا أَقْرَأَ الْعِیُونَ مِنْ سِيَادَتِهِ ،
وَحَقِّقَ الظُّنُونَ فِي سَعَادَتِهِ ؛ خَالِدًا رَاهِنًا ، وَمُقِيمًا قَاطِنًا ؛ وَأَنْ يَزِيدَهُ مِنَ السَّعَادَةِ ،
وَيُرْقِيَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي دَرَجِ السِّيَادَةِ : لَتَكُونَ هَذِهِ الرَّتْبَةُ عَلَى أَمْتِنَاعِ مَرْقَبِهَا ، وَارْتِفَاعِ

مركبها ؛ أول درجة تحطّأها ، ومنزلة فرعها وعلاها ؛ ثم لا يزال راقيا فيما يتلوها حتى
يحتذى بكواكب الجوزاء ، ويطحّودارة على الحلفاء ، مهتأ غير منغص ، ومزيدا غير
منقص ؛ والله تعالى يجب هذه الأدعية الواقعة مواقعها ، والمستحقّات الموضوعه
مواضعها .

الصنف الثامن - التهنة بولاية الديوان .

رُقعة من ذلك :

وَيُنْهَى أَنْ مِنْ حَلٍّ مَحَلٍّ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ رَافِلًا فِي بُؤْسِ السَّعَادَةِ ،
مُتَحَفِّلًا بِسُلُوسِ السِّيَادَةِ ؛ مُتَنَقِّلًا فِي رُتَبِ الْمَجْدِ ، مُتَوَقِّلًا إِلَى غَدِنِ الْحَدِّ ؛ مُسْتَوِيلًا
عَلَى شِعَابِ الْعُلَا ، مُتَمَكِّنًا مِنْ رِقَابِ الْأَعْدَاءِ - فِي الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، وَالْمَعْرِفَةِ
بِحُقُوقِ الْإِصْطِفَاءِ وَالْإِصْطِنَاعِ ؛ وَرُقْعَةً مَذْهَبِهِ عَلَى الْكِفَايَةِ وَالْغَنَاءِ ، وَالنَّهْوِ بِثَقِيلِ
الْأَعْبَاءِ ؛ خُطْبَةً التَّصَرُّفَاتِ حَامِلَةً عَنْهُ صَدَاقَهَا ، وَتَشَوُّفَهُ الْوَلَايَاتُ مَادَّةً إِلَيْهِ أَعْنَاقَهَا ؛
وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مَا جَدَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَعَادَتِهِ ، وَأَنْجَزَهُ مِنْ مَوَاعِيدِ سِيَادَتِهِ ، الَّتِي
كَانَتْ وَاضِحَةً فِي مَخَائِلِ فَضْلِهِ ، لَا تُحِثُّ فِي دَلَائِلِ نُبُلِهِ ، مَكْتُوبَةٌ فِي صَفَحَاتِ الْأَقْدَارِ ،
مَرْقُومَةٌ بِسَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى بَيَاضِ النَّهَارِ ؛ فَحِذِلِ الْمَمْلُوكُ بِذَلِكَ ، جَذَلِ الْحَمِيمُ الْمُشَارِكُ ،
وَسُرَّ بِهِ سرورَ الْخَلِيطِ الْمُشَابِكِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِي تَوَلَّاهُ مَوْلَانَا وَجَدَ [فِيهِ] خَلَا
فَرَقَعَهُ ، وَخَوَّلَا فَرْعَهُ ؛ بَلْ لِأَنَّ الْحَقَّ غَالِبَ الْحِظِّ فَعَلَبَهُ ، وَالْوَاجِبَ سَالِبَ الْمُحْكِنِ
فَسَلَبَهُ ؛ وَأَنَاخَ رِكَابَ الرِّيَاسَةِ فِي الْمَحَلِّ الْخَصْبِ الَّذِي يَحْمَدُهُ وَيَرْضِيهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يُفَضِّلُ عَلَى رِعْيَتِهِ ، الْمُتَوَطِّئِينَ بِفَاضِلِ سِيَاسَتِهِ ، مِنْ حِبَائِهِ وَلُطْفِهِ ، وَرَأْفَتِهِ وَعَطْفِهِ ، بِمَا
يُسَيِّغُ عَلَيْهِمْ ظِلَالَ الْعَدْلِ ، وَيَقْلِّصُ عَنْهُمْ سُدُولَ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وكتبتُ لَمَقَرَّ البَدْرِيَّ محمودِ الكَلِستَانِي الشَّهيرِ بالسَّرايِ مهتًا له باستقراره
في كُتَّابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بالديارِ المِصرِيَّةِ في الدَّولةِ الظَّاهِرِيَّةِ « برقوق » في سلطته الأولى :

رَفَعْتَ لِلْمَجْدِ مُدًّا وَلَيْتَ بُنْيَانًا * وَشَدْتَ لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَهْنِ أَرْكَانًا !
وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ فِي زَهْوٍ وَمَالِكُهُ * يَمِيسُ مُحِبًّا ، وَهَنَّا التَّخْتُ إِيوَانًا !
قَدِمْتَ مِصْرًا فَامْسَتْ مِنْكَ فِي فَرِهِ * تَهْزُ بِالْبِشْرِ مِنْ لُفْيَاكَ أُرْدَانًا !
وَعُودِرَ النَّيْلِ مُدًّا وَافَيْتَ مُبْتَهَجًا * وَقَدْ رَمَى الصَّدُّ وَالْإِبْعَادُ جَيْحَانًا !
أَلْفَاظُكَ الْغُرُ صَارَتْ لِلرُّوَى مَثَلًا * وَكُتُبُكَ الزَّهْرُ بَعْدَ اللَّثْمِ تَيْجَانًا !
تَفُوقُ قُسًّا إِذَا تَبَدُّو فِصَاحَتُهَا * وَتَفْضُحُ الْمِصْقَعَ الْمَلَّاقَ سَحَابَانًا !
قَدْ أَخْمَتُ فِي مَجَازَاتٍ بِلَاغَتُهَا * تُرْكًا وَرُومًا وَبَعْدَ الْفُرْسِ عُربَانًا !
كُلُّ الْمَوَالِي إِذَا وَلَّوْا فَلَا أَسْفَ * إِذْ أَنْتَ بَاقٍ ، وَيُنْقِي اللَّهُ مَوْلَانَا !
مَوْلَى بِهِ قَدْ تَشَرَّفْنَا وَجَمَلْنَا * بِوَجْهِهِ ، وَلِذِكْرِ الْقَوْمِ أَنْسَانَا !

الصفحة التاسع - التهئة بولاية عمل .

أبو الفرج البغاء :

عَرَفَ اللهُ سَيِّدِي بَرَكَةَ هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، بَنِيْلٍ نَظَرَهُ الْجَمِيلِ ، وَحَمِيدِ أَثَرِهِ
الْمَحْرُوسِ ؛ وَتَنَاصَّرَ سِيَاسَتِهِ الشَّرِيفَةِ بِسِمَةِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَوَفَّقَ رِعْيَتَهُ لَشُكْرِ مَاوَلِيهَا مِنْ
فَائِضِ عَدْلِهِ وَمَحْمُودِ فِعْلِهِ ؛ فَالْأَعْمَالُ مِنْهُ - أَيْدِي اللَّهِ تَعَالَى - بِالْتِهْنَةِ أَوَّلَى ، وَبِالْتَّطَاوُلِ
بِمَا شَمِلَهَا مِنْ بَرَكَاتٍ تَدِيرُهُ أُخْرَى ؛ وَاللَّهُ بِكَرَمِهِ يَسْمَعُ فِيهِ صَالِحَ الدَّعَاءِ ، وَيَبْلُغُهُ أَبْلَغَ
مُدَدِ الْبَقَاءِ ، فِي أَسْبَغِ نِعْمَةٍ ، وَأَرْفَعَ مَنَزَلَةٍ ، وَأَصْدَقَ أَمْنِيَّةٍ ، وَأَنْجَحَ طَلِبَةٍ ، بِمَنَّةٍ .

وله في مثله :

لولا ما يَشْرِكُ التَّهَانِيَّ من بركات الدُّعاء الذى أَرْجُو أَنْ يَسْمَعَ اللهُ فِىكَ صَاحِلَه ،
وَيُحِبُّ أَحْسَنَه ، لأَجَلْنَاكَ عن التَّهْنِئَةِ بِمَسْتَجِدِّ الأَعْمَالِ ، وَمَسْتَحْدَثِ الوِلَايَاتِ ،
لِقُصُورِهَا عن أَسْتِحْقَاقِكَ ، وَأَنْحَطَاطِهَا وَإِنْ جَلَّتْ عن أَيْسَرِ وَاجِبَاتِكَ ، وَتَعَجَّلِهَا
بِأَثَوْرِ كِفَايَتِكَ ، وَبَرَكَاتِ نَظَرِكَ ، وَمَوَاقِعِ إِنْصَافِكَ . فَهَنَّاكَ اللهُ نِعْمَةَ الْفَضْلِ الَّتِي
الْوِلَايَةُ أَصْغَرُ آلَاتِهَا ، وَالرِّيَاسَةُ بَعْضُ صِفَاتِهَا ، وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ مَوْهَبَةٍ مُجَدَّدَةٍ ،
وَمِنْحَةٍ مُؤَبَّدَةٍ .

وله في مثله :

سِدى - أَيْدِ اللهُ - أَرْفَعُ قَدْرًا ، وَأُنَبِّهُ ذِكْرًا ، وَأُعْظِمُ نَبْلًا ، وَأَشْهَرُ فَضْلًا ، مِنْ
أَنْ تُهْنِئَهُ بِوِلَايَةٍ وَإِنْ جَلَّ خَطَرُهَا ، وَعَظُمَ قَدْرُهَا ، لِأَنَّ الْوَاجِبَ تَهْنِئَةُ الأَعْمَالِ بِفَائِضِ
عَدْلِهِ ، وَالرَّعِيَّةَ بِمَحْمُودِ فِعْلِهِ ، وَالْأَقَالِمَ بِأَثَارِ رِيَّاسَتِهِ ، وَالْوِلَايَاتِ بِسِمَاتِ سِيَاسَتِهِ ؛
فَعَرَفَهُ اللهُ يَمُنْ مَا تَوَلَّاهُ ، وَرَعَاهُ فِي سَائِرِ مَا اسْتَرْعَاهُ ، وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِيمَا يُعَانِيهِ ،
وَالْتَسَدِيدِ فِيمَا يُبْرِمُهُ وَيُمِضِيهِ .

الإجابة عن التَّهَانِيِّ بِالْوِلَايَاتِ

قال في "موادِّ البيان" : هذه الكُتُبُ إِذَا وَرَدَتْ ، وَجِبَ عَلَى الْحَبِيبِ أَنْ يَسْتَنْبِطَ
مِنْ كُلِّ كِتَابٍ مِنْهَا الْمَعْنَى الَّتِي يُحِبُّ بِهَا . قَالَ : وَالطَّرِيقَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيهَا أَنَّ كِتَابَ
الْحَبِيبِ يَجِبُ أَنْ يَبْنَى عَلَى أَنَّ الْمَهْنَى قَسِيمٌ فِي النِّعْمَةِ الْمُتَجَدَّدَةِ ، وَشَرِيكَ فِي الْمُنْزِلَةِ
الْمُسْتَحْدَثَةِ ، وَأَنَّ الْحِظَّ الْأَوْفَرَ فِيمَا نَالَهُ الْمَهْنَى لِلْمَهْنَى وَبِرَكَّةِ دُعَائِهِ ، وَتَوَقُّعِهِ لِمَا يَرِدُ

من حاجاته وتبعاته لينفّذها ، نازلا على أخلص مخالصته ، وعاملا بشروط مودّته ؛ ونحو هذا مما يضارعه . فإن كان المحيّب رئيسا أو مرءوسا ، وجب أن يرتّب الخطاب على ما تقتضيه رتبة كلّ واحد منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وردت المشرقة الكريمة ، أتم الله على مرسلها نعمته ، وأعلى قدره ومنزلته ؛ وجعل جناح العدا مخفوضا ، وعيشه في دعة وخفض ، وقدره للتمييز مرفوعا ، وعدوه للتقصير في آخطاط وخفض ؛ فتلقاها باليمين ، وظنها الريح الجنوب لما تجلّته من رقة الحنين ؛ وعلم ما أبداه فيها من تفضلاته ، وأعترف بالتقصير عن مجاراته ومجازاته ؛ فشئت سمعه بالفاظ كأتهن اللؤلؤ والمرجان ، وبيئت البون الذي بينه وبين غيره تلك الفصاحة والبيان ؛ وقابل أياديّه بشكر لسانه ، وجازاه بحسن الدعاء عن إحسانه ؛ ولا يقوم بشكر فضله اللسان ولا الجثمان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ .

فأما ما أشار إليه من الهناء بالمكان الذي تولّاه ، وأبداه من المحبة التي اوجبت عليه أن يتّوالاه ؛ فالله تعالى يُعينه على ما هو بصددّه ، ويعمل الحق والخير جاريين على لسانه ويده ؛ ويرزقه أتباع محكم كتابه وسنة رسوله ؛ ويحصل له من الرشد غاية سؤله ومأموله ؛ فإن هذه الولاية صعبة المراس ، وجوادها كثير الشّماس ؛ لكن بركات المولى يحصل من الله الأرب ، ويسهل لأوليائه القصد والإسعاد والطلب ؛ أدام الله ظلّ المولى وأسعده ، وأوضح لديه طريق السعادة ومهده ؛ ومنحه من الألطاف الخفية أفضل ما عوده ؛ بمنّه وكرمه .

الضرب الثاني

(التهنئة بكرامة السلطان وأجوبتها)

وفيه ثلاثة أصناف :

الصنف الاول - التهنئة بالإناعام والمزيد ولُبس الخلع وغير ذلك .

من كلام الأقدمين :

وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمُلُوكِ مَا أَهْلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ مَوْلَانَا لَهُ : من المحلِّ السَّيِّئِ ،
وَالْمَكَانِ الْعَلِيِّ ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ ، مَتَشَوِّفًا إِلَيْهِ ، نَافِرًا عَنْ كُلِّ خَاطِبٍ سِوَاهُ ،
جَاحِحًا عَلَى كُلِّ رَاكِبٍ إِلَّا إِيَّاهُ ؛ فَأَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَ الْمُلُوكِ بِذَلِكَ لِصَدَقَ ظَنُّهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ
مَا أَصَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْمُنْزِلَةِ الْمُتَنِيفَةِ ، وَالرُّتْبَةِ الشَّرِيفَةِ ؛ مَدْرَجَةً تُقْضَى
إِلَى مَدَارِجَ ، وَمَعْرَجَةً تَنْتَهِي إِلَى مَعَارِجَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ مَعَالِيَهُ عُلُوًّا ، وَيُضَاعِفُ
مَحَلَّهُ سُمُومًا ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه - وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمُلُوكِ نَبَأُ الْمَوْهَبَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ لَدَيْهِ ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْبِغَةِ
عَلَيْهِ ؛ وَمَا أَخْتَصَّ بِهِ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ وَالْإِيْثَارِ ، وَالْأَجْتِبَاءِ وَالْإِخْتِيَارِ ؛
وَتَقْدِيمِهِ لِلرُّتْبَةِ الْأَعْلَى ، وَالْإِنَافَةِ إِلَى الْمُنْزِلَةِ الْخَطِيرَةِ ؛ فَسَرَّ الْمُلُوكُ لِلرِّيَّاسَةِ إِذَا أَحْلَاهَا
اللَّهُ تَعَالَى فِي مَحَلِّهَا ، وَأَنْزَلَهَا عَلَى أَهْلِهَا ؛ وَوَصَّلَهَا بِكُنْفِهَا وَكَافِيهَا ، وَسَلَّمَ قَوْسَهَا إِلَى رَامِيهَا ؛
وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ أَوَّلَ مِرْقَاةٍ مِنْ مَرَاقِي الْأَمَالِ ، وَمَكْبَرِ الرُّتَبِ الَّتِي يَقْرَعُهَا
مِنْ رُتَبِ الْجَلَالِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

أدام الله أنصاره، وجعل التقوى شعاره؛ وألبسه من الحماد أكرم حلّه، وتولّه من المكارم أحمد خله؛ ولا زالت الخلع تتشرف إذا أفيضت عليه، والمدائح تُستطاب بذكره لاسيما إذا أنشئت بين يديه .

الخادمُ يُنهي إلى علم المولى أنه اتصل به خبر أهدى إليه سُورا، ومنحه بهجة وجُورا : وهو ما أنعم به المولى السلطانُ خلد الله سلطانه، وضاعف إحسانه : من تشريفه بخلعته ، وما أسبغه عليه من وارف ظله ووافر نعمته ، وأبداه من عنايته بالمولى ومحبتته ؛ وقد حصل له من المسرة ما أجذله ، وبسط في مضاعفة سعد المولى أمله ؛ فإنه بلغه أن هذه الخالعة كالرياض في نضارتها ، وحسن بهجتها ؛ وأنها كلما برقت برق لها البصر، وظنّها حسنها حديقة وقد حذق إليها النظر ؛ وقد جمعت ألوان الأزهار، وأزني ناصبها في اللطف على نسمة الأسحار ؛ وأسكنت حُبها حبات القلوب التي في الصدور، وسمت عن المدح برائق المنظوم وفائق المنثور ؛ وأن ابن سليمان لو رآها، لاعترف بأن في لبسها لكل قبيح شرفا لا ريب فيه، ونسب البيت المنسوب إليه إلى أعاديه ؛ وأنه لو نظر نظرة نضارها لما جعل لها في الحسن نظيرا، ولو ألقاها على وجهه لأرتد لوقت بصيرا ؛ فلذلك أصدر هذه الخدمة مهنية، ومُعربة عما حصل له من الفرح ومنية ؛ ولجيد مدحه العاطل من مثل هذه الألفاظ تحليه ؛ تولّه الله في كل يوم مسرة وبُشرى، وأجرى له على الألسن حمدا وشكرا ؛ وجعله لكل خير أهلا، وشكره تفضلا شاملا وفضلا ؛ ومتّعه من العافية بلباس لا يئلى ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني - التهئة برضا السلطان بعد غضبه .

من ذلك :

وتُنهى أنه اتّصل بى ماجدّه الله تعالى لمولاي - أطال الله بقاءه - من حُسن عاطفة مولانا أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - وأنعطافه عليه بعد أنصرافه به وإعادته إلى رُتبته التي نَشَرَتْ عنه دَلَالاً مَلالاً، وهَجَرَتْه هَجْرَ المستُصْلِحِ المستَعْتَبِ، لا هَجَرَ القالِي المتجنّب ؛ وكيف تَفْلَاه، وهي لا تَجِدُ لها كُفْؤاً سِواه ؛ ولتوقّع المملوك بما وقع من هذه الحال، وعلمه أنّ عَوْدَها إليه كَعودة المودّع [إلى مودّعه] ، لا عَوْدَةَ المتّجِعِ إلى مَرَبَعِه ؛ وأنّ الذي وقَعَ من الانحراف إصلاحٌ باديهِ تهذيبٌ وتقويمٌ، وخافيه توقيرٌ وتعظيمٌ : لما في عتاب أمير المؤمنين من شَرَفِ الرُّتَبِ ، والدِّلالَةِ على اسْتِقْرارِ الأثَرِ والقُرْبِ ؛ وحُلُولِهِ محلَّ الصِّقالِ ، من أبيضِ النِّصالِ ، والثِّقافِ من العَسالِ ؛ ولا سِيّاً ورياسته مُحْفُوظَهِ ، وسيادته مَحْفُوظَهِ ؛ وهَيْبَتُهُ في النفوسِ ماثِلَةٌ ، وجَلالته في القلوبِ حاصِلَةٌ ؛ ولم يَرِ المملوكُ أَجَلَ مَوْهَبَةٍ من الله سبحانه من شكريستَرِهِنَّ هذه النعمة ويَحْلِدُها ، وحمدٍ يَرْتَبِطُها وَيَقْيِدُها ؛ ورغبتُ إلى الله سبحانه أن يجعلَ هذا العِزَّ الحادِثَ لائِثاً لا يَحْوَلُ ، والسعدَ الطارِفَ ماكِئاً لا يَنْتَقِلُ ؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهى أنّ من عادة الزمان أن يَكِفَ سَحَابَهُ ثم يَكِفْ ، ويرِفَ نَبَأَهُ ثم يَجِفْ ؛ ويَدِرَّ حَلَبَهُ ثم يَنْقَطِعَ ، ويُقْبِلَ خَيْرُهُ ثم يَرْتَجِعْ ؛ إلا أنه إذا سَلَبَ النعمةَ من يَسْتَوْجِبُ إِمْرَارَها عليه ، وأنترَعِ المَوْهَبَةُ من يَسْتَحِقُّ اسْتِمْرَارَها لَدَيْهِ ؛

(١) لعل الواو زائدة ويكون متعلق باللام في قوله «ولتوقع» الخ تأمل .

كَانَ كَالْغَالِطِ الَّذِي يُرَاجِعُ نَفْسَهُ فَيَنْدُمُ عَلَى مَا فَوَّطَ ، وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الْغَلْطَ ؛
مُعْقِبًا نَبَوْتَهُ بِإِنَانِيَّتِهِ ، مُتَعَقِّبًا هَفْوَتَهُ بِاسْتِفْآلَتِهِ ؛ مَاحِيًا إِسَاءَتَهُ بِرَأْبِ مَا نَلِمَ ، وَأَسْوِ مَا كَلَّمَ ؛
وإِصْلَاحَ مَا أَفْسَدَ ، وَتَأْلِيفَ مَا شَرَّدَ . فَلَا جَرَمَ أَنَّ النُّفُوسَ بِإِقْبَالِهِ عَلَى مَنْ هَذِهِ
صِفَتُهُ وَائِقُهُ ، وَالْأَمَالَ لِإِنْصِرَافِهِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صُورَتُهُ مُتَحَقِّقَةً ؛ وَإِذَا سَلَبَهَا هَرُؤَلُ
فِي إِيدَاعِهَا لَدَيْهِ ، وَأَخَذَ [فِي] إِفَاضَتِهَا عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ الْمَمْلُوكُ - مُدَّ عَامِلَ الزَّمَانِ مُوَلَانَا
بُسُوءِ أَدَبِهِ ، وَنَأَى عَنْهُ بِجَانِيهِ ؛ وَقَبَضَ بِنَانِهِ ، وَغَيَّرَ عَلَيْهِ سُلْطَانَهُ - عَارِفًا أَنَّ هَذِهِ الْفَعْلَةَ
فَلْتَةٌ مِنْ فَلَاتِهِ الَّتِي يَتَوَقَّئُ شَرَّهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى مِثْلِهَا ؛ وَأَنَّ الْإِسْتِبْصَارَ ، يَقُودُهُ
إِلَى الْإِعْتِدَارِ ، وَالْإِضْطِرَّارِ ، يَحْدُوهُ عَلَى رَدِّ مَا أَنْتَرَعَهُ بِالْإِجْبَارِ : لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مِنْ يُجِلُّ
مَحَلَّ مُوَلَانَا فِي آرْتِبَاطِهِ بِإِنْسَانِهِ ، وَتَعَهُدِهِ بِسُقَى أَغْرَاسِهِ ؛ وَقِيَامِهِ بِشُكْرِهِ ، وَتَرْكِتِهِ بِبِرِّهِ -
مُتَوَقِّعًا لِأَن تَتَبَقَّظَ عَيْنُهُ ، وَيَنْكَشِفَ رَيْثُهُ ؛ فَيَرَى مَا صَبَعَتْ يَدَاهُ ، وَيَبَادِرُ لِأَسْتِقَالَةِ
مَاجِنَاهُ ؛ حَتَّى طَرُقَ الْبَشِيرُ بِمَا سَهَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْحِسَارِ الْكُرْبَةِ ، وَعَوْدِ مُوَلَانَا إِلَى
شَرَفِ الرُّتْبَةِ ؛ وَصَلَاحِ مَا فُسِّدَ ، وَعَوْدِ السُّلْطَانِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ إِلَى مَا عَهْدَ ؛ وَرُكُونِهِ
إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَأَنْقِلَابِهِ عَنْهُ رَافِلًا فِي تَشْرِيفِهِ وَمَكْرَمَتِهِ ؛ فَكَانَ مَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكِ فِيهِ هِلَالًا
فِي السَّرَارِ فَاهْلًا ، وَجَنِينًا فِي الْحَشَا فَاسْتَهْلًا ؛ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَمْلُوكِ مِنَ السُّرُورِ مَا عَمَّ
جَوَارِحَهُ ، وَعَمَرَ جَوَانِحَهُ ؛ وَأَطَارَ بِجَنَاحِ الْمَرْحِ ، وَالْبَسَ حُلَّةَ الْفَرَحِ ؛ إِذْ مَا جَدَّدَهُ
اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ يُحَلُّ بِهِ فِي الْعُمُومِ ، مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُومِ ؛ لِأَنَّهُ حَرَسَ اللَّهُ
عِزَّهُ لَا يَسْتَأْثِرُ بِعَوَافِرِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، وَلَا يَكْرُؤُ عَلَى عَطَايَاهُ يَدَهُ ؛ بَلْ يَمْنَحُ مِمَّا مُنَحَ ؛
وَيُؤَلِي مِمَّا تَوَلَّى ، وَلَا يَضُنُّ بِمَالٍ وَلَا جَاهٍ ، وَلَا يَقْعُدُ عَمَّنْ أَمَلَهُ وَرَجَاهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَجْعَلُ ذَلِكَ مِمَّا أَقْرَبَهُ الْعُيُونِ ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظُّنُونِ ؛ لِأَخْلُقَهُ الْأَيَّامَ وَلَا تُبْلِيهِ ،
وَلَا تَزْوِيهِ الْحَوَادِثُ وَلَا تَوَثِّرُ فِيهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث — التهنية بالخلاص من الاعتقال .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جَدَّدَ اللهُ سَعْدَهُ ، وَضَاعَفَ جَدَّهُ ، وَأَنْجَحَ قَصْدَهُ ، وَأَعَدَّ مَنَّهُلَهُ وَوَرَدَهُ ؛ وَلَا أَنْفَكْتَ الْأَيَّامُ زَاهِيَةً بَبَقَائِهِ ، وَالْأَنْفُسُ مَسْرُورَةً بِأَرْتِقَائِهِ إِلَى رُتَبِ عِلْيَانِهِ . أَصْدَرَهَا تُفْصِحُ عَنْ شَوْقٍ يَعْجِزُ عَنْ سَوْفِهِ الْجَنَانُ ، وَيَقْصُرُ عَنْ طُولِهِ اللِّسَانُ ؛ وَسُرُورٍ تَزِيدُ حَتَّى أَبْكَاهُ ، وَلَا عَجَّ بِمَشَاهِدَةٍ طَلَعَتْهُ السَّعِيدَةُ أَغْرَاهُ ؛ وَثُنِيَّتُهُ بِمَا جَدَّدَ اللهُ لَهُ بَعْدَ الْأَعْتِقَالِ مِنَ الْفَرَجِ وَالْفَرَحِ ، وَمَنْ بِهِ بَعْدَ ضَيْقِ الْخَوَاطِرِ مِنَ الْإِتْبَاهِاجِ وَالْمَرْحِ ؛ فَهَذِهِ الْمَسْرُورَةُ مَاءٌ زَلَالٌ بَرَدَ بِهَا الْأَوَّامُ ، وَإِنْعَامٌ عَامٌ ، حَمِدَ اللهُ عَلَيْهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَوَّضَهُ عَنْ مَأْتَمِ الْحُزْنِ بِمَأْتَمٍ مِنَ السُّرُورِ ، وَ[عَنِ] الْهَمِّ الْمَانِعِ عَنِ الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ بِإِنْشِرَاحِ الصُّدُورِ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ شَعَفَهَا حُبُّهُ وَشَغَفَهَا ، وَضَاعَفَ لَتَعْوِيْقِهِ أَسَاهاً وَأَسْقَاهَا ؛ بِحَيْثُ أَتَرَى الْمَنَاطِقَ قَلَقٌ وَعَلَاها أَصْفِرَارٌ ، وَعُطِّلَتْ يَدُ كُلِّ غَانِيَةٍ مِنَ الْحُلِيِّ فَمَا ضَمَّهَا قُلُوبٌ وَلَا سِوَارٌ ؛ وَلَيْسَ الْخُطْبَاءُ حَزَنًا وَالْإِسْتِةَ الْحَايِرَ ، وَكَادَتْ لَغِيْبَتُهُ وَفَقْدَ اسْمِهِ تَنْدُبُهُ الْجَوَامِعُ وَتَبْكِيهِ الْمَنَابِرُ ؛ خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ ، وَسَهَّلَ لَهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

الأجوبة عن التهنية بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبة هذه الرِّقَاعِ مُودَعَةً مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَهْنَى - لِمَحَافَظَتِهِ عَلَى رُسُومِ الْمُوَدَّةِ وَقِيَامِهِ بِشُرُوطِ الْخُلَّةِ - مَا تَقْتَضِيهِ رَتَبَتُهُ وَرُتَبَةُ الْحَبِيبِ ، وَأَنَّهُ مُشَارِكٌ لَهُ فِي مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ ، مُفَاوِضٌ فِي حَدِيثِ الْمَسْرَّةِ ؛ وَالتَّيْمُنُ بِالْإِعْدَاءِ ، وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ عِنْدَ الْمُبْتَدِئِ بِالْهِنَاءِ ؛ وَيَضَعُهُ بِحَيْثُ وَضَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِمَنْ كَاتَبَهُ .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع : [جواب] هناء بخلة :

أدام الله علاءه ، وشكر آلاءه ، وضاعف سناءه ؛ وحيد منه التي أثقلت لكل
معتف ظهراً وخففت همّاً ، وأنالت لكل ولي نصيباً من عوارفها وقسماً . المملوك
يُنهى إلى العلم الكريم ورود المكتبة التي كسنتها يده حلّة جمال ، والبستها ثوب
إفضال ؛ وأعدتها بكرمها ، وحسنت وجهها بلسان قلبها ؛ فأمطرته سحب جود
أربى على السحاب الهتون ، وأوقفته منها على ألفاظ كأمثال اللؤلؤ المكنون ؛ فأجتنى
ثمّار الفضائل من أغصانها ، وأجتنى عروس محاسنها وإحسانها ؛ وفيهم ما أشار إليه
من التهنئة بالخلة التي أنعم المولى بها على خادمه وتصدق ، وحقّق الأمل في مكارمه
وصدّق ، وإنعامه خلّد الله دولته ، وأعزّ نصرته ، قد كثر حتى أنجمه ، وميزه على
كثير من ممالك بيته العالی وفصله ؛ وأناله من المنزلة ما سماها على أمثاله ، ورفق بها
بعد رقة حاله ؛ فالثّغى يخلّد سلطانه ، ويثبت بالسعادة أركانه ؛ وهذا بسعادة مولانا
ومساعدته ، ومعاونته ومعاضدته : فإنه كان السبب في الاتّصال ببابه أولاً وآخراً ،
ومن أغاثه بذلك وأعاناه عليه باطناً وظاهراً .

وكل خير توخّاني الزّمان به * فانت باعشه لي او مسبيه

الضرب الثالث

(من التهانى التهنية بالعود من الحج)

وهذه نسخ من ذلك يُنسخ على منوالها .

فمن ذلك :

ويُنهى أنه طرّق المملوك البشيرُ بعود مولانا - أطال الله بقاءه - من مقام
الطائفين ، إلى مقام المعتفين ؛ وأوْبَيْته من كعبة الإحرام ، إلى كعبة الإكرام ؛
وتثقله من مَوْقف الحُجّاج ، إلى مَوْقف المحتاج ؛ وحلّوله بمنزله الذى هو قبله ذَوَى
الآمال ، ومحطّ الرّحال ؛ بالسّعى المشكور ، والحجّ المبرور ؛ والنسك المقبول ،
والأجر المكتوب ؛ فحَمِدْتُ الله تعالى على مَوْهَبَتِهِ ، وسألته زيادته من مَكْرَمَتِهِ ؛
وَأَسْتَنْجَحْتُ هذه المكتبة أمام ما أُرِوه من مشاهدته ، وأرجوه من الاستسعاد
بملاحظته ؛ وبرد أوار الشوق بمحاضرتِهِ ، ومجدّدًا عهود التيمّن بمبايسته ؛ فإن آقتضى
رأيه العالى أن يُعرّف المملوك جملةً من خبره فى بذّته وعَوْدِهِ ؛ ومنقلبه ومتوجّهه ؛
وما تفضّل الله تعالى به من أمان سبيله ، وهداية دليله ؛ وتخفيف وعناء سفره ،
وتسهيل وطّره : لِأَسْكُنَ إلى ذلك إلى حين التمثّل بَنَظَرِهِ ، فله الفضل فى ذلك .
والله تعالى يبلغه سُؤله ، ويوصله مراده ومأمُوله ؛ بمنّه وكرمه .

ومن ذلك :

ويُنهى أن مولانا لا يزال حاجًّا إلى كعبة الحرم ، أو كعبة الكرم ؛ وطائفًا بشعائر
الوُفود ، أو بشعائر الجُود ؛ وواقفًا بموقف الاستفتاح ، أو موقف السماح ؛ وناحرَ
البُدنِ مِنّى ، أو نائرَ البدر للئى ؛ فلا يرتفع فى حايٍ من الأحوال يرّه ، ولا ينقطع عن الله

تعالى ذكُّرُه ؛ وَمَنْ كَانَ بِهِذِهِ الْمَنَابَه ، فِي إِحْرَازِ الْأَجْرِ وَالْإِنَابَه ؛ فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ تَعْمَرَ
بِالْتَهْنِئَةِ أَوْقَاتُهُ وَأَزْمَانُهُ ، كَمَا عَمَّرَهَا سَعْيُهُ وَإِحْسَانُهُ ؛ وَقَدْ عَرَفَ الْمَمْلُوكُ أَنْكَفَاءَهُ
- أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - عَنْ مَقَامِ الطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ ، إِلَى مَقَامِ الْقَاصِدِينَ وَالْمُعْتَفِينَ ،
وَعُودَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ ، بَعْدَ قَضَائِهِ فَرِيضَةَ السَّعْيِ الْمَشْكُورِ ؛ فَعَدَلْتُ فِي مَخَاطَبَتِهِ
عَنِ الْهِنَاءِ إِلَى الدَّعَاءِ بِأَنْ يَتَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى نُسْكَهَ وَيَثْقَلَ مِيزَانُهُ ، وَيُطْلِقَ فِي حَلْبَةِ
الْخَيْرَاتِ عَنَانَهُ ؛ وَيُحْيِيَهُ لِأَجْرِ يُخْرِزُهُ ، وَثَوَابٍ يَكْتَحِزُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِيبُ ذَلِكَ فِيهِ ،
وَيُرِيهِ فِي نَفْسِهِ وَأَحِبَّتَهُ مَا يَرْضِيهِ .

ومن ذلك :

وَتُنْهِى أَنَّهُ قَدْ طَرَقَنِي الْبَشِيرُ بِأَنْكَفَاءِ مَوْلَانَا إِلَى مَقَرِّ عِلَائِهِ ، وَأَنْفِصَالِهِ عَنْ مَلَاذِ
النَّسَاكِ وَالْعِبَادِ ، إِلَى مَعَاذِ الزُّوَارِ وَالْقُصَادِ ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّ ذَلِكَ النَّسِيمَ الْعَلِيلَ مِنْ تِلْقَائِهِ ،
وَذَلِكَ النُّورَ الصَّادِعَ مِنْ آلَائِهِ ؛ وَذَلِكَ الْإِقْتِرَارَ مِنْ أَسْرَتِهِ وَنَحَائِلِهِ ، وَتِلْكَ الْعُدُوبَةَ
مِنْ شِمَائِهِ وَشَمَائِلِهِ ؛ فَكَادَ الْمَمْلُوكُ يَطِيرُ - لَوْ طَارَ قَبْلِي غَيْرُ ذِي مَطَارٍ - فَرَحًا ، وَأَخْرَقَ
الْأَرْضَ وَأَبْلَغُ الْجِبَالِ لَوْ أَمَكْنَ ذَلِكَ مَرَحًا ؛ وَأَنْفَتَحَ قَلْبِي حَتَّى كَادَتْ مَهْجَتُهُ تَفِيضُ
سُرُورًا ، وَطَاشَ حِلْمِي حَتَّى تَفَرَّقَ مَجْمُوعُهُ بِهَجَّةٍ وَحُبُورًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ نِعْمَهُ
مَوْصُولَةً الْحَبْلِ ، مَجْمُوعَةً الشَّمْلِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

أبو الفرج البیضاء :

جَعَلَ اللَّهُ سَعْيَكَ مَشْكُورًا ، وَحُجَّكَ مَبْرُورًا ؛ وَنُسْكَكَ مَقْبُولًا ، وَأَجْرَكَ مَكْتُوبًا ؛
وَأَجَزَلَ مِنَ الْمُثُوبَةِ جَزَاءَكَ ، وَمِنْ عَاجِلِ الْأَجْرِ وَآجِلِهِ عَطَاءَكَ ؛ وَفَرَنَ بِالطَّاعَاتِ عَزَمَاتِكَ ،
وَبِالسَّعْيِ إِلَى الْخَيْرِ نَهْضَاتِكَ ؛ وَوَفَّقَكَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَزَكَاةِ الْأَفْعَالِ ، لِمَا يَجْمَعُ
كُلَّ خَيْرِ الدَّارَيْنِ . وَلَمَّا طَرَقَنِي الْبَشَارَةُ بِقُدُومِكَ ، بَدَأْتُ بِإِهْدَاءِ الدَّعَاءِ ، وَتَجْدِيدِ

الشكر لله تعالى والثناء ؛ وأستبنتُ في ذلك المكاتبه ، أمامَ ما أنا [عازم] عليه : من المشافهة والمخاطبة ؛ ولن أتأخر عن حظي من المسير إليك للتيمن بالنظر إلى غُرَّتِكَ ، ومداداة ما عانيتَه من ألم الشوق بمشاهدتك .

الضرب الرابع

(من التهانى ، التهنته بالقدوم من السفر)

من كلام المتقدمين :

على بن خلف :

ويُنهي أنه أتصل بالملوك خبرُ توجهه ^(١) إلى الناحية الفلانية ، فعرفَ الملوك أنه قصدها ليخص قاطنيها ، بنصيب من مواهبه ؛ وفيض على ساكنيها ، سجالاً من رغبته ؛ ويسوى بينهم وبين من رأسه بجبائه ، وجبره بنوافله وآلائه ؛ فسألت الله تعالى أن يطيل عمر المكارم بإطالة بقائه ، ويجمع شمل السؤدد بدوام علاقته ؛ ثم أتصل بى عوده إلى مقره ، خفيف الحقايب من وفره ، ثقيلاً من شأنه وشكره ؛ فحمد الملوك الله تعالى على إسفار سفره عن بلوغ الأوطار ، وانحسار أمنيته عن أذيال المسار ؛ وما خصه به من السير الشحيح ، والسعى النجيج ؛ والسلامة المفرقة على الوجهة والمتقلب ، والمفتتح والمعتقب ؛ ولما عرض للملوك ما قطعه عن مشافهته بالدعاء ، رفع يده إلى الله تعالى ضارعاً لديه في أن يتولاه في هذا المقدم الميمون ، بالسعد المضمون ؛ وإنالة الأمانى المقررة للعيون ؛ وأن يمنحه في الحِلِّ والترحال ، والقطن ^(٢) والإتقال ، توفيقاً يقارن ويصاحب ، ويساير ويؤاكب ؛ وأن يجعل ما حوله من نعمه راهناً خالداً ، وما أولاه من مواهبه بادئاً عائداً ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) فى الأصل وجهته وهو تصحيف إذ الوجهة الناحية والجهة وهو غير مراد كما لا يخفى .

(٢) مصدر قطن فى كتب اللغة التى بأيدينا على قول لا على فعل .

وله أيضا :

وَيُنْهَى أَنَّهُ طَلَعَ عَلَيْهِ الْبَشِيرُ ، طُلُوعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ ؛ مُؤْذِنًا بِمَقْدَمِ حَضْرَتِهِ ، وَمُعَلِّمًا
بِظُهُورِ طَلْعَتِهِ ؛ وَحُلُولِهِ فِي مَعَانِهِ ^(١) الَّذِي هُوَ مَعَانُ الْإِقْبَالِ ، وَعَوْنُ الرِّجَالِ ؛ وَقِرَارُهُ
الْأَقْيَالِ ، وَمَحْطُّ الرِّجَالِ ؛ وَقَبْلَةُ الْجُودِ ، وَمُعَرَّسُ الْوُفُودِ ؛ فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُقَيِّمَهُ
جَمَالًا لِلْأَيَّامِ ، وَثِمَالًا لِلْأَنَامِ ؛ وَعِمَادًا لِلْقُصَادِ ، وَمَرَادًا لِلرُّوَادِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِيهِ
فِي تَصَرُّفَاتِهِ ، وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَّاتِهِ ؛ مِنْ سَعْيٍ سَعِيدٍ ، وَعَيْشٍ رَغِيدٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .
أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْهَقِيُّ :

مَنْ كَانَتْ غَيْبَةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةً بِغَيْبَتِهِ ، وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مُوصُولَةً بِأَوْبَتِهِ ؛ سَافَرَتْ
الْأَنْفُسُ حَيْثُ كَانَ إِلَيْهِ ، وَقَدِمَتِ الْآمَالُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَالَتِ الْأَنْفُسُ
إِلَى الْأُمْنِيَّةِ بِقُرْبِهِ مَطْلَعُهُ ، وَلَوُرُودُ السُّرُورِ بِوُرُودِهِ مَتَوَقَّعُهُ ؛ إِلَى أَنْ أُنْسْتُ بَعْدَ
الْوَحْشَةِ بِإِلْقَائِهِ ، وَتَنَسَّمتُ أَرْجَ مَنْهُ وَتَعَانَيْتُ فَوْصَلَ اللَّهِ قُدُومَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، بِأَضْعَافِ
مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَهُ مِنَ السَّلَامَةِ ؛ مُحْرُوسًا مِنْ طَوَارِقِ الْغَيْرِ ، مَبْلَغًا أَبْعَدَ الْعُمُرِ .
وله في مثله :

مَنْ كَانَتْ مَادَّةُ سُرُورِهِ ، بِمَغْيِبِهِ وَحُضُورِهِ ؛ لَمْ يَجِدْ مَعَ بُعْدِكَ مُؤْنِسًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ ،
وَلَا عَوَضًا يَعُولُ فِي السَّلَوةِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَلَّتْ أَيَّامُ غَيْبَتِكَ - لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكَ -
بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا ، وَبِالشَّوْقِ إِلَيْكَ مُجَالِسًا ؛ الْأَقِيكَ بِالْفِكْرِ ، وَأَشَاهِدُكَ بِاتِّصَالِ الذِّكْرِ ؛
إِلَى أَنْ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَوْبَتِكَ بِمَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَجَلَّتْ لَدَيْ مَعِهِ الْمَوْهَبَةُ ؛
فَوْصَلَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ نَهْضَاتِكَ ، وَبِالسَّعَادَةِ حَرَكَاتِكَ ، وَبِالتَّوْفِيقِ آرَاءَكَ وَعَزَمَاتِكَ ؛
وَحَرَسَنِي بِبَقَائِكَ وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَهَنَانِي النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ بِقُرْبِكَ .

(١) في القاموس واللسان « المعان المبالاة والمنزل » وأوردها في مادة م ع ن .

وله في مثله :

مَنْ كُنْتَ نِهَايَةً أَمْنِيَّتِهِ ، وَقُطِبَ مَسَرَّتُهُ ؛ كَانَ مِنْ نَفْسِهِ مُسْتَوْحِشًا مَعَ بُعْدِكَ ،
وَبَدْهِرِهِ مُسْتَأْنَسًا مَعَ قُرْبِكَ ؛ وَمَا زِلْتُ مَعَكَ بِالنِّيَّةِ مُسَافِرًا ، وَبِالشَّوْقِ سَافِرًا ؛
وَبِالْفِكْرِ مُلَاقِيًا ، وَبِالْأُمَانِيِّ مُنَاجِيًا ؛ إِلَى أَنْ جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَ سُورِي بِأَوْتِكَ ،
وَسَكَنَ نَافِرَ قَلْبِي بِعَوْدَتِكَ ؛ عَلَى الْحَالِ السَّارَةِ مِنْ كَمَالِ السَّلَامَةِ ، وَوُفُورِ الْكُلْفَةِ ؛
فَاسْعَدَكَ اللَّهُ بِمَقْدَمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ بِهَا مِنَ الزَّمَانِ مُحْرُوسًا ، وَلِلْإِقْبَالِ مُقَابِلًا ،
وَبِالْأُمَانِيِّ ظَافِرًا ؛ وَلَا أَوْحِشُ اللَّهَ مِنْكَ أَوْطَانَ الْفَضْلِ ، وَعَضَّدُ إِخْوَانَكَ بِبِقَائِكَ
وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَ الْقَلْبُ يَجِدُ عَنْكَ مُنْصَرَفًا ، أَوْ يَرَى مِنْكَ فِي آكِنَسَابِ الْمَسَرَّةِ خَلْفًا ؛
لَا سَتَرَاخَ إِلَيْهِ مِنْ أَلَمِ بُعْدِكَ ، وَاسْتَنْجَدَهُ عَلَى مَرَارَةِ فِرَاقِكَ ؛ لَكِنَّكَ أَيْدَكَ اللَّهُ جَمْلَةً
مَسَرَّتِهِ ، وَنِهَايَةَ أَمْنِيَّتِهِ ، فَلَيْسَ تُتَوَجَّهَ أَمَانِيَّتُهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَقِفُ آمَالُهُ إِلَّا عَلَيْكَ ؛
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْرَبَ بَقِيَّتَكَ أَعْيَنَ إِخْوَانِكَ وَأَوْدَّائِكَ ؛ وَافَاكَ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَوْتِكَ
أَضْعَافَ مَا أَكْتَفَيْتَكَ مِنَ الْكِفَايَةِ فِي ظَنِّكَ .

ابن أبي الخصال :

سَرَّ اللَّهُ مَوْلَايَ وَرَيْسِي ، وَرَبَّ تَشْرِيفِي وَأَيْسِي ؛ بِلِقَاءِ الْأَحْبَابِ ، وَاتِّصَالِ
الْأَسْبَابِ ، وَأَوْبَةِ الْغِيَابِ ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تُتَصَنَّعُ لِإِقْبَالِهِ ، وَتُقَبَّلُهُ أَوْجُهُ الْعِزِّ
فِي أَقْبَالِهِ ؛ وَتُوفِيهِ عَلَى رَغْمِ الْحَاسِدِ حَقَّ جَلَالِهِ .

البُشَيْرِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ أَعْتَازَهُ - بِمَقْدَمِ الْوَزِيرِ فُلَانٍ قَدْ أَوْضَعْتَ رِكَابَهَا ، وَاتَّصَلَ
بِالنَّفُوسِ أَعْلَاقُهَا وَأَسْبَابُهَا ؛ فَهَنِيئًا مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ بِسُبُوغِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْمِنْحَةِ

الجزيلة ؛ ولا أستوفى شكر ما به أتى مُعَظَّم قَدْرِهِ ، وَلَمْ تَرَمْ بِهِ ؛ من ثناء كَعَرَفِ الطيب
يَهْدِي ، وَمَذْهَب في الإنهاض لا يُقْضَى واجبُهُ ولا يُوَدَّى ؛ ولا زالت حياة مولاي
تُفَدَّى ، وأفعال بِهِ تتعدى ؛ وقد لُتُّ مواقع أنامله وُدًّا ، ووردت من محاسن بيانه
منهلاً عَذْباً [وورد] فامتغى الله بحياته العزيزة الأيام ، الطيبة الإمام ، الموصولة
العهد والذمام ؛ وأقرأ على سيدى من سلامى ما ليثم يده ، ويقضى حق اليراع [الذى]
أنشأ به البر وولده ، والسلام المعاد عليه وعلى جنته ورحمة الله وبركاته .

الشيخ جمال الدين بن نباتة عن نائب الشام إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله
كاتب السر الشريف ، بالأبواب الشريفة بالديار المصرية ، عند عودته من الكرك
إلى الديار المصرية ، فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، مهنثاً له بعودته إلى منزله
بالديار المصرية ، وأستقراره وعودته إلى كتابة السر الشريف بالأبواب الشريفة
السلطانية ، وهى :

تَقَبَّلَ الباسطة الشريفة - إلى آخر الألقاب - لازالت خناصر الحمد على فضل بنائها
معقوده ، وماثر البأس والكرم لها ومنها شاهدة ومشهوده ، وبواتر السيوف مسيرة
القصد إلى مناظرة أقلامها المقصوده ؛ تقبلاً يود لو شافه بشفاهه مورد الجود من
الأنامل ، وكأثر بغيره عند المثول للتقيل تغور الأمائل ؛ فكان يُشافه بسوقه مورد
كثير الزحام ، وكان يُكاثَر بعقد قبله على يد الفضل عقوداً جزيلة الانتظام ، وكان
يُحَاكِم جَوْرَ الضميمة إلى مَنْ أبى الله لجار مشاهدته أن يُضَام . ويُنهى ما وصل إليه
وإلى الأولياء من الشرور ، وما رُفِع بينهم وبين الإبتهاج من الشرور ، وما طُوِّع
فى أخبار المسرة من السطور ؛ بوصول مولانا ومن معه إلى مساكن العز ساكنين ،
ودُخُولهم كدُخُول يوسف عليه السلام ومن معه إلى مِصر آمنين ؛ وأستقراره

في أشرف مكان ومكانه، واستنصار مصر بأقلامه على العادة فإن هذه سهام وهذه
كانه؛ وإسفار غمام السفرة عن كوكب علا طاماً حرس يمينه أفق الملك وهده
وزانه؛ وما كانت إلا غيبة أحمد الله عفاها، وغاية بعد من الله عز وجل وجلّها؛
وفرة ثنى الله فترتها فتنفس خناق المنصب المشتاق لوجهه الكريم، وهجرة صرف الله
هجيرها فسقى طرس الإنشاء الذي أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم؛ وما محاسن
مولانا إلا زينة من زين الدنيا فليها يتشاكس المتشاكسون، وما مزاج كلماته إلا
من تسنيم ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

فالحمد لله على أن أقر العيون بمعاودة ظلّه الوريث، وعلى أن شفى الصدور
بقربه وأولها وأولها صدر السر الشريف؛ وعلى أن أجزل الهناء وقد شمل ظلّه،
وقد بكل بابن الفضل فضله؛ وقد بهر سنأوه وسنأه، وقد تسعّب القريب والبعيد
فإن أجدى على مصر مورده فقد جادت على الشام سمّاه . وقد أخذ المملوك حظّه من
هذه البشرى، ووالى السجود لله شكراً؛ وجّه خدمته هذه نائبة عنه في تقبيل بنان
إن سمّاه مولى الكرم بحرا، فقد سمّاه مربى الملك برأ؛ لازالت الممالك متحفة بيمين
مولانا طاعناً ومقيماً، متصفّة بحمده وحيد سلفه الكريم حديثاً وقديماً؛ تالية على مهمّات
الملا بصحبة بيته الشريف ﴿ وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في تهنئة بقدم من سفر :

أدام الله ظلّه، ورفع محله، وشكر إناعمه وفضله؛ وأعز أنصاره، وضاعف
أقناده؛ ولا زال مؤيداً في حركاته، مسدداً في سائر فعلاته؛ مصحوباً بالسلامة
في المهامه والفقر، مخصوصاً من الله تعالى بالأعوان والأنصار .

المملوك يُنهي بعد تقبيل الأرض ، والقيام بما يجب من سُنة والفرض ؛ علمه
 بجُلُول ركابه العالی بمَغناه ، واستقرارِ خاطره الشريف في محله ومثواه ؛ وجمع السَّمَل
 بالأهل بعد طُول الغيِّه ، وبعْد القُقول والآوِّبه ؛ فتضاعف لذلك فرحه وسُروره ،
 وزال عن قلبه قليلُ الهمِّ وكثيره ؛ فإلله يمنح المولى أطيَّب المنازل ، وأسَرِّ الرِّواحل ؛
 ويجعلُ تجارةَ مجده راجحه ، وأوامرَ دوامِ عزه لائحته ، حتَّى تُشَدَّ نفسه الكريمةُ
 قولَ أبي الطَّيِّب :

أنا من جميع النَّاسِ أطيَّبُ منزلاً * وأسَرِّ راحلةً وأزبَحُ مَجَرّاً !
 لازالتِ الأعينُ قريَّةً برؤيته ، وقلوبُ الإخوان قازةً بمشاهدته ؛ والأوجهُ وسيمةً ،
 والنَّعم الظَّاعنةُ مُقيمه ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهنئة بالقدوم من السفر

قال في "موادِّ البيان" : أجوبةُ هذه الرَّقاع ينبغي أن تُبنى على الاعتراف للهنيئاً
 بحقِّ تعهده ، وكرمِ تفقُّده ، وإطلاعه على الحال في السَّفر ، وما أفضت إليه من
 السلامة ، والتأسُّف على ما تقضى من الأيام في مُباعدته ، والتخلُّف عن مُبايسته ؛
 وأنه لم يزل يدرِّع الإدلاج ، ويقطع الفجاج ؛ رغبةً في القدوم إليه ، والوفادة عليه ؛
 وبَلِّ الغلَّةَ برؤيته ، وترويح النفس بحاضرتِه ؛ وما يليق بهذا التَّمطُّ من الكلام .

الضرب الخامس

(من التهنأت التهنئة بالشهور والمواسم والأعياد)

وهى على ثمانية أصناف :

الصنف الأول - التهنئة بأول العام وغرة السنة .

من كلام المتقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء أبى مسلم محمد بن بحر :

أسعد الله سيدي بعامه ، والفضل منه وما حوى من الأعياد والأيام الخطيرة
وسائر شهوره وأيامه ، ومتصرف أحواله ، وبما يأتى ويكره عليه من زمانه ؛ سعادة
تسوق إليه حظوظ الدين والدنيا كامله ، وتجمع له فوائد الأمدن تامة وإفيه ؛
وترتبن إليه النعم فلا تزال لديه زائدة ناميه ؛ وبلغه بها الأمل ، ومد له فى البقاء
إلى أنفس المهل .

ولأبى الحسين بن سعد :

عظم الله على مولاي بركة الشهر والسنة المتجددين ، وهب له فيهما وفيما يتلوها
من أيام عمره ، وأزمان دهره ، سعادة تجمع له أشات الحظوظ ، وتصل لديه مواد
المزيد ، وتيسر له بلوغ الأمل فى كل ما يطالع وينازع ، والأمن من كل ما يراقب
ويحاذر .

وله فى مثله :

عظم الله على سيدي بركة الشهر والسنة ، وأعاشه لأمثالها مدة اختلاف الجديدين ،
وتجاوز الفرقدين ؛ ممتعا بالنعم السايغ ، والمواهب المتردفة ؛ والسعادة والغبطة ،
والعز والمسر .

وله في معناه :

جَدَّدَ اللهُ لِسَيِّدِي فِي الْأَيَّامِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ^(١) ، وَالْأَحْوَالِ الرَّاهِنَةِ وَالْمُنْتَقِلَةِ ؛
حُظُوظًا مِنَ السَّعَادَاتِ ، وَأَقْسَامًا مِنَ الْخَيْرَاتِ ؛ لَا يُحْصَى عَدْدُهَا ، وَلَا يَنْقَضِي
مَدَدُهَا .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ [عَلَى مَوْلَايَ] بَرَكَهَ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ الْمُتَجَدِّدِينَ عَلَيْهِ ، وَعَرَّفَهُ فِيهِمَا
وَفِي الْأَيَّامِ بَعْدَهَا مِنْ حَادِثٍ صُنِعَ ، وَلَطِيفٍ كَفَايَتِهِ ؛ مَا تَدُومُ فِيهِ السَّعَادَةُ ،
وَتَعُظَّمُ بِهِ الْمِنَّةُ ، وَتَحْسُنُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَهَ هَذَا الشَّهْرِ : الْمَاضِي [مِنْ] أَيَّامِهِ وَبَاقِيهَا ، وَهَذِهِ
السَّنَةَ ، وَجَعَلَهَا أَيْمَنَ سَنَةٍ حَالَتْ عَلَيْهِ وَأَسْعَدَهَا .
وَمِنْهُ : وَيُنْهِى أَنَّ الْمَمْلُوكَ يُهَيِّئَ غُرَّةَ الْأَيَّامِ ، بَغْرَةَ الْأَنَامِ ؛ وَصَدَرَ الْعَامَ ، بِصَدْرِ
الْكَرَامِ ؛ بَلْ يَهَيِّئِ الزَّمَنَ كُلَّهُ نَعَمَ وَأَهْلَهُ بِالْحَضْرَةِ الَّتِي وَاسَتْ الْمَعَالِي .

الصفيف الثاني - التهنئة بشهر رمضان .

من كلام المتقدمين :

لَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سَعْدٍ :

جَمَعَ اللهُ لِمَوْلَايَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ شُرُوطَ آمَالِهِ وَأَحْكَامَ آمَالِيهِ ، فِي حَاضِرِ
أَمْرِهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَعَاجِلِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ؛ وَأَبْقَاهُ لِأَمَثَالِهِ بَقَاءً لَا يَتَنَاهَى أَمَدُهُ ، فِي ظِلِّ
عَيْشِ رِضَاهُ وَيَحْمَدُهُ .

وله في مثله :

عرّف الله سيدي بركة هذا الشهر الشريف وأعاشه لأمثاله ، ما كرّ الجديدان ،
وأختلف العَصْران ؛ ممتعا بسوايغ النعم ، محروسا من حوادث الغير ، وموقفا في شهره ،
وأزمان دهره ؛ لأزكى الأعمال ، وأرضى الأحوال ؛ ومقبولا منه ما يؤديه من فرضه ،
ويتنقل به قربة إلى ربه .

وله في مثله :

عرّفه الله بركة إهلاله ، وأبقاه طويلا لأمثاله ؛ موقفا فيه من عمل الخير ،
ومراعاة الحق ، وتأدية الفرض ؛ والتنقل بالبر ، لما يرضيه ، ويستحق جزيل المثوبة
عليه ؛ ممتعا بعده بسنى المواهب ، وجسيم الفوائد ؛ مع اتصال مدة العمر ، واجتماع
أُمْنِيَّات الأمل .

وله في مثله :

عرّف الله مولانا بركة هذا الشهر الشريف وأيامه ، وأعانك على صيامه وقيامه ؛
ووصل لك ما يزيد من فضله وإنعامه ؛ وتابع لك المزيد من منائحه وأنعامه ؛ وختم
لك بالسعادة العظمى بعد الانتقال [في الجاه والرياسة إلى] أبعد المدى ؛ وفي العز
والثروة إلى أقصى المنى .

أبو الفرج البيهقي :

جعل الله ما أظله من هذا الصيام مقرونا بأفضل قبول ، مؤذنا بإدراك البغية ونجح
المأمول ؛ ووفقه فيه وفي سائر أيامه ، ومستأنف شهره وأعوامه ؛ لأشرف الأعمال
وأفضلها ، وأزكى الأفعال وأكملها ؛ ولا أخلاه من بر رفوع ، ودعاء مسموع ؛
وسعى مشكور ، وأمر مبرور ؛ إلى أن يقطع في أجل غبطة وأتم مسرة أمثاله .

وله في مثله :

عَرَّفَكَ اللهُ بِرَكَّةِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُعْظَمِ قَدْرَهُ ، الْمَشْرِفِ ذِكْرُهُ ، وَوَقَّفَكَ فِيهِ لِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ ، وَزَكَّى الْأَفْعَالَ ، وَقَابَلَ بِالْقَبُولِ صِيَامَكَ ، وَبَتَعْظِيمِ الْمُثُوبَةِ تَهَجُّدَكَ وَقِيَامَكَ ،
وَلَا أَخْلَاكَ فِي سَائِرِ مَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَيَلِيهِ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالذُّهُورِ ؛ مِنْ أَجْرِ
تَذَنُّرِهِ ، وَأَثَرِ تَشْكُرِهِ .

قلت : ومما كتبتُ به تهنئةً بالصوم للقرَّ الأشرَفِ الناصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَارِزِيِّ
كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ الْمُؤَيَّدِيِّ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ نَظْمًا :

أَيَا كَاتِبَ السَّرِّ الشَّرِيفِ وَمَنْ بِهِ * تَمَيَّسُ نَوَاحِي مِصْرَتَيْهَا مَعَ الشَّامِ !
وَمَنْ جَلَّتِ الْجُلَى كَتَابُ كُتُبِهِ ، * وَمَنْ نَابَ عَنْ وَقْعِ السُّيُوفِ بِأَقْلَامِ !
تَهَنِّ بِهَذَا الصَّوْمِ وَالْعِيدِ بَعْدَهُ ، * وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْعِيدِ وَالْعَامِ فَالْعَامِ !
وَتَرُقِّ رُقَى الشَّمْسِ فِي أَوْجِ سَعْدِهَا * وَتَبْقَى بَقَاءَ الدَّهْرِ فِي فَيْضِ إِنْعَامِ !

الصفحة الثالث — مَا يَصْلُحُ تَهْنِئَةً لِكُلِّ شَهْرٍ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ .

لَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سَعْدٍ :

عَظَّمَ اللهُ بَرَكَתَ إِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْنَالِهِ ، أَطْوَلَ الْمُدَّةِ ، مُمْتَعًا بِأَدْوَمِ النِّعْمَةِ ، وَمُسْتَفْعًا (؟)
بِأَفْضَلِ الْأَمَلِ وَالْأُمْنِيَّةِ .

وله : أَسْعَدَ اللهُ سَيِّدِي بِإِنْصِرَافِهِ وَإِهْلَالِ مَا بَعْدَهُ ، وَأَبْقَاهُ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُمْتَعًا
بِالْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ؛ مُحَرَّوسًا مِنَ الْآفَاتِ الْمُخَوِّفَةِ ، وَالْحَوَادِثِ الْمُخْذُورَةِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَתَ الْمَاضِيِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ [وَالْأَعْوَامِ]
وَالذُّهُورِ ، وَوَصَلَ لَهُ السَّعَادَةَ بِاتِّصَالِهَا ، وَجَدَّدَ لَهُ النِّعْمَةَ بِتَجَدُّدِهَا .

وله : عَظَّمَ اللهُ بَرَكَهَ أَنْسِلَاحِهِ ، وإِهْلَالِ مَايَتْلُوهُ ، مُجَدِّدًا لَكَ بِتَجَدُّدِهِ فَوَائِدَ الْخَيْرَاتِ ، وَأَقْسَامَ الْبَرَكَاتِ ؛ تَدْوُمُ فِيهَا الْمُدَّةُ ، وَتَطَوُّلُ بِهَا النِّعْمَةُ .

وله : أَسْعَدَكَ اللهُ بِإِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَكَ أَبَدًا لِأَمَثَالِهِ ؛ مُمْتَعًا بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ، وَاجْتِمَاعِ أَسْبَابِ الرِّخَاءِ وَشُرُوطِ الْمَحَبَّةِ ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

[وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ وَمَايَتْلُوهُ ، وَبَلَّغَهُ مَايُحَاجُّوهُ وَيَتَحَوُّهُ ؛ فِي مَسْتَأْنِفِ الشُّهُورِ ، وَمُؤْتَتَفِ الدَّهْوَرِ ؛ مُضَاعَفًا لَهُ الْعِزُّ وَالتَّائِيدُ ، وَمَوْصُولًا لَهُ أَصْلُ النِّعْمَةِ بِحُسْنِ الْمَزِيدِ] ^(١) .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَهَ الشَّهْرِ ، وَأَدَامَ لَهُ سَلَامَةَ الدَّهْرِ ؛ مَوْفُورًا مِنَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ ، غَيْرَ مَدْعُورٍ بِنَوَائِبِ الزَّمَانِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالسَّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ؛ وَجَمَعَ لَهُ الْمَوَاقِبَ كَامِلَةً ، وَالْفَوَائِدَ فَاضِلَةً ؛ دِينًا وَدُنْيَا ، وَحَاضِرَةً وَعُقْبَى .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَيْكَ بَرَكَتَهُ ، وَعَرَّفَكَ يُمْنَهُ وَسَعَادَتَهُ ؛ وَجَدَّدَ لَكَ الْخَيْرَاتِ ، بِتَجْدِيدِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ؛ حَتَّى تَحُوزَ مِنْهَا أَسْنَى الْحُطُوطِ وَتَبْلُغَ مَا تَمَنَّاهُ أَقْصَى الْغَايَاتِ .

الصنف الرابع - التهئة بعيد الفطر .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ هَذَا الْعِيدِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمَثَالِهِ ؛ مِنَ الْأَعْيَادِ الْمَشْهُودَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ، [فِي] أَهْنَاءِ عَيْشٍ وَأَرْغَدِهِ ، وَأَطْوَلِ مَدَى وَأَبْعَدِهِ .

(١) الزيادة في بعض النسخ .

أبو الفرج البغاء :

أسعدك الله بهذا الفطر الحديـد ، والعيد السعيد ؛ ووصل أيامك بعده بأكمل
السعادات ، وأجمل البركات ؛ وجعل ما أسلفته من الدعاء مقبولا مسموعا ،
ومن التهجد زائجا مرفوعا ؛ ولا أخلاك من نعمة يحرس الشكر مدتها ، ولا يخلق
الدهر جدتها .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

المولى أدام الله نعمه ، وحرس شيمه ، هو سيد الأفاضل ، ورئيس الأمائل ؛
وحسنة الزمان ، وليث الأقران ؛ وهو في الأنام ، كالأعياد في الأيام ، فإن الأنام ليل
والمولى المصباح بل الصباح ، وسائر الأيام أجساد وسائر الأعياد هي الأرواح ؛ فإذا
كان المولى قد زهي على أبناء جنسه ، ويوم العيد على غده وأمه ؛ فقد صار كل
منكا إلى صاحبه يتقرب ، ويلزم ويلزب ، وهو أحق الناس بأن يهبه مقدمه ، وأن
يهني بيومه الذي هو مجمع السرور وموسمه .

والخادم يهني المولى بهذا العيد ، واليوم السعيد ؛ فإنه وافى في أوإن الربيع وزمانه ،
ليباهي بغضن قد أغصان بأنه ؛ ويستنشق في صدره وورده ، رائحة ريحانه وورده ؛
ويختال في رياضه وحدائقه ، ويلاحظ بهجة أزهاره وشقائقه ؛ والعيد والربيع ضيفان
ومكارم المولى جديرة بإكرام الضيف ، والتمتع بالملاذف فيما قبل رحيلهما وقُدوم حر
الصيف ؛ وأن يحسن وجه عيده ، بحلولة في مغناه ووجوده ؛ بما يوليه لعفاته من
إنعامه وجوده ؛ لازالت الأعياد تهني ببقائه ، وألسنة الأيام تشكر سوابغ نعمائه ؛
وتحمد جزيل عطائه ، وتطبق بولائه وثنائه ، أبدا ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما كتبتُ به مهثًا للقرّ الأشرف الناصريّ محمد بن البارزى صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالملك الإسلامية فى الدولة المؤيدية «شيخ» بعيد الفطر نظامًا ، بعد أن سألتُهُ حاجةً فقضاها ، وأسنى لى الجائزة على تثرِ كتبتُهُ له .

سَأَلْتُ نِظَامَ الْمَلِكِ كَاتِبَ سِرِّهِ * إِزَالَةَ ضَنْكِ أَرْهَفِ الدَّهْرِ حَدَّهُ !
فَمِنْ بَجَاهِ زَعَزَعَ الْأَرْضَ وَقَعَهُ ، * وَجَادَ بِمَالٍ لَا يُرَى الْفَقْرُ بَعْدَهُ .
وَبِالْبَارِزِيِّ أَرْدَانَ وَصُفِّ مَكَارِمِ * فَأَشْبَهَ فِي فَضْلِ أَبَاهُ وَجَدَهُ !
فِيهِنَّاهُ صَوْمٌ ثُمَّ عِيدُ مَسَرَّةٍ * وَطَالِعُ إِقْبَالٍ يُقَارِنُ سَعْدَهُ !
وَرَفَعُ دُعَاءٍ لَا يُغَيِّبُ تَتَابُعًا ، * وَطِيبُ ثَنَاءٍ خَامَرَ الْمِسْكَ نَدَّهُ !

الصفحة الخامس - التهئة بعيد الأضحى .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

كُتِبَ والنحر — نَحَرَ اللَّهُ أَعْدَاءَ مَوْلَايَ وَحُسَّادَ نِعْمَتِهِ ، وَأَمْتَعَهُ بِمَوَاهِبِهِ عِنْدَهُ ،
وَبَارَكَ لَهُ فِي أَعْيَادِهِ وَتَجَدَّدِ أَيَّامِهِ ، بَرَكَةً تَنْظِمُ السَّعَادَاتِ ، وَتُتَضَمَّنُ الْخَيْرَاتِ ،
مُتَّصِلَةً غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ ، وَرَاهِنَةً غَيْرَ فَانِيَةٍ .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

تَهَنٍّ فَأَيَّامُ السُّرُورِ أَوَاهِلُ * وَكُلُّ مُحْوِفٍ عَنْ جَنَابِكَ رَاحِلُ !
وَتَجَمُّكَ مِنْ فَوْقِ الْكَوَاكِبِ طَالِعُ ، * وَنَجْمُ أَمْرِي يَشْنَأُ سُوءَكَ آفِلُ !

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّ جُودُهُ : * فَدَتِكَ الْعَوَالِي وَالْجِيَادُ الصَّوَاهِلُ !
تَمَتَّعْ بِعِيدِ النَّحْرِ ، وَافَاكَ خَاضِعًا * يُحَقِّقُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ آمِلُ !
وَدُمَّ كَايَتِ الْأَعْدَاءِ وَأَبْقِ مُحَمَّدًا * عَلَى الْمَالِ عَالٍ ، بِالرَّيَّةِ عَادِلُ !
لَقَدْ رَاقَ مَدْحِي فِي مَعَالِيكَ مِثْلَ مَا * صَفَتْ مِنْكَ أَوْصَافُ وَرَقَتِ شَمَائِلُ !

جعله الله أوبرك الأعياد وأسعدها ، وأيمن الأيام وأمجدها ، وأجمل الأوقات وألذها
وأزغدها ، ولا يرح مشرورا مستبشرا ، منصورا على الأعداء مقتدرا ، مسعودا محمودا ،
معانًا بملائكة السماء معضودا ، مهنا بالسعود الجديده ، والجود السعيدة ، والقوة
والناصر ، والعمر الطويل الوافر :

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لِنَسْكَ بَعْدَهُ * [فَتَخْلَعُ ^(١)] مَحْرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدَّدًا ،
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى * كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا !

وأعاده على المولى في صحبة دائمة ، وسلامة ملازمه ، وأصار عيده مطيعا لأوامره
كسائر العييد ، وعييده في كل يوم من المسرة ببقائه لها كالعيد ، والأيام به ضاحكة
المباسم ، والأعوام جميلة المواسم ، ومتعنا بدوام حياته ، وأستجلاء جميل صفاته ،
وأستجلاء مدائحہ بإنشاد عُفَاتِهِ ، وأراه نحر أعاديہ ، بين يديه كأضاحيه ، وأصار الحج
إلى بابه غافراً سيئات الإفلاس والإعدام ، ومبيحاً لبس الخيط من إنعامه العام ،
ألبيه الله من السعادة أجمل حُلَّه ، ومنحه من المكارم أحسن خلَّه .

الصنف السادس — التهنية بعيد الغدير من أعياد الشيعة :

وكان لهم به اهتمام في الدولة الفاطمية بالديار المصرية . والطريق في التهنية به
على نحو غيره من الأعياد .

ما يصلح تهنئة لكل عيد .

أبو الفرج البغاء :

لولا العادة المشهورة، والسنة الماثورة، بالإفاضة في الدعاء، والمشاهدة بالتهنئة والثناء، في مثل هذا اليوم الشريف قدره، الرفيع ذكره؛ لكان أيده الله دون رؤساء الدهر، وملوك العصر يحل عن التهنئة : إذ كانت سائر أيامه بما يودعها من أفعال الخير معظمه، وبما يثبتها من المحاسن مكرمه، فبلغه الله أمثاله محروسا في نفسه ونعمته، محفوظا في سلطانه ودولته، موفيا على أبعده أمانيه، مدركا غايتها فيما يؤمله ويرتجيه .

وله في مثله :

عرفك الله بمن هذا العيد وبركته، وضاعف لك إقباله وسعادته؛ وأحيالك لأمثاله في أسبغ النعم وأكملها، وأفسح المدد وأطولها؛ وأشرف الرتب وأرفعها، وأعز المنازل وأيقعها؛ وحرس منحتك من المحدثور، ووقى نعمتك من عثرات الدهور .

الصنف السابع - التهنئة بالنيروز .

وهو من أجل أعياد الفرس، على ما تقدم ذكره في الكلام على أعياد الأمم، في المقالة الأولى . وكان للكتاب به اهتمام في أوائل الدولة العباسية بالعراق، جريا على ما كان عليه الفرس من قديم الزمان .

وفيه لأبي الحسين بن سعد :

هذا يوم شرفته العجم، ورعى ذمامه الكرم؛ وهو من أسلاف سيدي ذوي البهامة، وأخلافه ذوي الطهارة؛ بين منشيئ رشمه، ومؤدى حقه؛ وكاس له بقبول

أَنْتَسَاهُ إِلَيْهِ جَمَالًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ، وَحَالًا يَنْفَقُ بِهَا لَدَى الْأَنْامِ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ
بِالْتِهَانَةِ [بِهِ] مِنْ سَنَةِ آبَائِهِ ، وَشَيْدَتِهِ الْأَوْهْ ؛ فَصَارَتْ إِلَى أَوْلَيْتِهِ نِسْبَتُهُ ، وَبِكْرَمِ
سَيِّدَتِهِ عِصْمَتُهُ .

وفيه له : هَذَا - أَيْدِ اللَّهِ سَيِّدِي - يَوْمٌ عَظَّمَهُ السَّافُّ مِنَ الْعَجَمِ ، وَسَيِّدِي
وَارِثُ سُنَّةِ الْكَرَمِ ؛ وَلِلْسَادَةِ عَلَى الْعَيْدِ فِي هَذَا الْيَوْمِ رَسْمٌ فِي الْإِلَاطَافِ ، وَعَلَيْهَا لَهُمْ
حَقٌّ فِي الْقَبُولِ وَالْإِسْعَافِ ؛ وَقَدْ بَعَثْتُ بِمَا حَضَرَ جَارِيًّا عَلَى سُنَّةِ الْخِدْمَةِ ، وَعَادِلًا
عَنْ طَرِيقِ الْحِشْمَةِ ؛ وَمَقْتَصِرًا عَلَى مَا أَسْعَتْ لَهُ الْحَالُ ، وَمَا يُوجِبُهُ قَدْرُ سَيِّدِي
مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي الْأَحْتِفَالِ ، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ يُشْرَفَ عَبْدُهُ بِالْإِحْتِمَالِ إِلَيْهِ ، وَإِجْرَائِهِ مُجْرَى
الْأُنْسِ عِنْدَهُ ، فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وفيه للكرجى :

هَذَا يَوْمٌ تَسْمُو لَهُ الْعَجَمُ ، وَيُسْتَعْجِمُ^(١) فِي الْعَرَبِ ؛ تَشْرِيقًا لَهُ وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ ،
وَأَقْنِدَاءَ بَاهِلِهِ ؛ وَأَخْذًا بِسُنَّتِهِمْ فِيهِ ، فَلَيْسَ لِإِحْرَازِ الدَّوْلَةِ فِي الْعِزِّ [مِنْزِلًا] بِحَيْثُ لَا يُرَامُ ،
وَلَا يُضَامُ ، وَلَا تَرْقَى إِلَيْهِ الْأَمَانِي ، وَلَا يَطْمَعُ فِي مَسَاوَاتِهِ الْمُسَاوِي ؛ وَلَانَّهُمْ بَعْدَ تَصَرُّمِ
الدَّوْلَةِ عَلَى حِمِيدِ آثَارِهَا ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ فِيهَا ؛ أَعْلَامٌ تُضْرَبُ بِهِمُ الْأَمْثَالُ ، وَتَرْهُوُ
بِأَيَّامِهِمُ الْأَيَّامُ ؛ وَأَثَارُهُمْ تُقْنَفَى ، وَأَعْيَادُهُمْ تُنْتَظَرُ ؛ يَتَأَهَّبُ لَهَا قَبْلَ الْآوَانِ ، وَيُعْرِفُ
فِيهَا أَثَرُ الزَّمَانِ ؛ وَإِنَّكَ مِنْهُمْ فِي الدَّرَوَةِ السَّامِيَةِ ، وَالرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ ؛ وَبِحُلٍّ لَاعَارَ مَعَهُ
عَلَى حُرَّةٍ فِي الْخُشُوعِ لَكَ ، وَالتَّعَلُّقِ بِحَبْلِكَ . وَقَدْ وَجَدْتُ الْإِتْبَاعَ عِنْدَ سَادَاتِهِ فِي مِثْلِ
هَذَا الْيَوْمِ عَلَى عَادَةٍ فِي الْإِلَاطَافِ جَسَمَتَهَا ، وَسَيَّرَتْ بِهَا عَلَى أَقْوَامٍ مَنَحَتْهُمْ طُهُورَ
الدَّعْوَى فِيهَا ، فَأَقْبِلْ قَائِلَهُمْ يَقُولُ : « لَوْ كَانَ بَابُ الْإِهْدَاءِ مَفْتُوحًا غَيْرَ مُسْدُودٍ ،

(١) مراده أن العرب آتبت العجم في تعظيمه تأمل . (٢) قد بلغ التحريف من هذا مبلغه

حتى لا يكاد يفهم والمراد أن دولة الفرس أحرزت من العز منزلًا بحيث الخ تأمل .

وَمُبَاحًا غَيْرَ مُمْنَعٍ ؛ لِأَتَحَفَّتْ بِالْغُرَابِ الْأَعْصَمَ ، وَالْكِبْرِيَّتِ الْأَحْمَرَ ، وَالْأَبْلَقِ الْعُقُوقَ ، وَبَيْضَ الْأَنْوَقِ . وَقَدْ بَعَثْتُ بَهْدِيَّةً لَا تُرَدُّ (يعنى الدعاء) .

وفيه : من كَانَ مَحَلَّكَ مِنَ الْعِزِّ ، وَنَبَاهَةَ الذِّكْرِ ، وَارْتِفَاعَ الدَّرَجَةِ ، وَعُلُوَّ الْمَنْزِلَةِ ؛ وَسَعَةَ الْبَلَدِ ، وَبُعْدَ الْأَمَدِ ؛ لَمْ يَتَقَرَّبْ مَتَحَلٍّ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ جَدِيدٍ إِلَّا بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَحُسْنِ الشَّعَاءِ .

وفيه : لو أَخْرَجْنَا هَذَا أَنْتِظَارًا لَوْجُودِ مَا تَسْتَحِقُّهُ ، لَأَنْقَضَتْ أَيَّامُنَا ، بَلْ أَعْمَارُنَا ، قَبْلَ أَنْ نَقْضِيَ لَكَ حَقًّا ، أَوْ نُؤَدِّيَ عَنْ أَنْفُسِنَا فَرَضًا : لِارْتِفَاعِ قَدْرِكَ عَمَّا تَحْوِيهِ أَيْدِينَا ، وَعُلُوِّ حَالِكِ عَمَّا تَبْلُغُهُ آمَالُنَا ؛ وَقَدْ أَقْنَدَيْتُ بَسْنَةً أَخْلَدَمَ وَالْأَوْلِيَاءِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَأَوْصَحْتُ الْعُدْرَ فِي تَرْكِ الْأَجْتِهَادِ ؛ وَبَعَثْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيْكَ أَلْفَ عَامٍ ، فِي نَمَاءٍ مِنَ الْعِزِّ ، وَعُلُوٍّ مِنَ الْقَدْرِ ، وَتَمَامٍ مِنَ السُّرُورِ ، وَمَزِيدٍ مِنَ النِّعْمَةِ

الصنف الثامن — التهنية بالمهرجانات .

وهو أَحَدُ أَعْيَادِ الْفُرْسِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى ، فِي الْكَلَامِ عَلَى أَعْيَادِ الْأُمَمِ . وَكَانَ لِلْكُتَّابِ مِنَ الْأَحْتِفَالِ بِالْتَهْنِئَةِ بِهِ فِي أَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مَا لَهُمْ بِالنِّيَّوَرِ .

فيه — لأبي الحسين بن سعد :

لَسَيِّدِي عَلَى فِي الْأَعْيَادِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ؛ عَادَةً أَخْتَرَلَنِي عَنْ بَعْضِهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ ، كَلَالُ الطَّبْعِ عَنِ الْبَعْضِ ؛ وَوُقُوعُ الْخَطَرِ (٤) بَعْرُضِهِ مِنَ الشَّعَاءِ نَظْمًا وَشِئْرًا ، وَمِنَ الْإِهْدَاءِ عَرْضًا وَبَرًّا ؛ دَعَاءٌ تَزِيدُ قِيَمَتُهُ عَلَى الْأَعْلَاقِ الثَّمِينَةِ ، وَمَوْقِعُهُ عَلَى الذِّخَائِرِ النَّفِيسَةِ ، وَلُطْفُهُ عَلَى التَّحَفِ الْبَدِيعِ ؛ فَاسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدِي بِهَذَا الْيَوْمِ سَعَادَةً تُقِيمُ ، وَلَا تَرِيمُ ؛ وَتَزِيدُ ، وَلَا تَيْبِدُ ؛ وَتَتَوَطَّنُ ، وَلَا تَتَطَّعُنُ ؛ وَتَجْمَعُ حُظُوظًا مِنْ

الخيرات، وفوائد من البركات؛ يتَّصلُ سندُها، ولا ينتهي أمدُها؛ وأبقاه في أسبغٍ عن
وأرفع رُتبة وأرغد عيشة، مكنوفاً بحراسة تقيه [وآله] عوادي الزمان، وتصرف
عنهما طوارقِ الحدَثان؛ ما طرد الليلُ النَّهار، وطلع نجم وغار؛ وعلى ذلك - أيد الله
سیدی - فإنَّ الحرص على إقامة الرِّسم والتَّطير من إضاعة الحقِّ بعثاني على مُراجعة
القرِيحة، واستِكداد الرُّويَّة؛ فأسعفا بما قَلَبته الضرورة؛ ولم أُطع في إهدائه سلطان
الحِشمه؛ وفضلُ سیدی يتَّسع لقبول الميسور، وتحسين القبيح، والله المعينُ على
تأدية حقِّه، والقيام بواجب فرضه .

وله فيه أيضاً، إلى من منع أن تُهدى إليه فيه هدية .

لو كنتَ فتحتَ باب الإلطف، ونهجتَ إليه سيلاً؛ لتنازع أولياؤك قصبَ
السَّبق وتنافسوا في السَّرف؛ فبان للجهْد فضلُه، وآلَمس العذر في التَّقْصير ملتَمِسُه؛
وعمت المنحة كآفتهم بما يظهر من موافعهم، وينكشِف من أحوالهم؛ لِكِنَّاكَ
حظرتَ ذلك حظراً استوى فيه الفريقان في الحُكم، وأمتدَّ فيه على ذوى الخلل
السَّتر؛ ولم تحظر الدُّعاء، إذ حظرت الإهداء؛ فأنا أهديه ضرورةً واختياراً،
وإعلاناً وإسراراً؛ فأسعدَكَ الله بهذا العيد الجديد، الذي زاد بك في قدره، وشرفه
بأن جعلك من أربابه وولاه أمره .

أبو الفرج البغاء :

هذا اليوم من غرر الدُّهور المشهورة، وفضائل الأزمنة المذكورة؛ معظم
في العهد الكسرويِّ، مستظرف في العصر العربيِّ؛ باعثٌ على عمارة المودات،
مخصوص بالإنسياس في الملاطقات، ولستُ أَسْتَرِيدُه - أيده الله - من ربِّ يوليهِ،
ولا تطوِّل إلى يُسديهِ؛ غير إدخال في جملة من بسطته الأَنَسه، وثَقَفَتَه المحبَّة؛

وَتَقَرَّبْتُ مِنْهُ بِوَكَيْدِ الْحِدْمَةِ ، فِي قَبُولِ مَا إِنْ شَرَّفَ بِقُبُولِهِ ، كَانَ كَثِيرًا مَعَ قَلْتِهِ ، جَلِيلًا
مَعَ نَزَارَتِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَقْوَى مِنْهُ ثِقَتِي ، وَيُقَابِلَ بِقَبُولِ مَا أَنْفَذْتَهُ رَغْبَتِي ، فَعَلَ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

قَدْ أَطَعْتُ فِي الْإِنْسِاطِ إِلَيْكَ دَوَاعِيَ الثَّقَةِ ، وَسَلَكْتُ فِي التَّحَرُّمِ بِكَ سُبُلَ
الْأَلَسَةِ ، وَتَوَصَّلْتُ بِمَلَأَظْفَنِكَ إِلَى حَسَمِ مَوَادِّ الْحِشْمَةِ ؛ فَاسْتَشْهَدْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ
فِيمَا أَنْفَذْتَهُ بِمُفَارَقَةِ الْحَقْلَةِ^(١) ، وَكُلَّفَ الْمُكَاتَرَةَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكَلِّفَنِي فِي تَقَبُّلِهِ إِلَى سَعَةِ
أَخْلَاقِكَ ، وَتَسْلُكُ فِي ذَلِكَ أَخْصَرَ طَرِيقٍ إِلَى مَا أَخْطَبُهُ مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَأَزَاحِمُ عَلَيْهِ
فِي إِخَائِكَ ؛ فَعَلْتُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمُ - أَيْدِ اللَّهِ سِيدِي - مِنْ أَعْيَادِ الْمُرْوَةِ ، وَمَوَاسِمِ الْفُتُوَّةِ ، وَأَوْطَانِ السَّرُورِ ،
وَمَحَاسِنِ الْأَزْمِنَةِ وَالْدُّهُورِ ؛ بَلَّغَهُ [اللَّهُ] أَمْثَالُهُ فِي أَنْضَرِ عَيْشٍ وَأَسْبَغِ سَلَامِهِ ؛ وَأَبْسَطِ
قُدْرِهِ ، وَأَكَلَ مَسَرَّهُ ؛ وَقَدْ تَوَثَّبْتُ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ فِيهِ بِأَدْبِهِ ، وَالْاِخْذِ بِمَعْرِفَةِ فُرُوضِهِ
بِمَدْهَبِهِ ؛ وَأَطَعْتُ فِي الْإِنْسِاطِ إِلَيْهِ دَوَاعِيَ الثَّقَةِ ، وَأَنْفَذْتُ مَا أَعْتَمَدْتُ فِي قَبُولِهِ
عَلَى مَكَانِي مِنْهُ ، عَائِذًا بِالتَّقْلِيلِ مِنْ كُلِّفِ الْمُكَاتَرَةِ ، وَمُسْتَشْتَقِلِ الْكُلْفَةِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ
يَأْتِيَنِي فِيمَا آتَمَسْتُهُ مَا يُنَاسِبُ شَرَفَ طَبْعِهِ ، وَسَعَةَ أَخْلَاقِهِ ؛ فَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتِ الْمُلَاطَفَاتُ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَقَدَرِ الْمَنَازِلِ ، لَمَا آتَبَسَطْتُ قُدْرَةً وَلَا آتَّسَعَ
إِمْكَانٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ نُبُلُ مَحَلِّهِ ؛ وَوَجِبَاتُ رِيَاسَتِهِ ؛ وَلَكُنْتُ مِنْ بَيْنِ خَدَمِهِ ضَعِيفُ
الْمُنَّةِ عَنْ خِدْمَتِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ ؛ بَلَّغَهُ اللَّهُ أَمْثَالَهُ فِي أَفْسَحِ أَجَلٍ ، وَأَنْجَحِ أَمَلٍ ،

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ « الْكُلْفَةُ » .

بما يَحْدُمُهُ بِهِ دَوُوُ الخِدْمَاتِ الْوَكِيدَةِ عِنْدَهُ، الْمَكِينَةِ لَدَيْهِ ؛ غَيْرَ أَنِّي أَثِقُ مِنْهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ -
بِحُجْلٍ قَلِيلٍ عَلَى عِلْمِهِ بِإِخْلَاصِي فِي وِلَايَتِهِ ، وَأَنْتَسَائِي إِلَى جُمْلَتِهِ ، وَآخْتِلَاطِي بِأَنْسَابِهِ ؛
فَإِنْ رَأَى أَنْ يُجِيرَنِي فِي قَبُولِ ذَلِكَ عَلَى سُنَّةِ أَمْثَالِهِ مِنْ ذَوِي الْجَلَالَةِ ، عِنْدَ أَمْثَالِي
مِنَ الْأَوَّلِيَاءِ وَالْحَاشِيَةِ ، فَعَلَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ الْهَدَايَا لَا تُسْتَقْبَلُ مَا لَمْ تُنَاسِبْ فِي نَفَاسَةِ الْقَدْرِ ، وَجَلَالَةِ الذِّكْرِ ، مُحَلٌّ مِنْ
يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ ، وَمَنْزِلَةً مِنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ ، لَمَا سَمَتْ هِمَّةٌ ، وَلَا آتَسَعَتْ قُدْرَةٌ ،
لَمَا يَسْتَحِقُّهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - بِأَيْسَرِ وَاجِبَاتِهِ ، وَأَصْغَرِ مَقْتَرَضَاتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَسْئَةَ
بِتَفَضُّلِهِ ، وَالْأَعْتِدَادَ بِسَالِفِ تَطَوُّلِهِ ، وَالتَّحَقُّقَ بِخِدْمَتِهِ ، وَالْأَنْتِسَابَ إِلَى جُمْلَتِهِ ؛
بَسَطَنِي إِلَى إِنْفَازِ مَا إِنْ شَرَفَنِي بِقَبُولِهِ كَانَ مَعَ قَلَّتِهِ كَثِيرًا ، وَمَعَ نَزَارَتِهِ جَلِيلًا ؛ فَإِنْ
رَأَى أَنْ يَقْوَى بِذَلِكَ مِنْهُ نَفْقِي ، وَيَحْسِمَ مَادَّةَ أَحْتِشَامِي ، فَعَلَ .

أجوبة التهئية بالمواسم والأعياد

قال في "موادّ البيان" : هذه الكتبُ والرِّقَاعُ مضمونهاُ الهَنَاءُ بِالْمَوْسِمِ الْجَدِيدِ ،
وَالِدُعَاءُ لِلْهِنَاءِ فِيهِ بِتَمْلِيهِ . قال : وهذا المعنى مُقَاوِضٌ بَيْنَ الْمَهْنَى وَالْمَهْنَى ، وَيَنْبَغِي أَنْ
تَكُونَ أَجَوِبَتُهَا مُشْتَقَّةً مِنْهَا . ثم قال : وقد يتَصَرَّفُ الْكُتَّابُ فِيهَا إِذَا كَاتَبُوا الرُّسَاءَ
تَصَرُّفًا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْحَكْمِ .

وهذه أمثلة من ذلك :

أبو الفرج البغفاء :

سَمِعَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، وَبَدَأَ فِي تَقَبُّلِ الْمَسْأَلَةِ بِكَ ؛ وَأَجْزَلَ مِنْ أَقْسَامِهِ حَظُّكَ ؛ وَبَلَّغَكَ
أَمْثَالَهُ فِي أَفْسَحِ مُدَدِ الْبَقَاءِ ، وَزَادَ فِي خَوْلِكَ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالنِّعَمَاءِ ؛ وَلَا أَخْلَانِي
مِنْ بَرِّكَ ، وَأَنْهَضَنِي بِوَاجِبَاتِكَ .

وله في مثله :

كُلُّ يَوْمٍ أَسْعَدُ فِيهِ بِمُشَاهَدَتِكَ ، وَأَقْطَعُهُ فِي ظِلِّ مُوَدَّتِكَ ، حَقِيقٌ بِالْإِحْمَادِ ، مُؤَفٍّ
عَلَى تَحَاسِنِ الْأَعْيَادِ ؛ فَسَمِعَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، وَأَطَالَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ بَقَاءَكَ ؛ وَجَعَلَ سَائِرَ
أَيَّامِكَ مَقْرُونَةً بِالسَّعَادَاتِ ، مُوصُولَةً بِتَنَاصُرِ الْبَرَكَاتِ .

من زهر الربيع :

يُخْدِمُ الْمَجْلِسَ الْعَالِيَّ جَعَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَلَى الْأَقْدَارِ سَامِيَا ، وَجَزِيلَ نَوَالِهِ عَلَى مَنْ
هَامَ بِهِ مِنَ الْعُفَاةِ هَامِيَا ؛ وَنَصَرَهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، وَأَسْكَنَهُ مِنْ حِرَاسَتِهِ حِصْنًا حَصِينًا
وَرِزْزًا حَرِيْرًا ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ حَالِيَةَ الْحَيِّدِ بِوُجُودِهِ ، وَالْأَيْدِي تَهَشُّ إِلَى تَسَاوُلِ
أَيْدِيهِ وَجُودِهِ ؛ وَأَخْبَارُ الْمَكَارِمِ عَنْهُ مَرْوِيَّةٌ وَإِلَيْهِ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَآيَاتُ فَضْلِهِ وَفَضَائِلُهُ
بِكُلِّ لِسَانٍ مُتَلَوَّةٌ .

وَيُنْهِي إِلَى عِلْمِهِ وَرُودَ مَشْرِفَتِهِ الَّتِي حَلَّتِ الْأَسْمَاعَ عِنْدَ مَاحِلَّتْ ، وَسَمَتْ عَنْ
الرِّيَاضِ لَمَّا جُلِّيَتْ عَرُوسُ فَضْلِهَا وَجَلَّتْ ؛ وَزَهَتْ عَلَى زُهُورِهَا ، بِرَقْمِ سُطُورِهَا ؛
وَطِيبَ عَرَفَهَا وَنَشَرَهَا ، بِمَا فَاحَ مِنْ طَيِّبِهَا عِنْدَ نَشْرِهَا ؛ وَفَائِقَ حُسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا ، بِرَائِقِ
بَرَاعَةِ عِبَارَتِهَا ؛ وَمَعَامِلَتِهَا بِمَا يَجِبُ مِنْ فُرُوضِ إِكْرَامِهَا وَالسَّنَنِ ، وَالْمَشْيِ فِي تَجْمِيلِهَا
عَلَى الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ مِنْ مُؤَالَاتِهِ وَالسَّنَنِ ، وَعِلْمِهِ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَنَاءِ بِالْعِيدِ ،
وَالْيَوْمِ السَّعِيدِ ؛ وَقَدْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ إِحْسَانُهُ الَّذِي مَا بَرَحَ مُتَحَقِّقًا بِجَمِيلِهِ وَجَزِيلِهِ ،
وَشَاكِرًا لِكَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الْبُشْرَى ، وَالْمَسْرَةُ الْكُبْرَى ؛ لَيْسَ لِلْعِيدِ بِمُفْرَدِهِ ،
وَلَا لِهَذَا الْهَنَاءِ بِمَجْرَدِهِ ؛ بَلْ لِبَقَاءِ الْمَوْلَى وَدَوَامِ سَعَادَتِهِ ، وَتَخْلِيدِ سَيَادَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ عَيْنٌ وَلِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانٌ ، وَهُوَ رُوحٌ وَالْأَيَّامُ وَالْأَنْثَامُ جُثْمَانٌ ؛ فَالْمَمْلُوكُ بِبَقَائِهِ كُلِّ

يَوْمٍ يَتَجَدَّدُ لَهُ عِيدٌ جَدِيدٌ ، وَيتَضَاعَفُ لَهُ جَدُّ سَعِيدٍ ، حَرَسَ اللَّهُ شُرْفَهُ الرَّفِيعَ مِنَ الْأَذَى ، وَأَرَاهُ فِي عَيْنِ أَعَادِيهِ جِذْعًا نَاتِئًا وَسَلَّمٌ لِحَظِّهِ الْحَرُوسَ مِنَ الْقَذَى ؛ وَأَصَارَ أَيَّامَهُ كُلَّهَا أَيَّامَ هَنَاءٍ ، وَبِدَايَةَ سَعَادَتِهِ بِغَيْرِ حَدٍّ وَانْتِهَاءٍ .

الضرب السادس

(التهنئة بالزواج والتسرى)

من كلام المتقدمين :

أبو الفرج البيهقي :

وَصَلَّ اللَّهُ هَذَا الْإِتِّصَالَ السَّعِيدَ ، وَالْعَقْدَ الْحَمِيدَ ؛ بِأَحَدِ الْعَوَاقِبِ ، وَأَجْمَلِ الْمَنَحِ وَالْمَوَاهِبِ ؛ وَجَعَلَ شَمْلَ مَسَرَّتِكَ بِهِ مُلْتِمًا ، وَسَبَبَ أَنْسِكَ بِإِقْبَالِهِ مَسْتَقِيمًا ؛ وَعَرَّفَكَ بِهِ تَعَجُّلَ الْبَرَكَاتِ ، وَتَنَاضُرَ الْخَيْرَاتِ ؛ وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنَ التَّهَانِي بِجُجَبَاءِ الْأَوْلَادِ ، وَكَبَتَ بِكَثْرَةِ عَدَدِكَ سَائِرَ الْحُسَادِ ؛ وَهَنَانِي النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ بِإِخَائِكَ ، وَعَضَّدَنِي وَسَائِرَ إِخْوَانِكَ بِبَقَائِكَ .

وله في مثله :

قَرَنَ اللَّهُ بِالْخَيْرَةِ مَا عَقَدْتَ ، وَبِالسَّعَادَةِ مَا جَدَّدْتَ ، وَبِجَمِيلِ الْعَاقِبَةِ مَا أَفْدَتَ ، وَعَزَّزَكَ بِرَكَاتِ هَذَا الْإِتِّصَالِ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنْ مَوَادِّ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ ؛ وَعَضَّدَكَ بِالْبَرَّةِ مِنْ عَقَبِكَ ، وَالسَّادَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ .

وله في مثله :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُلْتَحِفًا بِلُحْفِ مَوَدَّتِكَ ، وَمَتَمِّسًا بِعَصَمِ أُخُوَّتِكَ ؛ أَوْلَى بِالتَّهْنِئَةِ بِمَا يَحْدُثُ لَكَ مِنْ وُرُودِ نِعْمَةٍ ، وَاتِّصَالِ مَوْهِبَةٍ ؛ فَإِنِّي مَا أَجِدُ فَرَضَ الدُّعَاءِ لَكَ

ساقطاً ، ولا واجب الشكر لله تعالى على ما أولاني فيك زائلاً ؛ فعرفك الله بركة هذا
الاتصال الحميد ، والاتقان السعيد ؛ وجعله للسرور مكثرًا ، وبالين مبشراً ؛ وأحياك
للتفاني بمثله في السادة من ولدك ، والتجباء من ذريتك .

وله في مثله :

وصل الله هذا الاتصال الميمون بأرجح البركات وأفضلها ، وأنجح الطلبات
وأكملها ؛ وأحمد بذاه وعقباه ، وبلغك الآمال في سائر ما تهواه ؛ وأحياك للتفاني
بأمثاله في البررة من ولدك ، والتجباء من عقبك .

من كلام المتأخرين :

للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جعل الله الخيرة له فيما يذرّه ويأتيه ؛ والنجاح مقروناً بما يعيده من الأوامر ويُنْذِيهِ ،
والألْسنة شاكراً ما يؤويله من الإنعام ويُسْديهِ . صدرت هذه الخدمة مغربةً عن
ثناء تَارَج عَرْفِهِ ، وولاءٍ أعجز الألسنة شرحه ووصفه ؛ وتهنئة بهذه الوصلة المباركة
جعلها الله للاتصال بالسعادة سبباً ، ومحصلةً من الخيرات مراماً وافراً وأرباباً ؛
وعرفه بركة هذا العرس الذي أصبح الخيرُ بفنائهِ مُعرّساً ، ونورُ الشمس من ضياء
بهجته مقتبساً ؛ فنحمدُ الله على هذه الوصلة سراً وجهراً ، ونشكره أن جعل بينه
وبين السعد نسباً وصهراً ؛ منح الله المولى الرِّفَاءَ والبَيْنَ ، والعمر الذي يُفْنِي الأيامَ
والسَّنين ، ورزقه إسعافاً دائماً وإسعاداً ، وأراه أولاداً أولاده آباءً بل أجداداً ؛
إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالزواج والتسري

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تكون شكرا للهني على العناية والاهتمام، و[مشملة على] الإبانة عن موقع دعائه من التبرك والتمن به ، إلا أن تكون البداية بمعنى يخرج عما هذا جوابه ، فينبغي أن يُجاب عنه بما يقتضي الإجابة عن ذلك .

الضرب السابع

(من الهاني التهئة بالأولاد، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول - التهئة بالبنين .

مما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

إنه ليس من نعم الله وقرائد قسمه وإن حسن موقعها، ولطف محلها؛ نعمة تعدل النعمة في الولد، لأنها في العدد، وزيادتها في قوة العضد؛ وما يتعجل من عظيم بهجتها، ويرجى من باقي ذكرها في الخلوف والأعقاب، ولا حق بركتها في الدعاء والاستغفار .

ومنه : إنه ليس من النعم نعمة تُشبه النعمة في الولد، لزيادتها في قوة العضد، وحسن موقعها في الخلف والعقب؛ واتصل بي خبر مولود فسرتني ماوصل الله به من العارفة إليك، وشركتك في جميل الموهبة فيه شركة من له مالك وعليه ماعليك؛ وسألت الله أن يوزعك شكر النعمة ويؤنس بهذا المولود ربك، ويكثر به عددك؛ ويعظم بركته ويمن طائرته عليك، ويزيد به في النعمة كذلك، ويفعل الله ذلك، بمنه وطوله .

وفيه لابی الحسین بن سعد إلى أبی مُسلم بن بحر یهنئه باینِ حَدَثَ له :
فأما ماجتد الله من النعمة فی القادم والموهوب لك ولدا وأنسا، ولنا سندًا
وذخرًا، فقد جلّ قدر هذه الموهبة عن أن یحاط لها بوصف، أو یوفى لها بشکر.
وفیه لعلی بن خلف :

وینهی أنه أتصل بالملوك بزوغ نجم سعد فی مشارق إقباله ، مؤذن بالأساق سموه
وجلاله ؛ فأحدث من الجلال والاستبشار بمقدمه ، والتبرک والتمن بقدمه ؛
ماتلألات علی الملوك أنواره ، وحسنت عنده آثاره ؛ وسالت الله تعالى راغباً إليه
فی أن یعرفه سعادة مولده ، وین موفده ؛ ویجعل له شاذاً لعضده ، وموريا لزندہ ؛
ویشفعه والسادة السابقین ، بجباء متلاحقین ؛ یتبجحون فی نطاق سعادتہ ، ویؤسمون
فی آفاق سیادتہ ؛ ویضون سلکهم من الانقسام ، وشملمهم من الانهدام ؛ ویقیهم
غرراً فی وجوه الأيام ، وأقماراً فی صفحات الظلام ؛ بمنه وفضله ، إن شاء الله تعالى .

وفیه له : وینهی أن الملوك یسکر الله تعالى علی ما أنزلہ عند مولانا من عوارفه ،
وأختصه به من لطائفه ؛ شکر من شاركه فی النعمة المسبغة علیه ، وأتهی إلى خبر
السند المتجدد لمولانا، فطار الملوك بخوافی السرور ومقادمه ، وأخذ من الإبتهاج بأوفی
قسمه ؛ وسأل الله تعالى أن یبارک له فی عطیته ، ویزده بزیادته ؛ ویوفر عدده ،
ویشد بصالح الولد عضده ؛ ویجنيه من هذا القادم ثمار المسرة ، ویرى عینه منه
أقر قرة ؛ ویشفع المنحة فی موهبته بإطالة مدته .

وفیه : وینهی أن أفضل النعم موقعا ، وأشرفها خطراً وموضعا ؛ نعمة الله تعالى
فی الولد : لزیادتها فی العدد وقوة العضد ؛ وما یتعجل من عظم جماله وزیته ،
ویرجی من حسن ماله وعاقبتها ؛ فی حفظ النسب والأصل ، وحسن الخلافة علی

الأهل ؛ وجميل الذِّكر والثَّناء ، ومتقبَّل الاستِغفارِ والدُّعاء ؛ وقد اتَّصل بالملوك بِزُورٍ هلالِ سماءِ المجد ، ومتعلِّق الإقبال والسَّغْد ؛ فأشرقَت الأيامُ بِإِشراقه ، ووَقَّتِ الآمالُ باجتماعه وأتَّسقه ؛ فقامَ الملوكُ عن مولانا بِشُكر هذه النعمة المتجدِّده ، والمُوهبة الراهنة الخالِده ؛ وهنَّأتُ نفسِي بها ، وأخذت بِحِطِّي منها ؛ والله تعالى يَعْرِفُه يَمُنُّ المولودُ من أطهرِ والدَّة وأطيبِ والد ؛ ويُعمرُّ به منزله ، ويؤنسُ بِبقائه رَحله ؛ وَيَبْلُغُ حَيَّيه ، من الآمال فيه ، ما بَلَغَهم في المآجد أُمِّيه ؛ إن شاء الله تعالى .

وفيه : وَيُنْهَى أَنْ نِعَمَ الله تعالى وإن كانت على مولانا متظاهره ، ولديه مُتَنَاصِرَه ؛ فقد كان الملوك يَرِغِبُ إلى الله تعالى في أن يُجِلَّ الأيامَ من نَسَله ، بَمَنْ يَحْفَظُ عليها شَرَفَ أَصله ، وَيُخَلِّفُه بعد العُمُر الطويل في نُبله وكرمِ فعله ؛ وَلَمَّا اتَّصل بالملوك نبأ هذا الهلال البازغ في سَمائِه ، المُقَرَّعُيون أوليائِه ، الخَيِّبُ لُظُنُونُ أعدائِه ؛ حَمِدَتُ الله تعالى على مُوهبَتِه ، وسألته إقرار نِعَمَتِه ؛ وأن يُعرِّفَ مولانا بِرَكةِ قَدَمِه ، وَيَمُنَّ مَقَدَمِه ؛ وَيَوْفِرَ حَظَّه من زيادَتِه ، وسعادةِ وَقادَتِه ، وأن يَجْعَلَه بَرًّا تَقِيًّا ، مَبَارَكًا رَضيًّا ؛ وَيُفَسِّحَ في أَجلِه ، وَيُبَلِّغَه فيه أَمَلَه ؛ إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

هُنَّتَ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ * وَنَقَّاذِ أَمْرِ فِي الْعِدَا بِنَقَادِ !
وَبَقِيَتْ مَابَقِ الزَّمَانِ مَهْنًا * وَوَقِيَتْ شَرَّ شِمَاتِهِ الْحُسَادِ !
يَا مَالِكِ الرَّقِّ الَّذِي أَضْحَى لَنَا * مِنْ جُودِهِ الْأَطْوَاقُ فِي الْأَجْيَادِ !
خُلِدَتْ فِي عَيْشٍ هَنِيٍّ أَخْضَرَ * يَسْطُو بِبَيْضِ طُبَا وَسُمْرِ صَعَادِ ،
حَتَّى يَخَاطَبَكَ الزَّمَانُ مُبَشِّرًا : * مُتَعَتَ بِالْإِخْوَانِ وَالْأَوْلَادِ !

جَدَّدَ اللهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مَسْرَّةً وَبُشْرَى ، وَأَطَابَ لَعْرَفَهُ عَرَفًا وَنَشْرًا ، وَشَدَّ لَهُ بَوْلَهُ السَّعِيدِ الطَّلَعَةِ أَزْرًا وَأَسْرًا ، وَسَرَّى بِهِ الِهْمُومَ عَنِ الْقُلُوبِ وَأَصَارَهَا لَدَيْهِ أُسْرَى ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ إِلَى سَمَاءِ الْمَعَالَى لِيُقَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي بَعْدَهُ أُسْرَى .

الْمَلُوكُ يَخْدُمُ الْمَوْلَى وَيَهْنِيهِ وَيُشْكِرُهُ ، وَيُطْلِعُهُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ لِلْسَبَبِ الَّذِي يُنْبِيهِ وَيَذْكُرُهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ قُدُومُ الْمَسَافِرِ بِلِإِسْفَارِ الْبَدْرِ ، وَظَهُورُ مَيُومِنِ الْعُرَّةِ الَّذِي جَاءَ لِأَهْلِهِ بِأَمَانٍ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ، وَهُوَ الْوَلَدُ الْعَزِيزُ الْمَوْفُوقُ النَّجِيبُ ، فَلَانِ ، أَبْقَاهُ اللهُ تَعَالَى لِيَحْيَا مَشْكُورًا مَحْمُودًا ، مَنْصُورًا بِسَيْفِ مَجْدِهِ وَسِنَانِ سَعْدِهِ مَسْعُودًا ، وَأَدَامَ عِزَّهُ وَعُلَاهُ ، وَأَعْلَى نَجْمِهِ وَخَلَدَ شَرْفَهُ وَبَهَاءَهُ ، وَضَاعَفَ سَنَاءَهُ وَسَنَاءَهُ ، وَأَرَانَا مِنْهُ مَا أَرَانَا مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَيْمِهِ ، فَسُرُّوْا بِتَبَجِّهِ هَذِهِ النِّعْمَةَ غَايَةً الشُّرُورِ وَالْإِبْتِهَاجِ ، وَأَتَضَّحَ لَهُ فِي شُكْرِ إِحْسَانِ الْمَوْلَى وَحُسْنِ وَلَدِهِ كُلِّ طَرِيقٍ وَمِنْهَاجٍ ، وَسَالِ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُطَوِّلَ لَهُ عُمْرًا ، وَيَجْعَلَ لِإِسْعَادِ وَالِدِهِ وَإِسْعَافِهِ ذُنُورًا ، لِيَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الدَّعَةِ فِي صِحَّةٍ وَسَلَامِهِ ، وَيَجْعَلَ فِي فَنَاءِ الْعُلَا لَهَا دَارَ إِقَامَةٍ ، وَيُلْغَا مِنْ السَّعَادَةِ دَرَجَةً لَا تَرِيمُ عَالِيَةً وَلَا تُرَامُ ، وَتَخْضَعُ لَهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَيَرْشُقَاهُمَا بِسِهَامِ الصُّرُوفِ وَيَطْعَنَاهُمَا بِأَسْنَتَيْهَا ، وَيَقْهَمَا دَعَاءَ الْأَيَّامِ لَهَا مِنْ صُدُورِهَا وَيَسْمَعَاهَا مِنْ أَلْسِنَتَيْهَا ، مُخَاطِبَةً لِأَيْمِهِ ، وَمُنْشِدَةً لِسَائِرِ أَهْلِهِ وَمَحْيِيَةً :

مَدَّ لَكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَدًّا ، * حَتَّى تَرَى نَجْلَكَ هَذَا جَدًّا

الصفحة الثاني - التهئة بالبنات .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

النِّعْمَةُ نِعْمَتَانِ : إِحْدَاهُمَا تُعَجِّلُ الْأُنْسَ ، وَالْأُخْرَى تُدَنِّرُ الْأَجْرَ ، وَعَلَى حَسَبِ

مَاتَلَقَى بِهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى ظَاهِرِ الْمَحْبُوبِ ، وَالتَّسْلِيمِ فِيمَا يَجْرِي مَجْرَى بَعْضِ الْمَكْرُوهِ ؛
يَكُونُ الْمَتَاعُ عَاجِلًا ، وَالثَّوَابُ آجِلًا ؛ وَمَا قَدَّمْتُ الْقَوْلَ [إِلَّا] لِمَا ظَنَنْتُهُ يَغْرُضُ
لَكَ مِنَ الْوُجُومِ فِي هَذِهِ الْمَوْهَبَةِ ، فِي الْمَوْلُودَةِ الَّتِي أَرْجُو أَنْ يَعَظَّمَ اللَّهُ بَرَكَتَهَا ، وَيَجْعَلَهَا
أَيَّامَ مَوْلُودٍ فِي عَصْرَهَا ، وَدَالَّةً عَلَى سَعَادَةِ أَيْيَافِهَا وَجَدَّهَا ؛ وَ[لِّئِنْ] كَانَ فِي الطَّبْعِ حُبُّ
الذُّكُورِ وَالشَّغْفُ بِالْبَيْنِ ، فَإِنَّ الْبَيْنَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَهُنَّ بِالْيَمْنِ مَعْرُوفَاتٌ ؛ وَبِالْبَرَكَاتِ
مَوْصُوفَاتٌ ، وَبِالذُّكُورِ فِي أَثَرِ هُنَّ مَبْشَرَاتٌ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ النِّعْمَةَ فِيهَا تَهْنِئَةً لَا تَقْضِي
سَعَادَتَهَا ، وَلَا يَعْتَرِضُ النِّقْصُ وَالتَّقْدِيرُ شَيْئًا مِنْهَا ؛ وَابْقِ هَذِهِ الصَّبِيَّةَ مَمْتَعًا أَبُوهَا بِهَا ،
وَمُنْشَأً لَهُ الْحِطُّ مِنْ حَدَاتِهَا ؛ وَبَلِّغْهَا أَفْضَلَ مَبَالِغِ الصَّالِحَاتِ الْقَانِنَاتِ مِنْ أُمَمَاتِهَا ؛
وَجْعَلْ فِي مَوْلِدِهَا أَصْدَقَ دَلِيلٍ عَلَى طُولِ عُمرِ أَيْيَافِهَا وَسَعَادَةِ جَدِّهَا ، وَتَضَاعُفِ نِعَمِ اللَّهِ
عِنْدَهُ ؛ إِنَّهُ لَطِيفٌ جَوَادٌ .

أبو مسلم محمد بن بحر :

مَرْحَبًا بِبِكْرِ النِّسَاءِ ، وَبِكْرِ الْأَوْلَادِ ، وَعَقِيلَةِ الْخِلَاءِ ، وَالْمَأْمُولَةِ لِلْبَرَكَةِ ، وَالْمَشْهُورَةِ
بِالْيَمْنِ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَاهُ فَوْجَدْنَاهُ مَعْهُودًا مُسْعُودًا ؛ وَاللَّهُ يَعْرِفُكَ أَضْعَافَ مَا عَرَفَ
مَنْ قَبْلَكَ ، وَيُبَارِكُ لَكَ فِيمَا رَزَقَكَ ؛ وَيُنَيِّئُ لَكَ بِأَخٍ لِلْمَوْلُودَةِ وَيَجْعَلُهُ رَدِيفَهَا ،
وَفِي الْخَيْرِ قَرِينَهَا وَشَرِيكَهَا .

علي بن خلف :

وَيُنَبِّئُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ أَتَّصَلَ بِهِ آرْتِمَاضٌ مَوْلَانَا بِمَقْدَمِ الْكَرِيمَةِ الْوَافِدَةِ ، بِطَالِعِ
السَّعَادَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ؛ فَعَجِبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ مَوْلَانَا مَعَ كَمَالِ نُبْلِهِ ،

(١) المراد به التضييق انظر القاموس .

(٢) يريد قلقه وعدم انبساطه .

وشرف عقله وعلمه ؛ فإنَّ الله تعالى جَلَّ اسمُه يقول : ﴿ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ وإنَّ ما جتده الله تعالى من مواهبه جدير أن يُتلقى بالسرور والفرح ، لا بالاستياء والترح ؛ لاسيما والدُّكر إنما يتفَضَّل على الأنثى بنجابتِه ، لا بحليته وصورته ؛ وقد يقع في الإناث مَنْ هو أشرف من الذكور طبعا ، وأجزُل عائدةً ونفعا ؛ وقد روى أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا رُزِقَ الْعَبْدُ الْأُنْثَى نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْشُرُوا بِالرِّزْقِ ؛ وَإِذَا رُزِقَ ذَكَرًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْشُرُوا بِالْعِزِّ “ فليستقبل مولانا الرِّزْقَ بالشُّكر فإنَّ العِزَّ يَتَّبِعُه ، ولا يعارضُ الله تعالى في إرادته ؛ ولا يستقلُّ شيئا من هبته ؛ والله تعالى يُعرفه يَمِّنْ عهودها ، وسعادة قُدمها ؛ وأن يسره بعدها بإخوة متتابعين متلاحقين ؛ يؤيدون أمره ، ويحيون بعد العمر الأطول ذِكْرَه .

أبو الفرج الببغاء :

لو كان الإنسان متصرفًا في أمره بإرادته ، قادرًا على إدراك مشيئته ؛ لبطلت دلائل القُدرة ، وأستحالت حقائق الصَّنعة ؛ ودرست معالم الآمال ، وتساوى الناس ببلوغ الأحوال ؛ غير أنَّ الأمر لما كان بغير مشيئته مَصْنُوعًا ، وعلى ما عنه ظهر في الابتداء مطبوعًا ؛ كان المخرجُ له إلى الوجود من العدم ، فيما آرتضاه له غير متهم ؛ ومولانا - أيدَه الله - مع كمال فضله ، وتناهى عقله ؛ وحِدَّة فطنته ، وثاقب معرفته ؛ أجلُّ من أن يحهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو يتسخط مواهبه الصادرة إليه ؛ فيرمقها بنواظر الكُفر ، ويسلك بها غير مذاهب الشكر .

وقد اتَّصل بالملوك خبرُ المولودة كَرَّمَ الله غُرَّتَها ، وأطال مُدَّتَها ؛ وعرفَ مولانا البركةَ بها ، وبلغه أملهُ فيها ؛ وما كان من تغيُّره عند اتِّضاع الخبر ، وإنكار ما اختاره

له سابقُ القَدَرِ؛ فمَجِبَ المملوكُ من ذلك واستنكره، من مولانا وأنكره؛ لضيق العذر في مثله عليه . وقد علم مولانا أنهم أقربُ إلى القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب فقال جل من قائل : ((يَهَبْ لِي نِشَاءً إِنَّا هَبْ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ)) وما سمّاه الله هبةً فهو بالشكر أولى، وبُحْسَنَ التَّقبُّلِ أحرى ؛ ولكم نَسِبُ أفدن ، وشرف استحدثن ؛ من طُرُق الأَصْهار ، والاتِّصال بالأَخيار . والملمّس من الذِّكر نجابته ، لأصْورته وولادته ؛ ولكم ذِكْرُ الأَثْنِ أكرمُ منه طبعاً ، وأظهرُ منه نفعاً ؛ فمولانا يُصوِّرُ الحَالِ بصورتها ؛ ويحدِّدُ الشُّكرَ على ما وهبَ منها ؛ ويستأنِفُ الاعترافَ له تعالى بما هو الأشبهُ ببصيرته ، والاولى بمثله ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث - التهئة بالتَّوَم .

أَحْسَنُ ما رأيتُ من ذلك قولُ بعض الشعراء مما كَتَبَ به إلى بعض أصحابه ، وقد وُلِدَ له ذِكْرُ وَثْنٍ من جارية سوداء ، وهو قوله :

وَحْصَكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهَا بَتَوَم * وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ تُسْتَخْرِجُ الدَّرر !
وَاركَ أَضْحَى وَإِرْنَا عِلْمَ جَارٍ * فَأَعْطَاكَ مِنَ الْقَابَةِ الشَّمْسَ وَالْقَمَر !

الأجوبة عن التهئة بالأولاد

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرِّقَاع يجبُ أن تُبْنَى على شُكْرِ أَهْتَامِ الْمُهْنَى ورعايته ، والاعتدادِ بعنايته ؛ وأنَّ الزيادة في تجدد المهني [به] زيادةٌ في عدده ، وأن نصيبه من تحرك السرور فيما يخلص إليه من المواهب كنصيبه : لتناسُهما في الإخاء ، وتوافيهما في الصِّفاء ، وأن تراعى مع ذلك مرتبة المهني والمهني ، ويني الخطاب على ما يقتضيه كلُّ منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وَيُنْهَى رُودَ الْكَتَابِ الَّذِي تَشْرَفُ الْمَمْلُوكُ بِوُرُودِهِ ، وَأَشْرَقَتِ الْأَيَّامُ بِكَالِ
سُعُودِهِ ، وَأَرْغَمَ بِلَاغَتِهِ مَعْطَسَ مُنَاوِيهِ وَحُسُودِهِ ؛ فَشَكَرَ أَيَادِي مَنْ أَنْعَمَ بِإِرْسَالِهِ ،
وَأَكْتَسَى بِالْوُقُوفِ عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ حُلَلِ نَخْرِهِ وَجَمَالِهِ ؛ وَبَالِغَ فِي إِكْمَالِهِ ، حَتَّى وَقَفَ
إِجْلَالًا لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ تَلَا آيَاتِ حُسْنِهِ عَلَى أُذُنَيْهِ ؛ فَوَجَدَهُ مُشْتَمِلًا عَلَى إِحْسَانٍ
لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ ، وَمِنْ أَوْدَعِهَا فِيهِ فَلَا يُحْصِيهَا حَضَرٌ وَلَا عَدَدٌ ؛ فَهَيَّجَ بِوُرُودِهِ
رَسِيسَ الْأَشْوَاقِ ، وَتَقَلَّدَ بِإِنْعَامِ مُرْسَلِهِ كَمَا قُلِّدَتِ الْحَمَائِمُ بِالْأَطْوَاقِ ، وَوَجَدَ لَوْعَةً
لَا يُحْسِنُ وَصْفَهَا لِسَانُ الْيَرَاعِ فِي الْأَوْرَاقِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَوْلَى مِنَ التَّهْنِئَةِ
بِالْوَلَدِ الْجَدِيدِ ، بَلْ بِأَصْغَرَ الْخَدَمِ وَالْعِيْدِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْإِهْتِهَابِ لِمِيلَادِهِ ، وَأَظْهَرَهُ
مِنَ التَّفَضُّلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ آبَائِهِ الْكَرَامِ وَأَجْدَادِهِ ؛ وَلَمْ لَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ
وَالْوَالِدُ مَمْلُوكُهُ ، وَهُوَ مَمْلُوكُ السَّادَةِ الْأَجْلَاءِ أَوْلَادِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ مَجْدَهُ وَتَمَتَّعَ بِثَوْبِ
مَكَارِمِهِ ، وَخَفَضَ قَدْرَ مُحَارِبِهِ وَرَفَعَ كَلِمَةَ مُسَالِمِهِ ؛ وَلَا زَالَ مَمَالِكُهُ تَتَرَدَّدُ تَرَدُّدَ
الْأَيَّامِ ، وَسَعَادَتُهُ بَاقِيَةٌ بِقَاءِ الْأَعْوَامِ ، وَعَيْنُ الْعَنَاءِ تَحْرُسُهُ فِي حَالَتِي السَّفَرِ وَالْمَقَامِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثامن

(من التهاني التهنئة بالإنبال من المَرَضِ والعافية من السَّقَمِ)

فمن ذلك :

وَيُنْهَى أَنَّهُ مَازَالَتْ أَجْسَامُ أَهْلِ التَّصَافِي ، تَشْتَرِكُ فِي الْأَسْقَامِ وَالْعَوَافِي ، كَمَا تَشْتَرِكُ
أَنْفُسُهُمْ فِي التَّخَالُصِ وَالتَّوَافِي ؛ وَلَمَّا أَلَمَ بِمَوْلَانَا هَذَا الْأَلَمُ الَّذِي تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى

بإماطته ، ومنّ فيه على السُّودد بحراسة مولانا وحياطته ؛ فرأيتُه حالاً في جوارحي ،
مُحرقاً لجوائحي ؛ مازجاً لأعضائي ، ممتلكاً لأنوائ^(١)ي ؛ ولئن كنت قد تحملت من ذلك
عباً ، وأرتقيت من تحمله مُرتقى صعباً ؛ فلقد نَحَرْتُ بمأسّته ، وأحمدتُ طبعي على
مُساكلته ؛ وشكرتُ الله تعالى إذ جعلني شُعبة من سرحته ، وجيلة من طينته ؛ وعلى
ماسرّبه من إقالته وإنعاشه ، ومُصافاته وإنشاشه ؛ وسألتُ الله تعالى أن يبقية نُورا
يُوضّح مغربَ الدهر ومشرقَه ، ودُراً يرصّع قودَ المجد ومفرقه ؛ ويُحسن الدِّفاعَ عن
حَوْبائه ، وهو سبحانه يُجيب ذلك ويتقبّله ، ويرفعه ويسمعه ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

المملوكُ يهنئُ مولاه خاصّةً إذ جعله الله تعالى من صفوة أوليائه ، وخالصة أجبائه ؛
الذين يتبليهم اختباراً ، ويتنابهم اختياراً : ليجمع لهم بين تمحيص وزرهم ، ومضاعفة
أجرهم ؛ والحضّ على طاعته ، والآنصراف عن معصيته ؛ ويهنئُ الكافّة عامّة بالموهبة
في نوره المطلّعة لاملّ الإقبال ، المروية لمّا حلّ الآمال ؛ ثم أعطف على حمد الله
على ما منّ به من إبلاله ، ويسره من استقلاله ؛ والرغبة إليه في أن يمنحه صحّة مُخلّد
وتُقيم ، وعافية ترهن ولا تريم ؛ وأن يحميه من عوارض الأسقام ، ويصونه من حوادث
الأيام ؛ بفضلِهِ وجُوده ، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغواء :

أفضلُ ما يَفْزَعُ إليه العبدُ المخلص ، والمولى المتخصّص ؛ فيما ينوب سيّده ويهم
وليّ نعمته ، الدعاءُ المقترنُ بصدق النية ، وصفاء الطويّة [فالحمد لله الذي من بالصحة]
وتصدق بالإقالة ، وتدارك بجيمل المدافعة ؛ وعمّ سائر خدَمه أيّده الله بالنعمة ، وأعادَه

(١) كذا في الأصل ولعله لأحشائي أرنحو ذلك .

إلى أجمل عاداته من السلامة والصحة ، فائزاً بمدخر الأجر ، متعبداً بمستأنف الشكر ؛
فلا أخلاه الله من زيادة فيما يؤليه ، ولا قصداً بسماع سوء فيه ؛ وحرس من الغير
مُهْجته ، ومن المحذور نِعْمته .

وله في مثله :

ما كنت أعلم أنَّ عافيتي مقرونة بعافيتك ، ولا سلامتي مضافة لسلامتك ؛
إلى أن تحققت ذلك من مشاركتي إياك في حالتي الألم والصحة ، والمرض والمحنة ؛
فالحمد لله الذى شرف طبيعى بمناسبتك ، وجمل خلقي بلاءمتك ؛ فيما ساء وسر ، وإياه
تعالى أشكر على ماخصني به من كمال عافيتك ، وسُبوغ سلامتك وسُرعة إقالتك ؛
وبه - جلَّ اسمه - أتيتُ فى مزيدك من تظاهر النعم ، وتوفر القسم .

وله في مثله :

ولولا أنَّ متضمن كتابك قرن ذكر المرض الهاجم عليك ، بذكر ما وهبه الله لك
من عود السلامة إليك ؛ لما اقتصر بى القلق على [ما] دون المسير نحوك ، والمبادرة
لمشاهدتك ؛ غير أنَّ السكون إلى ما أداه كتابك سابق الجزع ، والطمانينة إلى ما وهبه الله
من كفايتك حالت دون الهلع ؛ فالحمد لله الذى من بالإقالة ، وتصديق بالسلامة وعم
بالكفاية ؛ وهو ولى حراستك وحراستى فيك .

وله في مثله :

سيدنا فى سائر ما يذكره الله من هجوم ألم مؤذن بصحة ، واعتراض مخنة مؤدية إلى
منحه ؛ مرموق بالعافية ، محروس من الله جلَّ اسمه بالحفظ والكلاءة ؛ فهو مع العلة
فائز بذخائر الأجر ، ومع العافية موفق لا يستعادة الشكر ؛ فالحمد لله الذى عقد الكرم
ببقائه ، وشفى مرض الآمال بشفائه ؛ وكفاه اعتراض الخوف ، وعوارض الصروف .

وله في مثله :

مَا أَنْفَرَدَ جِسْمُكَ بِالْعِلَّةِ دُونَ قَلْبِي ، وَلَا اخْتَصَّصْتَ نَفْسَكَ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى -
بِعُانَةِ الْمَرَضِ دُونَ نَفْسِي ؛ وَلَمْ أَرْزُلْ بِالْقَلْبِ تَالِيَا ، وَفِي سَائِرِ مَا شَكُوهُ بِالنِّيةِ مُسَاوِيَا ؛
إِلَى أَنْ كَشَفَ اللَّهُ الْغُمَّهَ ، وَأَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَنَفَسَ الْكُرْبَةَ ؛ وَمَنْ بِالسَّلَامَةِ ، وَتَصَدَّقَ
بِالْكِفَايَةِ ؛ وَأَوْجَبَ بِالْعَافِيَةِ عَلَيْنَا جَمِيعًا فُرُوضَ الشُّكْرِ ، بَعْدَ مَا أَدَّخَرَ لَكَ بِالْأَلَمِ مِنْ
كَثْرَةِ الْأَجْرِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا يُؤَدِّي إِلَى حِرَاسَةِ مَا خَوَّلَكَ ، وَيُؤْذِنُ بِالْمَزِيدِ
فِيَا مَنْحَكَ .

ومن كلام المتأخرين :

أَعْلَى اللَّهِ قَدَرَ الْجَنَابِ الْقَلَانِي ، وَلَا زَالَتْ شُمُوسُ أَيَامِهِ لِاتِّخَافِ كُسُوفِهَا وَلَا أَقُولَا ،
وَأَقَامَرُ لِيَالِيهِ تَغْرِسٌ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَمَحَبِّيهِ فُرُوعًا وَأَصُولًا .

الْمَمْلُوكُ يَخْدُمُ خِدْمَةً مَنْ تَجَلَّ جَمِيلًا ، وَنَالَ مِنْ تَفَضُّلِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ جَزِيلًا .

وَيُنْهِى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ بِعَافِيَةِ مَوْلَانَا ، فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا جَدَّدَ مِنَ النِّعْمَةِ
التَّامَّةِ ، وَتَسْمَحُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ الْعَامَّةِ ؛ حِينَ أَعَادَ الْبَدْرَ إِلَى كَمَالِهِ ، وَالسُّرُورَ إِلَى أَمْتِّ
أَحْوَالِهِ ؛ وَمَا كَانَتْ إِلَّا غَلْطَةً مِنَ الدَّهْرِ فَاسْتَدْرَكَهَا ، وَصَفْقَةً خَارِجَةً عَنْ يَدِهِ فَمُلْكَهَا ؛
فَقَرَّتْ بِذَلِكَ الْعُيُونُ ، وَتَحَقَّقَتْ فِي بُلُوغِ الْأَمْلِ الظُّنُونُ ؛ وَانْجَبَرَ قَلْبُهُ بَعْدَمَا وَهَنَ ،
وَعَادَ جَفْنُهُ بَعْدَ الْأَرْقِ إِلَى الْوَسَنِ ؛ وَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ .
وَلَقَدْ كَانَ يَتَنَّى الْمَمْلُوكُ لَوْ فَازَ مِنَ الرُّوْيَةِ الشَّرِيفَةِ بِحِطِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَتَمَلَّى بِمُشَاهَدَةِ
وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ فِيهِ الْبُغْيَةَ وَالْوَطَرَ .

وَالْمَمْلُوكُ فَمَا يُعَدُّ نَفْسَهُ إِلَّا مِنَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ يَذَلُّوا أَنْفُسَهُمْ لِمَحَبَّتِهِ وَأَعَدُّوْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُسِّرُ الْأَوْلِيَاءَ بِتَضَاعُفِ سُعُودِهِ ، وَيُدِيمُ بِهِجَةَ الْأَيَّامِ بِمَيْمُونِ وَجُودِهِ ؛ وَيُطِيلُ

في مدته ويحرسها من الغير، ويحرس أحوال مزاجه الكريم على القائلون المعتبر،
ويكفي أوليائه ومحبيه فيه كل مكروه وحذر، إن شاء الله تعالى .

من زهر الربيع :

ولما شكوت، أشتكى كل ما * على الأرض وأهترش وغبُ !

لأنك قلبٌ لجسم الزمان * وما صحَّ جسمٌ إذا اعتلَّ قلبُ !

حرس الله جنابه، وأسبل عليه رداء السعد وأثوابه، ومنعه يرود العافية وجلبابها،
وفتح له إلى نيل السعادة سائر أبوابها، ومنحه الكفاية والأمن في سريه، والعافية
في جسمه من قلق كل مرض وكره، وجمع له بين الثواب والأجر، وجازاه بجزيل
الغفران عن جميل الصبر .

المملوك يبشر نفسه ومولاه بما من الله به من صحة مزاجه الكريم، والإبلال من
مرض كاد يدير كئوس الحمام على كل صديق حميم، ويحمد الله على عافيته حمدا
جزيلًا، ويشكره عليها بكرة وأصيلا، فإنه قد عوفي لعافيته المجد والكرم، وزال عنه إلى
أعدائه الألم، فلمولى حفظ الله صحته من السقم، وحماء من ألم ألم، وجعل سعادتَه
تترأد على ممر الأنفاس، وجسده سالما من الأذى كسلامة عرضه من الأذناس؛
إن شاء الله تعالى .

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وقى الله من الأسواء شخصه الكريم، وشمله النظيم، وقلب محبه الذي هو في كل
وادي من أودية الإشفاق بهم .

ولا زالتِ الصَّحَّةُ قَرِينَهُ حَتَّى لَا يَعْتَلَّ فِي مَنَازِلِهِ غَيْرُ مُرُورِ النَّسِيمِ . وَيَصِفُ شَوْقًا
يَزِيدُ بِالْأَنْفَاسِ وَقْدًا ، وَيَجِدُّ لِلْأَحْشَاءِ وَجْدًا ، وَيَبَاشِرُ الْقَلْبَ الْمُغْرَمَ فَيَمُدُّ لَهُ مِنْ
عَذَابِ الْإِنْتَظَارِ مَدًّا .

وَيَنْهَى أَنَّهُ جَهَّزَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ نَائِبَةً عَنْهُ فِي اسْتِجْلَاءِ وَجْهِ أَكْرَمِ الْأَحْبَةِ ، وَتُصَاغِ
الْيَدُ الَّتِي أَقْلَامُ كُتُبِهَا فِي شَكْوَى الْبِعَادِ أَطْبَهُ ؛ مَبْدِيَّةً إِلَى الْعِلْمِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ مَعَ مَا كَانَ
يَكَايِدُهُ مِنَ الْأَشْوَاقِ ، وَيَعَالِجُهُ مِنْ خَوَاطِرِ الْإِشْفَاقِ ، بَلَّغَهُ ضَعْفُ الْجَسَدِ الْمَوْقُ ،
وَعَارِضُ الْأَلَمِ الَّذِي اسْتَطَارَ مِنْ جَوَانِحِ الْحَبِّينِ بَرَقًا ؛ فَلَا يَسْأَلُ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ عَنْ
قَلْبٍ تَأَلَّمَ ، وَصَدْرٍ صَامَتٍ بِالْهُمُومِ وَلَكِنَّهُ بِجِرَاحِ الْأَشْجَانِ تَكَلَّمَ ، وَلِسَانٍ أَنْشَدَ :

أَلَا لَيْتَنِي حُمِلْتُ مَا بِكَ مِنْ ضَنْئِي * عَلَى أَنَّ لِي مِنْهُ الْأَدَى وَلَكَ الْأَجْرُ !

ثُمَّ لَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَجَّلَ خَبَرَ الْعَافِيَةِ الْمَأْمُولَةِ ، وَالصَّحَّةِ الْمُقْبِلَةِ عَقِيبَ الدَّعَوَاتِ
الْمَقْبُولَةِ ؛ فَيَا هَذَا مَسْرَةً شَمِلَتْ ، وَمَبْرَةً كَلَّتْ ؛ وَتَهْنِئَةً جَمَعَتْ قُلُوبَ الْأَوْدَاءِ وَجَمَلَتْ ،
وَأَعْضَاءَ فَدَتْهَا عُيُونُ الْمَهَامَا فَتَقَلَّتْ عَنْهَا صِفَاتِ السَّقَامِ وَحَمَلَتْ ؛ وَعَافِيَةً حَوَّلَتْ إِلَى
قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ الْمَرَضِ ، وَجَوْهَرِ جَسَدٍ طَاهِرٍ زَالَ [عَنْهُ] بِأَسِّ الْعَرَضِ ؛ فَهَنِيئًا لَهُ
بِهَذِهِ الصَّحَّةِ الْمُتَوَافِرَةِ الْوَاقِيَةِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَمَعَ بَيْنَ حُصُولِ الْأَجْرِ
وَوُصُولِ الْعَافِيَةِ ، وَعَلَى أَنْ حَفِظَ ذَاتَهُ الْكَرِيمَةَ وَحَفِظَهَا هُوَ الْمَقْدَمَةُ الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ :

وَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْمَسْرَةَ بَيْنَهُمْ * قِسْمًا فَكَانَ أَجْلُهُمْ قِسْمًا أَنَا !

وَاللَّهُ تَعَالَى يُسْبِغُ عَلَيْهِ ظِلَالَ نِعَمِهِ ، وَيَحْفَظُهُ حَيْثُ كَانَ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَدَمِهِ ؛
وَكَمَا سَرَّ الْأَحْبَابَ بِجَبْرِ عَافِيَتِهِ كَذَلِكَ يُسَرُّهُمْ بِعِيَانِ مَقْدَمِهِ .

أجوبة التهئة بالإبلال من المرض والعافية

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرّفاع يجب أن تكون مبنية على وصف الألم وصورته وما تفضّل الله تعالى به من إماتته ، وشكر المهني بأهتمامه وعنايته .

وهذه أمثلة من ذلك :

من زهر الربيع :

أدام الله نعمته ، وشكر مئته ، وأدال دولته ؛ وأعلى قدره وكلمته ، وحّم على الألسنة شكره والقلوب محبته . ولا زالت التهانى من جهته وإفده ، والبشائر وإرده .

ويُنهى ورود الكتاب الذى أعدته يد المعالى فعاد كريما ، وشاهد حسن منظره فصار وجهه وسما ، وأنه وقف عليه ، وأحاط علما بكل ما أشار المولى إليه ؛ فذكره أنسا كان بخدمته لم ينسه ، وجدّد له وجدا ما زال يجد في قلبه ونفسه عينه ونفسه ؛ ونشر من مآثره الماثورة ، وفضائله المرقومة في صفائح الصّحائف المسطّورة ؛ ماشف به وشرف ، وشوق إلى لقاءه وشوف ؛ وأقام البرهان على ذكي فطنته ، وزكي فطرته ؛ وعلم ما أنعم به وتفضل ، وأحسن وتطول : من تهئة المملوك بالإبلال من مرضه ، والبراء من سقمه ، والتخلص من يدى وجعه وآلمه ؛ وسرّ ورود كريم مشرقته ، أعظم من سروره بلباس ثوب عافيته ؛ وبدوام مجده وسعادته ، أكثر من صحّة مزاجه واستقامته : فإنّ مكارم المولى كالحدايق النّاضرة ، ومثّلته أعز في القلوب من الأحداق النّاظرة .

فالحمد لله الذى منّ بالعافية من ذلك المرض ، والداء الذى ألمّ بعرضيه فاحتوى منهما على الجوهر والعرض ؛ وطال حتى أسأمه من نفسه وعواده ، وآيسه من الحياة

لولا لطفُ الله واللهُ لطيفٌ بعباده ؛ وهذا ببركةِ المولى ودعائه الذى كان يرفعه ،
والخواطرُ والأسماعُ مع بُعدِ الشُّقَّةِ تشهدُ به وتسمعه ؛ جعل الله التهانى مع الأبد
واردةً منه وإليه ، وشكرُ إنعامه وأتمَّ نعمته عليه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وكتبتُ للمقرَّرِ العلائى علاءِ الدين الكرَّكى وهو يومئذ كاتبُ السَّرِّ الشريف
فى الدولة الظاهرية «برقوق» فى سلطته الثانية ، وقد برأ من مرض نظما :

أَفِدِيهِ مِنْ جَسَدٍ قَدْ صَحَّ مِنْ سَقَمٍ * فَبَاتَ جَوْهَرُهُ خَالٍ مِنَ الْعَرَضِ !
فَاسْتَبَشَرْتُ بَعْلَى الْقَوْمِ شَيْعَتَهُ * وَمَاتَ حَاسِدُهُ بِالسَّقَمِ وَالْمَرَضِ !

الضرب التاسع (التهنئة بقرب المزار)

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

قَرَّبَ اللهُ مَزَارَهُ ، وَأَذْنَى جَوَارِهِ ، وَأَعَانَ أَعْوَانَهُ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ . وَلَا زَالَتْ
الْأَنْفُسُ لِقُرْبِهِ مَسْرُورَةً ، وَرَايَاتُ مُجْدِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَأَحْزَابِ الْإِسْلَامِ بَهِيَّةً عَلَى
أَعْدَاءِ الدِّينِ مَنصُورَةً .

الْمُلُوكُ يَقْبَلُ الْبَاسِطَةَ الْعَالِيَةَ بَسَطَ اللهُ ظِلَّهَا ، وَشَكَرَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ فَضْلَهَا . وَيُنْهَى أَنَّهُ
أَتَّصَلَ بِهِ طَيِّبٌ أَخْبَارُهُ ؛ وَقُرْبُ مَزَارِهِ ؛ فَتَضَاعَفَ شَوْقُهُ ، وَتَزَايَدَ تَوْقُهُ ؛ وَهَيَّجَتْ
صَبَابَتُهُ لِأَعْجِهِ ، وَسَهَّلَتْ إِلَى نَيْلِ الْمَسَرَّةِ طُرُقَهُ وَمَنَاجِحَهُ :

وَأَبْرَحَ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا * إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَاوِ !

فَاللهُ يُقَرِّبُ مِنْ أَمَدِ التَّلَاقِ بَعِيدًا ، وَيَجْعَلُ رِذَاءَ الْإِجْتِمَاعِ بِخِدْمَتِهِ قَشِيْبًا جَدِيدًا .

الضرب العاشر

(التهنئة بنزول المنازل المستجدة)

فمن ذلك [من إنشاء] علي بن خلف :

أشرف المنازل رُفَعه ، وأترفها بُقَعه ، وأرفعها رَفَعه ؛ ما آتخذهُ مولانا لنفسه
موطناً ، وجعله بنزوله فيه حرماً آمناً ؛ وصيره بِجُصْب مكارمه للعفاة مراداً ومقصدًا ،
ومُعَذِّب نوافله للظُفَاة مشرعا وموردا ؛ وللسؤدد بجده مَعْقِلا ، وللرياسة بشرفه
مَترِلا ؛ والله تعالى يجعل هذه الدار التي تديرها وحلها ، وحط بها رحله ونزلها ؛ مأهولةً
ببقائه ، آسنةً بسبوغ نعمائه ؛ عامرةً بسعادته ، مشيدةً بتناصر عزه وزيادته ؛ لا تُخْطِئُها
حوائم الآمال ؛ ولا تخطأها دِيمُ الإقبال ؛ ويعرفهُ من بركتها ، ويؤمن عَتبَها ، ما يقضى
بامتداد الاجل ، وأنفساح الأمل ؛ وبلوغ الأمانى ، وآتصال التَّهاني ؛ بمنه وكرمه ؛
إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهى أنه قد اتصل بالملوك تحوُّل مولانا إلى المنزل المنشأ الحديد ، ذى الطالع
السعيد ، والطائر الحميد ؛ فسألتُ الله تعالى أن يُبَوِّثَهُ منه المَبوَأَ الكَرِيم ، ويمتعه فيه
بالدعة والتَّعِيم ؛ والتماء والمزِيد ، والعيش الرِّغِيد ؛ ويجعله واصلاً لحبله ، مأهولاً
بأهله ؛ ويعرفهُ بركة عَتبَتِهِ ، ويملكه بيهائِهِ ونِصَارَتِهِ ؛ وحصل للملوك السُّرورُ بأن بلغه
الله الوَطَر ، فى سَكْنى ماعمره ؛ وأناله الأمل والالتذاذ بخِدْمَتِهِ ، والسُّرورُ بِإِفْضاض
عُدْرَتِهِ ؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

مولانا - أمتع الله بوجوده - غنى عن الهناء بمنزل ينزله ومحل يحلُّه ، إذ الله
سبحانه وتعالى قد كثَّر أوطانه وأدره ، وبلغه فى تمام عمارتها وأنفساحها وطره ؛

وخصه بأفضلها معانا ، وأشرفها مكانا ؛ والمستوجب في الحقيقة للهائه هو الموضع الذي اختاره دارا ، وأرضاه مستقرا ؛ وعرف المملوك انتقاله - لازل يتنقل في بروج السعد ، ويأوى إلى ظل ظليل من المجد - إلى الدار الفلانية لازالت جامعة لشمله ، مانوسة بأهله ؛ فعدل عن خدمته بالهنا ، إلى إخلاص الدعاء ، بأن يعرفه الله تعالى بمنها وبركتها ، ويريه إقبالها وسعادتها ؛ ويقرن تحوله إليها بأمن طائر ، وأبرك طالع ؛ فإن للحركات أوقاتا محمودة ومدمومة : فإذا أعنى الله تعالى بعبد من عبده ، وفرض له نصيبا من تأييده ؛ وفقه للحركة في الزمن السعيد ، والوقت الحميد ؛ لتكون مصيره مشاكلة لمبادئه ، وأعجازه مشابهة لهواديده ؛ والله تعالى يجعل بابها محطا للقصا ، ومناحا للوفاد ؛ ومزارا للعفا ، وملاذا ^(١) [للغنا] ويصل بها حبله ، وينشئ بها طفله ؛ ويضاعف باستيطانها أنسه ، ويسر بتبؤها نفسه ؛ إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغاء :

أسعد المنازل وأشرف المواطن ما استوطنه أيده الله وتبواه ، وتحير نفسه وأرضاه ؛ فعدا بشخصه وطن الإقبال ، وبفائض كرمه حرم الآمال ؛ وبشرفه للسودد معقلا ، وبئبله للرياسة منزلا ؛ فعرفه الله بمن هذه الدار المعمورة محلول البركات ، المحفوفة بتناصر السعادات ؛ وجعلها وكل ربع يقطنه ، ومحل يسكنه ؛ مبشرا بامتداد بقاءه ، وأهلا بالزيادة في نعمائه .

وله في مثله :

كل وطن يحله - أيده الله - ويقطنه ، ومحل يتخير ويسكنه ؛ مقصود بالشكر والثناء ، أهل بالحمد والدعاء ؛ لا يخطئه متوارد الآمال ، ولا تنقطع عنه مواد الإقبال ؛

ولذلك صار هذا المنزل السعيد من فضائل الأرض ومحاسنها، وتُجَع الآمال ومعادنها؛
فعرّفه الله يمينه وبركته، وإقباله وسعادته؛ وقرن انتقاله إليه بأسبغ نعمه، وأكمل
سلامة وأبسط قدره وأعلى رتبته .

وله في مثله :

عرّفه الله [من] بركة هذا المنزل المورود، والفناء المقصود، ما يؤبى على سالف
ما أولاه من تكامل البركات، وتناصُر السعادات؛ وجعل مستقره فيه مقروناً بمُؤ
الحال، ونتائج الإقبال؛ في أفسح المدد وأطولها، وأنجح المطالب وأفضلها؛ وعمر
أوطان المكارم بإقباله^(١)، وعَصَد الأمانى بالتَّسَاعِ نَعْمائه .

أجوبة التهئية بقرب المزار، ونزول المنازل المستجدة

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرّقاع يجب أن تُبنى على الاعتداد للهني
بتعهده، والشكر له على تودده؛ والابتهاج بهنائه، والتبرك بدعائه؛ وأن المستجدة غير
مباين لمنزله، ولا خارج عن أحكام محله؛ وأن تمام بركته، أن يؤنس فيه بزيارته؛
وما يشابه هذا .

الضرب الحادى عشر

(نَوَادِرُ التَّهَانِي، وهى خمسة أصناف)

الصفى الأول — تهئية الذمى بإسلامه .

فمن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد فى ترسله، وهو :

وما زالتْ حالك ممثلةً لنا جميل ما وهبَ الله فيك حتى كأنك لم تزل بالإسلام
موسوماً، وإن كنت على غيره مقيماً؛ وقد كُفّا مؤمّلين لما صرّت إليه، ومُشفقين لك

(١) لعله ببقائه ليناسب السجع الذى بعده .

مَّا كُنْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَادَ إِشْفَاؤُنَا يَسْتَعْلَى عَلَى رَجَائِنَا ، أَتَتِ السَّعَادَةُ فَيْكَ بِمَا لَمْ تَزَلِ
الْأَنْفُسُ تَعُدُّ مِنْكَ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الَّذِي تَوَرَّلَكَ فِي رَأْيِكَ ، وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رُشْدِكَ ،
أَنْ يُوَهِّلَكَ لِمَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ يُؤْتِيَكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَيَقِيَكَ عَذَابَ النَّارِ .

ومن ذلك ، من كلام أَبِي الْعَيْنَاءِ :

وَلَتَهْنِئَكَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أَخَوَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ؛
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَوَّزَ قَدْحَكَ [وَأ] عَلَى كَعْبِكَ ، وَأَنْقَذَ مِنَ النَّارِ شِلْوُكَ ؛ وَخَلَّصَكَ مِنْ لَبْسِ
الشَّكِّ ، وَحَيْرَةِ الشَّرْكِ ؛ فَأَصْبَحْتَ قَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْيَارِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْآحَادِ الْجُمُعَ ؛
وَبِقِبْلَةِ الشَّامِ ، الْبَيْتَ الْحَرَامَ ؛ وَبِتَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ ، صِحَّةَ التَّنْزِيلِ ؛ وَبِأَوْنَانِ
الْمُشْرِكِينَ ، قِبْلَةَ الْمُوحِّدِينَ ؛ وَبِحُكْمِ الْأُسْقُفِّ رَأْسِ الْمُلْحِدِينَ [حَكَمَ] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ مَا نَعْمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَذَكَرَكَ شُكْرَهُ ،
وَزَادَكَ بِالشُّكْرِ مِنْ فَضْلِهِ .

أَجْوِبَةُ التَّهْنِئَةِ بِإِسْلَامِ ذِمِّي

قال في "موادِّ البيان" : أجوبة هذه الرِّقَاعِ ينبغي أن تكون مبنية على شكر المَهْنِئِ
لِلْمُهْنِئِ ، وَاعْتَرَاغِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَهُ ، وَابْتِهَاجِهِ بِمَارَاجَتِهِ فِي الدِّينِ ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ
أَهْلَهُ إِخْوَانًا مُتَصَافِينَ ، وَخُلَآئًا مُتَوَافِينَ ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَبِلِمَاطَةِ الْحَسَائِفِ (١) مِنْ
قُلُوبِهِمْ ، وَنَحْوِ هَذَا .

الصَّنْفُ الثَّانِي - التَّهْنِئَةُ بِالْخِتَانِ وَخُرُوجِ النَّحْيَةِ .

فمن ذلك تهنئة لأَمِيرٍ يَخْتَانُ وَلَدَيْنَ لَهُ :

فمن خصائص ما حَبَّاهُ اللَّهُ بَعْدَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فِي نَفْسِهِ - نَفْسُ اللَّهِ مُدَّتَهَا ؛ وَوَسَّعَ
لَهُ مُهْلَتَهَا ، وَأَقْبَى الْأَعْدَادَ دُونَ فَنَائِهَا ، وَالْأَعْمَارَ دُونَ تَصَرُّمِهَا وَأَتْنَاهَا : [مِنْ] الْفَضَائِلِ

(١) الحسائِف جمع حسيفة وهي الضغينة والسخيمة أنظر اللسان في ج ١٠ مادة ح س ف .

المشهوره، والمحاسن المذكوره، والمناقب الماثوره، وأقسام الفضل الذى يتقضى
دُونَ تصرُّم(?) منازله وصف الواصف إذا أفرط، وينتهى دون أيسرها أمل الآمل
إذا اشتط - ما وهب الله له من أولادٍ سادية فضلهم فى الأخلاق والصُّور، وأكملهم
فى الأجسام والمِرَب، وقدمهم فى العُتُول والأفهام، والقَرَائخ والألباب، ولم يجعل
للعُايِب فيهم سيمه، ولا للإِناثِ بينهم شرکه؛ حتى يكون مسلماً لهم قصب العُلا
والمفانخر، وصدور الأسرّة والمنابر؛ من غير منازع، ولا مقارع، ولا مُساهم،
ولا مُقاسم، وزادهم من الثَّماء فى النِّشء والبركة واليمن بما يؤذِن الحاضرُ منه بالغابر،
ويدلُّ البادى على الآخر؛ وعداً من الله تعالى ذكره لهم بأوفى السعادات، وأكمل
الخيرات وأعلى الدَّرجات؛ أرجو أن يجعل الله التَّجَجَّ قرينه، والنجاة ذريعته؛
وما أولاه فيهم فى هذه الحال الحادثة التى يَعدُق الله بها أداء الفريضة، وكِمال
الشريعة؛ ويقع التطيرُ بالِحَتان، الذى جعله الله من شروط الإيمان، وفرضه على
جميع الأديان: من السَّلامة على عِظَم الخطر، وشِدَّة الغرر؛ فى إمضاء الحديد على
أعضاءِ ناعمه، وإيصال الألم إلى قلوبٍ وادعة، لم تُقَارِعَ نصِّبا، ولم تُعانِ وصِّبا؛
وآجتماع فيه إلى رَقَّة الصِّبا، وضعف الأسر والقوى؛ أعتياد الرحمة، ومخالفة الترفه
والتثقل بين الشهوات؛ على أن كلَّ واحد من الأميرين شهد المعركة أعزَلَ حاسرا،
وباشر الحرب مغرَّرا مُخاطرا؛ فثبت لوقع السَّلاح، وصبر على ألم الجراح؛ وأبلى
بلاء الفارس المُدجَّج، والكَيِّ المقَّع؛ ثم خرج خُروج شبل اللبث، وفرخ العقاب،
كالقذح المُعلَّى والشَّهاب الساطع، والنَّجم الناقب؛ وكان فلان أكثرهما تغيرا فى وجه
قرنه، وسطوة على منازله؛ وكلُّ قد حصَّل فوق الحِصَل، وحوى فضيلة السَّبق؛
وَأَسْتَحَقَّ أَسْمَ البأس والشَّده، وحلية البسالة والنَّجده.

ومن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد في كتابه :

الحمد لله الذي كَسَاكَ بِالْحَلِيَةِ حُلَّةَ الْوَقَارِ ، وَرَدَّكَ رِدَاءَ ذِي السَّمْتِ مِنَ الْأُبْرَارِ
وَالْأَخْيَارِ ؛ وَصَانَكَ عَنْ مَيْسَمِ الصَّبَا ، وَمَطَامَعَ أَهْلِ الْهَوَى ؛ بِمَا جَلَّلَكَ مِنَ الْحَلِيَةِ
الْبَهِيَّةِ ، وَأَلْبَسَكَ مِنْ لِبَاسِ ذَوِي الْأَلْبِ وَالرَّوْيَةِ ؛ وَأَلْحَقَكَ فِي مُتَصَرِّفَاتِهِ بِمَنْ يَسْتَقِلُّ
بِنَفْسِهِ سَاعِيَا ، وَيَسْتَفْنِي عَمَّنْ صَحْبِهِ حَافِظًا ؛ وَجَعَلَ مَا جَمَلَ مِنْ صُورَتِكَ ، وَكُلَّ مِنْ
أَدَاتِكَ وَآلَتِكَ ؛ قِرْنًا لِمَنْ جَاذَبَكَ ، وَخَصْمًا لِمَنْ نَازَعَكَ ؛ وَفَنَى عَنْكَ ذِلَّةَ الْإِحْتِقَارِ ، مِنْ
أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالْأَخْطَارِ ؛ تَسْتَوِي [بِهِمْ] فِي الْمَجَالِسِ الْحَافِلَةِ ، وَتَجْرِي جَرَاحِمُ فِي الْمَشَاهِدِ
الْجَامِعَةِ ؛ مَسْمُوعًا قَوْلُكَ إِذَا قُلْتَ ، وَمُضْنَى إِلَيْكَ إِذَا نَطَقْتَ ؛ أَمْنًا مِنْ أَنْصَرَفِ
الْأَبْصَارِ عَنْكَ لِقُرْبِ وَلَادِكَ ، وَمِنْ [عَدَمِ] الْإِسْتِمَاعِ لِحَدِيثِكَ لِقَلَّةِ الثَّقَةِ بِسَدَادِكَ ؛
وَجَارِيًا تَجْرِي كَلِمَةُ الرِّجَالِ عَلَى الْجُمْلَةِ ، إِلَى أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ تَحَارِيرَكَ بِالْمَحْنَةِ ؛ وَتَعْطَى
الْمَهَابَةَ مِنَ الدَّاعِرِ الْعَادِي ، وَمِنْ السَّبْعِ الضَّارِي ؛ وَلَوْ كَانَ عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْكُسُوفِ
الشَّرِيفَةِ ، وَالْحَلِيَةِ الْمَلْحُوظَةِ ؛ لَسِيقَتْ إِلَى الْإِزْدِرَاءِ بِالْأَعْيُنِ ، وَالْإِسْتِصْغَارِ بِالْقُلُوبِ
وَالْإِنْسَانِ ؛ أَصْنَافُ الْحَيَوَانِ : مِنَ الْبَهِيمَةِ وَالْإِنْسَانِ ؛ ثُمَّ لَا يُحْسِنُ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً عَلَى
الدَّفْعِ عَنْهَا ، وَلَا مِنْ صَرَعَتِهِ ثَبَاتًا (؟) عَلَى يَدِهَا فِيهِ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَبَاكَ
بِمَرْتَبَتِهَا فِي جَمَالِ عَشَاكَ ، وَكَيْالِ أَتَاكَ ؛ فَلْيَصُدِّقْ بِهَا اعْتِرَافَكَ وَشُكْرَكَ ، وَلْيَحْسُنْ ثَنَاؤُكَ
وَنَشْرُكَ ؛ قَضَاءً لِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَاسْتِذْرَارًا فِي الْمَزِيدِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ .

الصنف الثالث — التهنئة بالمرض .

أبو الفرج البغواء :

فِي ذِكْرِ اللَّهِ سَيِّدِي هَذَا الْعَارِضِ — أَمَا طَهُ اللَّهُ وَصَرَفَهُ ، وَجَعَلَ صِحَّةَ الْأَبَدِ خَلْفَهُ —
مَادَّلَ عَلَى مَلَا حَظَّتْهُ إِيَّاهُ بِالْعَنَاءِ ، إِيقَظًا لَهُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ ؛ إِذْ كَانَ تَعَالَى لَا يُدْكِرُ

(١) غشى فلان فلانا أناه كغشاء يفشوه . قاموس .

بَطْرُوقِ الْآلَامِ ، وَتَبْيِهِ الْعِظَاتِ ، غَيْرَ الصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِهِ ، الْخَيْرَةِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ؛ فَهَنَاهُ
 اللَّهُ الْفَوْزَ بِأَجْرِ مَائِعَانِيهِ ، وَحَمَلَ عَنْهُ بِالْطَّافَةِ نَقْلَ مَا هُوَ فِيهِ ؛ وَأَعْقَبَ مَا اخْتَصَّصَهُ
 مِنْ ذَخَائِرِ الْمُثُوبَةِ وَالْأَجْرِ بِعَافِيَةٍ تَقْتَضِيهِ ؛ وَلَا سَلَبَ الدُّنْيَا جَمَالَ بَقَائِهِ ، وَلَا نَقْلَ ظِلِّهِ
 عَنْ كَافَّةِ خَدَمِهِ وَأَوْلِيَائِهِ .

الصفيف الرابع - التهنية بالصَّرف عن الولاية .

أبو الفرج البيهقي :

مَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ رُتَبِ الرِّيَاسَةِ وَالنُّبُلِ ، كَانَ مَعْظَمًا فِي حَالَتِي
 الْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ ؛ لَا يَقْدَحُ فِي قَدْرِهِ تَغْيِيرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَنْقُلُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ مِنَ الْفَضْلِ
 تَنْقُلُ الْأَعْمَالُ ؛ إِذْ كَانَ أَسْتِيحَاشُهَا لِلْفَاسِتِ مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ ، بِحَسَبِ أَنْسَاهَا كَانَ
 بِمَا أَفَادَتْهُ مِنْ مُجُودِ أَثَرِهِ . فَهَنَاهُ اللَّهُ نِعْمَةَ الْكِفَايَةِ ، وَأَوْزَعَهُ شُكْرَ مَا أَحْتَازَهُ مِنَ
 النَّزَاهَةِ وَالصِّيَانَةِ ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ مَتَسَرِّفَاتِهِ ، وَالْخَيْرَةِ الضَّامِنَةِ
 لِمَوَاقِبِ إِرَادَاتِهِ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ لِمُسْتَحْدَثِ الْأَعْمَالِ وَمُسْتَجِدِّ الْوِلَايَاتِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا اخْتَصَّصَكَ بِهِ
 مِنْ كَمَالِ الْفَضْلِ ، وَمَأْثُورِ النُّبُلِ ، لِحَازِنَا أَنْتَقَالَ ذَلِكَ بِأَنْتَقَالِ مَا كُنْتَ نَتَوَلَّاهُ بِمُجُودِ
 كِفَايَتِكَ ، وَتَحَوُّطِهِ بِنَوَاطِرِ نَزَاهَتِكَ وَصِيَانَتِكَ ؛ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَكَ بِالْفَضْلِ
 مَتَقَمِّصًا ، وَبِالْحَمَامِدِ مَتَخَصِّصًا ؛ فَلَا أَسْفُ فِيمَا تَنْظُرُ فِيهِ عَلَيْكَ لَامِنِكَ ، وَالْفَائِدَةُ فِيمَا
 نَتَقَلَّدُهُ بِكَ لَالِكَ ؛ وَلِذَلِكَ كُنْتَ بِالصَّرفِ مَهْنًا مُسْرُورًا ، كَمَا كُنْتَ فِي الْوِلَايَةِ مُجُودًا
 مُشْكُورًا ؛ فَلَا أَخْلَاكَ اللَّهُ مِنْ تَوَاصُلِ آلَائِهِ ، وَتَظَاهُرِ نِعْمَائِهِ ؛ فِي سَائِرِ مَا تُبْرِمُهُ
 وَتُخْصِيهِ ، وَتَعْتَمِدُهُ وَتَرْتَبِيهِ .

أبو الحسين بن سعد - عمن تولى عملاً إلى من صرف عنه :
 قد قلدتُ العملَ بناحيك ، فهناك الله تجديد ولايتك ، وأنفذتُ خليفتي لخلافتك ؛
 فلا تُخلِه من تبصيرك وهدايتك ، إلى أن يمين الله بزيارتك .

تهنئة بصرف عن ولاية :

لو كانت رئاسة سيدي مجيبة من عُروش الولايات ، وسيادته خارجة عن ساندج
 التصرفات ، لأشفق أوليائه من زوالها بمزايلتهما ، وحذروا من انتقالها بنقلهما ؛ لكن
 ماؤسم به من الكمال ، وعلا به من رتب الجلال ؛ موجود في غريزته وجود الفرد
 في السيف المأثور ، والألاء في النور ؛ وإذا تصرف ، أورد الله الرعية من مشاريعها
 نطافاً ، وأسبغ عليهم من ظلها عطافاً ؛ وإذا أنصرف خير مسبل تقلص ، وعيش
 رائع تنقص ؛ والأسف على العمل السليب من حلل سياسته الفاضله ، العاقل
 من حلي سيرته العادله ؛ ولهذا أصبح - أيده الله - بالعزل مبتهجا مسرورا ، كما كان
 في الولاية محموداً مشكوراً ؛ وأنطلقت السنة أوليائه ، في هنائه ، بما وهبه الله من الرفاهية
 والدعة ، وحطه عنه من الأثقال المقلقة ؛ ولا سيما وقد علم الخاص والعام أن الأعمال
 إذا ردت إليه ، وعول فيها عليه ؛ تسلم المودع وديعته ، والناشد ضالته ؛ وإذا عدل
 فيها إلى غيره تناولها الغاصب ، وأستولى عليها استيلاء السالب ؛ فلا تزال نازعة
 إلى ربها ، متطلعة إلى خطبها ؛ حتى تعود إلى محلها ، وترجع إلى نصليها ؛ والله تعالى
 أسأل أن يقضي مولانا ببلوغ الأوطار ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهنئة بالصرف عن الولاية والخدمة

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبتها مبنية على شكر الأهتمام والاعتداد
 بالمشاركة في الأحوال ، مع وقوع ما ورد من الخطاب الموقع اللطيف ، وما ينتظم
 في هذا السلك .

جواب مَنْ ورد عليه كُتَابٌ من وَلِيِّ مكانه في معنى ذلك .
فمن ذلك :

ما أَنْصَرَفْتُ عَنِّي نِعْمَةٌ أُهْدِيْتُ إِلَيْكَ ، ولا خَلَوْتُ من كَرَامَةٍ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْكَ ؛ وَإِنِّي
لَأَجِدُ صَرْفِي بِكَ وَلَايَةً ثَانِيَةً ، وَحُلَّةً من الْوِزْرِ وَاقِيَةً ؛ لِمَا أَمَلُهُ بِمَكَانِكَ من حَمِيدِ
الْعَاقِبَةِ وَحُسْنِ الْخَاتَمَةِ .

الصنف الخامس — تهنئة من تزوجت أمه بزواجها .

قد تقدم في أول المقالة الأولى في حكاية حائك الكلام مع عمرو بن مسعدة وزير
المأمون ، أنه قال يُكْتَبُ إليه :

أما بعد ، فَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي عَلَى خِلَافِ مَحَابِّ الْمَخْلُوقِينَ [والله يُخْتَارُ لِعِبَادِهِ] ، نَفَارَ
اللهِ لَكَ فِي قَبْضِهَا [إليه ، فَإِنَّ الْقُبُورَ أَكْرَمُ الْأَكْفَاءِ] والسلام .

أبو الفرج البغاء : وقد أمره سيف الدولة أَبُو حَمْدَانَ بِالْكِتَابَةِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ آمْتَحَانًا لَهُ :
مَنْ سَلَكَ إِلَيْكَ — أَعَزَّكَ اللهُ — سَبِيلَ الْإِتِّسَاطِ ، لم يَسْتَوْعِرْ مَسْلَكَ من
المُخَاطَبَةِ فِيمَا يَحْسُنُ الْإِتِّقَابُضَ عَنْ ذِكْرِ مِثْلِهِ . وَأَتَّصَلَ بِي مَا كَانَ مِنْ خَيْرِ الْوَاجِبَةِ
الْحَقِّ عَلَيْكَ ، الْمُنْسُوبَةِ بَعْدَ نِسْبَتِكَ إِلَيْهَا إِلَيْكَ — وَفَرَّ اللهُ صِيَانَتَهَا — فِي اخْتِيَارِهَا مَا لَوْلَا أَنَّ
الْأَنْفُسَ تَتَنَازَرُ ، وَشَرَعَ الْمُرُوءَةُ يَحْظُرُهُ ؛ لَكُنْتُ فِي مِثْلِهِ بِالرَّضَا أَوْلَى ، وبِالْإِعْتِدَادِ
بِمَا جَدَّدَهُ اللهُ فِي صِيَانَتِهَا أُخْرَى ؛ فَلَا يُسَخِّطَنَّكَ مِنْ ذَلِكَ مَارِضِيَّةٌ وَجُوبُ الشَّرْعِ ،
وَحَسَنُهُ أَدَبُ الدِّيَانَةِ ؛ وَمُبَاحٌ اللهُ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ لَمَّا عَدِمَ
اخْتِيَارُهُ تَسَخُّطَ اخْتِيَارِ الْقَدَرِ لَهُ ، والسلام .

(١) تقدم في ج ١ ص ١٤٢ "وزير المنعم"

(٢) الزيادة مما تقدم في ج ١ ص ١٤٥ .

النوع الثاني

(من مقاصد المكاتبات التعازي)

قال في "موادّ البيان" : المكاتبَةُ في التعزية بالأحداث العارضة في هذه الدنيا واسعة المجال : لما تتضمنه من الإرشاد إلى الصبر، والتسليم إلى الله جلّت قدرته، وتسليّة المعزى عما يُسلبه بمشاركة السابقين فيه، ووَعْدِهِ بِحُسْنِ الْعَوَضِ في الجزاء عنه؛ إلى غير ذلك مما ينتظم في هذا المعنى . قال : والكَاتِبُ إذا كان جَيِّدَ الْغَرِيزَةِ حَسَنَ التَّائِي فِيهَا، بَلَغَ الْمَرَادَ . ثم قال : وَحُكْمُهَا حُكْمُ التَّهَانِي مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمَرْعُوسِ وَمِنَ الْمَرْعُوسِ إِلَى الرَّئِيسِ وَمِنَ النَّظِيرِ إِلَى النَّظِيرِ .

ثم التعزية على أَضْرَبَ :

الضرب الأول

(التعزية بالآبِن)

أَبْلَغُ مَا كُتِبَ بِهِ فِي ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، مَعَزِّيًّا لَهُ بِابْنِهِ لَهُ مَاتَ ، فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سَعْدٍ فِي تَرْسُلِهِ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ فِي صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ ، وَهُوَ :

«من محمد رسول الله إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

«سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»

«أما بعد، فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك»

«الشكر. ثم إِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِيْنَا وَمَوَالِيْنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ السَّنِيَّةِ، وَعَوَارِفِهِ»^(١)

(١) في أصولنا بالفاء ورواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية .

«المستودعة، تمتع بها إلى أجلٍ معدود، وتقبض لوقتٍ معلوم؛»
 «ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى؛ وكان أبناك من»
 «مواهب الله الهنيئة، وعوارفه المستودعة؛ متعك به في غبطة وسرور،»
 «وقبضه منك بأجرٍ كثير: الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت»
 «وأحتسبت؛ فلا تنجعن عليك يامعاذ خصلتين^(١) إن يحبط جزعك»
 «صبرك فتندم على ما فاتك؛ فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد أطعت»
 «ربك وتجزت موعوده، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه . وأعلم»
 «أن الجزع لا يرد ميتا، ولا يدفع حزنا؛ فأحسن الجزاء وتجز الموعود؛»
 «وليذهب أسفك ماهو نازل بك فكأن قد .»

من كلام المتأخرين :

تعزية بولد . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة، وهي بعد الألقاب .

وأحسن عزاءه بأعز فقيد، وأحب حبيب ووليد؛ وعوض بجمل الصبر جوانحه
 التي سئلت عن الأسى فقالت : ثابت ويزيد . صدرت هذه المفاوضة تهدي إليه
 سلاما يعز عليه أن يتبع بالتعزية ، وشاء يسق عليه أن يطرح حائم سبعة المطربة
 بحام الشجو المبكية المنكية ؛ وتوضح لعلمه ورود مكاتبته المؤلمة ، فوقفتا عليها إلا أن
 الدمعة ماوقفت ، وخواطير الإشفاق عليه وعلى من عنده طفت حرقها وما أنطفت ؛

(١) في أصولنا بالفاء ورواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية .

(٢) أى فقد الثواب وفقد الولد . وإليه يشير من عزى عمر بن عبد العزيز بأنه فقال :

وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن * فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب

وعلمنا ماشرحه ولم يشرح الصدر على العادة - من وفاة الولد فلان، سقى الله عهده
 ولحده، ونضر وجهه ونعمد بالرضوان خاله وحده، وما بقى إلا التمسك بأسباب
 الصبر، والتفويض إلى من له الأمر، والدنيا طريق والآخرة دارٌ ودهليزها القبر؛
 وللبر من تثبته وازع، والاجتماع بالأحبة الراحلين واقع؛ إن لم يصبروا إلينا صرنا
 إليهم، وإن لم يقدموا في الدار الفانية علينا قدمنا في الدار الباقية عليهم؛ نسأل الله
 تعالى أن يجمعنا في مستقر رحمته، ويحضرنا مع الأطفال أومع المتطفلين ولائم جنته؛
 والله تعالى يدارك بالصبر الجميل قلبه، ولا يجمع عليه فقد الثواب وفقد الأحبة.

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

رزقه الله تعالى ثباتاً على رزيته وصبراً، وجعل له مع كل عسر يسراً؛ وأبقاه
 مفدى بالأنفس والنفائس، وكان له أعظم حافظ من نوب الدهر وأجل حارس.
 المملوك ينهى علمه بهذه النازلة التي فتت القلوب والأبصار، وكادت أن تفرق
 بين الأرواح والأجساد؛ وأذات ذخائر العيون، وأبتدلت من المدايع كل مصون؛
 وأذابت المهج تحرقاً وتلهباً، وجعلت كل قلب في نارٍ الأسى والأسف متقلباً؛
 وهى وفاة ولده الذى صغر سنه، وتزايد لفقده هم المملوك وحرته :

ونجلك لا يئس على قدر سنه * ولكن على قدر المخيلة والأصل !

وكان الأمل يحدث بأنه يشد للولـى أزره، ويشرح بره صدره؛ ويؤثل مجده،
 ويبيق الذكر الجميل بعده؛ ففقد من بين أترابه، وذوى عند ما أئنع غصن شبايه؛
 وغيب منظره الوسيم في لحده وترابه؛ وسيدنا يعلم أن الموت منهل لا بد من ورده،
 وابن آدم زرع لا بد من حصده؛ وأن المنية تشمل الصغير والكبير، والجليل والحقير،

والغنيَّ والفقير ؛ فينبغي له أَسْتَعْمَالَ صَبْرِهِ ، وَالْأَسْتِشَارَ بِمُضَاعَفَةِ أَجْرِهِ ؛ وَاللَّهَ يَمْتَنِعُهُ
بِأَهْلِهِ وَطُولِ عُمُرِهِ .

وله :

لَهْفِي وَمَا لَهْفِي عَلَيْكَ بِنَافِعِ ! * كَلَّا وَلَا وَجَدِي وَلَا حُرْقَاتِي !
يَا مَنْ قَضَى قَفْضِي سُورِي بَعْدَهُ * وَتَحَدَّرَتْ أَسْفًا لَهُ عِبْرَاتِي !
عُقْدُ التَّجَلُّدِ حَلَّهَا فَرَطُ الْأُسَى * وَالْقَلْبُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحَسَرَاتِ !
لَوْ كُنْتُ مَنْ يُشْتَرَى أَوْ يُقْتَدَى * لَفُئِدَتِ بِالْأَرْوَاحِ وَالْمُهْجَاتِ !
كُنْتُ الْمُدَّ لِنُصْرَتِي فِي شِدَّتِي * فَقَضَى الْحِمَامُ بِفُرْقَةٍ وَشَتَاتِ !
وَاللَّهِ لَا أُسَيِّتُ نَذْبَكَ وَالْبُكََا * أَبَدًا مَدَى الْأَنْفَاسِ وَاللَّحْظَاتِ !
وَيَسْؤُنِي أَنْ عَشْتُ بَعْدَكَ سَاعَةً * أَسْفًا لِفَقْدِكَ مَيِّتًا وَحَيَاتِي .

أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَ مَوْلَانَا وَمَنَحَهُ صَبْرًا جَمِيلًا ، وَأَجْرًا جَزِيلًا ، وَشَاءَ عَرِيضَ الشُّقَّةِ
لثَبَاتِهِ عَلَى هَذِهِ الْفَادِحَةِ طَوِيلًا ؛ وَجَعَلَ هَذِهِ الرِّزِيَّةَ خَاتِمَةَ الرِّزَايَا ، وَمَحْصَةً جَمِيعِ
الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ؛ وَلَا جَفَعَهُ بَعْدَهَا فِي قُرَّةِ عَيْنٍ ، وَلَا أَوْرَدَ مُحِبُّوًّا شُغْفَ بِهِ قَلْبُهُ الْكَرِيمُ
مَنْهَلَ الْحِمَامِ وَلَا سِقَاهُ كَأْسَ الْحَيْنِ .

الْمَلُوكُ يَقْبَلُ الْبِسَاطَ الَّذِي مَاقِيٌّ لِنَشْرِ الْمَعْدِلَةِ مُبْسُوطًا ، وَكُلُّ أَمَلٍ يَبْرُهُ مَنُوطًا .
وَيُنْهِى إِلَى الْعِلْمِ الشَّرِيفِ عِلْمَهُ بِهَذِهِ الْبُصِيَّةِ الَّتِي أَصَابَتْ فُؤَادَ كُلِّ حُبٍّ فَاصَّتَهُ ،
وَطَرَقَتْ سَمْعَ كُلِّ وَلِيٍّ فَاصَّتَهُ ؛ وَوَلَحَتْ كُلَّ قَلْبٍ فَاحْرَقَتْهُ صَبَابَةٌ وَحُرْنَا ، وَمَرَّتْ
عَلَى الصَّلْدِ فَصَدَّعَتْهُ وَلَوْ كَانَ حُرْنَا ؛ وَهِيَ وَفَاةٌ فَلَانُ سَقَى اللَّهُ عَهْدَهُ ، وَأَسْكَنَ الرَّحْمَةَ
ثَرَاهُ وَلَحْدَهُ ؛ فَشَقَّ أَسْفًا عَلَى الْمَفْقُودِ جِيبَ كُلِّ جَنَانٍ وَطَوَى الْأَكْبَادَ عَلَى جِرَاحِهَا ،
وَحَسَرَ الْأَجْسَادَ عَلَى أَرْوَاحِهَا :

وَمَا هِيَ إِلَّا نَكْبَةٌ أَوْ نَكْبَةٌ * أَهَاجَتْ سَعِيرًا فِي الْحَشَا يَتَلَهَّبُ !
 فَلَا جِسْمَ إِلَّا بِالتَّحَرُّقِ ذَائِبٌ * وَلَا قَلْبَ إِلَّا فِي الْأَسَى يَتَقَلَّبُ !
 بَكَى كُلَّ جَفْنٍ مَضْرَعِ السِّيفِ فَاعْتَدَتْ * عَيُونٌ عَلَيْهِ فِي الْأَبَاطِحِ تَسْكُبُ !
 لَقَدْ هَالُ عُدَالِي بُكَائِي تَعْجِبًا * وَإِنَّ بُكَائِي بَعْدَ فَقْدِهِ أَعْجَبُ !
 فَلَوْرَامَ قُسٍّ وَصَفَ حُزْنِي وَلَوْعَتِي * لَقَصَّرَ فِي أَوْصَافِهِ حِينَ يُسْهِبُ !
 فَوَاللَّهِ لَا جَفَّتْ جُفُونِي مِنَ الْبُكَاءِ * وَإِنْ زَادَ عُدَالِي الْعَنَابَ وَأَطْنَبُوا !

ولهذا أصدر المملوك هذه المطالعة يدعو لمولانا فيها ويعزيه، ويندب فقيدَه بالسنة
 الأقالام ويبيكه ؛ ويشره بما وعد الله الصابرين على مثل هذه الرزية ويسئله ؛
 فيالها نازلةً فجعت بغضن رطيب، وقير يرفل من الشيبة في ثوب قشيب، وصدعت
 القلوب بفقد حبيب وأي حبيب :

والموت نقاد على كفه * جواهر يختار منها الحياد !

وبعد، فللمملوك في هذه الرزية مشاركة كادت تبين بين رُوحه والجسد،
 وهو المصيب لهذه المصيبة ماتجده الوالدة على فقد الولد؛ لا يستقر به قرار، ولا يُخيه
 من يد الحزن فرار؛ دأبه البكاء والعويل، وحزنه العريض الطويل؛ فواضعفاه
 عن حمل هذا المصاب، ووا أسفاه على مسافر لا ينتظر له قدوم ولا إياب؛ ووا عجباه
 ليضدين اجتماعا لوالده الكريم الخائب !

تخون المنايا عهدَه في سليله * وتضمره بين الفوارس والرجل !

وعلى كل حال فهو أجدر من استعان على هذه الحادثة بصبره، وشرح لما قد قدر
 فسيح صدره، وشكر الله على حلو القضاء ومُره؛ فإكان إلا أحد العمرين فقد
 خلفه عمر، وثاني القمرين أقل فقام مقامه هلال قدم من سفر؛ وفي بقاء المولى

ما يُوجب التسليم للقدَر والقضاء ، والشكر لله تعالى في حالتي الشدة والرخاء ؛ جعله الله في حِرْز لا يزال حَرِيْزاً مَكِيناً ، وَحِصْنٌ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ حَصِيناً .

وله : أعظمَ الله أجره ، وأطال عُمره ؛ وشرح صدره ، وأجل صبره ، وسخر له دهره .

المملوك يُنبئ أنه اتَّصل به خبرٌ صدع قلبه ، وسرق رُقاده ولَّبه ، وضاعف أسفه وكرَّبه ؛ وهو [موت] فلان تغمَّده الله برحمته ، وأهمي عليه سحائب مغفرته ؛ وعامله بلطفه ، وجعل الخيرة له في حتفه ؛ فشق ذلك قلبه وعظم عليه ، وقارب لشديد حُرْنه أن يصل إلى ما وصل المرحوم إليه ؛ لكنَّه ثبت نفسه وشبطها ، ورفع يده بالدعاء للولى وبسطها ؛ وسأل الله أن يطيل بقاءه ، ويحسن عزَّاءه ، ويحرسه من أزمات الزمان ، فإنه إذا سلم كان الناس في السلامة والأمان ؛ ويجعله عن كل فائت عَوْضاً ، كما أصاره جَوْهراً وجعل غيره من الأنام عَرَضاً ؛ ولقد جلت هذه الرزية على كلِّ جناب ، ودخل حُرْنها إلى كلِّ قلب من كلِّ باب ؛ جعل الله أجره للولى من أعظم الدخائر ، ومنحه الحياة الأبدية التي لا تنتهي إلى أمد ولا آخر ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(التعزية بالبنات)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال المغربي :

الشيخ فلان عزَّاه الله على احتسابه ، وجعل الثواب المرتقب أفضل أقتنائه وأكتسابه . مُعْزِيه عن فِلْذَةِ كَبْدِهِ ، ومساهمه في أرقه وسهده ، والفات في عضد صبره الجميل وجلده ؛ فلان . فإنِّي كتبته - كتب الله لكم خيراً يُذهب جَزَعَكُمْ ،

وَحَسَنَ مَنَاجَاكُمْ بِالتَّفْدَى الْجَمِيلِ وَمَنَزَعَكُمْ - عِنْدَ مَا وَصَلَنِي وَفَاةُ آبَتِكُمْ الْمَرْحُومَةِ نَفْعَهَا اللَّهُ بِإِيمَانِهَا، وَتَلَقَّاهَا بِرُوحِ الْجَنَّةِ وَرَيَّحَانِهَا؛ وَهِيَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - وَإِنْ أَلَمَّكَ فَقَدْهَا، وَأَوْجَعَكَ أَنْ أَسْأَثَرِهَا لَحْدُهَا؛ فَلْيَعَزَّكَ عَنْهَا مُصَابُنَا بَنِينَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلِمُكَ بِأَنَّا جَمِيعًا بِمَدْرَجَةِ الْحِمَامِ؛ أَتَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ خَالِدًا، وَقَدِيمًا نَكُنُّنَا وَلِيدًا نَحْيِيهَا وَوَالِدًا، فَمَنْ خُلِقَ لِلْفَنَاءِ، وَأَخْتَلَسَ بِمَرِّ السَّاعَاتِ وَالْآثَاءِ، جَدِيرٌ أَنْ يَتَّعِظَ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْزَنَ لَذَهَابِ مَنْ ذَهَبَ مِنْ دَوَى أُنْسِهِ؛ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَجَحْتَ مِيزَانَكَ، وَضَمِنْتَ لَكَ يَوْمَ الْمَعَادِ جَنَانَكَ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا أَحْتِسَابًا جَمِيلًا وَصَبْرًا، وَيُؤْنِسُكَ وَقَدْ آخْتَارَكَ الصَّهْرَ قَبْرًا، وَيَعْظُمُ لَكَ ثَوَابًا جَزِيلًا عَلَى مُصَابِكَ وَأَجْرًا؛ وَيُعِمُّ فَقِيدَتَكَ بِالرَّحْمَى، وَيَسْكُبُ عَلَى جَدَثِهَا مَزْنَهَا الْأَوْكَفَ الْأَهْمَى، وَيُؤْوِيكَ إِلَى كَنَفِهِ الْأَعْظَمِ الْأَهْمَى، بِمَنَّةِ وَرَحْمَتِهِ، لَا رَبَّ غَيْرَهُ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

الضرب الثالث

(التعزية بالأب)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال معزيا بوزير :

يَا سَيِّدِي وَوَاحِدِي، وَحَلَّ الْإِبْنُ الْمُبْرُورُ، وَالْأَخُ الْمَشْكُورُ، عِنْدِي؛ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى، وَرَضَّاكَ بِمَا قَضَى، وَأَمَدَكَ بِالنُّعْمَى، وَشَمِّلَكَ بِالْحُسْنَى؛ كَتَبْتَهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمُ بِمَا نَفَذَ بِهِ الْقَدَرُ الَّذِي هُوَ فِي الْعِبَادِ حَتْمٌ، وَلَهُ فِي كُلِّ عُنُقٍ خَتْمٌ؛ فِي الْوَزِيرِ الْفَقِيهِ الشَّهِيدِ أَبِيكَ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَنَوَاهُ، وَجَعَلَ الْحُسْنَى الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ مَقَرَّهُ وَمَأْوَاهُ؛ فَاسِفْتُ كُلَّ الْأَسَفِ لِفَقْدَانِهِ، وَقَدْ كَانَ عَيْنَ زَمَانِهِ،

وعُمْدَةَ إِخْوَانِهِ ؛ تَعَمِّدُهُ اللَّهُ بِغُفْرَانِهِ ، وَنَقِلْهُ إِلَى رِضْوَانِهِ ؛ وَتِلْكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ -
 غَايَةُ الْأَحْيَاءِ ، وَسَبِيلُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَحْبَاءِ ؛ كَانَ عَلَى رَبِّنَا - جَلَّ وَعَلَا - حَتْمًا مُقَضِّيًّا ،
 وَوَعْدًا مَأْتِيًّا ؛ وَالْأَسْوَدُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي غَمْرِهِ الْفَضْفَاضُ ، وَرَبُّهُ الْفَيَاضُ ، وَأَنَّهُ خُتِمَ لَهُ
 بِالْخَيْرِ وَالْإِتْقَانِ ؛ وَكَانَ آخِرَ ذَلِكَ [الْحَسْبُ] الْقَدِيمُ ، وَالْجَلِيلُ الْكَرِيمُ ؛ وَقَدْ أَمَرَكَ الْخَيْرُ
 فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ وَكُنْ كَمَا ظَنَنْتُكَ وَقَدَّرْتُكَ وَتَرَكْتُكَ ؛ وَإِنَّكَ بِفَضْلِ اللَّهِ تُسَدُّ مَسَدَهُ ،
 وَتُبْلَغُ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ حُضْرَهُ السَّابِقِ وَشِدَّةَ ، وَتُعَدُّ لِلْأَيَّامِ مِنَ الْجَدِّ وَالْإِعْتِرَافِ مَا أَعَدَّهُ ؛
 وَإِخْوَتُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَكَ أَظْهَارُ وَأَعْضَادُ ، وَفِيهِمْ غَزْوٌ وَمُضَادٌ ؛ فَاشْتَمِلْ
 عَلَيْهِمْ ، وَارْفُقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يُزِيلُونَكَ مِزْلَةَ أَبِيهِمْ ، وَتَجِدُ أَخْلَاقَهُ وَعَوْنَهُ فِيهِمْ ؛ وَأَمَّا
 مَا أَعْتَقَدُهُ مِنْ تَكْرِيمِكَ ، وَأَرَاهُ مِنْ تَفْضِيلِكَ وَتَقْدِيمِكَ ؛ فَشَيْءٌ تَشْهَدُ بِهِ نَفْسُكَ ،
 وَيُذَكِّرُكَ يَقِينُكَ وَحَدُسُكَ ؛ أَشَدَّ بِهِ أَعْتَاءً ، وَأَجْمَلُ لَهُ أَسْتَوَاءً ، وَأَوْفَى عَنْكَ رَدَاءً
 وَغَنَاءً ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُتَحَايِينَ فِي خِلَالِهِ ، وَالْمُتَقَلِّبِينَ فِي ظِلَالِهِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الزَّمَانِ
 وَآخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَالسَّلَامِ .

الضرب الرابع

(التعزية بالأم)

أبو محمد بن عبد البر المغربي :

مَا مَاتَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَهُ خَلْفٌ * وَالْكُلُّ فِي الْبَعْضِ غَيْرُ مُتَمَنِّعٍ !

كَتَبَ عَبْدُهُ الْقِنَّ ، مِنَ الْأَسَى لِأَجَلِهِ بَعْضَ مَا يُجِنُّ ؛ الْمُنْطَوِيُّ عَلَى قَلْبٍ تَطْمَنُّ
 الْقُلُوبُ سُلوًا وَلَا يَطْمَنُّ ؛ فَلَان : بَعْدَ وَصُولِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِصَدْعٍ يُضْمِي الْقُلُوبَ ،
 وَيَقْدُّ أَقْوِيَاءَ الْجُيُوبِ ، وَيَتْرُكُ الْأَحْبَابَ مَصْرَعِينَ عَلَى الْجُنُوبِ ، فَوَقَّفَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ
 مَتَرَفِقَ الْمَدَامِعِ ، مَتَحَرِّقَ الْأَصَالِعِ ، رَائِيًّا سَامِعًا تَجَا الْأَبْصَارِ وَأَسَى الْمَسَامِعِ ؛ فَيَأْسِفِي

لَخَطْبَ ضَعْفِ رُكْنِ الْجِدِّ وَكَانَ وَثِيقًا ، وَصَوَّحَ رَوْضَ الْفَضْلِ وَكَانَ وَرِيقًا ؛
وَنَقَّصَ حَسَنَ الصَّبْرِ وَلَمْ يَزَلْ صَدِيقًا ، وَتَرَكَ الْعَبْدَ خَلِيقًا بِهَذَا الْقَوْلِ وَمِثْلِهِ مَعَهُ حَقِيقًا ؛
فَإِهِ لِدَيْنٍ وَمَرْوَةٍ فَقِدَا فِي قَرْنٍ ، وَعَلَى صَوْنٍ وَعَفَافٍ أُدْرِجَا فِي كَفْنٍ ، وَحَصَانٍ رَزَانٍ
لَا تُعْرِفُ بَوْصَمَةَ وَلَا تُزَنِّ ؛ لَقَدْ أَصَمَّ بِهَا النَّاسِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَ ، وَأَرْقَى مَا شَاءَ الْفُؤَادُ
وَأَرَأَى الْمَدْمَعُ ؛ وَلَمْ يُبْقِ قَلْبًا لِلصَّبْرِ إِلَّا صَدْعَهُ ، وَلَا أَنْفًا لِلسُّلُوكِ إِلَّا جَدْعَهُ ؛ وَلَا بَابًا لِلتَّعَزُّيِ
إِلَّا أَرْتَجَهُ ، وَلَا عَقِيمًا لِلنَّاسُفِ إِلَّا أَنْتَجَهُ ؛ وَلَوْ قُبِلَ فِي الْمَوْتِ فِدَاءٌ وَصَحَّ أَنْ يُؤْخَذَ
فِيهِ فِدَاءٌ لَمَا خَلَصَ إِلَيْكُمْ وَلَا أَلَمَ ، وَلَا عَدَاكُمْ فِي صُرُوفِ الْمَنَآيَا الْخَفِيَةِ سَلَمَ ؛
لَكِنْ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَعَمَّ الْحَرْقَةُ ، وَتَسْتَوِلِيَ عَلَى الْوَقْتِ الْقُرْقَةُ .

الضرب الخامس

(التعزية بالأخ)

أبو محمد بن عبد البر :

وَكَتَبْتُ وَالْأَنْفُسَ مَرْتَمِضَةً ، وَالْعَيْنُ غَيْرُ مَعْتَمِضَةٍ ؛ وَالْأَنْفَاسُ تَتَصَعَّدُ ، وَالْأَحْزَانُ
تَتَأَكَّدُ ؛ أَسْفًا لِلصَّابِ الذِي عَمَّ وَغَمَّ ، وَأَسْمَعَ نَعِيَهُ فَاصَمَّ ؛ وَقَالَ لِلْفَرَحِ : كُفَّ مِنْ
عِنَانِكَ ، وَلِلتَّرَجِّ أَنْتَظِرْ لِأَوَانِكَ ؛ بِوَفَاةِ [الفرد] الذِي فِي رَأْسِهِ نُورٌ ، وَسَدَادُ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ
وَسَدَادُ الثُّغُورِ ؛ وَالْفِدَّ الذِي شَهِدَ الرِّجَالَ بِفَضْلِهِ ؛ وَعَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا تَبْجَى بِمِثْلِهِ ؛
أَبِي فَلَانِ صَنِوَكُمْ ، السَّابِقِ الذِي لَا يُجَارَى ، وَالشَّارِقِ الذِي لَا يُسَارَى ؛ وَالْغَيْثِ الذِي
عَمَّ الْمُنَيْلَ وَالْمُسْتَنْبِلَ ، وَاللَّبِثِ الذِي وَرَدَ الْفُرَاتَ زَيْبُهُ وَالنَّيْلَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ! تَسْلِيمًا لِلْقَدَرِ وَإِنْ سَاءَ ، وَشِمْلًا لِلْمَرْءِوسِينَ وَالرُّؤَسَاءِ ؛ فَيَالَهُ مُصَابًا تَرَكَ كُلَّ رَأْسٍ
أَمِيًّا ، وَأَوْدَعَ صَمِيمَ كُلِّ فُؤَادٍ بُكْلًا صَمِيمًا ؛ لَقَدْ أَنْصَلَ السُّمَرَ اللَّهَّازِمَ ، وَأَغْمَدَ الْبَيْضَ
الصَّوَارِمَ ؛ وَعَطَّلَ الْكُتَّابَ وَالْمَقَاتِبَ ، وَأَوْحَشَ الْمَفَاوِزَ وَالسَّبَاسِبَ ؛ وَلَمْ يُبْقِ مَشِيدَ

عَلَّا إِلَّا هَدَّهْ، وَلَا مَدِيدَ ثَاءٍ إِلَّا صَدَّهْ؛ وَلَمْ لَا وَهُوَ الشَّخْصُ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بِشَرِّ كَثِيرٍ،
وَيَبْكِيهِ قَلَمٌ وَحُسَامٌ وَمِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ؛ وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَرِبُهُ جَمِيعًا، وَنُوسِعُهُ بِمَحْضِ الصَّفَاءِ
وَصَفْوِ الثَّاءِ تَوْبَعًا وَتَشْيِيعًا، وَنُقَارِقُهُ فِرَاقَ الصَّدْرِ خَلْدُهُ، وَالْمُصَابِ جَلْدُهُ؛ فَوَاسْفِي
لُرُزْنِهِ مَا أَفْظَعَهُ مَوْقِعًا! وَوَحَارِبًا لِيَوْمِهِ مَا أَظْلَمَهُ مَطْلَعًا! وَوَاحِرْنَا لِنَعْيِهِ مَا أَشْنَعَهُ
مَرَأًى وَمُسْمَعًا!!! فَتَنْ جَرَّتِ الدَّمُوعُ لَهُ دِمَا، وَأَضْمَرَتْ الضُّلُوعُ بِهِ مَضْطَرَمًا؛
لِمَا أَدَّتْ حَقَّهُ وَلَا كَرَبَتْ، وَلَا دَانَتْ بَعْضَ الْوَاجِبِ فِيهِ وَلَا أَقْتَرَبَتْ؛ وَلَوْلَا أَنَّ
الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ لَا يُجَلِّأُ وَارِدُهُ، وَمَعْلَمٌ يَهْدِي إِلَى أُهُدَى سَمْتٍ مُبَاعِدُهُ؛ لَمْ يَبْقَ
فِي أَنْسٍ مَطْمَعٌ، وَلَا لَحْزَنٌ مُسْتَدْفِعٌ، وَلَكَانَ الثَّانِي كُلُّ غَيْرِ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ؛ وَمَا أْتَمَّ
أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَكْرَمُ مَنْ يُبْنَى عَلَى ذُنُوحِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، يَكْتَسِبُهُ، وَصَبْرٌ فِي الرُّزْءِ
الْفَادِحِ، يَحْتَسِبُهُ، فَصَبْرًا فَالْمُنُونُ غَايَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُصْبِحِينَ، وَالنَّبَأُ الَّذِي يُعْلَمُ ذَوْقًا
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ؛ وَهُوَ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرْقَعَ بِمَكَانِكُمْ هَذَا الْخَرَقَ الْمَتَّعِ، وَيَصِلَ
بِحَنَائِكُمْ ذَلِكَ الشَّمْلَ الْمُنْصَدِعِ.

ابن أبي الخصال :

الشَّيْخُ فَلَانٌ أَبْقَاهُ اللَّهُ يَتَلَقَّى الْأَرْزَاءَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، وَجَمِيلِ الْإِحْتِسَابِ، وَيَتَقَاضَى
بِالْتَعَزَى مَرْتَقِبَ الْأَجْرِ، وَمُنْتَظِرَ الثَّوَابِ، مُعْزِيهِ فِي أَخِيهِ الْكَرِيمِ عَلَيْنَا، الْعَظِيمِ مُصَابَهُ
الْفَادِحَ لَدَيْنَا؛ فَلَانٌ : فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صَبْرًا تَجِدُونَ ذُنُوحَهُ، وَأَوْجِبَ
لَكُمْ عَزَاءَ تَجِدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَأْنَهُ وَأَمْرَهُ - عِنْدَ مَا وَصَلَ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي فَلَانٍ
أَخِيكُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ وَنَغَّصَهُ، وَجَشَّمَ جُرْعَ الْحِمَامِ الْمَقْطُوعَةَ وَغُصَصَهُ؛
فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!! أَسْتِسْلِمًا لِقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ، وَأَخْذًا فِيمَا يُدْنِي وَيَقْرُبُ
مِنْ إِرْضَائِهِ؛ وَمَا نَحْنُ إِلَّا بَنُو الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ دَرَجُوا، وَسَنَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا
قَبْلُنَا نَخْرُجُوا؛ جَعَلَنَا اللَّهُ جَمِيعًا مَنْ يَنْظُرُ لِمَعَادِهِ، وَيَجْعَلُ التَّقْوَى خَيْرَ مَا أَوْعَاهُ بِجَدَادِهِ؛

وَسَلِّكَ بِنَا نَهْجَ هِدَايَتِهِ وَطَرِيقَ رَشَادِهِ . وَهُوَ جَلٌّ وَعَلَا يُخْزِلُ لَكُمْ عَلَى مُصَابِكُمْ نَوَابَا
عَمِيمَا مُؤَفُّورَا، وَيَجْعَلُ قَعِيدَكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نُورَا؛ وَيُلْقِيهِ فِي دَارِ الْفِرْدَوْسِ
مُلْكَا كَبِيرَا وَحُبُورَا؛ وَلَوْلَا كَذَا لَسَرَتْ إِلَيْكُمْ لِأَعَزِّيَّتِكُمْ شِفَاهَا ، وَأَحَدَتْكُمْ عَنْ ضُلُوعِ
أَحْرَقَ هَذَا الْمَصَابُ حَشَاهَا؛ لَكِنْ أَمْتَثَلُ أَمْرِهِ الْمُطَاعَ، حَمَلَ عَلَى الْبِدَارِ إِلَى مَا أَمَرَبَهُ
وَالْإِسْرَاعَ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُدِيمُ لَنَا بِكُمْ الْإِمْتِنَاعَ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ، وَالسَّلَامَ .

الضرب السادس

(التعزية بالزوجة)

من كلام المتقدمين :

أبو محمد بن عبد البر :

وقد تَقَرَّرَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَثَبَتَ ثُبُوتَا لَا يَعْلَلُ بِالْإِرْتِيَابِ ، أَنَّ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ
دَائِرَةٌ ، وَمَعْبَرَةٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ سَاكِنَهَا وَإِنْ طَالَ عُمرُهُ ، وَطَارَ فِي الْخَافِقِينَ أَمْرُهُ ،
لَدَيْغٍ سَمَّهَا ؛ وَصَرِيحٍ سَمَّيَهَا ، فَمَا تُضْحِكُ إِلَّا لُتْبِي ، وَلَا تُؤْنِسُ إِلَّا لُتْنِي ؛ وَقَدْ نَفَذَ
الْقَدْرُ الَّذِي مَالَهُ رَدٌّ ، وَلَا مِنْهُ بُدٌّ ؛ بِوَفَاةِ فَلَانَةٍ أَحْلَقَهَا اللَّهُ رِضْوَانَهُ ، وَأَسْكَنَهَا بِفَضْلِهِ
الْمَرْجُو جَنَانَهُ ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !! تَأْسِيًّا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَتَسْلِيًّا عَنْ مَاءِ
الدَّمْعِ السَّالِخِ ، وَزَنْدِ الْقَلْبِ الْقَادِحِ . وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهَا عَقِيلَةً مَعْدُومَةَ الْمَثِيلِ ، مَفْقُودَةً
الدِّينِ وَالْعِقَّةِ فِي هَذَا الْحَيْلِ ؛ مَتَحَلِيَّةً مِنْ دُعَاءِ الْفُقَرَاءِ ، وَثَنَاءِ الصُّلَحَاءِ ، بِالْغُرَّةِ الشَّادِخَةِ
وَالنَّحِيلِ ؛ لَقَدْ ذَهَبَ لَذَاهَابِهَا الرِّفْقُ وَالْحَنَانُ ، وَعُدِمَ لَعَدَمِهَا الشِّيمُ الْبَرَّةُ وَالْأَخْلَاقُ
الْحَسَنَانُ ؛ وَإِنَّ فَقْدَهَا لَخَرَقَ لَا يُرْفَعُ ، وَغُلَّةٌ لَا تُنْقَعُ ؛ وَخَطْبٌ لَا يَزَالُ الدَّهْرُ يُتَذَكَّرُ
فِيَصْدَعُ ، وَلَوْلَا الْعِلْمُ أَنَّ الْحَلَّاقَ بِهَا أَمْرٌ كَائِنٌ ، وَأَنَّ الْمُخَلَّفَ فِي الدُّنْيَا لَا مَحَالَةَ عَنْهَا

بائِن ؛ وَأَنْ التَّنْقُلَ لِلْآخِرَةِ مَا لَمْ تَنْفَكْ نَسْمَعُهُ وَنُعَايِنُ ، لَمَّا بَقِيَتْ صُبَابَةٌ دُمِعَ
إِلَّا أَرْفَضْتُ ، وَلَا دِعَامَةٌ صَبَرُ إِلَّا أَتَقَضَّتْ ؛ وَلَكَانَ الْحُزْنَ غَيْرَ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى ، وَالْوَجْدُ
فَوْقَ مَا يُعِيرَى وَجَرَى ، لَكِنْ لَا مَعْنَى لِحُزْنٍ لَمَّا يَقَعُ فِيهِ الْأَشْتِرَاكُ ، وَلَا وَجْهَ لِأَسْفَافٍ
عَلَى مَا لَا يَصِحُّ فِيهِ الْأَسْتِدْرَاكُ . وَمَا أَنْتُمْ بِمَحْدِ اللَّهِ مِنْ يُدْكَرُ بِمَا هُوَ فِيهِ أَذْكَرُ ،
وَلَا مِنْ يُنَبَّهَ عَلَى مَا هُوَ بِالْتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ أَخْلَقُ وَأَجْدَرُ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ التَّعَاذِيَّ بِمَا أَطْرَدَ بِهِ
الْعَمَلُ ، وَسَنَّهُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ ، لَمَّا سُلِكَ سَبِيلُهُ مَعَكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ قَدَرِ الْأُمُورِ
قَدَرَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَوْ طَالَتْ فَالْمَوْتُ أَثَرُهَا ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بَدْءٌ ، وَلَمْ يَمْنَعْ
مِنْهُ صَدٌّ وَلَا سَدٌّ ؛ فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْجَزَعِ ، وَأَدْلُ عَلَى كَرَمِ الْمُنْحَى وَالْمُتَرَعِّعِ ، وَأَحْرَى
بِأَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ جَزِيلًا ، وَالْجَزَاءُ حَسَنًا جَمِيلًا ؛ وَاللَّهُ يَبْقِيَكُمْ أَنْتُمْ الْبَقَاءُ ، وَيَرْقِيكُمْ
أَنْتُمْ الْإِرْتِقَاءُ .

ابن أبي الخصال :

الشيخ الأجلُّ فلان - آنَسَ اللَّهُ وَحْشَتَهُ ، وَجَدَّدَ عَلَى فَقِيدَتِهِ رَحْمَتَهُ . مَعَزَّيْهِ عَنْ
أَهْلِهِ الْهَالِكَةِ وَسَكَنِهِ ؛ وَمَسَاهِمُهُ بِأَوْجِبِ حُزْنٍ فِي الْقُلُوبِ وَأَسْكَنِهِ . فَلَانُ :
فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ عَنْ دُمُوعِ تَصُوبٍ وَتَلَسَّرِبِ ، وَضُلُوعِ تَحْقُقٍ مِنْ وَجِيبِهَا وَتَضْطَرَبِ ،
وَأَنْسَ يُشْرِدُ مِنَّا وَيَحْتَجِبُ ، بِمَوْتِ فَلَانَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ الَّتِي أَوْدَعَتْ فِي جَوَانِحِنَا مِنَ الثُّكُلِ
مَا أَوْدَعَتْ ، وَرَضَتْ أَكْبَادَنَا بِمُصَابِهَا وَصَدَعَتْ ، عَزَّأَنَا اللَّهُ جَمِيعًا فِيهَا ، وَأَوْلَاهَا نَعِيمًا
فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَتَرْفِيهَا ، وَأَعْقَبَنَا مِنَ الْوَحْشَةِ أَنْسَا ، وَعَمَّرَ بِالرُّحْمَى جَدَنًا مَبَارَكَا
وَرَمَسَا ؛ وَجَعَلْنَا كُلًّا مِنْ يَرْدَعُ عَنِ الْإِنْحِطَاطِ إِلَى الدُّنْيَا نَفْسًا ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

لَمَّا عَلمَ مَمْلوكُ المَجلسِ السامى أَطالَ اللهُ بقاءَهُ ، وأَعَظَمَ أَجرَهُ وأَحسنَ عَزاؤَهُ ، وفَاةَ السَيدةِ المَرحومَةِ سَقى اللهُ عَهدَها عَهداً يَبُلُّ الثَرى ، وجعلَ الرَحمَةَ لِمَن نَزَلَتْ بِهِ لها القَرى ؛ تَأَلَّمَ لِفَقَدها غَايَةَ الأَلَمِ ، ووَجَدَ حُرْقَةً كَسَتهُ ثوبى صَنَى وَسَقَمَ ؛ وحُزناً لا يَعبُرُ عنهُ بَعارَةُ بَيانِهِ ، ولا يَستوعِبُ وصفَهُ بلسانِ قَلَمِهِ وبَنانِهِ :

وَلَوْ كانَ النِّساءُ كَمَن فَقدَنا * لَفُضِّلَتِ النِّساءُ عَلى الرِّجالِ !

والمولى أوفى من عزى نفسه ، وأستحسن رداء الصبر ولبسه ؛ وعلم أن الموت غريم لا ينجى منه كثرة المطال ، ولا يدافع بالأطلاب والأبطال ؛ وأنه إذا طالب بذمة كان ألد الخصام ، وإذا حارب فعل بيده ما لا تفعله الكماة بجد الحسام .

الضرب السابع

(التعازي المطلقة مما يصلح إيراده في كل صنف)

من ذلك ، من ترسل أبى الحسين بن سعد :

مَن صَحِبَ الأَيامَ وتَقَلَّبَ فى آناها ، أَعَتَورَته أَحدائُها ، وأَخْتَلَفَتْ عَليه أَحكامُها ؛ بَينَ مَسَرَّةٍ ومَساءَةٍ يَعتَقِبانِ ، وفَرَحَةٍ وَرَحةٍ يَتَنابَوانِ [وكان] فِما تَأْتِيهِ مِن مَحبُوبِها عَلى غَيرِ ثِقَةٍ مِن دَوامِهِ وأَتصالِهِ ، ولا أَمِنَ مِن تَغيرِهِ وأَنتقالِهِ ؛ حَتَّى تَعقُبَ السَلامَةُ حَسِرَةً ، وتَسحِيلُ النَعمَةُ مَحنَةً ؛ والسَعيدُ مَن وَفَّقَ فى كُلِّ حالٍ لِحَظِّهِ ، وأُعِينَ عَلى ما فيه سَلامَةُ دِينِهِ : مِن الشُّكْرِ عَلى المَؤِهِبَةِ ، والصَبْرِ عَلى النازِلَةِ ، وتَقديمِ حَقِّ اللهِ تَعالى

في حال العِبطَة والرَّزِيَّة . ولم تكن بالْفَجِيعَة به مُفَرِّدا عَنِّي وإن كان النَّسَبُ يقرِّبه منك ، والرَّحِمُ تَصِلُهُ بك : لما كُنْتُ أُوجِبُه من حَقِّه ، وأرعاه من مَوَدَّتِه ، وأختَصَّه بالاعتدَاد فيه دُونَ أدَانِي أَهْلِي والثَّقَة من إخوانِي ، فمَضَى رَحْمَهُ اللهُ أَقْوَى ما كان الأَمَلُ فيه ، وأَكَل ما كان عليه في لُبِّه وأَدَبِه ، واجْتَمَعَ فَهْمُهُ وكَمال هَدْيِهِ ، وانتظام أسباب الخَيْر وأدَوَات الفضل فيه .

ومنه : لا يُنْكَرُ للبعد أن يتناوَلَ مولاَه عند وَقوعِ الحِنة في أَهْل خاصَّتِه ، وتَحَوَّن رَيْبُ المُنون من حاشيتِه ، بالتَّعْزِيَة عن مُصِيبَتِه ، والإخبار عما يُحْصُهُ من أَلَمٍ فيعِنته وعُظُم رَزِيَّتِه ، لاسِيَّما إذا كانَ بِحَيْثُ لا يُرَى شَخْصُهُ في الباكين ، ولا تُسْمَعُ صَرخَتُه بين المتَفَجِّعين ، ولو سَعَيْت على حَدَقَتِي .
ومن ذلك :

إنَّ الله تعالى أَمَرَ أَهْلَ طاعَتِه ، بتزِيل هذه الدنيا بِمُتْرَلِها من إهانَتِه ، وسوَى بين البرِّ والفاجر في رِغائِبها ومَصائِبها ، ولم يجعل العَطِيَّةَ دَلِيلًا على رِضاَه ، ولا الرِّزِيَّةَ دَلِيلًا على سُخْطِه ، ولكنَّه أَلَزَمَ كُلَّ واحدٍ من أَهْلِ الرِّضا والسُّخْطِ من نَعَمِها بِنَصيب ، وسقاهم من حِوَادِثِها بِذُنُوب : لِيَتَلَى أَهْلُ رِضاَه في أَهْوَائِ الدارين عليه ، ويُحَسِّن لهم الجِزَاءَ في أَكْرَمِها لَدَيْهِ ، ولذلك حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الزَّهادَةَ في زَهيدِ فائِدَتِها ، ومُنَّوح زَهْرَتِها ، وسَمَّاهَا لَعِبًا وَلَهْوَ : لئَلَّا يَعْتَقُوا بِحُطَايِها ، وَيَنْعَمِسُوا في آثامِها ، وَخَمَمَها بالموت الذي كَتَبَهُ على خَلِيقَتِه ، وسوَى بَيْنَهُم في سَكَنَتِه : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ . ويُقَرِّبُهُم بِدارِ يَفْنَى الموتُ وَيَقْوُونَ فيها بَعْدَه ، كما فَنَوْا في هذه الدارِ وبقي الموتُ بَعْدَهُم ؛ فَإِنْ تَأَخَّرَ الأَجَلُ فإِلَى غايِه ، وإن تَطاوَلَ الأَمَدُ فإِلَى نِهايِه ؛ ولأَبَدٍ أَنْ يَلْحَقَ التَّالِي المَاضِي ، والآئِفُ بالسَّالِفِ ، وهذه حَالُ نُصَبِ الأفكارِ ، وتِلْقاءِ الأبصارِ ، لا تَحْتَاجُ أَنْ يَتَناضَّ الصَّبْرُ على آلامِها ،

والتحمل لمُعْضَلَاتِ سِهَامِهَا ، والجَزَعُ عند وَقُوعِهَا قَادِحٌ فِي البصائرِ والأفهامِ ، دَالٌّ عَلَى الجَهْلِ بالليالي والأَيَّامِ ؛ وقد طرُقَ المملوكُ نَاعِي فلانَ فَهَدَّ جَلَدِي ، وَقَتَّتْ كِبْدِي ، لَا أَرْتِيَا عَلى الحَادِثَةِ : لِأَنَّهَا لَوْ لَمْ تُكُنْ فِيهِ لَكَانَتْ فِي المملوكِ ، وَلَوْ لَمْ تَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ لَتَطَرَّقَتْ إِلَى المَدْرَكِ (١) ؟ وَلَكِنْ الأَسْفُ عَلَى عَطَلِ الزمانِ مِنْ حِلْيَةِ فَضْلِهِ ، وَتَعَزِّيهِ مِنْ حُلَّةِ نُبْلِهِ ، وَخُلُوِّ عِرَاصِهِ مِنَ الأُنْسِ بِمَثَلِهِ ، وَمَانَالِ سَيِّدِي لِفَقْدِهِ ، وَتَجَمُّلِهِ مِنْ بُعْدِهِ ، وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى يُرْغَبُ المملوكُ أَنْ يَرْبِطَ عَلَى قَلْبِهِ بالصَبْرِ ، وَيُوَقِّقَهُ لَتَنْجِزَ مَا وَعَدَ بِهِ الصَّابِرِينَ مِنَ الأَجْرِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

على بن خلف :

رُقْعَةٌ : لَيْسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - خَيْرٌ مِنَ التَّسْلِيمِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّضَا بِقَضَائِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِهِ ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَدَحَ الصَّابِرِينَ فِي كِتَابِهِ ، وَوَعَدَهُمْ بِصَلَوَاتِهِ . فَقَالَ جَل قَائِلًا : ﴿ أَيَّدِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ . وَقَالَ جَل قَائِلًا : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ . وَلَمْ تَرَلِ الأَوَّلِيَاءُ مِنَ الْقَدَمَاءِ يُحْضِنُونَ عَلَى الصَّبْرِ وَهُمْ لَا يَرْجُونَ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْجَزَعِ وَلَا يَخَافُونَ عَلَيْهِ عِقَابًا ؛ وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ وَتَدَاوُلَهَا ، والأَحْوَالَ وَتَحَوُّلَهَا ، وَسَعَ صَدْرُهُ لِلنَّوَابِ ، وَصَبَرَ عَلَى تَجَرُّعِ المَصَائِبِ ، وَمَنْ أَغْتَرَّ بِطَوْلِ السَّلَامَةِ ، وَطَمِعَ فِي الأَسْتِمْرَارِ والإِقَامَةِ .

رُقْعَةٌ : وَقَدْ اتَّصَلَ بِالمملوكِ خَبَرُ الفَجِيعَةِ بِفلانَ ، فَأُفِضَتِ المَدَامِعُ ، وَتَضَعَّضَتِ الأَضَالِعُ ؛ وَزَفَرَتِ الأنفَاسُ ، وَهَمَدَتِ الحَوَاسُّ ؛ وَأَذَابَ الطَّرْفُ

(١) لم يذكر في الاصل لهذا الشرط جوابا ويمكن أخذه من المقام أى «فقد حاول محالا» وضل في سعيه

ضلالا» أو نحو ذلك .

سَوَادُهُ عَلَى الْوَجَنَاتِ بَدَلًا مِنَ الْأَنْقَاسِ ، وَخَلَعَتِ الْقُلُوبُ سُودَاءَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ ،
عَوَضًا عَنْ جَلَايِبِ الْحِدَادِ ؛ وَعُضَّتِ الْأَنَامِلُ جَزَعًا ، وَمَزَّقَتِ الثِّيَابُ تَفَجُّعًا
وَتَوَجُّعًا ؛ وَكُلُّ هَذَا وَإِنْ فَارَقَ حَمِيدَ التَّمَّاسُكِ ، وَوَافَقَ ذَمِيمَ التَّهَالُكِ ، غَيْرُ مُؤَوِّفٍ بِحَقِّ
ذَلِكَ الدَّارِجِ الَّذِي بَلَغَ الْمَعَالِيَ وَهُوَ فِي مَهْدِهِ ، وَشَدَّ دَعَائِمَ الْفَضْلِ وَلَمْ يَبْلُغْ أَوَانَ
رُشْدِهِ ؛ وَعَلِمَ سَيِّدِي أَنَّ غَايَةَ الْجَارِزِ وَإِنْ صَدَعَتِ الْمُصِيبَةُ قَلْبَهُ ، وَأَطَاشَتِ
الْفَجِيعَةُ لُبَّهُ ، الصَّبْرُ وَالسُّلُوكُ ؛ وَأَنَّ نِهَايَةَ الْقَلَقِ وَإِنْ هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْحُرْقَةُ بِمَا لَا تَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ
الْأَضَالِيعُ ، وَلَا نَتَمَّاسُكَ مَعَهُ الْمَدَامِيعُ ، الْقَرَارُ وَالْهُدُودُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيهِ بَعْدَ هَذَا
الرُّزْءَ رُزْءًا بِنَفَائِهِ ، وَيَنْقُلُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَى حَاسِدِيهِ وَأَعْدَائِهِ .

رقعة : مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْأَقْضِيَّةَ لَا تُحْطَى سِهَامُهَا ، وَالْأَفْئَادَرُ لَا تُرَدُّ أَحْكَامُهَا ، سَلَّمَ
الْأَمْرَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَرَضِيَ بِمَا مَنَاهُ فِي الْبَلَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ ؛ وَلَا سِيَّامًا فِي مُصِيبَةِ
الْمَوْتِ الَّتِي سَوَى بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِي تَجْرِيعِ صَاحِبِهَا ، وَأَقْتِحَامِ عِقَابِهَا ؛ وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ
خَبْرُ الْحَادِثِ الْقَاصِمِ لِعُرَى الْجِلْدِ ، الْبَارِحِ فِي الْجِلْدِ ^(١) . فَاسْتَحَالَتْ فِي عَيْنِ الْمَمْلُوكِ
الْأَحْوَالُ ، وَمَالَتْ عَنْهَ الْأُمَالُ ، وَرَأَى السَّمَاءَ وَقَدْ تَكَدَّرَ جَوْهَا ، وَالشَّمْسَ وَقَدْ تَعَكَّرَ
ضَوْهَا ، وَالسَّحَابَ وَقَدْ أَخْلَفَ نُوْهَا ، وَالنَّهَارَ وَقَدْ أَظْلَمَ ، وَاللَّيْلَ وَقَدْ أَدْلَهَمَ ، وَالنَّسِيمَ
وَقَدْ رَكَدَ ، وَالْمَعِينَ وَقَدْ جَمَدَ ، وَالزَّمَانَ وَقَدْ سُهَمَتْ وَجَتَهُ ، وَسُلِبَتْ حَلِيتُهُ ،
وَأَقْرَبَتْ قَبْضَتُهُ عَنِ التَّمَّاسُكِ ، وَقَبَضَتْ عَلَى التَّهَالُكِ ، وَعَدَلَتْ عَنِ التَّجَلُّدِ ، إِلَى
التَّبَلُّدِ ؛ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةٍ فِجَاعَتِهِ ، وَهَيَّبَ سِنَةَ رَوِيَّتِهِ ، فَسَلَّمَ لِلَّهِ رَاضِيًا بِأَقْضِيَّتِهِ ،
رَاغِبًا فِي مَثْوِيَّتِهِ .

أبو الفرج البيهقي :

إذا كان أيده الله أهدي في النعم إلى سبيل الشكر، وأعرف في المحن بطرق الصبر؛ فكيف يُحاذرُ عليه من المصائب، ونذكره التسليم لمحتوم النوائب؛ والمصيبة بفلانٍ أعظم من أن نهتدي فيها إلى سلوة غير مستفادية منه، أو نقتدي في العزاء بغير مانأخذه عنه؛ إذ كانت قلوبنا تبع قلبه - سره الله - في طروق السراء والضراء، وحالاتي الشدة والرخاء . وأحسن [الله] عن الفجيرة عزاءه، وأجزل من المثوبة عطاءه؛ ولا شغله عن حلاوة شكر النعم بمرارة الصبر على ورود المحن، وجعل مانقل الماضي إليه، أنفع له وليسدي من الجزع عليه .

وله في مثله :

أتصل بي خبر المصيبة فجدد الحسره، وسكب العبره، وأضرم الحرقه، وضاعف اللوعة، وكان الأسف عليه، بقدر تشوف الآمال كانت إليه : فإننا لله وإنا إليه راجعون!! أخذنا بأمره، وتسلياً لحكمه، ورضاً بمواقع أقضيته، وأحسن الله في العزاء هدايته، وحرس من فتن المصائب بصيرته، وحمل عن قلبه ما أظله من ثقل المصيبة وعظم الرزية .

ولا أزال على جملة من القلق إلى أن يرد على كتابه - أيده الله - بما أكون فيه بأديه مقتدياً، ويهديته إلى سبيل العزاء والصبر مهتدياً؛ فإن رأى إجرائي من تشريفه بذلك على مشكور العادة، فعل، إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

أشترأك القلوب فيما ألم بقلب سيدي بحسب تساويها في المسرة بما سره، إذ كان لا يختص دون أوليائه بنعمه، ولا ينفرد دون مؤمليه بحلول موهبه، والمصيبة بفلان

- وإن جَلَّ موقعها وعُظمت الفَجيعة [بها] - ^(١) جَلَلٌ مع سُقوط الأقدارِ دُونَه ،
وتجاوزِها عنه ، ومُسامحتِها به ، فلا شَغَلَ اللهُ قلبه بَعْدَها بِمَرارة الصَّبْرِ عَمَّا تُوْجِبُه النِّعم
من حلاوة الشُّكر ، ولا جاوره برزِيَّة في حِميم ولا نعمة .

وله في مثله :

بصيرتُكَ إلى العِزِّاءِ تَهْدِيكَ ، وأَغْبَاطُكَ بِثَوَابِ اللهِ يُسَلِّيكَ ، وعالمُكَ بِقِلَّةِ الغِنَاءِ
عن الجَزَعِ يَنْثِيكَ ، وجمعُنا بِكَ في الصَّبْرِ مُقْتَدُونَ ، ولِرَأْيِكَ في الرِّضَا بِمَا آخَرَهُ اللهُ
تعالى مُتَّبِعُونَ ؛ فحَمَلَ اللهُ عَنْ قَلْبِكَ ثِقَلَ المُصِيبَةِ ، وحَرَسَ يَقِينَكَ من أَعْتَرَضَ
الشَّبهة ، وأَحْسَنَ إلى جَمِيلِ الصَّبْرِ هِدَايَتَكَ ، وتَوَلَّى من قِتْنِ المَحْنِ رِعَايَتَكَ ، وجعل
ماتَّقِلَ المَاضِي إليه ، أَنفَعَ لَكَ وله من الأَسَفِ عليه .

وله في مثله :

^(٢) اتَّصَلْ بِى خَبْرُ المِصِيبَةِ فَأُضْرَمَ الحَسْرَةُ ، وَسَكَبَ العَبْرَةُ ، وَقَدَحَ اللُّوْعَةُ ، وَأَمْتَرَى
الدَّمْعَةَ ، وَكَانَتْ مُشَارِكَتِي إِيَّاكَ فِي المِصِيبَةِ بِهِ ، وَالْفَجِيعَةِ لِفَقْدِهِ ، بِحَسَبِ اخْتِصَاصِي
بِمَوَاهِبِ اللهِ عِنْدَكَ ، وَأَغْتَابِطِي بِمَنْحِهِ لَدَيْكَ ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !! تَسْلِيًّا
لَأَمْرِهِ ، وَأَتَقِيَادًا لِحُكْمِهِ ، وَرِضًا بِمَوَاقِعِ أَقْدَارِهِ ، وَأَحْسَنَ اللهُ عَلَى العِزِّاءِ تَوْفِيقَكَ ،
وإِلَى السَّلَوةِ إِرْشَادَكَ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيمَا تَطَرَّقَكَ بِهِ مِصِيبَةٌ مِنْ مِصَاحِبَةِ الصَّبْرِ ،
وَفِيمَا تَقَدَّ بِكَ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ مِنَ الاسْتِرَادَةِ بِالشُّكْرِ ؛ وَحَرَسَكَ فِي نَفْسِكَ وَأَحْيَيْتَكَ ، وَذَوَى
عَنَّا يَتِكَ وَنِعْمَتِكَ .

(١) أى يسير هين على حد قول امرئ القيس لما قتل أبوه :

بقتل بنى أسد ربهيم * ألاكلى شئ سواه جل

(٢) فى القاموس « ومرى الشئ استخرجه كأمراه » .

وله في مثله :

قدرك أكبر ، وبصيرتك أنور ، ونفقت بالله تعالى أعظم من اعتراض الشُّكوك عليك فيما يطُّرُقك من عِظاته بالحوادث وإن عَظُمَتْ ، والمَحْن وإن جَلَّتْ ؛ أختبارا بالمصائب لصبرك ، وبما يُظَاهِرُهُ عليك من النِّعم لشُكرك ، ومثلُك أيدك الله مَنْ قَابَلَ الفجیعة بقلان - إذ كانت من الواجب المحتوم - بأحسن عِزاءٍ وأفضل تسليم ، غير مرتابٍ بما آختره الله له ولك فيه ، فعَظَّمَ الله به أجرك وحرَّسك وحرَّس فيك .

الأجوبة عن التعازي

قال في "موادِّ البيان" : أجوبة التعازي يجب أن تُبنى على وقوف المعزّي على كتاب المعزّي ، وأنَّ إرشاده نفع غلَّته ، وعُظْمه نفع علَّته ، وتبصيره سَكَن أواره ، وتذكيره أحمد ناره ، وتنبهه أيقظ منه بحسن العزاء غافلا ، وهدى إلى الصبر ذاهلا ، وحسن عنده الرزية بعد جهامتها ، ودمت نفسه للمصيبة بعد فدأمتها ، فسلم الله تعالى متادبا بأدبه ، وعَمِل بالحكم مقتديا بمذهبه ، وغالب الرِّزء بالعزم ، وأخذ فيه بالحزم ، وسأل الله تعالى أن يُحسِّن له العِوض في ردِّه ، ويجعله له خَلْفاً مَنْ أُصِيب بِفَقْدِهِ ؛ ونحو هذا مما ينخرط في سلكه .

جواب عن تعزية : من زهر الربيع :

أعزَّ الله سيدنا وأسعدَه ، وسهَّل له طريقَ المسرةِ ومهدَه ، وصانَ عن حوادث الأيام حِجابَه ، وعن طواريقِ الحداثِ جَنابَه ؛ وجعله في جمِّ عن عوارض الغير والغرر ، وأصار أيامه محسنةً لوجوه الأيام كالغُرر .

ورد الكتاب الذي أنعم بإرساله ، بل المشرف الذي كسته اليد العالية حلة من حلل جماله ، فوقف عليه وفهمه وتذكر به إحسانه الذي لا ينساه ، وتفضله الذي لا يعرف سواه ؛ فأما التعزية بفلان ، فإنه ردّ بعذب لفظها قوته ، وبلى بماء حسنها غلته ؛ وضربه على حادثته بفلان بعد أن عزّ عليه العزاء وأعوزه ، وطلب وعده من صبره فما أنجزه : لأنه كان وجد الموت المذكور حزنا ما استطاع له تركا ، وفقد لموته خلا مثله يناخ عليه ويئس ؛ وفي بقاء مولانا مسرة تطرد كل حزن ، وفي بهاء طلعه عوض عن كل منظر حسن ، جعله الله ساميا على أثرابه ، مقدما على أضرابه ؛ ماسمت الأسماء على الأفعال ، وتقدم الحال على الاستقبال .

آخر : ضاعف الله بقاءه وأطال عمره ، وشرح لإسداء المكارم صدره ؛ وأنقذ نبيه وأمره ، ولا زال إلى أوليائه محسنا ، وفضله يحصل لمحبيه غاية السؤل والمنى ؛ ورد مشرفه المعزى بوفاة فلان سقى الله عهده عهدا رضوانه ، وأسكنه في غرف غفرانه ؛ فخر مصابا ، وفتح إلى الصبر أبوابا ؛ وهدى إلى طريق الخير وقال صوابا ؛ وسكن نفسه ، وذكره إحسانه الذي لم ينسه ، وأزال الوحشة وزاد أنسه ، بعد أن كان فقد المذكور قد هد ركنه وقت عضده ، وأوصله إلى أمد الحزن وضاعف على الأيام أمدّه ؛ وألبسه رداء الأكتئاب ، على ترّبه الذي أصبح تحت التراب ، وصديقه الموصوف بالصدق ، الذي فاق سناء ذلك الأفق ؛ جعله الله أصلا في تحصيل المسرة إذا ذوت الفروع ، وسيقا يقهر به وليه الحوادث التي تروع ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر : جعل الله أجره عظيما كقدره ، والقلوب مجمعة على حبه كإجماع الألسنة على شكره .

المملوك يُعلمه بُرُود كتابه الكريم المعزى بفلان - قدس الله رُوحه، وأمطر سحاب الرحمة ضريحه - عليه، وعنده من شديد الحزن، ما أعدمه لذيد الوسن؛ ومن زائد الأكتئاب، ما كاد يحرمه التقمص بثوب الثواب؛ بحيث إنه عوض بالزمن الأسود عن العيش الأخضر، وذاق من موجب لبس الأبيض طعم الموت الأحمر، وأنه ضمه إليه ضم المحبوب، وأبتهج به أبتهج من ظفر بغاية السؤل والمطلوب؛ فأغمدت الكابة خوفاً من قلعه سيفها، وأزالت الدنيا الدنية عنه حيفها؛ وعزى نفسه وسلاها، وشغله إحسانه عن محاسن محا الموت سناها؛ فرفض من توجهه ما فرضته حادثته، وسلك منهاج غير المنهج الذي فتتت فيه حشاؤه ومهجته؛ فالله تعالى يكفيننا ما نحاذره في المجلس ويحرس سنائه، ويديم سعده وعلاه.

النوع الثالث

(من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة)

قال في "مواد البيان": رِقَاعُ التَّهَادَى يجب أن تُودَع من الألفاظ المستحسنة ما يمهّد لقبول الملاطفة والمبرة التي تميز في المودة. قال: وينبغي أن يُطْرِف الكاتب إذا كان مُهْدِياً أو مُسْتَهْدِياً؛ وقد جرت العادة أن تُودَع هذه الرقاع من أوصاف الشيء المُهْدَى ما يحسّنه في نفس المُهْدَى إليه. قال: وينبغي لمن ذهب هذا المذهب أن لا يعتمد تفخيم هديته، ولا الإشارة إلى جلاله خطرهما، فإن ذلك يُخلُّ بشروط المروءة ويتحاماها الكرماء.

ثم هي على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول

(ما يُكْتَب مع التّقدّم إلى الملوك من أهل مملكتهم

إلى القائمين بإيصال التّقدّمة إلى الملك وكتاب السّر ونحوهما)

الشيخ جمال الدين بن نباتة : إلى كاتب السّر بالأبواب السلطانية صحبة تقدّمة
من نائب الشام إلى السلطان :

لا زالت أعلامها لتتأجج الفضل مُقدّمه ، ولمّا كض الكرم والبأس جياداً مُسوّمه ؛
ولكاتب الملك من كتبه أعلاماً بشعارها العباسيّ معلّمه ، وفي يد صاحبها من أصحاب
الميمنة ، والذين كفروا بآيات الله ونعيمها من أصحاب المشأمة ؛ تقبيل محبّ لا تُفسخ
عقود ولائه المحكمه ، ولا تُنسخ إلا في الكتب عقود شتائه المنظمه ، ولا تطوف
الأشواق بيت قلبه إلا وهى من ملابس السلوان المحرم مُحرمه .

ويُنهى أنه قد اختار من عناية مولانا بمقاصده أحسن الخير ، وبورك له
في قصدها (ومن بورك له في شيء فليزمه) كما جاء الخبر ؛ وقد جهّز فلانا إلى الأبواب
الشريفة خلّد الله سلطانها بتقدّمته على العادة في كلّ سنة ، وأتبع سفارة مولانا بين
يديّ المواقف الشريفة فاتّبع من القول أحسنه ؛ وسأل حُسن نظر مولانا الذى إذا
لاحظ قصداً أعلنه وسعدا عينه ، وقد جهّز الملوك برسم مولانا ماهو بمقتضى الورقة
المجهّزة عطفها ، المؤمّلة وإن كانت ورقة قطفها ، وسأل مقابلتها بالخبر الذى يحسب
الأمل حسابه ، ويستفتح ببنان القلم بابه ، والإصغاء لما يُملئ من رسائل الشوق
فإنها من رسائل إخوان الصفا المستطابه ، لا يرح القاصدون مريحين بأيام مولانا
وحقّ لهم أن يمرحوا ، تالين نسبة بينته ورُحمى الله على يده : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا ﴾ .

وله إليه أيضا مع الجَهَّاز الشريف السلطاني :

أمتعها الله من خيرى الدنيا والآخرة بكرم الأمرين ، وبشرف الذكرين ، وسرها بما يجهز في الثناء والثواب من الوفرين ، وأعلى منارها المحقق إلى السماء على وكر النسرين . ولا زالت الآمال لا تَبْرَحُ حتى تبلغ من تلك اليدين مجمع البحرين ؛ بتقيل مخلص في الولاء والدعاء ، مستشهد بالخواطر الكريمة على ثبوت الأدعاء ، واردة لموارد النعم قبل صدور بل قبل ورود الرعاء .

وينهى أنه ليس للملوك فيما يومه ويتأمله ، ويفصله من عقود المطالب ويجهله ؛ غير إحسان مولانا الذى لا يمل على طول الإيناس والإلباس ، وعوارف بيته المستجدة تالية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وقد جهز الملوك الولد فلانا بالجهاز المبارك إلى الأبواب الشريفة خلد الله سلطانها ، وملا به جواهر حبات القلوب وريحانها ، وهو على قدر الملوك ومقداره ، لا على قدر مراده واختياره ؛ ولو أن المراد مما يحمله العبد إلى سيده ، ويقدمه من سبب الحال ولده ، على قدر المحمول إليه ، والمقدم بين يديه ، لضغفت قوى أكثر العبيد عن ذلك ، ويس من الرضوان جهدهم المسالك ؛ وإنما على العبيد أن تنصب على قدرتها الحال ، وعلى الساداء أن تصرف بعوامل الخبر مستقبل الأفعال . وعلم مولانا الكريم محيط بتثقل الملوك في هذه السنين من بلد إلى بلد ، ومن أمد كلفه إلى أمد ، وبما حصل في ذلك من التمتع في إقطاعات كاد أن يُخني عليها الذى أخنى على لبد . وكان الملوك يود لو كان هذا المحمول من الجهاز من جواهر النجوم المنشورة ، وأخية السعود الماثورة ، وجميع ما زين للناس من الشهوات المذكورة ، أضعاف أضعافه الآن ، بل أضعاف أضعاف ما حمل الأولون من فلان وفلان ؛ كالحسن بن سهل مع الجهة المأمونية التي حلا ذكرها ، وابن طولون مع المعتضدية التي كثر هذا الغيث قطرها ، والساماني

وما أدراك، والسَّاجُوقِ وما أسراك، وجميع ما تَضَمَّنَتْهُ التَّوَارِيخُ الَّتِي لَوْ عَايَنْتُ
تَارِيخَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ عَنَتُ فِي الْحَالِ لِمَجْدِهِ، وَكَانَ كُلُّ مَجْلَدٍ مِنْهَا يَمُوتُ لِلْهَيْئَةِ
فِي جِلْدِهِ : لَمَّا خَلَّدَتْهُ أَيَّامُهَا الشَّرِيفَةُ مِنْ أَخْبَارِ حُكْمِهَا وَخَيْرِهَا، وَكَرَمِهَا وَبِرِّهَا،
وَعَطْفِهَا عَلَى مَمَالِكِ بَيْتِهَا الشَّرِيفِ : تَتَقَبَّلُ مِنْبُورَهُمْ، وَتُكَلِّ سُرُورَهُمْ، وَوَعْدًا يُجَيِّشُ
الْإِنْشِرَاحَ صُدُورَهُمْ، وَتَبْلُغُهُمْ مِنْ هِمَمٍ مَطْلُوبِهِمْ، وَتُقِيلُ عَلَى زَاهِرَاتِ نَجَائِيهِمْ
وَرِيَاحِينَ قُلُوبِهِمْ :

وَلَوْ لَمْ تُطْعَمْ نِيَّاتُ الْقُلُوبِ * لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا.

وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ مِنْ إِحْسَانِ مَوْلَانَا الَّذِي أَلْفَهُ، وَمَعْرُوفِهِ الَّذِي عَرَفَهُ، مِلَاحِظَةً
الْوَلَدِ فَلَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهَا، وَإِقَامَةَ عُذْرِ الْمَمْلُوكِ بِعِبَارَتِهِ
الَّتِي أَحَلَّ اللَّهُ سِخْرَهَا وَبَيَّانَهَا ؛ فَا لِلْمَمْلُوكِ فِي مَقَاصِدِهِ مِثْلُ مَوَدَّةِ مَوْلَانَا الْوَافِيَةِ
الْمُتَوَافِيَةِ ، وَمَقْدَمَةِ عِبَارَتِهِ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ عَلَى شُكْرِ مَنَنْتِهِ، وَالْقِيَامِ
بِفَرَائِضِ حُنْدِهِ وَسُنَنِهِ ، وَالنَّهْوضِ بِأَوْصَافِ أَيَادِيهِ الَّتِي يُغَزِّدُ بِهَا قَلَمَ الْكُتَّابِ كَمَا يُغَرِّدُ
الْقُمْرِيُّ عَلَى فَنَنِهِ .

الضرب الثاني

(ما يكتب مع الهدية عند بعثها)

وهو على عشرة أصناف :

الصنف الأول — ما يكتب مع إهداء الخيل .

على بن خلف : فِي إِهْدَاءِ جَوَادٍ أَدْهَمَ أَغْرَ مَحْجَلٍ .

وقد خدَمَ الْمَمْلُوكُ رِكَابَهُ الْأَكْرَمَ ، بِجَوَادٍ أَدْهَمَ مُطَهَّمٍ ، قَدْ سَلَبَ اللَّيْلَ غِيَابَهُ

وَكَوَاكِبَهُ ، فَاشْتَمَلَ بِأَدِيمِهِ ، وَتَحَلَّى بِجُجُومِهِ ، وَأَطْلَعَ مِنْ غُرَّتِهِ السَّادِجَةَ قَمَرًا مُتَصِلًا

بالحجره ، وتحلى من رُمْتِه^(١) بالثرى أو النثره ، صافى القميص ، محووض الفُصوص ،
 حديد الناظر ، صليب الحافر ، وثيق القصب ، نقيّ العصب ، قصير المطاء ، جعد
 النسا ، كأنما آتتلت بالرياح الأربع أربعه ، وأصغى لأستراق السمع مسمعه ،
 إن ترك سار ، وإن غمز طار ، وإن ثنى أنحرف ، وإن استوقف وقف ، أديب
 نجيب ، متين صليب ، صبور شكور ، والله تعالى يجعل السعادة مطلع غرته ، والإقبال
 معقد ناصيته .

من كلام المتأخرين :

كتاب عن نائب الشام إلى الملك الصالح : شمس الدين صاحب ماردين قرين خيل
 منعم بها إليه ، عن السلطان الملك الصالح : عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد
 ابن قلاوون - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب .

وأجرى بالنصر جياده ، وبالظفر مراده ، وعلى عوائد السعد مطالع شمسهِ التي
 يُسميها عُرفُ الملكة بلادَه ، ولا زالت منيرةً بسعادة شمسهِ الأحلاك ، نَظِيمَةٌ بَدْرٌ
 محامده الأسلاك ، ماثلةً خيولُ سعده حتى حمر السوابق من البروق والشهب السواخ
 في الأفلاك .

المملوك يقبل اليد التي إذا بسطت فلان تجود وتُسَلِّمَ ، وإذا قبضت فعلى سيف
 أوقلم .

وينهى بعدولاءٍ وثناءٍ للإخلاص شارحين ، وفي الضمائر والآفاق سائحين ، وأشتياقٍ
 وعهدٍ كانا أحقَّ بالانتماء لاسمه ونعته وكان أبواهما صالحين ، أن المرسوم الشريف
 زاده الله تعالى شرفاً ، ورد يتضمن تشريف مولانا على العادة وإعظامه ، وأستقرار
 مكانته من الخواطر الشريفة في دار مقامه ، وأستمرار كرامته من الآراء المعظمة

(١) هى بالضم بياض فى طرف أنف الفرس . قاموس .

ولا يُنكرين الصالح والصالح استمرار الكرامة ، وأن الصدقات الشريفة أنعمت على مولانا بثلاثة أروس من الخيل كثلاثة الرياح ، إلا أن حبابها عرق سبقها ، وثلاثة الشجر (١) كما قال الطائي تساوى شرف ثمرها وزهرها وعرفها ؛ مامننا إلا من تقصر الرياح أن تسلك بغيه ، والبروق أن تتبع نهجه . ومن تود الثريا أن تكون لحامه والهلأل أن يكون سرجه . ومن يخطر كالغمام ويركض كالسيل . ومن تكلم حلاه وليس حلة الفخار فشئ على الخاليتين في الخلتين مسيل الذيل . ومن عقد بناصيته كل الخير وعقد له لواء الفخار على كل الخيل : من كل خضراء معجبة فهي على المجاز حديقه ، وكل أحمر سابق فهو البرق على الحقيقة ، وكل أصفر شفق إلا أن الرياح من مجاراته على نفسها شفيقه . وكيف لا يشبه بالشفق وهو من الأصيل ، وكيف لا يفخر العسكرى بهذه الخيل وخصاير عدها في الحسن أوائل ، قد صرفت وجوهها المقبله ، لباب مولانا أحسن المصارف ، وكتبت عوارف الفضل في معارفه المسبله ، فناهيك منها بكتاب عوارف المعارف ؛ ووصل لمولانا بذلك مثال شريف ؛ ورسم للملوك تجهيزها مع من يراه ؛ وقد جهز الملوك لخدمة مولانا الخيل المذكورة مع المثال الشريف صلبة فلان ، ومولانا أدرى بنفحات رياض الحمد بهذه الدائم المطلبه ؛ وبالتقيل في الأرض التي هي سماء حوافر هذه الخيل التي هي أهله ؛ وأولى أن يشرف الملوك بمهماته ، ويؤنس لحظه بطيف اليقظة من مشرفاته ، والله تعالى يجتد لمعالیه في كل قصد نجحاً ، ويعلى لمجده في كل حال قدحاً ؛ ويروّع الأعداء

(١) كذا في الأصل باستعمال من في غير العاقل .

(٢) في الأصل يخطر كالغمام ولعله مضحف عما أشتناه يقال تمطرت الخيل إذا جاءت مسرعة يسبق

بعضها بعضاً تأمل .

(٣) في الاصل وجاد مجده تأمل .

من خَطَوَات خَيْلِهِ فِي بِلَادِهِم بِالْمَغِيرَاتِ صُبْحًا ، وَمِنْ خَطَرَاتِ ذِكْرِهِ فِي قُلُوبِهِم
بِالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا .

وفي معناه :

يَقْبَلُ الْبَاسِطَةَ الشَّرِيفَةَ أَعْلَى اللَّهِ شَانَهَا ، وَجَمَّلَ بَقَائَهَا زَمَانَهَا ، وَضَاعَفَ عَلَى
الْأَوْلِيَاءِ بِرَّهَا وَإِحْسَانَهَا .

وَيَنْهَى : أَنَّهُ آتِبَاعُ جَوَادًا أَعْجَبَهُ ، وَطَرَفًا آتَنْخَبَهُ ، وَقَدْ قَدَّمَهُ لَوْلَى نِعْمَتِهِ ، وَمَالِكُ
عَهْدَتِهِ : لِأَنَّ الْكَرَامَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِ الْكَرَامِ ، وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْوَلَى عَلَى الْعَبْدِ
حَرَامٌ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ ضِيَاءَ غُرَّتِهِ ، وَالْيَمْنَ مَعْقِدَ نَاصِيَتِهِ ، وَالْإِقْبَالَ تَحْجِيلَ
أَوْظَفَتِهِ ، وَالسَّعَادَةَ مَوْضِعَ الْجُلُوسِ مِنْ صَهْوَتِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يُسَالُ الْإِنْعَامَ بِقَبُولِهِ ، وَ[أَنْ]
يَلْقَاهُ مِنْ ذَلِكَ [غَايَةً] مَأْمُولَهُ ؛ مُضَافًا إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ سَابِقُ إِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ ، وَفَضْلِهِ
الْجَسِيمِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ بَعِينُهُ الَّتِي لَا تَنَامُ ، آمِينَ .

الأجوبة بوصول الخيل

جوابٌ عن نائب الشام إلى أميرأخوَر بالأبواب الشريفة ، عن وصول خيلٍ
إليه من الإنعام الشريف - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد
الألقاب :

لَا زَالَتْ مَبَشَّرَةً بِأَعْظَمِ الْخَيْرِ وَكَرَامِ الْخَيْلِ ، مَيَّسَرَةً النِّعَاءِ بِسَوَابِقِ السَّيْرِ كَدَوَافِقِ
السَّيْلِ ؛ مُسْفِرَةً عَنْ إِيجَادِ سَوَاحِجَ إِلَّا أَنَهَا فِي الْفَخَّارِ وَالشَّيَةِ ضَافِيَةُ الدَّيْلِ ، سَفِيرَةٌ
فِي الْجَوَادِ بِكُلِّ جَوَادٍ تَبَسُّمُ غُرَّتِهِ أَبْتَسَامَ النَّهَارِ وَيُدْرِكُ طَلَبَهُ إِدْرَاكُ اللَّيْلِ ؛ تَقْيِيلًا
يَسْتَبِقُ أَسْتَبَاقَ الْحَيَادِ ؛ وَيَتَسَّقُ عَلَى الدَّرَجِ أَلْسَاقَ الْعُقُودِ عَلَى الْأَجْيَادِ .

(١) النعم والنعمة والنعمى والنعماء ما ينعم به ففعل الصواب الانعام .

وَبُنِيَ بَعْدَ ثَنَاءٍ وَوَلَاءٍ : هَذَا يَهْمُ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَهَذَا يَهْمُ بِمَثَلِهِ كُلُّ وَادٍ ؛ وَرُودَ
 مُشْرِفَةِ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةِ بِمَا مَلَأَ الْقَلْبَ مَسَرَّهُ ، وَالْعَيْنَ قُرَّهُ ، وَدَرَجَ عَامَ الْفِيلِ مِنْ نُجُبِ
 الْخَلِيلِ السَّيَارَةِ مُسْتَهْلٍ وَغُرَّهُ ؛ فَقَابِلَهَا الْمَمْلُوكُ بِتَقْيِيلِهِ ، وَقَامَ لَهَا عَلَى قَدَمِ تَجْيِيلِهِ ؛
 ثُمَّ قَامَ إِلَى الْخَلِيلِ الشَّرِيفَةِ الْمُنْعَمِ بِهَا عَلَيْهِ فَقَبَّلَ مِنْ حَوَافِرِهَا أَهْلَةً ثُمَّ مِنْ غُرَرِهَا
 نُجُومًا ، وَتَأَمَّلَ شَيْئَاتِهَا الْبَرَقِيَّةَ وَاسْتَمَطَرَ مِنَ السُّعُودِ غُيُومًا ؛ فَأَدْنَتْ لَهُ مِنَ الْإِقْبَالِ أَمَدَ
 قَاصِيهَا ، وَظَلَّ بِمَنْزِلِهِ الْخَيْرُ الْمَعْقُودُ بِنَوَاصِيهَا ؛ وَتَضَاعَفَتْ أَدْعِيَتُهُ الصَّالِحَةُ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ
 الْقَاهِرَةِ الصَّالِحِيَّةِ زَادَهَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْوَقْتُ الَّذِي مَلَأَ الدُّنْيَا بِسَحَابِ جُودِهِ
 وَرِيَاكِ حَيَادِهِ وَرِيَاضِ عَدْلِهِ ؛ وَالْمَلِكُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَوْلَا شُهُودُ
 الْعَهْدِ الشَّهِيدِي لَقَالَ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَأَعَدَّ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْخَلِيلِ لِيُقْنَى
 عَلَيْهَا بِالْقِتَالِ أَهْلَ التَّعْطِيلِ وَالثَّلَاثِ ، وَيَسْتَخَفَّ بِهَا أَجَالَ الْأَعْدَاءِ بَيْنَ يَدَيْ
 مَالِكِهِ : فَإِنَّهَا مِنْ ذَوَاتِ الْعِزِّ وَالْعِزْمِ الْحَثِيثِ ؛ وَمَا هِيَ إِلَّا كَوَاكِبٍ سَعَدَ تَمَدُّدُهَا أَسْتَبَّهَا
 الْوَقَادُ ، وَزَهَرَاتُ حَسَنِ حَيْثُ بِهَا عَلَى الْبُعْدِ سَفَارَتُهُ الْمَعْتَابَةُ ؛ لِأَبْرَحَ مَوْلَانَا يَقْلَدُ
 بَعْنَايَتِهِ وَإِعَانَتِهِ الْمِنْزَ الْجِسَامَ ، وَيَنْصُرُ بِعَزَائِمِهِ الْقَاطِعَةَ ، وَكَيْفَ لَا يَنْصُرُ وَيَقْطَعُ
 وَهُوَ الْحُسَامُ ؟ .

وله في جواب وُصُولِ أَكْدِيشِ وَبَازٍ [وَكُوْهِيَّة] :

لَا زَالَ جَزِيلًا سَمَاحُهُ ، جَمِيلًا مِنْ الْحَمْدِ رَبَاحُهُ ، جَلِيلًا بِرُهُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ طَائِرُ
 الْخَيْرِ وَيَمْنُهُ وَطَائِلُ الْخَلِيلِ وَنَجَاحُهُ . هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا يَخْفِقُ جَنَاحُهُ ،
 وَثَنَاءٌ تُشْرِقُ غُرَّهُ وَأَوْضَاحُهُ ؛ وَتَوْصِّحُ لِعَلَمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبَتِهِ سَرِيعَةِ الْإِحْتِثَاتِ ،
 طَائِرَةٌ يُخَمِّنُ طَرْسَهَا وَهَدِيتُهَا بِأَجْنِحَةٍ مَتْنَى وَثَلَاثَ ؛ فَخَصَلَ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا ، وَتَجَدَّدَ
 عَهْدُ الْأَرْتِيَاجِ لَدَيْهَا ، وَفَهَمْنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَفْهَمُهُ مِنْ وَدِّ الْجَنَابِ الْعَالِي ، وَبِرِّهِ الْمُتَعَالَى ؛

وفاء عهده الذى تتلقاه المحامد بأمالى المحب لا بأمالى القالى؛ ووصل الأكديش الايك
 ظاهراً حسنه، سافرا عن وفق المراد يمتنه؛ نتجمل به الموابك، وثمانية الرياح
 وبعضها من خلفه جنائب؛ وكذلك وصل البازى والكوهية، وكلاهما بديع
 الأوصاف، سريع الإقنطاف لأزاهير الطير والإقنطاف، يسبق الطرف بجناحه
 اللامع، ويستعجل من الأفق وإرد الرزق المنوح؛ ويواصل الخير والمير إلى المطبخ،
 فكأن حوائج كاش تغدو إليه وتروح؛ لا برح إحسان الجناح العالى وإصلا، وذكره
 فى ضمير الإعتداد حاصلا؛ وحكم سماحته وشجاعته باستحقاق الثناء فاصلا .

جواب بوصول جوارح :

كتب به عن نائب الشام، جواباً لمطالعة وردت على نائب الشام من الصالح
 صاحب ماردین من بقايا بنى أرتق، صحبة سناقر، هدية للصالح إسماعيل بن الناصر
 محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأيد همه السوايح، ونعمه السواخ، وشيمه التى تنتظم منها عليه درر المحامد
 والمناح، وشكر هداياه التى منها جوارح طير تحفّق لفرط أسخسانها الجوارح .
 ولا زال من أجنحة نصره حتى السالك الراح؛ ومن جنود سعده للأولياء سعد
 السعد، وفى الأعداء سعد الذابح؛ ومن جياذ ركابه الشهب إلا أنها شهب الأفلاك
 السوايح؛ ولا برح سلطان البسيطة مكافئاً عمل قلبه الوفى، ولا ينكر العمل بالقلوب
 بين الصالح والصالح .

المملوك يقبل الأرض التى تستمد السحب من سمائها، وتستعد منازل الأنجم للتعلم
 من أنوائها؛ تقيلاً يودع ورق الرسائل أزاهيره، ويطلع فى ليالى السطور زواهره،
 ويندجر فى أيدي الحروف إلى أن تصل إلى أجياد المنابر جواهره .

وَيُنْهَى - بعد دعاء صالح، إذا جُدد تجدد، وولاء نأجج، إذا آنعطف تأكد، وثناء سانج، إذا سرى لا يتوقف إلا أن نسيمه في الآفاق يتردد، وأرتياح لما يرد من أخبار دياره السائة إذا شافه سروره سمع الولي شهيد وسمع الحاسد تشهد، حيث يتلقى ببلاده النجج والمقاصد، وصلات البر والعوائد، ووفود الآمال من كل أوب: فديار بكر ديار زيد وعمرو وخالد - ورود المشرف الكريم، بل الغيث السائر يخضب المقيم، على يد فلان ونعم اليد العائلة لأبأدى البر العميم، ونعم المشرف الوارد عن مقر: هذا للأمل كهف وهذا للتأمل رقيم؛ ففضه المملوك عن علامة أسم لحسنها وسوم، ولها رسوم، وأستجلى مواقع تلك الأنايل المضية وأقسم على فضلها بمواقع النجوم؛ وأنتهى إلى الإشارات العالیه، وعلم ما كان القلب يعلمه من ضمائر الود الحالية لا الخالية، وقابل كل أمرٍ حسنٍ بما يجب من مذاهب الود المتواليه، ووصلت السناقر المنير سنا فضلها، المير في معارك الصيد شباً نصلها، القائمة في كواسر الطير مقام الملوك الأكاسرة إلا في حكمها وعدلها؛ لاجرم أنها إذا دخلت آفاق طير أفسدتها وجعلت أعزّة أهلها أذلّة؛ وإذا آنقضت على سرب وخش جذبتها من دم الأوردة بأرسانٍ حيث كستها من قوادم الأجنحة أجلّة؛ لأيسأل كاسرها في الطيور بأى ذنب قتلت، ولا يحلها جانب الطير والوخش إذا عاندته فيا عجباً لها على أيدي البشر كيف حملت؛ يُظلل الصيد فلا يحب أن يفزع بها من ظله، وتكتبُ علائم الثين والظفر بما في لونها من شبه الخط وشكله، نعم الجالبة للخير والمير، والسائرة بما يخيف المتصيدات وكيف لا؟ وعلى رؤوسها الطير، أزاهر حسنٍ لا بدع أن يكون لها كآئيم، وبوارق العزم لاجرم أن أجنتها غمائم؛ ونواقل البأس والكرم عن مُرسِلها فهما جمعت الشجاعة ففرقه المكارم. أستجلاها المملوك بعد ألفاظ المشرف الكريم فقال: (تلك الرياض وهذه السحب،

وتلك الأنوار الهادية وهذه في أفق مطارها الشهب) ؛ وجهز المملوك المطالعة المحضرة
للأبواب الشريفة أعلاها الله وشرفها على يد فلان المذكور فقوِيل بالإكرام والكرم،
ومثل بالمواقف الشريفة مثولاً رقى بهيمته إلى الكواكب لا جرم ؛ وذَكَرَ بصالح
بيت الارتقاء صالح بيت أرتق حتى أنشد :

فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ * مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ !

وقد عاد معلماً من البشر بما يراه مولانا عليه ، معلماً بما تقدم من نجوى الإنعام
بين يديه ؛ حاملاً من كريم وجاه يُعدان للأولياء في يوم نزل وللأعداء في يوم نزال ، قائلاً
برجاء سعيه المؤمن : (يَا صَالِحٌ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) ولن نزال ؛ والله تعالى
يُجْرِي كَرَمَ مولانا على عوائد إسعاده ، ويَحْرُسُ بعينه وملائكته نفاسة نفسه وبِلَادِهِ ؛
ويُدْخِلُهُ بِأَسْمِهِ وَمُسَمَّاهُ لَدَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ .

وله جوابٌ بوصول بازيين :

ولا زَالَتْ بُرَاةُ كَرَمِهِ عَلَى الْحَمْدِ مُطْلََّةً ، وَسَحَابُهُ مُسْتَبَلَّةً ، وَهَيْمُهُ مُسْتَقِلَّةٌ بِأَعْبَاءِ
الْمَكَارِمِ وَإِنْ كَانَتْ لِكَثِيرٍ مَاهِدِيَةً مُسْتَقِلَّةً . هذه المفاوضة تُهْدِي إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ
أَجَلَهُ ، وَتَوْضَعُ لِعَلَمِهِ الْكَرِيمِ وَصُولَ مَكَاتِبَتِهِ الْعَالِيَةِ فَوْقَنَا عَلَيْهَا ، وَعَوْدَنَا بِكَلِمَاتِ
النَّاءِ التَّامَّةِ مِنْ خَلْقِهَا وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا ؛ وَعَلَمَنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَعْلَمُهُ مِنْ مُوَالَاتِهِ وَأَلَانِهِ
الْمُسْتَنَدِ فِي الشُّكْرِ عَنْهَا وَالْمُسْتَنَدِ فِي الْوَلَاءِ إِلَيْهَا ؛ وَوَصَلَ كَلَا الْبَازِيِّينَ الْحَسَنِينَ الْمُحْسِنِينَ
كَأَنَّهُمَا فَرَقَدَا سَمَاءً قَدْ اجْتَمَعَا ، وَقَرَأَ حُسْنٌ طَلْعًا ، وَعَلَى مُحَاسِنِ الصَّيْدِ أَطْلَعًا ؛ يَسْرَانِ
الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ، وَيَحْمِلُ كُلُّ مَنَّهُمَا عَلَى الْيَمِينِ فَيَحْصُلُ بِهِ الْيَسَارَ ؛ وَمَا هُمَا بِأَوَّلِ
إِحْسَانِهِ الْأَسْنَى ، وَرَّهْ الْأَهْنَى ؛ وَأَبَايَدِهِ الَّتِي أَبِي الْكَرْمُ إِلَّا أَنْ تَرِدَ مَثْنَى مَثْنَى . وَعِلْمُ
اعْتِدَارِهِ عَنِ الْكُوْهِيَّةِ الَّتِي كَانَ أَذْنَحَهَا فَبَقَّتْ ، وَلَوْ أُقِيمَتْ بِهَا أَسْوَاقُ الصَّيْدِ

نَفَقَتْ ، وأرسل بروايتها تحقيقاً لدَعْوَى المكارم التي من زمانٍ تحَقَّقَتْ ، واللهُ تعالى
يُشْكِرُ بِهِ ، ويملاً بِذِكْرِهِ بَحْرَ الثَّناء وَبِرِّهِ .

وله جوابٌ بوصول كُوهِيتَيْنِ على يدِ شخصٍ أَسْمَهُ بِأَشَق :

لازالَتِ المحامدُ من مَصَائدِ إِنْعامِهِ ، وفوائدِ أَيْامِهِ ؛ وثمراتِ البأسِ والكَرمِ من
قُضْبِ سُيوفِهِ وأَقلامِهِ ؛ تَقْيِيلِ مَعْتَرِفٍ بِإِحْسَانِهَا ، مَعْتَرِفٍ من مَواردِ آمِنَتِنَا ؛ مَتَحِفٍ
منها بَعالي تُحْفِ تَدُلُّ على مَكَانِهَا في الفضلِ وإمكَانِهَا .

وَبُنْيِ وَرُودَ مَشْرِفِ مولانا الكَرِيمِ على يدِ الولدِ « بِأَشَق » فيالهِ بِأَشَقُّ جاء
بِكُوهِيتَيْنِ جَميلَتَيْنِ ، وطارَ للسرعةِ وهو حَامِلٌ مِثْنَيْنِ جَليلَتَيْنِ ؛ وقد وَصَلَتَا وَ[كَلْنَا] هُما
حَسَنَةُ الخُبْرِ والخَبَرِ ، حَمِيدَةُ الوَرْدِ والصَّدَرِ ، يُحَسِّنُ مَسْرَى كُلِّ مِنْهُمَا وَسِيرُهُ ؛ وَيَتَجَمَّلُ بِهِمَا
بَابُ الشُّكْرِ خَانَاهُ وَصَدْرُهَا وَيَكْثُرُ خَيْرُ المَطْبِخِ وَمِيرُهُ ، فَمَدَّ المَمْلُوكُ إِلَيْهِمَا اليَدَ المَتَحَمِّلَةَ
الحَامِلَةَ ، وإلى المَشْرِفِ الكَرِيمِ اليَدَ المَتَوَلِّيةَ المُتَنَاوِلَةَ ؛ وعلمَ ما تَضَمَّنَتْهُ من الحُسْنِ
والإِحْسَانِ ، وَذِكْرِ المَوالاتِ التي يَحْكُمُ بِهَا القَلْبُ العَالِمُ قَبْلَ شَهَادَةِ اللِّسانِ ؛ وَأَعْتِذارِ
مولانا عَنِ تَعَدُّرِ وُجُودِ الشَّاهِينِ ؛ وَكُلِّ إِحْسَانِ مولانا شَيْءٍ كافيٍّ ، وَكُلِّ مَواردِ
نِعْمِهِ هَنِيٍّ صافيٍّ ؛ وَمافاتِ مَقْصِدُ وإِنْعامُ مولانا وَراءَ طَلَبِهِ وَإِنْ طال الأَمَدُ ، ولا فَرَّ
مَطْلُوبٌ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ سَعْدُ مولانا مَقْرُونًا في صَفَدٍ ؛ واللهُ تعالى يُشْكِرُ عَوائِدَ فَضْلِهِ ،
ولا يَضْحِكُ الأَمالُ المَتَجَنِّةَ [إِلَيْهِ] مِنْ ظِلَّةٍ .

جواب بوصول طيور، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وَشَكَرَ هَدَايَاهُ المَتَقَبَّلَةَ ، وَسَجَّيَّاهُ التي هِيَ بِأَفْواهِ المحامدِ مُقَبَّلَةٌ ، ولا زال بِدَرِّ سَعادَتِهِ
المَأْمُولَةِ وطائرَ هِدْيَتِهِ المَتَأَمَّلَةَ .

صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالى تُهدى إليه من السلام أتمه، ومن الشاء أتمه، وتوضَّح لعلمه الكريم ورود مكاتبتة الكريمه، ومكارمه العيمه، وطُيور هديته التى كل منها فى الحُسن بدرتيم، وظهرت ظُهور البدر لتمامه فأبت محاسنها أن تنكتم، لحُسن ورودها، ورعى بفضل التلطف والتودد مقصودها، وأقبلت تلك الطيور التميّة تامّة الإناعام، دالّةً يمين طائرها على بركة عامّة وكيف لا؟ وقد جاءت ببضاء عدد شهور العام، والله تعالى يزيده من فضله، ويُجرى الأقدار بالسعود الشاملة لجمعه الجامعة لشمّله، إن شاء الله تعالى .

جواب فى المعنى، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا :

لا زالت الجوارح شاهدةً بیره، والجوانح حائمة الجناح على شريف ذكره، والحمد من مصاديد أقلامه ورماحه فى السلم والحرب : فإما بقوادم سمره، وإما بمناسر سمره، تقبيلًا يبعثه على أجنحة أوراق الرسائل، ويتصيد به على البعد مشافهة تلك الأنامل الجلائل .

ويُنهى بعد دعاء، تُخلّق إلى السماء كلماته الحسنه، وولاءٍ وشاء : هذا تحفّق بتشوقه أجنحة القلوب، وهذا تحفّق بذكره أجنحة الألسنه - أنّ كتاب مولانا ورد على الملوكة فأورد عليه المسار، و[ملا] يده بالمبار، ومصاديده بالمير، ومنارله بالخير، وآماله بأمالى الكرم لذى السرحات المنشرح بأية (وعلمنا منطق الطير) فقابله الملوكة بتقبيله، وواصل فضل الاعتداد بتفضيله، وحصل من هداياها وهداها على جملة الإحسان وتفصيله، وأتمنى إلى الإشارات العالية التى زكت على العيان وتأمله وأربت على الجنان وتأمله .

فَأَمَّا الْإِنْعَامَ بِالْكُوْهِتَيْنِ اللَّتَيْنِ مَاقَذَفَ الْبَحْرُ إِلَى السَّاحِلِ أَهْبَى مِنْ دُرِّهِمَا
 الْمَكْنُونَةِ ، وَأَزْهَرَ مِنْ جُوهِهِمَا الْمُبَارَكَةِ الْمِيْمُونَةِ ، فَقَدْ وَصَلَ كِلَا الطَّائِرَيْنِ يُمْنُهُ ،
 وَالسَّابِقِينَ بِمَنَّةٍ ، وَالْعَائِيْنَ فِي جَوْ السَّمَاءِ الْآتِيَيْنِ مِنَ الصُّيُودِ بِأَوْفَى مِنْ قَطَرَاتِ مَوْنِهِ ،
 وَاسْتَقْبَلَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُمَا وَجْهَ الْمَسَارِ ، وَحَمَلَتْ يَمِينُهُ الثَّرْوَةَ وَحَمَلَتْ عَلَى الْيَسَارِ ؛
 وَتَنَاوَلَتْ يَدُهُ يَدَيَّ إِحْسَانٍ يَسُرُّ النَّاظِرِينَ وَالسَّامِعِينَ ، وَاسْتُخْدِمَا لِلشُّكْرِ خَانَاهُ وَلِحِفْظِ
 مَطْبَخِ بِلَاءِ عِيُونِ الْمُشْبَعِينَ وَالْجَائِعِينَ ؛ وَقَالَ صَنَعَ اللَّهُ لِصِنَاعَتِهِمَا : ائْتِيَا بِصُيُودِ السَّمَاءِ
 طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ . قَدْ كَتَبَتْ بِالْيَمْنِ فِي مَطَاوِي رِيشِهَا أَشْبَاهَ الْحُرُوفِ ؛
 وَقَضَى الْجُودُ لِمَلِكِ الْأَحْرَفِ أَنْ تَقْرَى مَا تَقْتَرِي عَوَاصِي الطَّيْرِ لَهُ بِطَاقَةِ تَقْيِيدِ السَّابِغِ
 فِي طَلْقِهِ ، وَيَعُودُ مُطْلِقُهَا وَقَدْ أَلْزَمَ نَجَاحَ الطَّيْرِ طَائِرَهُ فِي عُقْبِهِ ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانَ
 مَوْلَانَا الَّذِي أَلْخَفَ الْأَمَلَ جَنَاحَهُ ، وَالْقَصْدَ نَجَاحَهُ ؛ وَبَرَّ الَّذِي أَحْمَدُ فِي سَوَانِحِ
 الطَّيْرِ وَبَوَارِحِهِ مَسَاءَهُ وَصَبَاحَهُ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ فِي أَمْرِ فُلَانٍ وَأَمْرُهُ عِلْمُ
 اللَّهِ تَعَالَى فِي الْخَاطِرِ حَاضِرٍ ، وَمَا يُؤَنِّرُ شُغْلَهُ عَنْ إِهْمَالٍ وَعَائِبُ الْإِهْمَالِ غَادِرٍ ؛
 وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ فُلَانٍ أَمِيرِ شِكَاكَهِ وَأَمِيرِ شُكْرِ الْمَمْلُوكِ ، وَتَقَدَّمَ بِخَلَاصِ حَقِّهِ ،
 وَاسْتَنْزَلَ بِهَدِيَّتِهِ قَضَاءَ الشُّغْلِ مِنْ أَفْقِهِ ؛ لِأَبْرَحَ مَوْلَانَا مِمْتَلِ الْأَوَامِرَ ، هَامِي سُبْحِ
 الْبِرِّ الْهُوَامِرَ ، مُجَدِّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ نِعْمَى ، مَالَتًا بِهَدَايَاهِ قُلُوبَ مُحِبِّيهِ وَبُيُوتَهُمْ شَجْمًا وَلَحْمًا ؛
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله جواب في وُصُولِ طُيُورِ الْعَقَقِ :

لَا زَالَتْ مَتَّصِلَةً مِنْ إِرْفَاقِهَا وَإِرْفَاقِهَا ، نَازِلَةً عَلَى حُكْمِهَا [الْأَشْيَاءُ] حَتَّى
 الطَّيْرُ الْعَاقَّةُ مِنْ آفَاقِهَا ؛ خَافَقَةُ أَعْلَامٍ نَصَرَهَا بِالْأَجْنَحَةِ مُؤَمِّنَةً لَطُنُونَ الْقَاصِدِينَ مِنْ

إخفاقها، تقييل مُطْلِقٍ لسانِ الحَمْدِ على عوائِدِ إطلاقِها، مُجْتَنٍ لثَمَرَاتِ الإِحْسَانِ مِنْ
غُصُونِ أَقْلَامِهَا وَغُصُونِ أَوْرَاقِهَا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مَشْرِفِ مولانا العالى على يَدِ الْوَلَدِ فَلانٍ فَوْقَ الْمَمْلُوكِ عَلَيْهِ، وَعِلْمُ
مِنْ جَمِيلِ الْإِحْتِفَالِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ مَوْقِعٌ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ طُيُورِ الْعَقْدِ فَأَوْقَعَهَا
مِنْ مَطَارِهَا ، وَأَسْتَنْزَلَهَا مِنْ أَوْكَارِ أَفْقِهَا وَأُفُقِ أَوْكَارِهَا ، وَأَرْسَلَهَا قَرِينَ مَشْرِفِهِ
الْكَرِيمِ ، وَقَدْ عُنِقَ الْأَمَلُ بِعَقْدِهَا النَّظِيمِ ؛ وَوَصَلَتْ سَبْعَةٌ كَعَدَدِ أَيَّامِ الْجُمُعَةِ الْكَامِلَةِ ،
وَالْكَوَاكِبِ الْمَائِلَةِ ؛ وَالسَّمَوَاتِ لِاجْرَمِ أَنْ تُسَبَّحَ يَمْنَهَا هَامِلَةٌ ، حَسَنَةُ الشَّكْلِ
الْمُوصُوفِ وَالْوَصْفِ وَإِنْ كَانَ مَعَ عُقُوقِهِ الْمَأْلُوفِ ، طَائِعَةً لِأَوَامِرِ تَوْقِيعِهِ فَاعْتَقَ
مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرَ تَضَعُّفِ اسْمِهَا الْمَعْرُوفِ ، لِابْرَحَ إِحْسَانُ مولانا مَتْنَوًا ، وَرِثَهُ الْحَزِيلُ
مَتَبَرَّعًا ، وَغُصْنُ قَلَمِهِ بِأَنْوَاعِ الْمَكَارِمِ مَتَفَرَّعًا .

وله جواب بوصول ثَمَاتٍ ، وإوز صِينِي ، وطلب إمرة عشرة :

حَمْدُ اللَّهِ تِلْكَ النِّعْمَةُ مِنَ الْغَيْرِ ، وَأُطْلِعَهَا عَلَيْهِ بِأَيْمَنِ الْغُرَرِ ، وَلَا بَرِحَ طَائِرُ مَنْهٍ
كُوصِفِهِ أبيضَ الْخُبْرِ وَالْخَبَرِ . هَذِهِ الْمَفَاوِضُ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا
يَشْوِقُ الصَّبَاحَ ، وَشَاءَ خَفَاقِ الْجَنَاحِ ؛ وَتَوَضَّعَ لِعِلْمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ الْكَرِيمَةِ
جَمِيلَةَ الْفَوَائِدِ ، جَلِيلَةَ الْمَصَائِدِ ، تِمِّيةَ الْبُذُورِ الْمُتَنَاولَةِ مِنْ مَنَالِ الْفَرَاقِ ، فَوْقُنَا بِالْأَشْوَاقِ
عَلَيْهَا ، وَعَظَفْنَا عَلَى الْعَادَةِ بِتَأْكِيدِ الْوَلَاءِ إِلَيْهَا ؛ وَوَصَلَتْ تِلْكَ الثَّمَاتُ وَاضِحَةَ الْأَنْوَارِ ،
لَا تُحِثُّ كِبْيَاضَ الثَّوَارِ ، تَامَةً تَمَامَ مِيقَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنَّهَا لِيَاضِهَا كَارِبِينَ
نَهَارٍ ؛ وَكَذَلِكَ الْبَطُّ الصِّينِي كَأَيَّامِ الْحَجِّ عَشْرَةً كَامِلَةً ، مَقْتَرَضًا عَلَى عَشْرَتِهَا وَلَاءُ الْقُلُوبِ
الْمَتَأَمِّلَةِ الْآمِلَةِ ؛ صَيِّئَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِحَاسِنِ الْأَلْوَانِ الَّتِي هِيَ بَغِيرُ مَثَلِ مَائِلَةٍ ؛ وَحَصَلَ
الْإِعْتِدَادُ بِرِهِ ، وَالْإِزْدِيَادُ لِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ، وَفَهْمُنَا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إِمْرَةِ الْعَشْرَةِ الَّتِي آنَحَلَّتْ

عن فلان، وقد طالعنا بأمرها، وعجلنا بذكريها، ونرجو أن يعجل بأمانيتها المنتظرة،
وأن يقابل بخوافيق أعلامها خوافيق بطشه فتقابل عشرة بعشرة، والله تعالى يعجل
لمعالیه الصعود، ويؤكد لمساعيه السُّعود؛ إن شاء الله تعالى .

الأجوبة عن وصول الصيود ولحومها

جواب عن نائب الشام إلى نائب حلب بوصول [لحم] طير صيد قديد وصحبته
بطيخ أخضر، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة . وهو بعد الألقاب :

لا زالت تُقتنص المحامد بعطاياه المكره، وأوايد الصيد برماياه المقترة، ورقاب
الإنس والوحش : إماما بسهام نعمة المتواترة، وإماما بسهام قسيه الموترة؛ ولا برحت
تفحات مكارمه، تشهد أن المسك بعض دم الغزال، وسرحات عزائم، تمتد
في صيد الوحش لقرى نزيل أو في صيد الأعداء لتقير نزال؛ تقيلا تعطف أجياد
الطبأ لمحاولة عقوده، وتزدحم أفواه الأولياء على مشافهة وروده .

وينهى بعد ولأ تقوم الخواطر الكريمة في دعواه مقام شهوده، وشوق لا تزال
النسمات الشامية قاضية باستمرار وفوده - أن مشرف مولانا الكريم ورد على المملوك
على يد فلان وصحبته الإنعام المتجدد، وإن كان قديما في المعنى، واللحم القديد،
وإن كان أطرى من الروض النضير حسنا، والسمين المحبوب وإن كان كحال عداه
الذين تُقدد جسومهم في الحياة قبل الممات خُزنا، فقابل المملوك المشرف الكريم،
بتقيل أحرفه، والإنعام العميم، بقبول مُسعده ومُسعفه؛ وعانقهما بجوانح آماله،
وأخذ الكتاب والبركا يقال يمينه وشماله، فيألفهما من طبأ تُعشق وإن بليت
محاسنها، وغزلان تُغازل وإن بادت عيونها إلا أنه ماباد حب من يعاينها، وصيود
توصف وإن قصدها قصد السهام بطعن، ويتق بقرونها القتال والقسي تالية :

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ . سَلَكْتَ خِيُولَ مَوْلَانَا لِقَنْصِهَا الْمَصَاعِبَ
وَأَتَّخَذَهَا الْآكِلُونَ سَهْلًا ، وَتَصَيَّدَهَا مِنَ الْفَلَاةِ وَأَصْطَادَهَا الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمَقْلِ ؛
وَوَصَلَ مَعَهُ الْبَطِيخُ الْأَخْضَرُ فَشَبَّهَ بِثَمَارِ الْجَنَّةِ الْمَشْبُوهُونَ ؛ وَقِيلَ : هَكَذَا تَرْتِيبُ مَا كُلَّ
الْجَنَّةِ لَمْ فِيهَا فَافْكُهُ وَلَحْمُ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ؛ لَا زَالَتْ مِنْ مَوْلَانَا مَشْرُوحَةً
مَشْرُوعَةً ، وَثَمَرَاتُ نِعَمِهِ مِنَ الدُّنْيَا كَثُرَتْ أَهْلُ الْجَنَّةِ غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مُمْنُوعَةٍ ؛
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أَجْوِبَةُ هَدَايَا الْقَوَاكِهِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

جَوَابُ وَصُولِ شَمِشِ لَوْلُؤِيٍّ وَدَغْمِيشِيٍّ مِنْ حِمَاةٍ .

بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهَا وَنَدَّاهَا ، وَأَطْلَعَ بِالْيَمَنِ نُجُومَ هَدْيِهَا وَهَدَّاهَا ؛ وَلَا زَالَتْ مَوَاهِبُ
بَحْرِهَا لَوْلُؤِيَّهِ ، وَشَوَاهِدُ يَمِينِهَا كَوَكِيئِهِ ، وَثَمَرَاتُ جُودِهَا فَضِيَّةَ الْأَعْيَانِ ذَهَبِيَّةً ، تَقْبِيلًا
حَلَّتْ مَوَاقِعَهُ ، وَجَلَّتْ مَطَالِعُهُ .

وَيَنْهَى بَعْدَ وِلَاءٍ وَحَمْدٍ : هَذَا قَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ شَرِيعَتُهُ وَهَذَا قَدْ عَذَّبَتْ
فِي السَّمْعِ مَشَارِعَهُ ، أَنَّ مَشْرِفَةَ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةَ وَرَدَتْ عَلَى الْمَمْلُوكِ نَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ
وَالْإِحْسَانَ ، وَيَمِينُ الْبِرِّ الشَّامِلُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ؛ وَعَهْدُ الْحُبَّةِ الَّتِي حَكَمَتْ فِيهِ بَعْلُمُهَا
الْقُلُوبَ فَمَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ لِسَانٍ ؛ فَقَابَلَهَا الْمَمْلُوكُ مَقْبَلًا ، وَأَسْتَجْلَى وَجْهَ الْوُدِّ وَالْإِحْسَانِ
مُقْبِلًا ؛ وَوَصَلَ الْمِشْمِشُ الَّذِي شَفَى لَوْلُؤِيَّهَ نَظَرَ النَّاطِرِينَ ، وَنَوَعَهُ الْآخِرُ الدَغْمِيشِي
الَّذِي هُوَ الشَّهْدُ بِحَسَنِهِ وَلَا يُدْغَمُشُ بِاسْمِهِ عَلَى الْحَاضِرِينَ ، فَتَنَاولَ الْمَمْلُوكُ عَوَارِفَ
بِرِّهِ الْمَعْرُوفِ وَالْمُبْتَكَّرِ ، وَأَسْتَضَاءَ نُجُومَهُ الْمَتَرَدَّةَ مُنْشِدًا قَوْلَ الْمَعْرَى : (كَمْ دُرٌّ ،
وَكَمْ يُرْنَ هَذِهِ الْأَكْر) ، وَقَالَ : شَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْمِنَّةَ الْحُلُوءَةَ الثَّمَرَاتِ ، الْمُتَّصِلَةَ

الخطرات ؛ وهذه المجاني التي طابت أوصولها وفروعها فلا أبعدهن الله من شجرات ،
وحيا حماة وما جلبت ، وجنبايت ذلك الوادي وما أنجبت ؛ وحدائق ذلك العاصي
الذي أطاع ببركة مولانا فأثبت أحلى وأحل ما نبت ؛ وقد جهز المملوك هذه الخدمة
منطوية على وظائف الحمد المستجاده ، ولطائف الحب المستفاده ؛ وحمد المن التي
لا تزال من مولانا عادة ومن المحبين شهادته . لا برحت يد مولانا الكريمة إن بسطت
فيعوائد إنعامها ، وإن قبضت فعلى سيوفها لمصالح الدول وأقلامها ، وإن زهت
فروع المكارم ، تساقطت ثمرات برها من زهرات أكرامها .

جواب بوصول مِشمِش وبطّيح حلّي ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة .

وينبئ بعد ولاء وثاء : لهذا في الأسماع أزهي وأزهر ثمره ، ولهذا في القلوب
أرسى وأرسخ شجره . ورود المشرف الكريم على يد فلان بما ملأ السمع من أخبار
مولانا المرتقة سرورا ، والعين من آثار يده الكريمة نورا ؛ والفم من هدايا المشمش
الحموي كئوس لذة كان مزاجها كأفورا ؛ فقبل المملوك أسطره مستحليا مواقع
رشفاته ، وقابله بعوائد الحماد مستجليا عوائد أفقاداته وصلاته ؛ ومد يده وفكره
فالتقط النجوم المشرقة من هداياه وكلماته ، وتقلد جواهر المبرات الحسنة المحسنة ،
والثمرات التي جاءت بدريّة القدوم وإن كانت نجومية الهيئات المكونة ؛ وأستصوب
نتائج الغيث فقال : لعل هذه بنادق قوس السماء الملوّنة ، وصفا وطاب ظاهرها
وقلبها وكذا تكون صفات ذوى القلوب المؤمنة ؛ والمؤمن حلوى لاجرم ، والحموي
على عجمه الخراساني أولى بفصاحة الفخار والكرم ؛ لا زالت فعاتل من مولانا
مستجاده ، ونعمه لاسيما المشمشية مستزاده ؛ وأفقاداته المشهورة لدى ممالكه

ومحبته منه عادةً ومنهم شهادته؛ وجاءت فاكهة البطيخ الحلبي وقد رضع حلب النعام فأنجب، وأستوى باطنه وظاهره في الحسن فأعجب من حين أعشب؛ وأستطاب الذوق والشم مطعمه وأنفاسه، ووُصف بالرؤوس فضمه كل متلق وقبل رأسه؛ وقال: نعم الهدية السريّة، والفاكهة التي طاعت حُرز [ها] هلاكيّة وثمرتها بذريه.

جواب عن وصول بطيخ حلبي، من إنشائه أيضاً، [وهو] بعد الألقاب:

وشكر سجاياه التي تلت، وهداياها التي تكررت خلّت، وأفتقاداته التي طاب ظاهرها وباطنها فكانها من أخلاقه الجميلة نُقلت؛ أصدرناها تُهدى إليه سلاماً يتقدم كهديته نسيمة العاطر، وثناءً ينتج أطيب الثمر مقدمات غيثه الماطر، وتوضح لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمة وردت فحسنت بالود مشافهتها، وأقرت في الأسماع فاكهتها ومفاكهتها؛ ووصل البطيخ فله در حلبه ودر حلبه، لقد حسنت في ملاذ المطاعم طريقته المرضية، ولقد أشبه القناديل بتكوينه وفتيلة عرقه فلا جرم أن قناديله عند الشكر مضية، ولقد ملأ خبره وخبره عين البصر وأذن المصيح، ولقد خلق دواءً للأجسام حتى صح قول الحلبيين للأرمد: دواؤك البطيخ؛ فشكر الله إحسان الجناب العالي، ويره المتوالي؛ وعلى الوالد والولد ومن عندهما سلام المحب المتغالي، والله تعالى يحفظ عليهم من الفضل ما وهب، ويرزقهم بغير حساب ويرزق الظن فيهم ما حسب؛ إن شاء الله تعالى.

وله أيضاً جواب بوصول بطيخ حلبي، وهو بعد الألقاب:

وشكر إحسانه الذي حلا مذاقه، وزكت أعراقه، وحيّا على البعد تحية طيبة ففتح بها أزهار الكتاب وأثمرت أوراقه؛ هذه المفاوضة تُهدى إليه سلاماً طيباً كهديته، وثناءً زائجاً كطويته، وتوضح لعلمه الكريم ورود مكاتبته الجامعة حسن

الأقوال والأفعال، المطلعة بوارِدِ غَمَامِهَا أَطِيبَ الثمرِ في الحال؛ فَأَحْيَتْ وَلَاءَ حَاشِيْ
لوجوده من العَدَمِ، وَجَدَّتْ عهدَ البَشَرِ - وما بِالْعَهْدِ من قَدَمٍ - ووصلَ البَطِيخُ
الحَلْبِيَّ أَصْلَهُ، الحمويَّ فَضْلَهُ، الدَّمَشْقِيَّ ضَمَّهُ وَشَمَّهُ وَأَكَلَهُ، الفَلَكِّيَّ وَلَا سِيَّامًا من الأَهْلَةِ
المُجْتَمِعَةِ شَكْلَهُ، فَكَّرَمَ مَطْلَعًا، وَحَسَّنَ من الأفواهِ مَوْقِعًا، وَعَمَّ الحَاضِرِينَ نَوَالًا،
وَأَشْتَمَلَهُم بِعَطْفِ الإِحْسَانِ أَشْتِمَالًا، وَأَخَذَ الغَلَامُ السَّكِّينَ :

فَقَطَّعَ بِالْبَرْقِ شَمْسَ الضُّحَى * وَنَاوَلَ كُلَّ هَلَالٍ هَلَالًا

لَا بَلَّ أَهْلَةٌ كَثُرَ تَعَادَاهَا، وَكَرَّرَ تَرْدَادَهَا، وَرَصَدَ قُرْبَهَا وَلَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ أَصْحَابُ
الْهَيْئَةِ أَبْعَادَهَا؛ فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانَ الْجَنَابِ الْعَالِي حَاضِرًا وَغَائِبًا، وَبَرَّهَ الَّذِي يُطْلِعُ
كُلَّ وَقْتٍ مِنْ هَدَايَاهُ وَكُتُبِهِ أَهْلَةً وَكَوَاكِبًا، وَمَرَبَاهَ الَّذِي نَقَلَ عَنْ مَلُوكٍ كَانَتْ
مَنَازِلُهُمُ لِلْحَامِدِ رَوْضًا وَكَانَتْ أَيْدِيهِمُ لِلكَرَمِ سَحَابًا؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَهُ جَوَابٌ بِوَصُولِ قَصَبِ سُرٍّ وَأُتْرُجٍّ وَقُلُقَاسٍ :

لَا زَالَتْ أَوْصَافُ شَيْمِهَا، تُطْرَبُ كَمَا يُطْرَبُ الْقَصَبُ، وَأَطَافُ كَرَمِهَا، مِمَّا يَغْدَى
الْجَسَدَ وَيُنْعِشُ الرُّوحَ وَيَشْفِي الْوَصَبَ، وَأَصْنَافُ نَعَمِهَا مِنَ الْحُلُوفِ إِلَى الْحَامِضِ
مِمَّا يُعْدِي الْأَيْدِيَ الْمَتَنَاوِلَةَ فِيهِى عَلَى الْأَعْدَاءِ تَنْتِصِبُ؛ تَقْبِيلَ حُبِّ حَلَّتْ لَهُ الْمِنَنُ
فَتَنَاوَلَهَا، وَمَوَاقِعَ اللَّثْمِ فَعَاجَ إِلَيْهَا وَعَاجَلَهَا .

وَيُنَبِّئُ وَرُودَ مَشْرِفِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ، عَلَى يَدِ فُلَانٍ يَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ وَالْإِحْسَانَ،
وَالْبِرَّ الْمَأْتُورَ بِكُلِّ فَمٍ الْمَشْكُورَ بِكُلِّ لِسَانٍ، فَقَابِلَهُ الْمَمْلُوكُ بِمَا يَجِبُ مِنَ الْخِدْمَةِ لِمِثْلِهِ،
وَلِقَاةَ بَعَوَائِدَ تَحْدُ عَوَائِدَ فَضْلِهِ، وَوَصَلَ قَرِينَهُ الْإِنْعَامُ الَّذِي تَنَوَّعَ فُنُونُهُ وَأَفْنَانُهُ،
وَمَلَأَ فَمَ الشَّرَابِ خَانَاهُ سُرًّا وَيَدَ الْمِطْبَخِ إِحْسَانًا؛ وَذَكَرَ نَبَاتَهُ الطَّرَابُلسِيَّ عُهْدَ الدِّيارِ
الْمُضَرِّيَّةِ، وَأَوْقَاتَ الْأُنْسِ بِخِدْمَةِ مَوْلَانَا السَّيْنَةِ؛ سَقِيًّا لَهَا مِنْ أَوْقَاتِ وَعُهْدِ، وَشُكْرًا

لجُود مولانا الذى هو فى كُلِّ وادٍ موجود ؛ ولتديره الشمسى الذى أحيا الله به على
عباده عناصرَ هذا الوجود، ولا برِحتْ مكارمُه متنوعه، ونعم أياديه متفرعه : فمنها
ما حَلَا فرُعُه فأصبح لكلِّ حُلُو أصلا ؛ ومنها ما طاب رِيحُه وطعمُه فكان للمؤمن
مثلا ؛ ومنها ما لَدَّ طعامُه الشهيُّ فما هو مما يُهَجِّر وإن كان مما يُقِلُّ .

وله جواب بوصول بالكرة خيار وملوخية :

لا زالت تشرح بمكارمها الصدور، وتفتح بركات الأعوام والشهور؛ وتمنح من
لطائف منها كل جماعة السرور، وتمنح في هداياها المستبقة إلى الأولياء خيار
الأمور؛ تقييل محب لا تغير ولائه الدهور، ماش من طريق المصافاة والموافاة
في نور على نور .

ويُنهى ورود مشرفة مولانا على يد فلان تتضمن المعهود من ولائه وآلائه ؛
والمشهود المشهور من إحسان نداءه قبل ندائه ؛ فقابلها المملوك مقابلة الشيق إلى قرب
الديار، الممضى في المحبة قلبه لمولاه قبل شرط الخيار، ووصلت لطائف هديته
الخضرة النضرة، وطرائف الفضل الباكرة كمعاني اللفظ المبتكرة ؛ فتنجز المملوك
الفاكهة قبل أوانها البديع، ورصد من أفلاك العلب في ذى الحجة غرة ربيع ؛
وتفاعل بالهدية الم جمعة الأحباب في أن يعود السمل وهو جميع ؛ وقد عاد فلان حاملا
من رسائل الشوق والشكر ما يؤديه بين أيدي مولانا الكريمه، ويحدد بذكره عهود
الأسس القديمه ؛ لابرح مولانا سابق الكرم، محضر المراع يبيض النعم .

قلت : وكتبت جوابا لبعض الأصحاب وقد أهدى لي سَمكا :

أهدى لنا سَمكا قد طاب مَطعمُه * أكرم به سَمكا لم يسكن البركا !
لا شك أن له بالبحر شاكلة * والبحر عادته أن يهدى السمكا !

الضرب الثاني

(من كُتِبَ التهادى الاستهداء)

وأعلم أنَّ كلَّ ما يُكْتَبَ مع إهدائه قد يُكْتَبَ مع آسْتِهْدَائِهِ ، إلا أنَّ الغالب مما جَرَتْ به عادةُ الكُتَّابِ في الاستهداء طلبُ الأشياءِ المستظرفةِ الخفيفةِ المِنَّةِ دُونَ ما يعْظُمُ خَطْرُهُ ، اللهم إلا أن يكونَ الاستهداءُ من الملوكِ ونحوهم فيُطَلَّبُ فيه ما جَلَّ وعَظُمَ .

والذى جرت عادةُ الكُتَّابِ بالكتابةِ في آسْتِهْدَائِهِ على أصناف :

الصنف الأول - آلاتُ الكتابةِ : من الأدوية^(١) والمِدَادِ والأقلامِ :

ما تقدّم ذكره في الإهداء .

أبو الفرج البغّاء في آسْتِهْدَاءِ دَوَاةِ :

أَنْفُسُ الذَّخَائِرِ وأشرفُ الآمالِ ما كانَ للفضلِ نَسَبًا ، وللصَّناعةِ والحُظوةِ سَبَبًا ، وبالدَّوىِّ تجنّى ثَمَرَةَ الصَّناعةِ ، ويَحْتَلِبُ دَرَّ الكِتابَةِ ، وقد أوحَشَ المملوكُ الدَّهْرُ مما كُنْتُ أَقْتَنِيهِ من نفائسِها ، وضايقَه في وجودِ الرِّضَى على الحَقِيقَةِ منها ، فإنْ رَأَى مولانا أن يُمِيطَ ببعضِ ما يَستَخدِمُه من حاليها أو عا طَلِها سِمَةً عَظِلَةً المملوكِ ، وَيَسْمَحَ بإهدائها إلى أَهْلِ تَصَرِيفِهِ وَيَقَابِلِ التَّجَجُّجِ والتَّقبُّلِ رَغْبَتَه ، فَعَلْ ، إن شاء الله تعالى .

وله في آسْتِهْدَاءِ مِدَادِ :

التَّنَافُسُ - أَيْدِكَ اللهُ - في أدَوَاتِ الكِتابَةِ وآلاتِ الصَّناعةِ بِحَسَبِ التَّفَاضُّحِ في ظُهُورِ النِّعْمَةِ ، والتَّخْيِيرِ لِبَيَانِ الإِمْكَانِ والقُدْرَةِ ، وإلا فِسا ئُرُ الدَّوىِّ سَوَاءٌ فِيا تَصَدِّره

(١) لعل الصواب من الدوى أنظر القاموس .

الأفلام عنها ، وتستمده بطون الكتب منها ؛ وأولى آلاتها بأن تتوفر العناية عليه ،
وينصرف التخيّر بالضرورة إليه ؛ المداد الذى هو ينبوع الآداب ، وعتاد الكُتّاب ،
ومادة الأفهام ، وشرب الأفلام ؛ فجعلها الله بواجب القضية والحكم ، فى حيز وصفه
من الحمد والذم ؛ ومازلت لنفائس الأخلاق موطنًا ، ولنجع الإخوان فى المحل معدنًا ؛
ولا معدل بي عن استمache خزائنك عمرها الله الممكن من جيده ، فإن رأيت أن تستنقذ
دواقي من نحول العطلة ، وتزده قلبي عن ظمإ الغلة ، وتكشف عنها سمة النقصان
والخلّة ، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

على بن خلف ، فى مثله :

أولى ما أنبسط فى استهدائه ، وتسمّح [نفسى] فى استماحتِهِ واستجدائه ، ما كان
ناقعًا لغلة الأفلام ، مقيّدًا لشوارد الأفهام ، محبًّا لبرود البيان ، حاليًّا فى معارض
الحسن والإحسان ، وكتبت هذه الشكوى أطلال الله بقاء سيدى :

الصنف الثانى - الشراب .

فى استهداء مشروب .

أبو الفرج البغاء :

أنا - أيد الله سيدى - ومن ساعحنى الدهر بزيارته من إخوانى وأوليائه ، عضد الله
جمعنا ببقائه ، وقوف بحيث يقف بنا اختياره : من القبول والإنساض ، ويرتضيه لنا
إيثاره : من الهم والسرور ، لأن الأمر فى ذلك مما يؤلينا من المساعدة بالممكن من
المشروب إليه ، والاعتماد دون كلّ أحد فى اجتماع شمل المسرة لنا به عليه ، فإن رأى
أن يكلنى إلى أولى الظنين به وأحقهما بما نور قوتّه ، فعل .

وله في مثله :

الطُّف المَنَّ مَوْضِعًا ، وَأَجَلُّهَا مِنَ الْأَنْفُسِ مَوْعِدًا ، مَا عَمَّرَ أَوْطَانِ الْمَسْرَةِ ، وَطَرَدَ
عَوَارِضَ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ ؛ وَجَمَعَ شَمْلَ الْمَوَدَّةِ وَالْأُلْفَةِ ، وَأَدَّى إِلَى آجَتِنَاءِ ثَمَرَةِ اللَّذَّةِ ؛
وَبَذَخَائِكَ مِنَ الْمَشْرُوبِ مَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ [مَا] يَسْتَرْقُّ حُرَّ الشُّكْرِ ، وَيُحْرِزُ قَصَبَ
السَّبْقِ إِلَى النَّيِّبِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُنْجِدَ بِالْمَمِّكَ مِنْهُ مُرُوتِي ، عَلَى قَضَاءِ
حَقٍّ مِنْ أَوْجَبِ الْمَنَّةِ عَلَى بَزِيَارَتِي ؛ فَعَلْتَ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَ لِلْفَضْلِ نَسَبًا ، وَلِفَلَكَ الْفُتُوَّةَ قُطْبًا ، لَمْ تَفْرَحِ الْقُلُوبُ مِنَ الْهَمِّ إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَلَمْ تُعَوِّلِ الْأَنْفُسُ فِي اسْتِمَاحَةِ الْمَسَارِ إِلَّا عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ طَرَفَنِي مِنْ إِخْوَانِي مَنْ كَانَ
الدَّهْرُ يُمَاطِلُنِي بِزِيَارَتِهِ ، وَيَنْفَسُ^(١) عَلَى بَقْرَبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ ؛ فَصَادَفَنِي مِنَ الْمَشْرُوبِ
مُعْسِرًا ، وَوَجَدْتُ الْإِنْسَاطَ فِي آتِمَاسِهِ مِنْ غَيْرِكَ عَلَى مَتَعَدِّدًا ، وَإِلَى تَفَضُّلِكَ
تَفَرَّعَ مُرُوتِي فِي الْإِسْعَافِ مِنْهُ بِمَا يَلُمُّ شَعْتَ الْأُلْفَةِ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَ الْمَسْرَةِ ؛ وَيَجْعَلُنَا
لَكَ فِي رِقِّ الْأَعْتِدَادِ بِالْمَنَّةِ ، وَيَقْضِي عَنْ تَفَضُّلِكَ حَقُوقَ الْمَوَدَّةِ .

على بن خلف :

قَدْ أُنْتَظِمَ لَنَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - مَجْلَسٌ وَاقِفٌ بَيْنَ النَّشَاطِ وَالْقُتُورِ ، وَالْكَاتِبَةِ
وَالسُّرُورِ ؛ لُغْرُوبُ نُجُومِ الْخَمْرِ عَنْ سَمَائِهِ ، وَعَطْلُهُ مِنْ حُلِيِّ نُورِهِ وَلَا لَأَنَّهُ ؛ وَقَدْ عَوَّلْنَا
فِي إِطْلَاقِهِ إِلَى إِحْدَى الْجَهَتَيْنِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَا زِمَامَهُ بِيَدَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُرَوِّحَ أَفْكَارَنَا
بَشْيٍ مِنْ رَاحَةِ الْمُشَابَهَةِ عَبْقًا وَعِثْقًا لِأَخْلَاقِهِ وَأَعْرَاقِهِ ؛ فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في "القاموس" مادة ن ف س « ونفس به كفرح ضن وعليه بخير حسد » .

وله في مثله :

أَفْضَلُ مَا أُهْدِي سَيِّدِي مَا أُهْدِي السُّرُورَ إِلَى أَحِبَّتِهِ ، وَنَظَمَ شَمْلَ الْمُتَحَقِّقِينَ بِخِدْمَتِهِ ؛
وَحَسَمَ عَنْهُمْ هَوَاجِسَ الْفِكْرِ ، وَأَعْدَاهُمْ عَلَى الدَّهْرِ ؛ وَقَدْ جَمَعْنَا مَجْلِسٌ وَهَبْنَا لِلشَّاءِ
عَلَيْهِ ، وَزُقَتْ عِرَائِسُ الْخَمْرِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى إِثَارَنَا بِمَا يُكَلِّ نَشَاطُنَا ، وَيَتَمَّ
أَنْبِسَاطُنَا ، فَلْيَعْقِرْ هُمُونَنَا بِشَيْءٍ مِنْ عُقَارِهِ ، وَيَنْظِمَ [جَمَعْنَا] فِي سِلْكَ أَيْدِيهِ وَمِبَارِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الرابع (الشِّفَاعَاتُ وَالْعِنَايَاتُ)

قال في "موادّ البيان" : وهذه الكتب إنما تصدر عن ذَوِي الرُّتَبِ والأَخْطَارِ ،
وَالْمَنَازِلِ والأَقْدَارِ ، الَّذِينَ يُتَوَسَّلُ بِجَاهِهِمْ إِلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ وَدَرْكِ الرِّغَائِبِ .

قال : وَالْمُتَمَسِّسُ فِيهَا مِنْ تُنْفَذَ إِلَيْهِ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ : إِمَّا بَذْلَ مَالِهِ وَلَا يَبْدُلُ
مَالَهُ إِلَّا ذُو مَرُوءَةٍ يَفْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا فِيهِ لِقَاصِدِيهِ ؛ وَإِمَّا بَذْلَ جَاهِهِ وَفِي بَذْلِ
الْجَاهِ إِرَاقَةُ مَاءِ الْوَجْهِ وَالتَّعَرُّضُ لِمَوْقِفِ الرَّدِّ ؛ وَإِمَّا الْأَسْتِزَالُ عَنْ سَخِيمَةٍ وَمَوْجِدَةٍ
فِي الزُّوْلِ عَنْهُمَا كَفَّ حَدَّ الْغَضَبِ وَغَضُّ طَرْفِ الْحَقِّقِ ، وَهُمَا صَعْبَانِ إِلَّا عَلَى مَنْ
فَضَّلَ حَالَهُ ، وَلَطَّفَ فَهْمَهُ .

ثم قال : وَالكَاتِبُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّلَطُّفِ فِيهِمَا وَإِدَاعِيهِمَا مِنْ الْخِطَابِ مَا يَخْرِجُ بِهِ
الشَّافِعَ عَنْ صُورَةِ الْمُثْقَلِ عَلَى الْمَشْقُوعِ إِلَيْهِ بِمَا كَلَّفَهُ إِيَّاهُ ، وَيُؤَدِّي إِلَى بُلُوغِ غَرَضِ
الْمَشْقُوعِ لَهُ وَنَجَاحِ مَطْلَبِهِ ؛ ثُمَّ أَتَبَعَ ذَلِكَ أَنْ قَالَ : وَسَبِيلُ مَا كَانَ فِي آسَمَاحَةِ الْمَسْأَلِ ،
أَنْ يُبْنَى عَلَى الْإِبَانَةِ عَنْ مَوْقِعِ الْإِفْضَالِ ، وَفَضِيلَةِ النَّوَالِ ؛ وَأَعْتِنَا فُرْصَ الْإِقْتِدَارِ ،

في معونة الأحرار، وما جرى هذا - وسبيل ما كان منهما في طلب الانتفاع بالجاه أن يُبنى على هزّ الأريحية لا صطناع الصنائع، وتحمل المشاق في تقليد المن، وادّخار الفعل الحسن، وأغتنام الأجر والشكر - وسبيل ما كان منهما في الاستئزال عن السخائم أن يُبنى على الملاطفة، والإشارة إلى فضيلة الحلم والصّفح عن الخاطئ، وما في ذلك من حُسن السُّمعة في العاجلة، ومتوقّر المثوبة في الآجلة، ونحو ذلك.

وذكر أن أحسن ما قصد في هذا الفن مسلك الإيجاز والاختصار، وأن يُسلَك به مسلك الرّقاع القصّار المجلّله؛ لا الكتب الطّوال المفصّله؛ وأن يُرجع فيما يودّعه إلى قدر الشافع والمشفوع فيه، والكتب إذا كان مُرتاضا ماهرًا لم يضلّ عن تنزيل كلّ شيء [في] منزلته، وترتيبه في مرتبته.

قلت: ومن أحسن ما يطابق هذا النوع ما رأيتُه في بعض المصنّفات: أن عمرو ابن مسعدة وزير المأمون كتب إلى المأمون في رُقعة:

أما بعد، فإنّ فلانا سألني أن أشفع له إلى أمير المؤمنين، فأخبرته أنّي لم أبلغ عند أمير المؤمنين مبلغ الشّفاعَة - فلمّا وصلت الرُقعة إلى المأمون وقّع عليها بخطّه: قد فهمنا تصرّحك به وتعرّضك بنفسك، وأجبتك إليهما وأتحفناك بهما.

من كلام المتقدّمين:

الحسن بن سهل:

كُتِبَ إِلَيْكَ كِتَابٌ مَعْتَنِي بِمَنْ كُتِبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ، وَلَنْ يَضِيعَ حَامِلُهُ بَيْنَ عَنَاءِ وَثِقَةٍ، وَالسَّلَام.

أبو الحسين بن سعد :

وقد توجه إليك فلان بقصد فيه مستجمع ، وأمل فيما قبلك مُنْبَسِط ، وليس بعد إصابتك عنده مَوْضِعاً وعندنا متحملاً للبد الحسنَة إلا آقراض ذلك منه ومناً في أمره على يُسر في حاجته ، وتخفيف من مَؤنثه ؛ فإن رأيت أن تأتي في ذلك بما يشبه أمله وظنّه ، وتوجب عليه الحقّ به ، ونشكر لك منه ما بقي عندنا ، بأنك بحيث تأتي الفضل وتونّخي الصلّة ؛ [فعلت] إن شاء الله تعالى .

آخر : معرفتي بأنك لا تنجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب ، تتحملي على مُساءلتك ما أنت مُوجب له والدّكرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كتابي عنه ؛ فإن كان دَنَبُه صغيراً فالصغير يُخرجه من حبسه ، وإن كان كبيراً فالعفو يسّعه . وكتابي متقاض لك تقديم العفو على العقوبة ، والحسنة على السيئة ، والأستصلاح على القوّة في التأديب .

طفال بن شَبّة :

وأحق من يعطف على أهل البيوتات ، ويؤود لهم بما يبقى ذكره ، ويحسن به ذُخره ، مثلك ؛ وقد وجهت إليك فلانا ، وهو من ذوى قراباتي ، وذوى الهيئة من أُسرق ، وعرضته لمعرفك ، وأحببت أن تلبسه نعمتك وتصرفه إلى وقد أودعني وإياه ما تجده باقياً على البشر الجميل ^(١) في الغيب والخضر .

ولغيره :

وقد جعلك الله غيائاً ، وجعل عندك لمؤمليك وراجي رفدك ، أبلغ ذريعة من كرمك وفضلك ؛ وقد أصبحت مفرّج كلّ ذى همّ ، وملجأ كلّ ذى أرب ، وموضع كلّ أمل ، وأصبحت ملتقى السبل ، وجمع الأصناف المختلفة ، والطوائف المتصرفّة .

(١) لعله على شرا الجميل الخ .

أبو مسلم محمد بن بحر :

قد شَهِرْتَنِي بِاصْطِنَاعِكَ [حَتَّى] تَكَافَأَ فِي مَعْرِفَةِ خَبَرِهَا أَهْلُ بُلْدَانِ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . وَالَّذِينَ عَرَفُونِي فَصَدِيقٍ مِنْهُمْ مُغْتَبِطٌ بِذَلِكَ لِي ، وَشَرِيكٌ فِي النِّعْمَةِ بِهِ
عَلَيَّ ، وَقَوِيُّ الظَّهْرِ بِمَا مَنَحَنِيهِ اللَّهُ مِنْ رَأْيِكَ ؛ وَإِذَا نَابَتْ بَعْضُهُمْ نَائِبَةٌ يَرْجُوكَ
لِكُشْفِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَيْكَ طَرِيقٌ يُدْنِيهِ وَلَا حَرَمَةٌ تُقَرِّبُهُ . وَتَعْطِفُكَ عَلَيْهِ ، سَأَلَنِي
الْشَّفَاعَةَ لَهُ إِلَيْكَ ؛ فَقَعَلْتُ ذَلِكَ مُدَلًّا بِمَا أَعْتَقَدُهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِكَ عِنْدِي ،
وَالِإِخْلَاصِ فِي طَاعَتِكَ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيَّ ؛ وَاثْقًا بِتَسْوِيفِكَ إِيَّايَ مَا رُقِيتُ إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَةٍ
الْشَّافِعِ لغيره ، وَالسَّائِلِ (؟) فِي طَرِيقِهِ وَذَوِي الْحَقِّ عَلَيْهِ : لَتَكُونَ قَدْ أَكْمَلْتَ
عَلَيَّ النِّعْمَةَ ، وَوَكَّدْتَ لَدَيَّ الْعَارِفَةَ ، وَأَسْتَمَمْتَ عِنْدِي الصَّنِيعَةَ .

أبو الخطَّاب بن الصَّابِي :

أَبْسَطُ الشَّفَاعَةِ وَجْهًا ، وَأَقْرَبُهَا نَجْحًا ، وَأَوْقَعُهَا فِي الْقُلُوبِ ، وَأَسْرَعُهَا إِلَى التَّبْضُلِ ،
مَبُوقِعٌ مِنْ أَقْسَامِ ثَلَاثَةِ : مِنْ إِدْلَالِ السَّائِلِ بِحُسْنِ الظَّنِّ ، وَآرْتِيَاكِ الْمَسْئُولِ إِلَى فِعْلِ
الْخَيْرِ ، وَاسْتِحْقَاقِ الْمَسْئُولِ فِيهِ لَقَضَاءِ الْحَقِّ ؛ فَإِذَا اجْتَمَعَ لَهَا ذَلِكَ كَانَتْ الثَّقَّةُ بِهَا
زَائِدَةً ، وَالْقُوَّةُ لَهَا زَائِدَةً ، وَالْفَضْلُ عَلَيْهَا قَائِمًا ، وَالتَّجَنُّعُ بِهَا قَادِمًا ؛ وَكَانَ الشُّكْرُ
مِنْ أَقَلِّ مَوْجُودَاتِهَا ، وَالْمِنَّةُ مِنْ أَجَلِّ مَذْخُورَاتِهَا .

وَلَهُ : إِنْ دَلَّ الْمَمْلُوكُ فِيصِدْقَ الْمَوَدَّةِ ، أَوْ عَوَّلَ فَعَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ ، أَوْ اسْتَظْهَرَ
فَبَقْدِيمِ الْحَرَمَةِ ، أَوْ اسْتَنْصَرَ بِكَرِيمِ الرَّعَايَةِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ هِمَّةٌ مِنْ مَوْلَانَا بَعِيدَةُ الْمَرَامِيِّ ،
طَوِيلَةُ الْمَسَاعِي ، شَاخِضَةُ الْأَنْفِ ، سَابِقَةُ الطَّرْفِ ، تُوجِدُ الْأَمَالَ سِرَاحًا ، وَتُوسِّعُهَا
نَجَاحًا ، وَتَأْخُذُهَا نَحَاصًا ، وَتُرَدُّهَا بِطَانًا ، وَتُورِدُّهَا هَزَانًا وَتُصْدِرُهَا سَمَانًا ؛ وَثِقَةٌ مِنْ

قد أحكم عقدها الزمان، وأوثق شدّها الإمتحان، فصارت لأعراض المملوك رائده، وفي قوّة نفسه زائده؛ فالمملوك من آجتماع هذه الأقسام، ووجوب ما تقتضيه من الأحكام، بين ظنّ جميل لا مجال للشكّ عليه، ويقين صحيح لا وُصول للارتياب إليه .

آخر : ولئن كان المملوك أسرف في مجارى التثقيل على مولانا، فإنّ المملوك لم يردّ بعضا من دواعي الأمل فيه، فإنّ المظنون من قوّة مولانا رائد الثقة بجميل نيته، ولن يعدم النجاح من اعتمد على القوّة والثقة .

آخر : وينهى أنّ المملوك إن أدلّ، فبحقّ لدى مولانا أكّده، أو استرسل، فبفضل منه عوّده، وبين الدالّة من المملوك والعادة من مولانا موضع لنجاح الحاجة، وبلوغ الإفادة، وقد فعل المملوك ما تعلّق به واثقا بالكرم من مولانا؛ فليفعل مولانا ما يتعلّق به محققا للأمل فيه .

آخر : وينهى أنّ المملوك إن أنيسط، فبدل بالحرمة الوكيدة، ومعوّل على النية الكريمة، أو أنقبض، فلهيئة الإقدام على مولانا ومراعاة التخفيف عنه، ولفضله فيما بين ذلك مسلك وغلبة تسلط يدعوان إلى حسن الظن بمولانا، ويوثقان من وجود النجاح لديه .

آخر : بدّل الجاه في إعانة الضعيف، وإغاثة المهفوف، والترويح عن المضغوط، والتفريح عن المكروب المكود؛ كبذل المال في إسعاف المعسر، وإسعاد المقتر، ومواساة المحروم، والتعطّف على المرحوم، وما في الحالتين إلّا ما للديانة له ضامن، والمروءة له قائمة؛ والحقّ به مستوجب، والأجر به مكتسب، والصنيعة به معتقده، والمثوبة به مدّخره .

آخر : وينهى أن حرمة الحوار من أوجب الحرمات حقاً ، وأحكيها عقداً ، وأخصها بالعناية ، وأحقها بالرعاية ، وما رعاها إلا ذو قدر عظيم ، وحلو كريم ، وأصل عريق ، وعهد وثيق . وفلان ممن يضرب بدآلتها ، ويمت بوسيلتها ، ويتخفف بذمتها ، ويتعلق بعصمتها ، ويعتدها وزراً مانعاً ، وذخراً نافعا ، وعدة موجودة عند الحاجة ؛ وله أمر يذكره مشافهةً ، فإن رأى مولانا أن يحقق من ظنه ما كان جميلاً ، ويصدق من أمله ما كان فضلاً مولانا إليه سبيلاً ، فهو المعهود من إحسانه ، والمؤمل من فضله .

آخر : من سافر إلى سيدي بأمله ورغبته ، ومث إلى حضرته بوفادته وهجرته ، فقد آستغنى عن الشافع ، وكفى أمر الوسائل والذرائع ؛ وحامل كتابي هذا قد تجشم القدوم إليه ، وتمسك بذمام الوفاة^(١) عليه ؛ مع ما يتحقق به من حق المشاركة في الصناعة ، ويستوجبه بفضيلة الكفاية والأمانة ؛ وإنما أصدر المملوك هذه الخدمة على يده مهيأة لأئسه ، ومقوية لنفسه ؛ وإذا مثل بحضرته ، ونظره بعين نبأته ؛ فقد غنى عن الشفاعة وبلغ الإرادة .

آخر : وينهى أن ما يفرضه مولانا لمن أمه بالرجاء ، ومث له بإخلاص الحمد والثناء : من إضرار أخلاف الإفضال ، وتحقيق الرغبات والآمال ، يغني قاصديه عن الشفاعات والوسائل ، ويكفي آمليه تحمل الذرائع والمسائل ؛ والواصل إليه بهذه الرقعة فلان ؛ ومولانا يعرف حقه على المملوك وماله من الموات لديه ؛ وقد توجه إلى حضرته ، راجياً أن يلحفه من ظل سعادته ما يتكفل بمصلحته ، ويقضي على الزمن بإعدائه ومعونته ؛ ومولانا أحق من تولاه بحسن خلافته فيه ، والتفضل على المملوك بتحقيق ما يرجيه .

(١) الذمام بالذال المعجمة الحق والحرمة .

آخر في معتقل : عِلْمُ المملوكِ بأنَّ مولانا لا يتعدى في العقاب موضع الإصلاح والتأديب ، ولا يتجاوز في الغضب موقع التقويم والتهديب ؛ عملاً بالعدل ، وتمسكاً بالفضل ؛ يبعثه على تنبيهه لما أغفله ، وأتقاده لما أصّله ؛ وفلان قد تطاولَ اعتقاله : فإن كان جُرمه صغيراً فقد ظلم في القصاص ، وإن كان كبيراً فقد استحقَّ الخلاص ؛ والمسئول من إحسانه أن يُعَوِّدَ جميل عادته ، ويُراجِعَ كريم شيمته ؛ فيعمل في أمره بالعدل ، إذا لم يره أهلاً للفضل ؛ وإن كانت حقوقه متأكّده ، وحرمة مؤكّده ؛ فلا يحسن أن يضاع ويُخْفَر ، ولا ينبغي أن يُجْحَدَ ويُنكَر ؛ وهو حرٌّ أن يحقّق الظنَّ فيه ، ويقابل هذا السؤال بما يقتضيه .

آخر : على حسب أخطار الودائع يكون الإشفاق عليها ، والشكر من صرف رعايته إليها ؛ وقد كان المملوك أودع كنف مرويته ، وفاء همته ، فلان ؛ وهو دُرّة المحاسن الفريدة ، ونادرة الدهر الشريده ؛ والجامع لأسباب المحامد بفضائله ومناقبه ، والناظم لثأر المآثر بحُلُقِه وأدبه ؛ مع ما خُصَّ به من المعرفة بقدر الصنعة ، والتعويض بالشكر عن قليل العارفة ؛ والمملوك يرجو أن يكون مولانا قد أحسن خلاقه فيه ، ونزله من حياطته وتوليّه ، بما يوجب مكانه من المملوك ويقتضيه ؛ متعوضاً من شكر المملوك وشكره بما هو خليق أن يطوق أجياد معاليه ، وينتظم في سلك مساعيه .

رقعة - وينهى أن الأيام ، إذا قعدت بالكرام ، فأنزلهن بعد السعة ضيقاً ، وأوجدتهن إلى التثقل على من يمتون إليه بسالف الخدمة طريفاً ؛ ومن تحدّاه الزمن بنكده ، وعوضه ببؤسه من رَغده ، فلان ؛ وكان قد فزع إلى جماعة من الخُلّان ، وانقأ منهم بالأمتنان والإحسان ، فألفى وعداً جميلاً ، ومطلاً طويلاً ؛ فعَدَلَ عنهم

إلى سيدى وعزل عنهم إليه، وتوجه إليه معتمداً بعد الله فى مقصده عليه؛ ثقةً
بفضل غيره، وحسن أثره؛ وتحمل عبودية المملوك هذه ذريعةً تبسط له من مولانا
محيّاه، وتوصله إلى ما يرجوه من معرفته ونداه. وما أولى مولانا بأن يحقق ظن
المملوك وظنه، ويموز شكره وشكره؛ إن شاء الله تعالى.

رقعة — وينهى أن رغبة سيدى فى إسداء المعروف، وغوث الملهوف،
تبعث على السفر إليه، والتقدم بالرغبات عليه؛ والله تعالى يواصل المنح لديه،
كما وصلها من يديه؛ وقد سبقت له عوارف لا ينساها المملوك، ولا يؤمل جزاءها
إلا برفوع الدعاء، وكريم الثناء؛ حتى تقتضى ضرائرها، وتستدعى نظائرها، وحامل
عبوديتى هذه، فلان؛ والمملوك يرضى لمولانا لسان شكره، كما يرضاه لتحمل ربه؛
وقد ركض ظهر الأمل إلى حضرتة، ووثق ببلوغ الوطر من جهته؛ وأن ينظم
فى سلك من أسيغت عليه عوارفه، وعمته لطائفه؛ وعزز ذلك بأستصحاب كتاب
المملوك إلى بابه، وتقديمه ذريعة فى التزام حقه وإيجابه.

رقعة — من كان سيدى شافعه أنبسط فى المنى، ولم يرض بغير العلا؛ وقد علم
مولانا أن للشفاعة أحوالاً ثلاثاً؛ حالاً تخص الشافع، وحالاً تخص المستشفع؛
وحالاً تخص [المشفوع إليه] ولكلٍّ حدّ يجب الانتهاء إليه، ولا يجوز التقصير فيه؛
فعلى المستشفع آرتياد أخصب جناب، وأسكب سحاب، وقصد الجهة التى لا تصد
عن البغية سائلاً، ولا ترد عن الأمل آملاً، وأن ينهض بالشكر على العارفة، ويحدث
بالنعم عنه فى الأحوال الطارفة؛ وعلى الشافع أن يهريق ماء وجهه فى السؤال،

(١) غار الرجل يغوره ويغيره فعمه فالمراد بفضل نفعه تأمل.

(٢) فى الاصل الشفع وهو غير مناسب.

ويجرد رغبته في تسهيل المنال ، ويعتقد أن ذلك من الدين المقرض ، والدين المقرض ؛ ويتكفل بالقيام بما يستدعي منه من المكافاه ، ويلتمس من العوض والمجازاه . وعلى المشفوع إليه أن يعلم أن الشافع والمستشفع ما قصدها إلا بعد الثقة بأحديته ، ولا اعتمدها إلا بعد السكون إلى أريجته ، وأنه لا ينبغي أن يحسر متجرهما ، ولا يضع سفرهما ، وقد آجتمعت هذه الأحوال الثلاث للرئيس المشفوع إليه ، وليسدى الشافع ، ولخادمه المستشفع به ؛ ولم يبق إلا عزمة منه تهز أفتان الإقبال فتساقط أثمارها ، وتشتت عوارض الآمال فيتهافت قطارها .

أبو الفرج البغاء :

وموصل كتابي هذا غني عن شفاعتي له بما يمت من حرمت الرغبة إليك ، والوقوف دون كل مقصد عليك ، وبما يشفع ذلك من التقدم في الصناعة ، والتوصل بوجيه الكفاية ؛ وإنما زودته هذه الأحرف لأفتح له باب الأنسة ، وأسهل السبل إلى التعلق بالخلّة ؛ وأدل بها على ما تكشف منه المطاولة والخيرة ؛ وأنت أيدك الله ولي التطول بالتقدم في إيناسه وبسطه في الخدمة بما يستريد له محمود الأثر فيها من حسن النظر وجميل الرأي .

وله في مثله :

وموصل كتابي فيما يؤمله منك ويبلغه بك متمسك من رجائك بأوكد ذمه ، ومن شفاعتي بأوجب حرمة ، ومهما مت به بعد ذلك من ظهور كفاية أو تقدم في صناعة كان غير ضائع عند رعايتك ، ولا مجهول مع تيقظ عنايتك ؛ وأرجو أن يحل من تقبلك ، بحيث أحله حسن النظر تطولك .

وله في مثله :

وفي علمك ما أخذ به نفسي ، وأروض به أخلاقي : من الانقباض عن التسرع إلى مسألة ، والاحتشام من الانبساط في حاجة ، مادلك على موضع فلان ومكانه من إيثارى بواجبات حقوقه ، وسالف موآته ؛ ولذلك سمحت بالكتاب له إليك ؛ وفارقت رثمى بالثقل في قضاء حقه عليك ؛ وقد قصد نحوك بأمله ، واختارك لرحائه ؛ وقدر بك بلوغ البغية ، واختصر بشفاعتي إلى تفضلك السبيل إلى إدراك المحبة^(١) ؛ فإن رأيت أن تأتني في بابه ما يشيه فضلك ، ويُناسب وكيد نقته بك ؛ وأنى أشركه في الشكر وأسأله في الاعتداد ، فعلت .

آخر :

رَأَيْتُ الْمَسَاكِينَ قَدْ أَجْعُوا * عَلَى أَنْكَ الْوَزْرُ الْمُعْتَمَدُ !

فَأَنْتَ لِطِفْلِهِمْ وَالِدٌ * وَأَنْتَ لِشَيْخِهِمْ كَالْوَلَدِ !

السلام العَمِيمُ ورحمة الله وبركاته على مَنْ جعله الله للمساكين ظلاً يقيهم ، وطلاً يسقيهم ، ونعمة تعمهم ، ورحمة تضمهم ؛ أبوفلان ، أبقاه الله في عزرة تالدة طارفه ، وسعادة لا تزال طارقة بكل عارفه .

مَنْ أقامه الله مقامك أيها الشيخ المبرور بالترقى بالفقراء ، والإحسان إلى الضعفاء ، لم يعدم مريضاً يقصده في الشفاء ، ولا يعدم فيضا يعتمد على الاكتفاء ، لاسيما إذا توسل وحده ، وتسفع بمن لا يضيع عمل عامل عنده ، ومتحملاً فلان قص الفقر جناحه ، وأخنى عليه الدهر وأجتاحه ؛ ولما رأى الفقراء ببركم مرتفقين ، وعلى

شركم متفقين ؛ أممكم حسن الظن بالمن ، ولم يقدم شفيعا دنيويا ، ولا طريقا واضحا
سويا ؛ وأنتم أيها الشيخ الموقر تنزلونه منزلة سواه ، ممن توى مثواه ؛ وتوى فيكم
من الأجر والشكر ما نواه ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام الكريم العميم ، يخص جنابكم
ورحمة الله وبركاته :

فالله سبحانه يُبْقِيكَ في دَعَا * وحسن حال وتيسير وإقبال !

مُقدّم المجد في عزّ وفي كرم * مؤمل النفع من جاه ومن مال !

الشفاعات من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

شفاعة في استخدام كاتب درج :

جعل الله تعالى دوره رجة العراص ، وسعادته في الإزدياد وأعاديّه في الإقتصاص ؛
والدعاء لإحسانه مقرونا بصدق النية والإخلاص :

وهذا دعاء لو سكّ كُفَيْتُهُ * فلأني سألت الله فيك وقد فعل !

صدرت هذه الخدمة تستمطر سحب كرمه ، وهامى ديمه ، وتسأل جميل شيمه ،
في معنى ' مملوك المولى وداعيه ، والشاكر لأيديه ، والملازم على رواية أخبار فضائله
وبثها ، ونشر تفضلاته وثبها ؛ فإنه من بيت كريم التجار ، زائد الفخار ؛ وله على
مولانا حق خدمة ؛ وهويئت بسالف معرفة ؛ ومحبة المملوك له شديده ، والصحبة
بينهما قديمة وشقة المودة جديدة ؛ ولولا ذلك ما نقل على خدمته ، وتهجم على المولى
بمكاتبته ، وقد توجه إلى بابه العالى مهاجرا ، وناداه لسان جوده فلباه وأجابه مبادرا ،
وغرضه أن يكون كاتباً بين يديه ، ومملوكاً تقع عين العناية عليه ؛ وهو من الكرام

الكتابين، والراغبين في الانتظام في سلك خدَمِه والمؤثرين، وصفاته بالجميل موصوفه، وفصاحته معروفة، وقلبه الذي يقلِّم ظُفر المهَمَّات ويكفِّ كَفَّ الحَدَثان، ولسانه الذي يُغني بَشَبَاتِه عن حَدِّ السَّنان؛ ورأيه المقدَّم في الهِجاء على شِجاعة الشُّجعان؛ فإذا أنعم المولى باستخدامه، وتحقيق مرامه، كان قد وضع الشيء في محله، وصنع المعروف مع أهله؛ وبَيَّض وجه المملوك وشفاعته، وصدَّق الأمل في إحسانه ومُروءته، ورأيه العالی؛ إن شاء الله تعالى.

وله شفاعاة في استخدام جُنْدِيّ :

لا زال برّه مطلوباً، وجوده مخطوباً؛ وذِكر إحسانه في الملا الأعلى مكتوباً؛ ولا برحت رياض جوده أزهر وأنضر من رَوْض الرُّبا، ويده البيضاء ترُقَم له في سواد القلوب سطور حميد أحسن من نور تفتّحه الصِّبا. هذه الخدمة صدرت على يد فلان تُهدى إلى المولى سلام المملوك وتحيته، ودُعاء الصالح الذي أخلص فيه نيته؛ وتسفع إليه في تنزيله في الحلقة المنصورة واستخدامه، وترتيبه في سلك جيشه المؤيد وانتظامه؛ فإنه من الأجناد الحَيَّاد، وذوى الجَلَد على الجَلَد؛ وهو الغَشْمَشَم الذي لا يُرد، والشَّهم الذي لا يُصدّ؛ والباسل الذي لا تُحصَر بساتنه بوصف ولا تُحدّ، والنيق الميمون الغرّة والنيقية، الموصوف في الهِجاء بحُزَم الكُهول وجهل ذوى الشَّيبه. والمولى وإن كان بحمد الله غير محتاج إلى مُساعد، ولا مفتقر إلى معاضد؛ فإنَّ أسنَّته لا تحتجب عن رُوح محتجب، ونفسه الشريفة تقوم وحدها يوم الكِفَاح مقامَ عسكٍ لِحَب؛ وقلبه يغنيه عن الأطلاب والأبطال، وجيوش سطوته لا تكلفه المُقام في منازل التَّزال؛ فإنَّ المملوك يعلم أنَّ نفسه الشريفة تهوى تريّد عسكره وجنّده، وترعى حرمة قاصده وقصده، فلهذا توسَّل بشفع وتر الشِّفاعه؛ وتوصل إلى إزالة

ضَرَعَ حالِهِ بَكْرَةَ الضَّرَاعَةِ ؛ فَإِذَا أَنْعَمَ الْمَوْلَى بِقَبُولِ شَفَاعَةِ الْمَمْلُوكِ فِيهِ ، وَحَقَّقَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مَا يُؤَمِّلُهُ وَيَرْتَجِيهِ ؛ كَانَ قَدْ شَدَّ لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ مَا أضعَفَتْهُ الْعُطْلَةُ مِنْ مُتَّهِ ، وَقَدْ الْمَمْلُوكَ لِلْمَوْلَى جَمِيلَ مُتَّهِ .

شفاعة في ردِّ معزول إلى ولايته :

يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ لِأَزَالَتِ مَقْبَلِهِ ، وَلِإِسْدَاءِ الْخَيْرِ إِلَى أَهْلِهِ مُؤَهَّلِهِ ، وَبِأَيَادِيهَا عَلَى الْكَافَّةِ مُتَفَضِّلِهِ .

وَيَنْهَى مَلَازِمَتَهُ عَلَى شُكْرِ مَوَاهِبِهِ ، وَنَشْرِ فُضَائِلِهِ الْجَسِيمَةِ وَمَنَاقِبِهِ ؛ وَحَمْدِهِ كَرِيمِ شَيْمِهِ ، وَالْإِعْتِذَارِ مِنْ تَثْقِيلِهِ عَلَى خِدْمَةِ الْمَوْلَى بِخِدْمِهِ ، وَسُؤَالِ إِنْعَامِهِ بِوُجُوهِ مَكَاتِبَتِهِ وَلِسَانِ قَلَمِهِ ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ كَرِيمِ نِجَارِهِ ، وَشِدَّةِ تَطَلُّبِهِ لِإِسْدَاءِ الْعَوَارِفِ وَإِثَارِهِ ؛ وَالْمَوْجِبُ لِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ وَسُؤَالِ مَكَارِمِهِ ، وَاسْتِمْرَارِ سَحَابِ مَرَامِهِ ، مَا بَلَّغَهُ مِنْ عَزْلِ مَمْلُوكِ الْمَوْلَى وَعَبْدِهِ ، وَوَصِفِ جَمِيلِ أَوْصَافِهِ بِلِسَانِ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ، فَلَانِ ؛ أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِحْسَانَ الْمَوْلَى وَإِنْعَامَهُ ، وَخَلَدَ لَنَا وَلَهُ دَوْلَتُهُ وَأَيَّامُهُ ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ الْمَمْلُوكِ وَصَدِيقُهُ ، وَشَرِيكُهُ فِي الدُّعَاءِ لِمَوْلَانَا وَرَفِيقُهُ ؛ وَهُوَ مِنَ الْعُدُولِ الْأُمْنَاءِ ، وَالنِّقَاتِ الْأَتْقِيَاءِ ؛ وَهُوَ قَلِيلُ الْحِدَّةِ كَثِيرُ الْعِيَالِ ، لَا يَجِدُ حِيلَةً إِذَا بَطَلَ بِخِلَافِ مَا يُحْكِي عَنْ الْبَطَالِ ؛ وَقَدْ تَشَفَّعَ بِالْمَمْلُوكِ وَمَكَاتِبَتِهِ فِي مِلَاحِظَةِ الْمَوْلَى لَهُ بَعَيْنِ عِنَايَتِهِ ، وَالتَّقَدُّمِ بِرَدِّهِ إِلَى جِهَةِ وِلَايَتِهِ ؛ فَلِهَذَا كَتَبَ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ فِي مَعْنَاهِ السُّؤَالَ ، وَعَلَّقَ بِتَحْصِيلِ أَمَلِهِ الْآمَالَ ؛ يَعْلَمُ ذَلِكَ مُوَقِّفًا .

شفاعة في خلاص مسجون :

فَسَّحَ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ ، وَسَهَّلَ أَدَاءَ مَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِهِ ؛ وَأَلْزَمَ الْأَلْسِنَةَ بِحَمْدِهِ وَالْقُلُوبَ بِمَحَبَّتِهِ ؛ وَجَعَلَهُ مَفْرَجًا كُلِّ كَرْبٍ ، وَسَهْلًا مِنَ الْمَقَاصِدِ كُلِّ صَعَبٍ .

وبعد، فإنَّ كَافَّةَ الأُمَّةِ قد تحقَّقت رحمة قلبِ المولى ورأفته ، وتيقَّنت إحسانه ومُروءته ، وأنه يُؤثِّرُ إغاثةَ كُلِّ عَانٍ وإغاثةَ كُلِّ مُلْهُوفٍ ، وأنه لا يُنْسِكُ إِلَّا بالإِحْسَانِ ولا يُسْرِحُ إِلَّا بالمُكْرُوفِ ، بحيثُ سارت بِحُسْنِ سِيرَتِهِ الرِّكَابُ عَوْضًا عن الرُّجَانِ ، ودرأت مكارِمُهُ عن الأولياءِ نُوبَ الزَّمانِ ؛ وعَلَا على حَاتِمٍ فُلُو تَشَبُّهٍ بِكَرَمِهِ لَقُلْنَا لَهُ : (مَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ) . وللملوكِ من إحسانِهِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ ، وهو يَرْفُلُ من جُودِهِ في نُوبٍ قَشِيبٍ ؛ وقد أَشْتَهَرَ مَا يُعَامَلُ بِهِ من الإِكْرَامِ ، وأنَّ قِسْمَهُ من العِنَايَةِ أَوْفَرُ الأَقْسَامِ ؛ وكان يُعَدُّ من جملة العبيد فأَصْبَحَ مُضَافًا إلى الأَئْزَامِ ؛ وهذا مما يُوجِبُ على المَلُوكِ أَنْ يَتَهَيَّلَ إلى الله في تخليدِ دَوْلَتِهِ ويتَضَرَّعَ ، وعلى حِلْمِ مولانا أَنَّهُ إِذَا شَفَعَ إِلَيْهِ في مُذْنِبٍ أَنْ يُسَفِّعَ ؛ وهو يُشَفِّعُ إِلَيْهِ في مَمْلُوكِهِ وَعَبْدِهِ ، والمَلْأَزِمِ على رُفْعِ رَايَاتِ مَجْدِهِ وَتِلَاوَةِ آيَاتِ حَمْدِهِ ، فَلَانَ ؛ رَزَقَهُ اللهُ رِضَا الخَوَاطِرِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَسْبَلَ عَلَيْهِ حُلَّةَ عَفْوِهِ الْمُنِيفَةِ على الحُلَلِ بِظِلَالِهَا الْكَثِيفَةِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ طَالَتْ مَدَّةُ حَبْسِهِ ، وَأَعْتَرَفَ بِأَنَّهُ الْجَانِي على نَفْسِهِ ؛ وَالْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ كَمَنْ لَا أَذَنْبَ ، وَالْمُعْتَرِفُ من بَحْرِ جُودِهِ يَرُوى دُونَ أَنْ يَشْرَبَ ؛ وَالطَّالِبُ لِزَهْرِ نِيَالِ سُؤْلِهِ وَالْمُطَلِّبُ ؛ فَإِنْ حَسُنَ في رَأْيِهِ العَالِي زَادَهُ اللهُ عِلَاءً ، وَضَاعَفَ لَهُ سَنَاءً ، الْمَشْيُ على مَنَارِ جُودِهِ وَمِنْهَاجِهِ ، وَبُرُوزُ أَمْرِهِ الْمُطَاعِ بِإِطْلَاقِهِ وَإِخْرَاجِهِ ، آغْتَمَ أَجْرَهُ ، وَجَبَرَ كَسْرَهُ ، وَرَجَحَ في هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ دُعَاءَهُ الصَّالِحَ وَشُكْرَهُ ؛ وَكَانَ قَدْ أَنْعَمَ على المَلُوكِ بِقَبُولِ شَفَاعَتِهِ إِلَيْهِ ، وَفَعَلَ مَا يُوجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ؛ وَاللهُ الْمَوْفِقُ .

شفاعة بسبب خلاص حق :

يَخْدُمُ الْمَجْلِسَ السَّامِيَّ لَاقِيًا بِالتَّحِيَّاتِ مُخَدُّومًا ، وَحَبْلُ سَعْدِهِ مَبْرُومًا ، وَدُرُّ الْمَدَائِحِ لِجَلِيدِ جُودِهِ مَنْظُومًا ، وَعَدْلُهُ بَيْنَ الْأَخْصَامِ قَاضِيًا فَمَا يَتْرُكُ ظَالِمًا وَلَا مَظْلُومًا .

(١) في الأصلين «ودارت مكارمه على الأولياء» ويظهر أنه تصحيف من النسخ .

ولا زالت الآمال متعلقة بهيمته ، منوطة بسعيد عزيمته ؛ راجية خلاص كل حق من هو في جهته . وتوضح لعلمه أن فلانا أدام الله سعادته ، وخلد سيادته ، ذكر أن له ديناً في جهة غريم مُساطِلِ مُدافع ، وخَصْمِ مُمانع ؛ وقد جعل هذه الخدمة ذريعة إلى خلاص حقه ، وخالفاً إلى الوصول إلى عناية المولى أقرب طرقه ؛ وهو جدير بالتقدم بإحضار غريمه ومحاققته ، وأخذ المملوك في ذمته ، وأن لا يُفسح له في تأخيرهِ ؛ ولا يُسمح بقليل الصبر ولا كثيره ؛ فإنه يعلم أن المولى المشار إليه واجب الخدمة ، وإفرا الحرمة ؛ وقد تعلق أمله في خلاص حقه بالمولى ، ولا يحاوب عن هذه الخدمة بلو ولولا ، بل يسدّل جهده ، ويُطلق في تحصيل الغرض لسان الاجتهاد ويده ؛ ويعتمد من الإهتمام ما يليق بأمثاله ، ويبيض وجه الشافع وسؤاله ، موقفاً . شعر :

ولو كان [لى] فى حاجتى ألف شافع * لما كان فيهم مثل جودك شافع

شفاعة فيمن اسمه سراج الدين إلى من اسمه جمال الدين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وينهى بعد ولاء يحكم على القلوب شافع جماله ، وثناء يحرق على أكام الزهر فضل أدبائه : أن العلوم الكريمة محيطة بإيجاب حق من هاجر إلى بابها ، وشكا غلة الفاقة إلى منهل منهل سحابها ؛ وأن المائل بهذه الخدمة ، فلان ؛ ذكر احتياجه إلى عاطفة من عواطف مولانا التي شملت ، وعارفة من عوارفه التي لو استمدت من غيرها الليالى لما أظلمت ولا ظلمت ؛ وأن بيده وظيفة شهادة بيت لحم بتواقع شريفة نظرت في حاله ، ونشرت حال عياله وأطفاله ، وأن ثم من ينارعه في جهته المعتاده ،

(١) وَيَقْصِدُ نَزْعَهُ وَالتَّزْعَ عَنْ تِلْكَ الشَّهَادَةِ الْمُسْطَرَّةِ أَخْفَ مِنْ نَزْعِ الشَّهَادَةِ ، وَمَوْلَانَا أَوْلَى مَنْ رَحِمَ مِنْهُ ضَعْفًا ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَطْفًا ؛ وَدَارَكَ بِكْرِهِ هَذَا السَّرَاجَ قَبْلَ أَنْ يُطْفِئَ ؛ وَرَعَى سِيرَةَ مَبَاشِرَتِهِ الْحَسَنَةِ الْآثَارَ ، وَاعْتَمَ أَدْعِيَتَهُ وَأَدْعِيَةَ أَوْلَادِهِ الَّذِينَ هُمْ كَقِطْعِ الشَّطْرِ نَجْ صِغَارٌ وَبَكَارٌ ؛ وَكَفَّ يَدَ التَّعَرُّضِ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ عَدْلِهِ فَإِنَّمَا أَيَّامٌ لَاضَرَّ فِيهَا وَلَا ضَرَارَ ؛ وَعَلَى الْجَمْلَةِ فَقَدْ تَرَكْتَهُ الْإَيَّامُ قِطْعَةً لَحْمٍ ، فَبَاشِرَةٌ بَيْتِ لَحْمٍ أَوْلَى بِهِ ، وَرِجَالُهُ فِرْجَانِيَّةٌ وَأَخْوَانُهَا أَحَقُّ أَنْ يَتَعَلَّقَ سَبَبُهَا بِأَسْبَابِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْبِرُ بِمَنْ مَوْلَانَا أَحْوَالُ الْمَضْرُورِينَ فَإِنَّمَا ظَلَامٌ ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإَيَّامِ بِسُيُوفِهِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامٌ ، وَيَتَمَعُّ بِأَيَّامِ عَدْلِهِ وَلِحَسَانِهِ الَّتِي تُتَنَافَسُ فِيهَا أَعْمَارُ الرِّعَايَا فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ أَيَّامًا بِأَعْوَامٍ .

وله إلى شخص اسمه شمس الدين :

وَيُنْهِى بَعْدَ قِيَامِ بَوَظَائِفِ ثَنَاءٍ يَتَسَكَّ بِنَفَحَاتِهِ [المتواليه] ، وَلَوْلَا يَتَسَكَّ بِجِبَالِهِ الْمُتَيْنَةِ وَمَا كُلُّ شَمْسٍ حَبَالُهَا وَاهِيَةٍ : أَنَّهُ يَرْتَادُ الْأَوْقَاتَ لِحَطَابِ مَوْلَانَا بِالْأَقْلَامِ ، حَيْثُ حَبَسَ الْبَعْدُ خِطَابَ الْكَلَامِ ، وَيَتَخَيَّرُ حَمَلَةَ رِسَائِلِ الشُّوقِ ، وَإِنْ أَضْعَفَ عَطْفُ النَّسِيمِ رِسَائِلَ السَّلَامِ . وَلَمَّا حَضَرَ مِنْ مَكَانٍ كَذَا ، عَارِضَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ فَلَانَ ، وَذَكَرَ تَوَجُّهَهُ إِلَى حِمَى حِمَاةِ الْحُرُوسَةِ ، وَقَصِدَ كِتَابًا يَكُونُ فِي وَحْشَةِ الْإِغْتِرَابِ أَنْيَسَهُ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ غَرَضَ الْمَمْلُوكِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ مُرَادِهِ وَلَا يُتَكَّرُ مِنْ جِهَةِ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ السُّلُوكِ ، فَأَعْلَمْتُهُ أَنَّ الْمَكَارِمَ الْحَمَادِيَّةَ لَا تَحْتَاجُ غَيْرَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ شَافِعًا إِلَيْهَا ، وَالْمَنَازِلَ الشَّمْسِيَّةَ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ يَنْبَهَ عَلَيْهَا ، وَطَلَمَّا جَمَعْتُ لِقَاصِدِهَا الْفِعْلَ وَالْقَوْلَ السَّخِيَّ ، وَطَلَمَّا قَالَ يُوسُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخُو مَوْلَانَا أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْقَاصِدِ : أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَنَحِي ، وَلَكِنَّ الْمَمْلُوكَ يَذْكُرُ الْخَاطَرَ الْكَرِيمَ بِهَذَا الْقَادِمِ فَإِنَّهُ مِنْ

أهله ، ويلقاه قبل ذلك بالبشر المنشد * أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ *
 فإنه من أصحاب ولي الله طالما فاض ولي معروفه ، واستفاضت نسبته المرشدية
 فكان وليا مرشدا قامت صفته مقام موصوفه ، وإن آثار هذه البركات على هذا
 القادم لأتحه ، وإن على يده تجارة ذكر وأجروهي في سوق همهم مولانا تجارة رايحه ،
 والله تعالى يجعل له في كل ثناء وثواب نصيبا ، ويديم قلمه الكريم مقصد رفد وجاه
 (فطورا رشاء وطورا قليلا) .

وله : عن نائب الشام إلى نائب حماة شفاعة في شخص اسمه شهاب الدين ، وهو
 بعد الألقاب :

لا زالت الأقدار تُسعيده ، والملائكة تُنحده ، ومواطن النصر تجرد حد بأسه ومواطن
 الحلم تُغمده ، والجناة تلوذ بظله : فأى جاني ذنب ما يعفو عنه ، وأى جاني بر ما يرق
 عليه ويرفده ، تقيلا يترادف مدده ، ولا تنتهي في القرب والبعد مدده .

وينهى بعد ولاء وثناء : هذا لا يبلى جديده وهذا لا تخفى جده ؛ وشوق
 وأرياح كلاهما يروى عن ابن شهاب توقده ، ويحمل على يد شهاب سنده : أن
 العلوم الكريمة محيطة بمقدار الحلم وفضله ، والعفو ومحله ، والتجاوز عن هفوات
 المخطئين من القوم ، وطلب العفو من الله غدا بالعفو عن عباده اليوم ، قال الله تعالى :
 ﴿وَلِعَفْوًا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ . ولما سمع الصديق رضى الله
 عنه هذه الآية ، قال : (بلى والله إننى لأحب أن يغفر الله لى) ثم عفا عن نزلت
 بسببه ، ومملوك مولانا أعز الله أنصاره فلان ، قد أعترف بهفوة بدت منه ، وزلة
 نقلت عنه ؛ ما يسعها إلا عفو مولانا ومراحه ؛ وقدم على المملوك فكأنه مانح من
 ظل مولانا ولا فارقتة معاملة ؛ وسأل سؤالا مولانا أن يشمله بالعفو ، ويتجاوز له

عن السهو؛ ويرحم كبر سنه وكبر جهله؛ ويرعى قديم هجرته لخدمة هذا الباب الذي نشأ عمرًا طويلًا في ظله، أهلًا لأن تشملهم عواطف أهله؛ وهو - كما عرف المملوك وأطلع عليه حيث كان في نيابة حماة - مشكور السيرة بالإعتبار، ناهض الخدمة بالإختبار؛ ملازم لثرى الباب بعزم ماعليه غبار؛ وله على المملوك بالأمن حق خدمة وباليوم حق سؤال يشفع بهما في القلوب وهى كبار؛ والمسئول من صدقات مولانا تجاوزه عن هفوته، وردّه إلى أمنه ووظيفته؛ وإجراؤه على عادة إقطاعه، وحاشاه في أيام مولانا أن يُقطع، بل حاشى المذكور أن لا يستخبر وأن لا يُقطع؛ وأستقرأه في مكان خدمته، وإجابته سؤال المملوك في كل ما يتعلق بنجاح هجرته وعزيمته؛ لأبرح مولانا مأمول المن الغائبة والحاضرة، والمقيمة والسائرة؛ مأهول الخواطر برفع ذكره وقدره في الدنيا والآخرة.

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

لا زالت المحامد يذكرها متوجهة، ومقدمات الفضل والفضائل من تلقاء شيمها منتجة؛ ومطالع الكرم والإكرام هادية إلى حرمة من آتجه بتقيل مواظب على الدعاء يرفعه، والولاء يجمعه؛ والثناء يقول بضاع أرجه لا مما نضيعه بل مما نضوعه؛ [وينبى] أن عارض هذه الخدمة على عارض كرم مولانا المظطر، وبابه الذى هو لكيد الحاسد وقم الوارد مظطر، فلان؛ لقضاء تعلقات له أولها التعلق بجبل رجائه المحصّد، وأتمائه المرصّد، والتجمل بقصد باب مولانا الذى هو المهمّ المقدم على كل مقصّد؛ وهو من الفضلاء الذين يعرفهم آتقاد مولانا معرفة الخبير، وله اتصال بالأكابر الذين سلم منهم زمام المفاحر كل كبير؛ وقصد من المملوك هذه الخدمة لمولانا تؤسّ اعترايه، وتنشد المقر الذى ما قرع سنّ الندامة من قرع بابه :

يَا غَرِيبَ الصِّفَاتِ حَقٌّ لِمَنْ كَا * نَ غَرِيباً أَنْ يَرْحَمَ الْغُرَبَاءُ !
 والمملوكُ يسأل من إحسان مولانا ملاحظة المذكور بعينِ عَيْنَيْهِ التي ما أغفَتْ
 عن القاصدين ولا غفلتْ ، وعَوَاطِفِهِ التي طالماً فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا فَأَنْتَتْ عليها الرُّكَّابُ
 التي قَفَلَتْ ؛ والله تعالى يُدِيمُ تَقْلِيدَ الْأَعْنَاقِ بِكَلِمَةٍ وَبِرٍّ ، وَيَمْتَعُ الْمَالِكَ السَّاحِلِيَّةَ
 بِمَا قَذَفَ لَهَا مِنْ دُرَرٍ بِحَرِّهِ .

النوع الخامس

(التشوق)

قال في "مواد البيان" : وينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره ، ويُطهر فيها صناعته ،
 ويأخذ في نظمها مأخذاً من اللطافة والرقّة يدلّ على تمازج الأرواح ، وأتلاف
 القلوب ، وما يجري هذا المجرى ؛ وأن يستخدم لها أَدَبَ لَفْظٍ وألطف معنى ؛
 ويذهب فيها مذهب الإيجاز والإختصار ، ويعدل عن سُبُل الإطناب والإكثار ؛
 لئلا يستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب فيمِلُّ ويضجر ، وينتظم في سلك الملق والتكلف
 اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البغواء :

شوقُ المملوكِ إلى مولانا بحسب مكانه من تفضّله ، وحظّه من جميل نظره ،
 وأختصاصه بإنعامه ، وأغتياباه بشرف خدمته ، ومكانه من إيثاره ؛ والله يجمع للمملوك
 شَمْلَ السَّعَادَةِ بِمُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ ، وِسَادَةَ مِنَ الدَّهْرِ بِالنَّظَرِ إِلَى غُرَّتِهِ ، عَلَى الْحَالِ
 السَّائِرَةِ فِيهِ وَبِهِ .

(١) كذا في الأصلين بإهمال النقط والمراد أنه يتمتع بالنظر الخ تأمل .

وله : شَوْقُ المملوكِ إليه شَوْقُ الظَّمآنِ إلى القطرِ ، والسَّارَى إلى غُرَّةِ الفَجْرِ .

وله : شَوْقِي إليه شَوْقٌ مَنْ لَمْ يَجِدْ مع بُعْدِهِ عَوْضًا مِنْهُ ، فَتَقَوَّدَهُ الزِّيَادَةُ إلى الانْصِرَافِ بالرَّغْبَةِ عَنْهُ .

وله : شَوْقِي إليه شَوْقٌ مَنْ فَقَدَ بالكُرْهِ سَكَنَهُ ، وَفَارَقَ بالضَّرُورَةِ وَطَنَهُ .

وله : لو كَانَ مَا يُصْدِرُهُ مِنْ خِطَابٍ ، وَيُنَاجِيهِ بِهِ مِنْ مَتَصَمِّنٍ كِتَابٌ ؛ بِقَدْرِ مَا أَعَانِيهِ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ إلى غُرَّتِهِ ، وَمَضَضِ الْفَائِتِ مِنْ مَشَاهِدَتِهِ ، لَمَا أَحَاطَتْ بِذِكْرِهِ بَسْطَةُ لِسَانٍ ، وَلَا نَابَ فِي إِثْبَاتِهِ اسْتِخْدَامُ بَنَانٍ .

وله : أَمَّا الدهرُ فَمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِبْعَادِ المملوكِ عَنْهُ عَتْبًا ، وَلَا يُعَدُّ مَا جَنَاهُ مِنْ ذَلِكَ ذَنْبًا ؛ إِذْ كَانَ إِنَّمَا نَقَلَ مِنْ حِشْمَةِ الْمُخَاطَبَةِ ، إِلَى أَنْبِطَاطِ الْمَكَاتِبَةِ .

وله : وَقَدَرَهُ - أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَرْتَفِعُ عَنْ ذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ ، فَالْمَمْلُوكُ يَعْبُرُ عَنْهُ بِذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَى مَا فَارَقَهُ مِنْ تَفَضُّلِهِ ؛ وَبُعْدَ عَنْهُ مِنْ أَوْطَانِ تَطَوُّلِهِ .

وله : وَلَوْ لَا أَنَّ المملوكَ يُجِدُّ نَارَ الْإِشْتِيَاقِ ، وَيَبِيدُ أَوَارِ الْفِرَاقِ ، بِالتَّخِيلِ الْمُمَثِّلِ لِمَنْ نَأَتْ مَحَلَّتُهُ ، وَالتَّفَكُّرِ الْمَصْغُورِ لِمَنْ بَعُدَتْ شُقَّتُهُ ، لَأُلْهِبَتْ أَنْفَاسُهُ ، وَأُسْعِرَتْ حَوَاسُّهُ ، وَهَمَّتْ دُمُوعُهُ ، وَأَنْقَضَتْ ضُلُوعُهُ ؛ وَاللَّهُ الْمُحْمَدُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنْ تَمَازُجِ الْأَرْوَاحِ ، عِنْدَ تَبَايُنِ الْأَشْبَاحِ .

وله : وَلَا بُدَّ أَنْ يُكْفَّ بِالْمَكَاتِبَاتِ ، مِنْ غَرْبِ الْإِشْتِيَاقِ ، وَيَسْتَعِينَ بِأَنْسِ الْمُرَاسَلَاتِ ، عَلَى وَحْشَةِ الْفِرَاقِ ؛ فَإِنَّمَا أَلْسُنُ نَاطِقَةٍ ، وَعُيُونٌ عَلَى الْبُعْدِ رَامِقَةٍ .

وله : عِنْدَ المملوكِ لِمَوْلَانَا خَيَالٌ مُقِيمٌ ، لَا يَبْرَحُ وَلَا يَرِيمُ ؛ يَجْلُو عَلَيْهِ صُورَتَهُ ، وَيُطْلِعُ عَلَى عَيْنِ فِكْرَتِهِ طَلْعَتَهُ ، إِنْ سَهَرَ المملوكُ سَامِرًا مُعِينًا عَلَى السَّهَادِ ، أَوْ رَقَدَ

تَصَوَّرُ مُعَذِّبًا طَعْمَ الرُّقَادِ ، لَا يَمُطُّهُ زِيَارَتُهُ ، وَلَا يُوحِشُهُ بَغِيْبَتُهُ ، كَأَنَّمَا تَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ فِي الْوَفَاءِ ، وَتَحَلِّقُ بِحُلُقِهِ فِي الْحَافِظَةِ عَلَى الْإِخَاءِ .

وله : إِنْ تَزَايَلَتِ الْأَشْبَاحُ ، فَقَدْ تَوَاصَلَتِ الْأَرْوَاحُ ؛ وَإِنْ نَزَحَتِ الْأَشْخَاصُ وَبُعِدَتْ ، فَقَدْ دَنَتِ الْأَنْفُسُ وَتَقَارَبَتْ ؛ فَلَا تُمِصُّ الْفُرْقَةُ وَتُوَلِّمُ ، وَتُسْغِصُ النَّوَى وَتَكْلِمُ ؛ وَقَدْ يُنَالُ بِنَاجِي الضَّمَائِرِ ، وَتَحَاوُرِ السَّرَائِرِ ، مَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ ، وَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ ؛ إِذَا الْأَنْفُسُ الْبَسِيطَةُ أَرَقَّتْ مَسْرَى ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ مَرْمَى .

التشوق من كلام المتأخرين :

نسخة كتاب من ذلك ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ؛ وهو بعد الصدر :

لَا زَالَ الدَّهْرُ يَقْضِي خِدْمَهُ ، وَيُمِضِي رَأْيَهُ وَسَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ، وَيَرْضَى الدُّوْلَ الشَّاكِرَةَ تَقْدِيمَهُ فِيهَا وَقَدَمَهُ ؛ وَلَا بَرَحَتْ الْأَقْدَارُ الْمُعْرِبَةُ تُجْزِمُ أَمْرَهُ وَتَكْسِرُ ضِدَّهُ وَتَرْفَعُ عِلْمَهُ ؛ تَقْبِيلًا إِذَا لَمْ الثَّرْبَ الثَّمَمَةَ ، وَإِذَا أُودِعَ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ الثَّرْبِ خَتَمَهُ .

وَيُنْهِى مُوَاطَبَتَهُ عَلَى وِلَاءٍ لَا يَنْسَخُ الْبُعْدُ مُحْكَمَهُ ، وَدُعَاءٍ بِقَائِلِ النُّجُومِ وَلَا تَقْطِيعِ مِنَ الْقَبُولِ إِدْرَارَاتِهِ الْمُنْجَمَةَ .

وَيُنْهِى أَنَّهُ سَطَّرَهَا عَنْ شَوْقٍ يَعْزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُنُوبَ فِيهِ سَعَى الْقَلَمِ ، عَنْ سَعَى الْقَدَمِ ، وَأُرْتِيَاجِ إِلَى الْقُرْبِ الَّذِي بَأَنَسَهُ يُؤَسِّسُهُ أَنْوَارًا عَلَى أَعْلَى عِلْمٍ ؛ وَتَطْلُعِ لِمَعَاوِدَةِ الْأَخْبَارِ أَوْفَى مِنْ تَطْلُعِ الْعَامِرَى إِلَى مُعَاوِدَةِ أَيَّامِ ذِي سَلَمٍ ، وَتَعَلُّلِ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

بَعَثْتُ لَكُمْ سَوَادًا فِي بَيَاضٍ * لِأَنْظُرَكُمْ بَشْيَاءَ مِثْلِ عَيْنِي !

وهيأت ! أَيْنَ نَظَرَاتُ الْحُرُوفِ الْمَرْقُومَةِ مِنْ نَظَرَاتِ الْعُيُونِ الرَّامِقَةِ ، وَأَيْنَ مَنَالُ السُّلُوكِ مِنْ شَجْوِيقِ الْوَل : * أَعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٍ *

ما يحسب المملوك من النظر إلّا ما يملأ العين من ذلك الوجه الكريم ، ولا يلبس من خلع الأيام إلّا ما يحيط الأهداب على شبا ذلك القرب الرقيم ؛ وعلى ذلك فقد جهّزها المملوك على يد فلان ، وحمله من رسائل الشوق ما يرجو أن ينهض فيه بأعباء الرسالة ، ويسأل الإصغاء والملاحظة فيما توجه فيه وإن أدت الأمالي إلى الملالة ، والله تعالى المسئول أن يبلغ في آمئدادها مولانا الأُمّنيّه ، وينمّع الدّول منه بهذه البقية النقيّه ، إن شاء الله تعالى .

نسخة كتاب في المعنى عن نائب الشام ، إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله ؛ كاتب السّرّ بالأبواب السلطانية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ؛ وهو بعد الألقاب .

لا زال قلبها مفتاح الرّزق لطالبيه ، والجاه لكاسيه ، والظفر لمستنيب كتّيبها عن كتّيبه ، والنّجج لرائد مطالبة الدّهر بعد المطال به ، ولا برح البأس والكرم يتحدّثان عن تجرّها ولا حرج عن تجائبه ؛ تقيلا تغيطه في مرابعها ، تُغور الأزاهر ، لابل تحسده في مطالعها ، تُغور الزواهر .

وينهى بعد دعاء أحسنت فيه الألسنة وأخلصت الضّمائر ؛ وولاء وشاء لهما مصاعد التّجمين إلّا أنّ هذا في القلوب واقع وهذا في الآفاق طائر - أنه جهّز هذه الخدّمة مُعربة عن شوق يتجدّد ، وأرتياح لا يتعدى ولا يتعدّد ، ساعية عنه بخطوات الأفلام ، أن منع الوقت خطوات الأقدام ، نائبة في تقييل الأنامل التي تُستسقى ديمها على القرب والبعد ولا كيد ولا كرامة للغام ؛ وجهّزها على يد فلان بعد أن حمّله من رسائل الشوق ما إن حننا من إحسانه لينضي عقود الأيّام لو تعددت ، ومفاتيح أبوابه لتنوء بالعُصبة أولى القوة لو تجسّدت ؛ وهو بين يديه يقدم بجواها ، ويستشهد

بالخاطر الكريم قبل حضور دَعَوَها ، والمسئول إصغاء السَّمع الكريم إليه ،
 والملاحظة فيما توجه فيه متكللاً على الله وعليه ؛ وإذا عاد مشمولاً بعناية مولانا
 المعهوده ، مكفولاً برعايته المقصورة على نَجْح الآمال الممدودة ، فليُنعم على المملوك من
 المشرفاتِ الكريمة بما يسكن على جور البعد خواطره الدهشه ، ويُعينه على الوحشة
 التي حركها نحوه البعاد فهي الوحشه ، والله تعالى يشكرهم مولانا غائباً وحاضراً ،
 وشافِعاً لرسائل خدمه وناظرأ ، ويخص بابَه العلوى بسلام كسلام سقيط الطل عن
 ورق الغصن ناضراً .

آخر من كلامه : كتب به إلى بعض رؤساء مصر .

ويُنهى أنه سَطَرها مُعْرِبَةً عن شوقٍ مُقيم ، وعهدٍ لا يُبرح على صراطه المستقيم ؛
 وأرتياح لجنايه ، أو لكتابه ، ليتلو لإنصات شجوه : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَالرَّقِيمِ » . متطلّعاً لما يرد من أخبار مولانا السارة البازة ، مرتقباً لأنبائه أرتقاب
 الرهبة الفاغرة إلى ضرع الغمام الدآره ، ولو أن كل ما يمتحن المرء يدركه ، وكل ما يفتح
 على الدهر يملكه ، لغنى بقرب مخاطبه ، عن بُعد المكاتبه ، وأسجل كوكب الجمال
 المشرق وأقصر في ليلي الانتظار عن المراقبه . وقد جهّزها على يد فلان ، وحمله من
 رسائل الشوق أوفى وأوفر من رسائل الصفا ، وسأل الإصغاء والملاحظة من مولى
 بكاره النيل معروف المنافع والوفاء ؛ ولآمال المملوك بمشرفاته وأوامره جمال حين يُريح
 وحين يسرح ، وحين يقتصر على مقترحات الأيام حين يشرح ؛ فينعم مولانا بمواصلتها
 على هذه المقدمه ، ويجعل ذلك من إدارات صلاته المنجّمه ؛ والله تعالى لا يُعدم
 المملوك في حال كرمه : إما أن يُقيض في القرب بحره وإما أن يبعث على البعد ديمه .

وله إلى كاتب السر :

أعلى الله أمرَ قلمها على الأقلام، وأدام بفيض أنامله عليه بسط كلمة الإسلام،
وراع بكتائب كتبه العدا إذا آتبهوا، فإذا أغفوا «سَلْتُ عليهم سُيوفها الأحلام» .

ولا زالت تلك الأقلامُ العالية في تلك اليدِ الكريمة إن لم تكن من المنشآت
فإنها من المنشآت في البحر كالأعلام ؛ تقبيل مواظب على دعاء يطلع طلوع طرة
الصبح تحت ذلك الظلام ، وولاء إذا اعتبر الخاطر الكريم مسعاه وخدمته :
(قال يا بشرى هذا غلام) .

وينهى أنه جهَّز هذه الخدمة مقصورةً على وصف الأشواق الممدودة ، وجوانح
الشَّجْو المعهودة ؛ وأنفاسِ التذكُّر التي لولا شرف مذكورها لم تكن عنده من
الأنفاس المَعْدودة ؛ فيالها مقصورةً على شوقٍ ما فيها غير طيور الجوانح خفاقة الجناح ،
سبَّاقة الأرياح ؛ ويا لها أنفاس ذكر أغنت منادمتها عن كَيْس كَأْسٍ وأقتراح
وقت راح ؛ ويا لها ورقةً فازت بمشافهة لثم اليد الشريفة فكُرمَتْ وصفاً ، ونأت
عن نخار الروض عطفاً ؛ وأستطابت بشفاه السُّطور على تلك البنانِ رَشفاً :
وسَطَّرتها والجِسمُ أنحل ما يرى * فياليتني أصبحت في طيها حرفاً

واصلةً إلى الباب الكريم بسلام وصل عبقه قبل ماوصلت ، واردةً على يد فلان
وقد حمل من رسائل الصفاء والود مثل ما حملت ، وحصلت على القرب ويا أسفى
على ما حصل وحصلت . والملوك يسأل الإصغاء إليها وإليه بفضل النظر والسمع ،
والإنعام على الحبِّ المفارق بمشرفات تجلُّو عليه أيام جمع ؛ وتعينه على أوقات وحشة
إذا وصفها المشتاقون وأقلامهم ولَّوا وأعْيَنهم تَفِيض من الدمع ؛ لا بريح ذكر مولانا
علياً ، وبره بملء الآمال ملياً ، ووصفه بالتقى وسحاب الجود على الحالين ولياً :



يَأْمِنِيَّةَ النَّفْسِ وَيَا مَالِي * مُذْغِبَتَ عَنِّي لَمْ تَنْمِ مَقْلِي !
 إِنَّ نَيْتَ عَنِّي بَرَعِي فَقَدْ * سَكَنْتَ فِي قَلْبِي وَفِي مُهَجَّتِي !
 لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَلَا أَخْلَى مِنْ كَرِيمِ مَسَاعِدَتِهِ ، وَجَعَّ شَمْلَ الْأَنْسِ
 بِخُدْمَتِهِ .

المملوك يشكو من المولى فراقاً أوجب له على نفسه فراقاً ، وجيشَ صُدُودِ مَنْحِهِ
 مِنَ الْعَزَائِمِ طَوَائِفَ وَفِرَاقاً ؛ وَدَاءَ صَبَابَةٍ كَلَّهَا تَرْجَى الْإِفْرَاقَ مِنْهُ ^(١) أَزْدَادَ تَلَهُّبًا وَحَرَقًا ،
 وَوَجُوبَ قَلْبٍ تَحْتَمُّ لَغَيْبَتِهِ وَوَجَبَ ، وَدَمَعَ عَيْنٍ يَحْوِي مَهْمَا عَبَّرَ عَنْهُ لِسَانُ قَلَمِهِ
 أَوْ كَتَبَ ، وَقَدْ أَطَالَ الْهَجْرُ تَأَلَّمَهُ وَعَتَبَهُ ، وَأَطَارَ سِتْنَتَهُ وَلَبَّاهُ ؛ مُدَّ وَصَلَ الْمَوْلَى غَيْرَهُ
 وَقَطَعَ عَنْهُ كُتْبَهُ ، وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ لَفْظٌ وَالْمَوْلَى مَعْنَاهُ ، وَسَعْدَهُ شَخْصٌ وَأَنْتَ
 وَجْهُهُ الْمَيْمُونُ وَيُمْنَاهُ ؛ فَيُؤَاتِرُ إِسْرَالَ مَكَاتِبَاتِهِ ، وَيُخَيِّفُ بِمَأْثُورِهِ وَلِبَانَاتِهِ ؛ وَيُعْطِرُ
 بِذِكْرِهِ الْجَمِيلِ الْأَمَّاكِنَ وَيُسَنِّفُ الْمَسَامِعَ ، كَمَا شَرَّفَ بِجُلُودِهِ فِيهَا الْأَضَالِعَ ؛ وَاللَّهُ
 يَدِيهِ وَيُمَدُّهُ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ وَالْحُسَادِ :



أُقَاسِي مِنْ بَعَادِكَ مَا أُقَاسِي * وَقَلْبُكَ رَاحِمٌ وَعَلَى قَاسِي !
 وَأَحْمِلُ مِنْ نَوَاكَ بَضْعِ نَفْسٍ * عَنَاءً يُعْجِزُ الشَّمَّ الرَّوَاسِي !
 وَتُبْعِدُنِي وَأَمْرُكَ إِنَّ أَتَانِي * جَعَلْتُ مَحَلَّةً عَيْنِي وَرَاسِي !

(١) أى البرء مصدر أفرق العليل إفراقاً إذا برأ من علته . انظر اللسان ج ١٢ مادة ف رق .

قَرَّبَ اللهُ أُوْبَتَهُ، وَجَمَّلَ رُؤْيَتَهُ؛ وَحَرَسَ نَفْسَهُ مِنَ الْغَيْرِ وَالْحَادِثَاتِ، وَصَانَ حِجَابَهُ الْمُنِيعَ عَنِ الْمَلَمَّاتِ الْمُؤَلِمَاتِ؛ وَجَمَّلَ الْأَيَّامَ بِوُجُودِهِ، وَالْأَنْأَمَ بِجُودِهِ. وَلَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ جَمَلَهُ، وَأَعْنَقُ أُنْبَاءُهَا لِمَنَّتِهِ مَتَحَمَلَهُ .

صَدَرَتْ هَذِهِ الْخِدْمَةُ إِلَى خِدْمَتِهِ مَتَضَمِّنَةً إِهْدَاءَ سَلَامِهِ، وَشَاكِيَةً لَغَيْبَتِهِ جَوْرَ أَيَّامِهِ؛ وَمُنْهِيَةً شِدَّةَ أَشْوَاقِهِ الَّتِي أَفْنَتْ بِالصَّبَابَةِ قَلْبَهُ، وَأَذْهَبَتْ حُشَاشَتَهُ وَلُبَّهُ؛ وَهِيَ فِي ذَلِكَ نَائِبَةٌ مَنَابَ سَائِرِ الْخِدْمِ، وَمَعْبَرَةٌ عَنِ أُلْسِنَةِ الْأَقَالِمِ بِلِسَانِ الْقَلَمِ؛ فَإِنَّ الْأَعْيْنَ مُتَطَلِّعَةٌ إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَالْقُلُوبُ مُتَعَطِّشَةٌ إِلَى قُضُولِهِ وَرَجْعَتِهِ؛ كَمَا نَتَطَلَّعُ إِلَى السَّمَاءِ عُيُونُ النَّجَاسِ، وَنَتَعَطِّشُ الرِّيَاضَ إِلَى الْوَابِلِ الْقَدَقِ بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُحَرِّ الشَّمْسِ؛ فَالْمَوْلَى يَجْعَلُ مُوَاصَلَتَهُ بِأَخْبَارِهِ فَرَضًا لَازِمًا، وَيَمْتَنِعُ مِنْ إِغْفَالِهِ كَمَا يَمْتَنِعُ مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ إِذَا كَانَ صَائِمًا؛ فَإِنَّ الْمَوْلَى هُوَ صُورَةُ الْجُودِ وَمَعْنَاهُ، وَبَيْتُهُ الْكَرِيمُ فَنَاءُ الْخَيْرِ وَمَعْنَاهُ؛ وَالنَّاسُ مَالِمٌ يَرُوكَ أَشْبَاهَهُ، حَرَسَهُ اللهُ وَتَوَلَّاهُ، وَضَاعَفَ عُلَاهُ، وَالسَّلَامُ .



يَا أَجْمَلَ النَّاسِ سَنَاءً وَسَنًا * جَفَتْ جُفُونِي لِحَفَاكَ الْوَسَنَا!

ثِمَارَ آلَامٍ لِإِلَامٍ أَجْتَنِي؟ * يَا لَيْتَنِي أَعْلَمُ خَطِي مَا جَنَا؟

وَأَتُمُّ يَا أَهْلَ بَابِ لَعْلٍ * مُدُّ يَدَيْكُمْ لَمْ أَرِ شَيْئًا حَسَنًا!

أَقُمُّ بِمُنْحَنِ أَضَالِي * وَسِرُّمُ يَا أَهْلَ وَادِي الْمُتَحَنَّا!

فِي بُعْدِكُمْ مَنِّي لَا تَتَّبِعُونِي * وَقُرْبِكُمْ غَايَةُ سُؤْلِي وَالْمُنَا!

خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ إِرَادَتَهُ؛ وَأَثَّلَ نَجْدَهُ، وَأَدَامَ سَعْدَهُ؛ وَأَعَذَّبَ مَنَّهُلَهُ وَرَدَّهُ .

المملوك يَشَوِّقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَى أَنْبَاءِهِ، وَيُصِفُ شَدِيدَ اشْوَاقِهِ وَصَبَابَتِهِ، وَحَيْنَهُ إِلَى مَشَاهِدَةِ الْمَوْلَى وَمَشَافَهَتِهِ، وَمَا يَجِدُهُ لَذًاكَ مِنْ أَلَمٍ فِي جَوَارِحِهِ الْجَرِيحَةِ، وَسَقَمٍ فِي جَوَانِحِهِ الصَّحِيحَةِ؛ وَيَلْتَمِسُ مَوَاصِلَتَهُ بِكُتْبِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَأَخْبَارِهِ السَّارَةَ لِتَضَاعُفِ لَهُ مَزِيدُ الْإِسْتِيشَارِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ بَنَارُ الصَّبَابَةِ قَدْ وَقَدَّ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَلَى [بُعْدِهِ] فَقَدْ فَقَدَ؛ وَمَتَى وَرَدَ كِتَابُ الْمَوْلَى شَفَى الْغَلِيلَ، وَأَبْلَّ الْعَلِيلَ، وَنَجَّى طَعْمَ الْحَيَاةِ وَنَجَحَ التَّامِيلَ؛ فَلْيَصَيِّرْ وَتَرْمَكَاتِهِ شَفْعًا، وَلَا يَجْعَلْ لَوْصِلِهِنَّ قَطْعًا؛ وَاللَّهِ يَمْنَحُ عَيْشَهُ خَفْضًا وَمَكَانَهُ رَفْعًا، وَالسَّلَامَ .



شعر في معنى 'التشوق' :

قَدْ كَانَ لِي شَرَفٌ يَصْفُو بِرُؤْيَيْكُمْ * فَكَدَّرْتَهُ يَدُ الْأَيَّامِ حِينَ صَفَا

غيره :

كَتَبْتُ ^(١) لِلْكَتَابِ مَجَلَّدٌ * عَلَى أَنَّهُ قَبْلِي بَلْقِيَاكَ يَسْعَدُ

النوع السادس

(فِي الْإِسْتِرَارَةِ)

قال في "مواد البيان" : رِقَاعُ الْإِسْتِرَارَةِ إِنَّمَا تَسْتَمِلُ عَلَى وَصْفِ حَالَاتِ الْأَنْسِ وَمَجَالِسِ اللَّذَّاتِ، وَمَشَاهِدِ الْمَسَرَّاتِ . قال : وَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُودِعَهَا حُلُوقَ الْأَلْفَاظِ، وَمُؤَنِّقَ الْمَعَانِي وَبَارِعَ التَّشْبِيهَاتِ، وَيُيَالِغُ فِي تَشْوِيقِ الْمَسْتَرَارِ إِلَى الْحُضُورِ، وَيَتَلَطَّفُ فِيهِ أَحْسَنَ تَلَطُّفٍ .

(١) بياض في الاصل ولعله "وشوق للكتاب الخ" .

(٢) لعله مجالات كما لا يخفى .

وهذه نسخ من ذلك :

على بن خلف :

رُفِعْتِ - أطل الله بقاء سيدي - ومجلسي بمن حله من خدمه ، ونزله من صنائع كرمه ؛ فلك مزين بأنجه ، فإن رأى أن يُطلع فيه بدرًا بطلوعه وينقل قدمه إليهم ، ويكمل نقصهم بتمامه ، ويضيف ذلك إلى تليد إنعامه ، فعل ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

قد أنتظم لنا - أطل الله بقاء سيدي - مجلس رقت حواشيه ، وتبسمت راحه عن حجب ، كلالتي على ذهب ، وقامت فيه سوق السرور ، لا يكسدها إلا تخلفه عن الحضور ؛ فإن رأى أن يكمل جدلنا بإطلاع طلعت علينا ، ويصدق ظننا بنقل قدمه إلينا ؛ سر وأبهج ، وتم من الإحسان ما أجدج ؛ إن شاء الله تعالى .

وله : هذا - أطل الله بقاء مولانا - يوم صفيق الظل ، رقيق غلالة الطل ؛ قد ترقعت شمسُه ببرج أنسه ، وأقتر جدلا عن مضاحك برقه ، وترنم طربا بزجره رعدِه ؛ ووشت مدارج نسيمه ، بأرج شميمه ، وقام على منابر السرور يخطب أبنه الكرم لأبناء الكرام ، وينادي بأعلى صوته : حي على المدام ؛ فقد وجب على كل موفٍ لاجتماع ثمار السرور ، والتحف عطف الحبور ؛ أن يلبي دعوته ، ويتنزه فرصته ؛ ويعوضه من شمس الآفله ، براج لإظهار ما أخفى من شعاعها كافله ؛ ويقفه على التملئ بالكاس والنثمان ، ويعمله سلكا ينتظم فيه الإخوان . ورُفِعْتِ هذه صادرة إلى مولاي وقد تهيا لنا مجلس من مجالس الأئس ، يسقط تجعد النفس

(١) فيه بَغْمٌ وَنَعْمٌ ، وَمِزْهَرٌ وَزَهْرٌ ، وَخُلَّانٌ قَدْ تَرَضَّعُوا لِإِنِّ الْعُقَارِ ، وَتَسَاهَمُوا تَقَلَّ
الْوَقَارِ ، وَتَجْعُمُوا فِي مَعَارِكِ الْخَمَارِ ، وَأُدْمِنُوا عَلَى الْمُسَاسَةِ وَالْإِتِّكَارِ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا
الْمَجْلِسَ مَعَ تَمَامِهِ مُنْجَدَجٌ ، وَعَلَى كَيْلِهِ مُخْتَلَجٌ ؛ لُبْعُدُ مَوْلَايَ الْحَالِ مِنْهُ مَحَلُّ الْوَاسِطَةِ
مِنَ النَّظَامِ ، وَالْأَرْوَاحِ مِنَ الْأَجْسَامِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُكْجَلُ مِنْهُ مَا نَقَصَ ، وَيُمِيطُ عَنْهُ
[مَا نَقَصَ] فَلْيَجْمَلْنَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْنَا ، وَالطُّلُوعِ عَلَيْنَا ؛ وَإِعْفَانَا مِنْ إِحْجَارِ الْإِنْتِظَارِ ،
مَعْتَدًا بِذَلِكَ فِي كَرِيمِ الْأَيْدِي وَالْمَبَازِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - يَوْمٌ أَعْرَسَ فِيهِ الْخَلْقُ بِالْجَارِيَةِ الْبَيْضَاءِ
تَفَدَّرَهَا ، وَحَجَّجَهَا بِسَجْفِ الْعَامِ وَسَتَّرَهَا ؛ وَأَخْتَالَ آخِثِيَالُ الْمَعْرَسِ فِي مَعْرَسِهِ ، بِمُصَنَّدِهِ
وَمُتَسِّكِهِ وَمُورِسِهِ ؛ وَاتَّخَذَ مِنْ ذَهَبِ الْبَوَارِقِ نِثَارًا ، وَأَسْتَنْطَقَ مِنْ زُنَارِ الرُّوَاعِدِ
أَوْتَارًا ؛ وَدَعَا إِلَى حُضُورِ وَلِيِّتِهِ ، وَالسُّرُورِ بِمَسَرَّتِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَلْبِي طَلِبَ هَذَا الْيَوْمِ
الصَّفِيقِ ، وَيَتَمَتَّعَ بَعِيْشِهِ الرَّافِعِ الرَّفِيقِ ؛ فَلْيُطْلِعْ عَلَيْنَا طَلْعَتَهُ الَّتِي تَبْهَرُ الْقَمَرَ الْمُزْهِرَ ،
وَتَصْدَعُ اللَّيْلَ الْمُعْتَكِرَ : لِيُنْهِضَ غُرَّةَ الْإِصْبَاحِ ، بِغُرَّةِ الرَّاحِ ، وَيَقْطِفَ ثِمَارَ الْأَنْسِ
وَالْمَحَاضِرِ ، وَيَتَمَلَّى بِالسَّمَاعِ وَالْمَذَاكِرِ ؛ وَيَأْخُذَ بِحِطِّ مَنْ لَذَاذَةِ الْفَيْحَةِ الشَّبِيهِةِ بِشَائِلِهِ ،
وَيُعَدَّ ذَلِكَ مِنْ مَبَارِهِ وَفَوَاضِلِهِ ؛ [فَعَلَ] إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في الاستدارة في بُسْتَانِ :

كَتَبْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - وَقَدْ غَدَوْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ [إِلَى] بُسْتَانِي وَالطَّيْرِ
فِي الْأَوْكَارِ ، وَالْأَنْدَاءِ تَهَيَّطُ كَالْتِّيَارِ ؛ وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الصَّبَاحِ ، أَشْتَمَالُ الْأَدْهَمِ

(١) هو بالفتح وبالضم وبالتحريك ما يتناقل به على الشراب . أنظر اللسان ج ١٤ .

(٢) في الأصل « أبطل » ولعله من تصحيف النسخ .

على الأوضح؛ عازماً على مشارفته ومُشارفة ما استمددت من عمارته، لا للخطوة فيه
بمعاطة المدام، ومُؤانسة الندام؛ حين سرحت الطرف في ميادينه وجداوله، وأقبلت
على تصفح حلاه وحلله؛ رأيت مناظره تتعلق القلوب أعتلاق الأشرار، وتعتاق
المستوفز عن الحرار؛ وتقيم قاعد المزاج والنشاط، وتوقظ هاجد الفرح والأنسباط:
فمن أشجار كالآوانس، في رينجاني الملبس؛ حالية من مؤشع الزهر والثمر، بأنصع
من الياقوت والجوهر؛ كأنما تحفلت لاجتلاء عروس، أو معاطة كئوس؛ ما بين
تحليل قد نشرت عذب السندس على ذراها، وأطلعت طلعا كأنه ناجر غشيا صداها؛
ونارنج يحل أكبر العقيان، أو وجنات القيان؛ وأترج قد استعار ثمره أشواق العشاق،
إذا صالت عليهم يد الفراق. ومن ريسان زاهية بنشرها، وقضبها مختالة في ملبس
زهرها؛ وزجسها كمين محب حدق إلى الحبيب؛ وثنى جيده خوف الرقيب، إذا
عبث به النسيم جمع بين كل قضيب وإلفه، وسعى بالاعتناق من شوقه وكلفه؛
ووردها كبداهن ياقوت فيها نضار، وشقيقها كمدامات عقيق فيها صوار؛ وبنفسجها
نقد تمضي فيه من القرص آثار؛ أو جام بلحين عليه من الندى نثار. ومن أنهار قدت
حافاتها قد الأديم، وحدث على صراط مستقيم؛ ببحرة مسجوره، كالسيوف المشهورة
أو المهارق المنشورة؛ إذا نحمشها الهوى خلع عليها متون المبارد، أو سلوخ الأسود؛
يتخرق ذلك كله نسيم رقيق الغلائل، حلو الشائل؛ يسعى بالنسيم، في المعاطس
والشميم؛ انصبت إلى مجلس فسيح البناء، ضيق الأقاء؛ مؤش الجدران والسماء،
في صدره شاذر وان يرعى بكسر البلور، وفي وسطه نهر يسلب مأوه أنسياب

(١) الريسان والرياض جمع الروضة .

(٢) الصوار والصوار « أى بالضم والكسر » الرائحة الطيبة والقليل من المسك أنظر ج ٦ - ص ١٤٧

الشَّجَاعَ الْمَذْذُورَ ، وَتَوَسَّطُهُ بِرُكَّةٍ مَمْنَمَةٍ يَنْصَبُ الْمَاءَ إِلَيْهَا بِالدَّوَالِي إِلَى أَرْبَعِ شَاذِرَوَانَاتٍ ، وَيُخْرِجُ عَنْهَا مِنْ أَرْبَعِ فَطِيمَاتٍ ؛ يَحْتَفُّهَا كُلُّ شَجَرٍ مُثْمَرٍ ، وَرَوْضٍ مُزْهِرٍ .

فَقُلْتُ : هَذَا الْمَرَادُ الَّذِي يُحِطُّ بِهِ الرَّائِدُ رَحْلَهُ ، وَيُوفِدُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ؛ وَيَدْعُو إِلَى اخْتِيَارِ مَنْ يَهْبُ إِلَى الشَّرُورِ ، وَيُسَاعِدُ عَلَى الْحُضُورِ ، لِلشَّارِكَةِ فِي التَّمَلُّيِّ بِهَيْجَتِهِ ، وَالتَّمَتُّعِ بِنَضْرَتِهِ ؛ فَكَانَ مَوْلَايَ أَوَّلَ مَنْ جَرَى إِلَيْهِ ذِكْرِي ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ طَرْفُ فِكْرِي :

لَأَنَّهُ السَّاكِنُ فِي قُودَادِي ، الْحَالُ فِي مَحَلِّ رُقَادِي ؛ فَإِنْ رَأَى أَرَاهُ اللَّهُ مَا يُقِرُّ الْعَيْنَ أَنَّ يَجْكُلَ مَسَرَّتِي بِقَلِّ قَدَمِهِ إِلَيَّ ، وَإِطْلَاعِ سَعْدِ طَلْعَتِهِ عَلَيَّ : لِيَتِمَّ مُحَاسِنَ مَا وَصَفْتُهُ ، وَيَكْمُلَ الْإِلْتِذَاذَ بِمَا شَرَحْتُهُ ؛ فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَجُوبَةُ رِقَاعِ الْأَسْتِزَارَةِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : لَا يَخْلُو الْمُسْتَرَارُّ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى الْحُضُورِ أَوْ التَّنَاقُلِ عَنْهُ ، فَإِنْ حَضَرَ عَلَى الْقَوْرِ ، فَلَا جَوَابَ لِمَا نَفَذَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ وَعَدَ الْحُضُورَ وَتَأَوَّمَ لِقَضِيَّ شُغْلًا وَيَحْضُرُ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى سُورِهِ بِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْهُ ؛ وَأَنْ تَلَوِّمَهُ لِلْعَائِقِ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ حُضُورَهُ يَشْفَعُ رُقْعَتَهُ . وَإِنْ أَيْسَ مِنَ الْحُضُورِ ، وَجَبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى مَا يَمْهَدُ عُذْرَهُ ، وَيَقَرَّرُ فِي نَفْسِ مُسْتَرِيرِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتَأَنَّ عَنْ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى الْأَنْسِ إِلَّا لِقَوَاعِ صِدَّتْ عَنْهُ ، يَعْلَمُ الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ صَحَّتْهَا لِيَنْحَرَسَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَوَدَّةِ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مَا تَنْفَاسِدُ الْخُلَاقُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ .

النوع السابع

(في أختطاب المودة وأفتاح المكاتبه)

قال في " مواد البيان " : الرّاقع الدائرة بين الإخوان في أختطاب المعاشره ، وآتماء المكائره ، وطلب الخلطة والمؤانسه ، يجب أن يقدر الخطاب فيها على أن يصل المرغوب في عشرته إلى الانخراط في سلك أحبائه ، والانهياز إلى أهل ولآئه ، ويبعث على قصده ، في الالتحاق بؤده ، ويدل على المحاصه ، والصّفاء والمخالصه ، وما جرى هذا المجرى مما يتعامل به أخلاء الصّدق ، ويجعلونه مهراً لما يلمسونه من الممازجه ، ويرومونه من الاختلاط والمواشجه .

قال : وينبغي أن يذهب الكاتب في هذه الرّاقع مذهبا لطيفا ، ويحسن التوصل إلى الإفصاح عن أغراضها : ليأخذ بجامع القلوب ، ويعين على نيل المطلوب .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة : وينهى أنّ المملوك لم يزل مذوق طرّفه على صورته ، ووجّ سمعه بعد شيمته ، يناجى نفسه بافتتاح مكاتبتّه ومراسلته ؛ وأختطاب ممازجته ومواصلته ؛ رغبة في الاعتقاد بإخائه ، والارتشاف من مشارع صفائه ؛ والمقادير تطوى الطوية على ما فيها ، والعوائق تمحل النية بنجّاز ماثويه وتلويها ، إلى أن أذن الله تعالى بإعراض الأعراض ، وأتقباض أسباب الاتقباض ؛ فأظهر المملوك ما في القوه ، واثقا من مولانا بحسن المروه ، وأنه يوجب القبول بإجابته ، ويوجب إلى مساعدته ؛ ويرضى المملوك أهلا لأصطفائه ، ومحلا لإخائه ؛ علما بإيجابه للحق ، والمعرفة بالسبق ؛ وأن تلقى هذه الرغبة بالقبول ، ويسلم إليها مفتاح المأمول .

رقعة : لو كانت المودة لا تحُصَل إِلَّا عن أُلْفَةٍ تَالِدَةٍ ، ومُواصَلَةٍ سَالِفَةٍ ؛ لم يَسْتَطِرِفِ المرءُ صَفِيًّا ، ولم يَسْتَحْدِثْ وَلِيًّا . وما زال البُعْدَاءُ يَتَقَارَبُونَ ، والمتَنَاقِرُونَ يَتَعَارَفُونَ ؛ وَلَمَّا نُمِيَ إلى المملوك من أنباء مولانا مَا تَصَوَّعَ عِطْرُهُ ، وَطَابَ نَشْرُهُ ؛ سَافَرَ بِالْأَمَلِ إِلَيْهِ ، وَقَدِمَ بِالرَّغْبَةِ عَلَيْهِ ؛ طَالِبًا الْإِنْخِرَاطَ فِي سِلْكِ أَوْلِيَائِهِ ، وَالْإِخْتِلَاطَ بِخَاصَّتِهِ وَخُصَّائِهِ ؛ وَمَثَلُ مولانا مَنْ أَجَابَ السُّؤْلَ ، وَصَدَّقَ الْمَأْمُولَ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَرْجُو أَنْ تَكْشِفَ الْيَأْسَ لِمَوْلَانَا مِنْهُ عَنْ خُلَّةٍ صَادِقَةٍ ، وَمَوَدَّةٍ صَحِيحَةٍ ، لَا تَضِيعُ مَعَهَا إِجَابَتُهُ ، وَلَا تَحْزَنُ صَفَقَتُهُ .

رقعة : وَيُنْهَى أَنْ الْمَمْلُوكَ مَا زَالَ مُدُّ وَقَعَ طَرَفُهُ عَلَى صُورَتِهِ الْبَدْرِيَّةِ ، وَأَحَاطَ عَالِمًا بِخِلَاقِهِ الْمَرْضِيَّةِ ؛ رَاغِبًا فِي مُوَاشَجَتِهِ ، بَاعِثًا نَفْسَهُ عَلَى اخْتِطَابِ مَوَدَّتِهِ ، وَإِكْبَارِهِ يُقْعِدُهُ ، وَإِعْظَامُهُ يُبْعِدُهُ ؛ فَلَمَّا تَطَاوَلَ يَرَاغُ هِمَّتِهِ ، شَجَعَتْ عَلَى إِنْفَازِ عَزْمَتِهِ ؛ فَقَدِمَ مَكَاتِبَتَهُ أَمَامَ مِشَافِهِتِهِ ؛ فَإِنْ حَظِيَ بِالْإِجَابَةِ وَتَوَيْلِ الطَّلِبَةِ ؛ فَقَدْ فَازَ قَدْحُهُ ، وَتَبَلَّجَ صُبْحُهُ ؛ وَنَالَ مُنَاهُ ، وَبَلَغَ رِضَاهُ ، وَصَادَفَ هَنَاهُ ، وَدِيدَا مَوْثُوقًا بِوَدِّهِ ، مَسْكُونًا إِلَى عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ ؛ يَحْمَدُهُ عِنْدَ الْإِخْتِبَارِ ، وَيَعْرِفُ بِهِ صِحَّةَ رَأْيِهِ عِنْدَ الْإِخْتِيَارِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَرْجُو أَنْ يَصِحَّ مَا سَأَلَهُ وَكَفَّلَهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَنْ عَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِنِائِهِ الْحَافِلَ ، وَعَطَّرَ بِأَنْبَاءِهِ الْفَضَائِلَ ؛ وَأَقَامَ مِنْ مَسَاعِيهِ الْكَرَامِ خَطِيبًا يَخْطُبُ بِسُودَدِهِ وَفَضْلِهِ ، وَيُعْرِبُ عَنْ شَرَفِ مَحَنَدِهِ وَأَصْلِهِ ؛ تَطَلَّعَ الْأَمَالَ لِلْإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ أَحِبَّائِهِ ، وَتَشَوَّفَتْ الْهِمَمُ إِلَى الْأَمْتِرَاجِ بِجُلُخَصَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ : لَمَّا يَصْفُقُو عَلَى الْمُعْتَصِمِ بِعُرَى مُصَافَاتِهِ مِنْ لِبَاسِ جَمَالِهِ ، وَيُحَلِّي الْمُعْتَبَى إِلَى وَلَائِهِ مِنْ حِلْيِ جَلَالِهِ ؛ وَأَحَقُّ مَنْ أَسْعَفَهُ مَوْلَانَا بِالْمَوَدَّةِ إِذَا خَطَبَهَا ،

وأجابه إلى المصافاة إذا طلبها ، من بدأه بالرغبة ، ومَتَّ إليه بالمحبة ، لا لمُرغب ولا مُرهب ، واختاره لنفسه على علم بكماله ، ومعرفة بشرفٍ خلاله .

وما زال المملوكُ مُدَّ أطلعه الله على ماخُصَّ به مولانا من المحاسن المتعدِّدة إلَّا لديه ، والفضائل المتنَّعة إلَّا عليه ؛ يُحومُ على مَشارِعِ مَمارَجَتِهِ ولا يَرُدُّها ، ويرومُ مواقعَ مُواشِجَتِهِ ولا يَعْتَمِدُها ، إكبارا لقدره ، وإعظاماً لخطره ، وخوفاً من تصفُّحه ونقده ، وإبقاءً على ماءٍ وجهه من رَدِّه ، والمملوكُ وإن كان عالماً بأنَّ كرمَ مولانا يَرِقُّ الخلل ، وفضله يُصَدِّقُ الأمل ؛ فإنه لا يَعمَدُ مذ رَغِبَ في قُربِ مولانا ما لعلَّه يَجِدُه فيه ، ممَّا يُخالِفُ مَذْهَبه وَيُنَافِيهِ ؛ إذ كان لا يَبْلُغُ تَضَاهِيهِ في التَّامِّ وتَوَافِيهِ ، إلى أنْ أذنَ الله تعالى بأنْ أبلغَ نَفْسَه الأُمْنِيَّةَ ، وأظهرَ ما طُوِيَتْ عليه الطَّوِيَّةُ ؛ فكتبَ هذه الرُّقعة وجعلها فيما رامهُ من الاعتِلاقِ بِجَبَلِ مَوَدَّتِهِ سَفيراً ، وعلى ما آلَئَسَّه من الانْضِمامِ إلى جُمْلَتِهِ ظَهِيراً ؛ وقَدِّمَ بها عليه وِطْنَه يترجَّحُ من الإِعْراضِ إلى القَبُولِ ، نَفَقَةً بِقُربِ نَيْلِ المأمُولِ ؛ فإنْ رأى أنْ يُجِيبَه إلى ما سألَه ، ويُسرَّه بتنويلِ ما اقترَحَه ، فعَل ؛ إن شاء الله تعالى .

اختطاب المودَّة ومفاتحة المكاتبة من كلام المتأخرين :

الشيخ جمال الدين بن نُبَّاتَة :

وضاعف للمالك ببقائه الإِتِّفاع ، وبأرتقائه الإِرْتِفاع ؛ وسرَّ بحاسن نظره وخبره العِيانَ والسَّماعَ .

ولا زال للحجَّين من وُدِّه عَظْفُ المتلَطِّفِ ولالأعداء من بأسِه خَظْفُ الشُّجاعِ .
أصدرها المملوكُ منطويةً على ما عهد من صِدْقِ المحبة ، ووفاءِ العهودِ المُستَتَبَّةِ ؛ ودُرَر

المحمد التي لا تُسوى^(١) لديها دُررُ العقود حبه ، مُبديةً لعلمه الكريم أنَّ المودَّات إذا صَفَتْ ، والقلوب إذا تَجَنَّدَتْ وتعارَفَتْ ؛ حَثَّتِ المحبِّين في العباد على المفاخِرة بِكُتُبهم ورسائلهم ، والمخاطبة في ظلال الأوراق بالسِّنة أَقلامهم من لُحُواتِ أناملهم ؛ إثارةً لتجديد الأُنس وإنَّ صَحَّ الميثاق ، وتذكُّراً لخِواطِر الودِّ ، وإن رَسَخَتْ منه الأصولُ ونَمَتِ الأعراق ؛ ولذلك فَاتَحَ بها مخاطباً ، وأرتَقَبَ لِمُنَادِيها بالأخبارِ السَّارةِ مُجاوباً ؛ نائبةً عنه في مشاهدةِ الوجهِ الكريم ، ومصاحبةً اليَدَ في حديثِ رِثْها القديم ؛ تستطلع أخباره ، وتستعرض أوطاره ؛ وتُحْيِي بالسلام وجهه وعَهْدَه وِدْيَارَه ، على يدِ فلان ، وقد حَمَلَ من المودَّات والمشافَهات ما يُعيدُه على السَّمْعِ الكريم المُنعم بِإِصْغائه ، المُصنِّعي بِنِعائِهِ ؛ المتحفِّ بالمِهْمَات التي يَحْصُلُ فوزُ القيامِ بها ، والمُشْرِفات التي كُلُّ أسبابِ الشُّرورِ متصلٌ بسببها ، والله تعالى يُبْهِجُ من تِلْقاءه سَمْعاً ونَظْراً ، ويُنْقِ عِيشَ حاسده هَشِيماً وعِيشَ محبِّيه نِضْراً ؛ ويُدِّيمُ رياضَ ذكره تالِيَةً على المُسامع : ﴿ فَأُخْرِجْنَا مِنْهُ خَضْرًا ۝ ﴾

أَجوبةُ أَخْطابِ المودَّةِ

قال في ”موادِّ البيان“ : لا يَحْلُو مَنْ يُرامُ ذلك منه من أن يُجِيبَ أو يَعتَلَّ ، فإنَّ إجابَ بنِي الجِوابِ على وَقُوعِ رَغْبَةِ المَخْطَبِ أَحْسَنَ مَواقِعِها ، وأَبْتَهاجَ المَخْطَبِ بها ، ومَعْرِفَتِهِ بِقَدْرِ ما رآه أَهْلاً له ومَسارِعَتِهِ إِلَيْه ؛ وإنَّ أَعْتَلَ بنِي الجِوابِ على أَنه قد عَرَّضَ له ما يَقْصُرُ عنه ، ولا تَرْضَى نَفْسُهُ به ، وأنَّ العذرَ [ليس] بِعَادَةٍ له في المَزِيلَةِ ، وطَريقَةٍ في الإِفرادِ والمُجانِبَةِ .

(١) أى لا تساوى يقال سوى درهما يسوى من باب تعب ومنعها أبو زيد . أنظر المصباح .

النوع الثامن

(في خطبة النساء)

قال في "موادّ البيان" : الرّقاع في التماس الصّهر والمواصلّة يجب أن تكون مبنية على وصف المخطوب إليه بما يقتضى الرّغبة ، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدّي إلى الكفاية والإسعاف بالطلبة .

قال : وينبغي للكاتب أن يودّعها من ألفاظ المعاني المتظمة في هذا الباب أوقعها في النفوس ، وأعودها بتقريب المرام ، وأدملها على صدق القول فيما تكفله من حسن معاشره ، ولين معاملة ، وأن يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز .

وهذه نسخ من ذلك :

مما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

وأفضل تلك المواهب موقعاً والطفها وأحمدها عاقبة ، وأرهنها يداً ، ما يؤلف الله به القربات ، ويؤكد به الحرّمات ، ويوجب به الصّلات ، ويحدّد به المكّرمات ، ويحدّث به الأنساب ، ويقوّى به الأسباب ، ويكثر به من القيلة ، ويجمع به من الفرقة ، ويؤسّس به من الوحشة ، ويؤادّ به في الحقوق وجوباً ، وفي المودّات ثبوتاً ، ثم لا مثل لما كان لله طاعة ورضاء ، وبأمره أخذاً وأقتداء ، وبكتابها قدوة وأخذاء ،
(١) فالتّ نسأل الخيرة في قضائه ، والبركة فيما يقوم بناؤك عليه .

ومنه : تَصِلُ رَحِمًا ، وَتَعْقِدُ سَبَبًا ، وَتُحَدِّثُ نَسَبًا ، وَتُجَدِّدُ وَصْلَةً ، وَتَوْكِّدُ أُلْفَةً .

رقعة : مَنْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّ بِهِ سَيِّدِي : مِنْ طَهَارَةِ الْأَعْرَاقِ
وَالْأَنْسَابِ ، وَشَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ ؛ وَأَفْرَدَهُ بِاجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَتَفَرِّقَةِ
فِي الْأَنَامِ ، وَعَطَّرَ بَنَائِهِ مَلَابِسَ الْأَيَّامِ ؛ رَغِبَ الْأَحْرَارُ فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ بَذْلُ
الْوَجْهِ فِي اخْتِطَابِ مِمَازَجَتِهِ ، وَالْتَمَسَ مُوَاشَجَتَهُ وَمُنَاسَبَتَهُ ؛ وَجَدِيرٌ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ،
وَطَلِبُ مَالِدِيهِ ؛ وَاخْتِيرَ لِلشَّابِكَةِ فِي الْوَلَدِ وَالْحُمَةِ ، وَالْمِشَارِكَةِ فِي الْمَالِ وَالنَّعْمَةِ - أَنْ
يَجِبَ وَلَا يَمْنَعُ ، وَيَصِلَ وَلَا يَقْطَعَ ؛ مُصَدِّقًا لِأَمَلٍ مِنْ أَفْرَدِهِ بِأَرْتِيَادِهِ ، وَتَوْحُّدِهِ
بِاعْتِمَادِهِ ؛ عَارِفًا لَهُ حَقَّ آبْتِدَائِهِ بِالثَّقَّةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّ مَنْ أَعْتَقَبَهَا ، وَلَا صَدُّ مَنْ
حَسَّنَ ظَنِّهَا ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنْ [مَضَى] لِلْمَلُوكِ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ [وَهُوَ يَحْتُ] مُتَطَلِّبًا
مَرْبَعًا لِلتَّأَهُلِ ، مُؤَثِّرًا لِعِمَارَةِ الْمَنْزِلِ ، رَاغِبًا فِي سَكَنِ تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ إِلَيْهِ ، وَتَعْتِمِدُ
فِي الْقَوَائِمِ وَالْمَصَائِرِ عَلَيْهِ ؛ وَكُلَّمَا عُرِضَ لِلْمَلُوكِ بَيْتُ أَبِيهِ ، أَوْ ذَكَرَ لَهُ جَنَابٌ قَطَعَ
عَنْهُ رَجَاهُ : لِعَدَمِ بَعْضِ الشَّرُوطِ الَّتِي يُرِيدُهَا فِيهِ ، وَتَعَدُّرِهَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَعَ سَمْعَهُ
ذَكَرُ سَيِّدِي ، عَلِمَ أَنَّهُ الْغَايَةُ الَّتِي لَا مَرْفُقَ بَعْدَهَا ، وَالنَّهْيَةُ الَّتِي لَا مَطْمَحَ وَرَاءَهَا ، وَأَنَّهُ
قَدْ ظَفِرَ بِالثَّقَّةِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأُمْنِيَّةِ ، وَوَجَدَ مِنْ يَجْمَعُ الْخِلَالَ الْمَرْضِيَّةَ وَيَزِيدُ ؛
وَيُجُوزُ مِنَ الْفَضْلِ الشَّأَوِ الْبَعِيدِ ، وَكُتِبَ لِلْمَلُوكِ هَذِهِ الرِّقْعَةُ خَاطِبًا كَرِيمَةً فَلَانَةً
[لِيَكُونَ لَهَا] كَالِغَمْدِ الضَّامِنِ لِلْهَنْدِ ، وَالْخِلْدِ الْحَافِظِ لِلْجِلْدِ ؛ وَيَكُونُ لِمَوْلَانَا كَالْوَلَدِ
الْبَرِّ أَبِيهِ ، وَلَأَخِيهَا كَالصَّنْوَ الشَّفِيقِ عَلَى أَخِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَى سَيِّدِي أَنْ يَتَدَبَّرَ مَا كَتَبَهُ
الْمَلُوكُ وَيَسْمَعَ مِنْ تَوْكِيدِ رُقْعَتِهِ مَاحِلَّتَهُ ، وَيَجِيبُهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ فَلَهُ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ ؛
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رُقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَوْلَانَا بِمَا تَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَحَاسِنِهِ وَمَنَاقِبِهِ ، جَدِيرٌ أَنْ يَلْقَى مَنْ خَطَبَ الْاِعْتَصَامَ بِعُرَى مَازَجَتِهِ ، وَسَعَى فِي نَيْلِ عُلُقِهِ مِنْ مُوَاشَّجَتِهِ ، بِالتَّابُولِ ، الْقَاضِي بَنِيْلُ الْمَأْمُولِ ، وَدَرَكِ الرَّغْبِ وَالسُّوْلِ ؛ وَلَا سِيَّما إِذَا كَانَ عَارِقًا مِنْ سُموِّ خَطَرِهِ ، وَاعْتِلَاءِ قَدْرِهِ ، مَا يَقْضِي عَلَيْهِ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ فِي مَعَاشِرَتِهِ ، وَغَضِّ الطَّرْفِ فِي مَعَامَلَتِهِ ؛ وَالْوُقُوفِ دُونَ دَرَجَةِ الْمَسَاوَةِ وَالْمِثَالَةِ ، وَالتَّرْخُوجِ عَنْ رُتْبَةِ الْمُبَارَاةِ وَالْمُطَاوَلَةِ ؛ وَالْاِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْاِتِّبَاعِ وَالْحَاشِيَةِ ، وَالْحُدُودِ وَالْغَاشِيَةِ ؛ وَكَثِيرًا مَا وَجَدَ الْمَمْلُوكُ الْبَرَكَةَ فِي مِشَارَكَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْفَرَمْنَهَا فِي مِشَارَكَةِ النَّظَرَاءِ ، وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ فِي مِشَابَكَةِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ أَجْمَلَ مِنْهَا فِي مِشَابَكَةِ الْاَكْفَاءِ ؛ الَّذِينَ يُصَادِفُونَ فِي الْحَقُوقِ شَطَطًا ، وَلَا يُغْضُونَ عَنْ يَسِيرِ الْوَاجِبَاتِ تَبَسُّطًا : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْوَصْلَةَ مِمَّنْ دَانَاهُمْ فِي الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ لَيْسَتْ عَائِدَةً عَلَيْهِمْ بِشَرَفٍ ، وَلَا مُظْهِرَةً لَهُمْ مِنْ نُحُولٍ . وَلَآنَ يَسْتَخْلَصُ مِثْلُ سَيِّدَى مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، مِثْلُ الْمَمْلُوكِ مِنَ الْاَوْلِيَاءِ ، وَيَخْتَصُّهُ بِأَثَرَةِ الْاِجْتِبَاءِ وَالْاِصْطِفَاءِ ؛ فَيَكُونُ مَفْخَرُهُ إِلَيْهِ مَنْسُوبًا ، وَمَا يَرْقِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِبَرَكَتِهِ مِنْ دَرَجِ الْفَضْلِ فِي نَفْسِهِ مُحْسُوبًا ؛ أَوَّلَى مِنْ طَلَبِ مُمَائِلِ يَنَاقِشُ بِقَدْرِهِ وَيُطَاوِلُ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ طَلَبَ ذَلِكَ لَطَلَبَ مُعَوِزًا ، وَرَامَ مُعْجِزًا : لَمَّا أَفْرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ السِّيَادَةِ الَّتِي لَا يُتْرَاقُ إِلَى مَنْزِلَتِهَا ، وَلَا يُتَسَامَى إِلَى مُطَاوَلَتِهَا ؛ وَإِذَا كَانَ النِّظِيرُ مَعْدُومًا ، وَالْكُفُوُ مَفْقُودًا ؛ وَلَوْ وَجِدَ لَمَالَ مَتَسَلِّطًا ، وَوَقَعَ سُومُهُ مَنَبَسِّطًا ؛ وَمَوْلَانَا يُطَلَّبُ إِلَيْهِ وَلَا يَطْلُبُ ، وَيُرْغَبُ فِيمَا عِنْدَهُ وَلَا يَرْغَبُ ، فَقَدْ سَهَّلَ السَّبِيلُ إِلَى مَا يَرُومُهُ الْمَمْلُوكُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَيُؤَثِّرُهُ مِنْ مُوَاسَلَتِهِ ؛ وَاتَّسَعَ الْحَجَالُ فِيمَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ مِنَ الرِّغْبَةِ فِي تَقْلِيدِهِ شَرَفِ مُصَاهَرَتِهِ ، وَإِضَافَتِهِ بِذَلِكَ إِلَى بَطَانَتِهِ وَأَهْلِ خَاصَّتِهِ ؛ وَيُخْرِجُهُ عَلَى مَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ الْوَالِدُ وَلَدَهُ ، وَالسَيِّدُ عَبْدَهُ ؛ وَقَدْ حَمَلَ الْمَمْلُوكُ مُوَصَّلَ

(١) لعله يشير إلى المثل العربي «عرض عليه سوم عالة» يضرب لمن يمرض عليك ما أنت عنه غنى تأمل .

مطالعة هذه مالم تسع إيداعه المكاتبه ، فإن رأى مولانا أن يصنعي إليه ويحب عبده بما يعتمد المملوك في ذلك فله الفضل ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : وينهى أن لذوى المناجب الطيبة الأنساب ، والمناحت الزكية الأحساب ؛ والأخلاق الكريمة والآداب ، بين الأنام لسان صدق يخطب لهم بالمحسن والمحامد ، ويعطر بثنائهم الصادر والوارد ؛ ويدعو القلوب إلى نيل علقه من مآزجهم ، وأتمسك بطرف من مواصلتهم ؛ وقد جمع الله لمولانا من كريم المتلد^(١) والمطرف ، وقديم وحديث الفضل والشرف ، ماتفرق في السيادات ، وتوزع على أهل الرياسات ؛ وجعله في طهارة المولد ، وطيبة المحتد ؛ وأستكمال المآثر ، وأستتمام المفارح ، علما ظاهرا ، ونجما زاهرا ؛ فما من رئيس سوى مولانا تعجزه خلة من خلال الرياسة إلا وجدها لديه ، ولا نفيس تعوزه خصلة من خصال النفاسة إلا أستمحها من يديه ؛ ولذلك أمتدت الأعناق إلى أتمسك بحبله ، وتطلعت الهمم إلى مؤانستته في كريم أصله ؛ وصار مرغوبا إليه لارغبا ، ومطلوبا لديه لاطالبا ؛ وهو جديرا بما وهبه الله من هذا الفضل الذائع ، والنبل الشائع ، أن يجيب سائله ، ويصدق أملة ؛ ولا يتجهم في وجه قاصده ، ولا يرده عن مقصده ؛ ولا سيما إذا كان قد أسلفه الظن الجميل ، وبدأه بالثقة والتأويل ؛ وتعذر عليه قدر العارف بقدره ، العالم بخطره ؛ المرتضى بشرائطه ، النازل على حكمه ، المتدبر برأيه ؛ وقد علم الله تعالى أن المملوك مذنبا نشأ وصالح للتأهل مرغوب فيه ، مخطوب إليه ؛ من عدة جهات جليلة ، وجنات رئيسة ؛ والمملوك صاغر عن الإجابة ، صارف عن المطاوعة ؛ لشذوذ بعض الشروط التي يروم أن تكون مجتمعة في النسب ، الذي أعده شريكا في الولد والنسب ؛

(١) المتلد (أى كرم) ما ولد عندك من مالك أو نتج وما لم يتلد قديم .

ومُفَاوَضًا فِي الْحَالِ وَالسَّبَبِ ؛ مَرْتَادٌ مِنْ يَقْنَعُ بِالْمُوَافَقَةِ ، وَيَرْتَضِ ، بِالْعِشْرَةِ وَالْمِرَاقَقَةِ ؛
 حَتَّى أَفْضَى فِي الْإِتِّقَادِ إِلَى مَوْلَانَا فَوَجَدَ الْمُرَادَ عَلَى أَشْتَرِاطٍ ، وَأَلْفَى الْمَقْصُودَ عَلَى
 أَشْتَطَاطٍ ؛ فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى التَّهَجُّمِ بَعْدَ الْإِحْجَامِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى التَّجَاسُّرِ وَالْإِقْدَامِ ؛
 وَالتَّوَسُّلِ إِلَى مَوْلَانَا بِمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ الْأَحْرَارُ ، إِلَى الْأَخْيَارِ ، وَأُمَّهُ بِصَادِقِ الرِّغْبَةِ وَصَمِيمِ
 الْحُبِّ وَالْإِنْبِسَاطِ ، فِي خِطْبَةِ كَرِيْمَتِهِ فَلَانَةَ ؛ عَلَى أَنَّ يَعَاشِرَهَا بِغَايَةِ الْأُنْسِ ، وَيَصْحَبَهَا
 صُحْبَةَ الْجَسَدِ لِلنَّفْسِ ؛ وَيَعْرِفَ لَهَا مِنْ قَدَرِ أَبَوْتِهَا وَأُمُومَتِهَا مَا تَسْتَحِقُّ بِرِيَاسَتِهَا ،
 وَقَدْ أَصْدَرَهُ هَذِهِ الرِّقْعَةَ نَائِبَةً عَنْهُ فِي ذَلِكَ ؛ فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا أَنْ يُخَيِّفَهُ بِالْقَبُولِ ، وَيَجْعَلَهُ
 أَهْلًا لِإِجَابَةِ السُّؤْلِ ، فَلَهُ الْفَضْلُ فِي ذَلِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن النادر الغريب ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل"
 في الكتابة إلى شخص في تزويج أمه ، وهو :

هذه المكاتبة إلى فلان - جعله الله ممن يُؤثِرُ دِينَهُ عَلَى الْهَوَى ، وَيَنْوِي بِأَفْعَالِهِ
 الْوُقُوفَ مَعَ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرِيٍّ مَا نَوَى ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِيمَا
 يَسْرُهُ اللَّهُ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ الشَّرَّ وَالْمَكْرُوهَ فِيمَا طَوَى ؛ نَعْرَضُ لَهُ
 بِأَمْرٍ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ ؛ وَلَا خَلَلَ يُلْحِقُهُ بِهِ فِي الْمُرُوءَةِ وَهَلْ أَخْلَّ بِالْمُرُوءَةِ
 مَنْ فَعَلَ مَا حَضَّ الشَّرْعُ الْمُطَهَّرُ عَلَيْهِ ؛ وَأَظْهَرَ النَّاسَ مُرُوءَةً مِنْ أَلْبَغِ النَّفْسِ فِي مَصَالِحِ
 حَرَمِهِ عُذْرُهَا ، وَوَفَّى مِنْ حَقِّقٍ أَخْصَنَ بِيَرِّهِ كُلِّ مَا عَلِمَ أَنَّ فِيهِ رِيًّا ؛ وَإِذَا كَانَتْ
 الْمَرْأَةُ عَوْرَةً ، فَإِنَّ كَمَالَ صَوْنِهَا فِيمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ سِتْرَهَا ، وَصَلَاحَ حَالِهَا فِيمَا أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ
 فِي الْحَيَاةِ أَمْرَهَا ، وَإِذَا كَانَتْ النِّسَاءُ شَقَائِقَ الرِّجَالِ فِي بَاطِنِ أَمْرِ الْبَشَرِيَّةِ وَظَاهِرِهِ ،
 وَكَانَ الْأَوَّلَى تَعْجِيلَ أَسْبَابِ الْعِصْمَةِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَوَّلٍ [وَقْتُ] الْإِحْتِيَاجِ [إِلَى ذَلِكَ] ^(١)

وآخره ؛ وما جَدَعَ الحلالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ إِلَّا لِيُزَوَّلَ شَمُّ الْحَيَّةِ ، وَتُنْزَلَ عَلَى حَكَمِ اللَّهِ فِيما شَرَعَ لعباده النَّفُوسَ الْأَيَّهَ ، وَيُعَلَّمَ أَنَّ الْفَضْلَ فِي الْأَنْقِيَادِ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى بَعْضُ الْوَلِيَّةِ ؛ وَإِذَا كَانَ رُبُّ الْوَالِدَةِ أَتَمَّ ، وَحَقُّهَا أَعَمَّ ؛ وَالنَّظَرُ فِي صَلَاحِ حَالِهَا أَهَمُّ ؛ تَعَيَّنَتِ الْإِجَابَةُ إِلَى مَا يَصْلُحُ بِهِ حَالُهَا ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ بِأَلْهَا ، وَيَتَوَفَّرُ بِهِ مَالُهَا ، وَيَعْمُرُ بِهِ فَيْأُوهَا ؛ وَيَحْصُلُ بِهِ عَنْ تَقْلُدِ الْمَنِّ اسْتِغْنَاؤُهَا ، وَتُحْمَلُ بِهِ كُلْفَةُ خَدَمِهَا عَنْهَا ، وَتُدْفَعُ بِهِ ضَرُورَاتُ الْأَبْدِ لَدَوَاتِ الْحِجَابِ وَالْمَجَالِ مِنْهَا ، وَيَضْفَوْ بِهِ سِتْرُ الْإِحْصَانِ وَالْحَصَانَةِ عَلَيْهَا ، وَيُظْهَرُ بِهِ سِرُّ مَا أَوْجِبَهُ اللَّهُ لَهَا مِنْ تَتَبُّعِ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا .

وقد تقدّم من ساداتِ السَّلفِ مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ لَوَالِدَتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَاعْتَدَّهُ مِنْ أَسْبَابِ رُبُومِهِ الَّذِي قَابَلَ بِهِ مَا اسْلَفَتْهُ إِلَيْهِ فِي أُمِّهِ ؛ عَلِمَا مِنْهُمْ أَنَّ اسْتِكْمَالَ الرَّبِّ مِمَّا يُعَلَى قَدَرِ الْمَرْءِ وَيُعَلَى ؛ وَقَدْ أَجَابَ زَيْدُ بْنُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ هِشَامًا مِمَّا سَأَلَهُ : لِمَ زَوَّجْتَ أَمْلَكَ بَعْدَ أَبِيكَ ؟ فَقَالَ : لَتُبَشِّرَ بآخرِ مِثْلِي ، لِأَسِيًّا وَالرَّاعِبُ ^(١) [إِلَى الْمَوْلَى] فِي ذَلِكَ مَنْ يُرْغَبُ فِي قُرْبِهِ ، وَيُغْبَطُ عَلَى مَالِدِيهِ مِنْ نِعَمِ رَبِّهِ ؛ وَيَعْظَمُ لِاجْتِمَاعِ ذُنُوبِهِ وَدِينِهِ ، وَيُكْرَمُ لِمَنْ نَقِيَّتِهِ وَجُودِ يَمِينِهِ ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعَقِيلَةَ تَحُلُّ مِنْهُ فِي أَمْنٍ حَرَمٍ ، وَتَسْتَظِلُّ مِنْ ذَرَاهِ بِأَضْفَى سُتُورِ الْكَرَمِ ، مَعَ ارْتِفَاعِ حَسَبِهِ ، وَاشْتِهَارِ نَسَبِهِ ، وَعُلُوِّ قَدَرِهِ فِي مَنْصِبِهِ وَحَالِهِ وَسَبَبِهِ ، وَأَنَّهُ مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يُحَلَّ مِنَ الْمَوْلَى حَلًّا وَالِدِهِ ، وَأَنْ يُجَمَّلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَمَنْ يَكُونُ فِي الْمِلَلَاتِ بَنَانًا لِيَدِهِ وَعَضْدًا لِسَاعِدِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرًا بِأَخِيهِ ، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ بِحَكَمِ الْحِجَابِ لَفْظُ الْعُمُومَةِ ، فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُوعُ أَبِيهِ ؛ وَأَنَا أَتَوَقَّعُ مِنَ الْمَوْلَى الْجَوَابَ بِمَا يَجْمَعُ شَمْلُ التَّقَى ، وَيَعْلَمُ بِهِ أَنَّهُ تَخَيَّرَ مِنَ الرَّبِّ الْأَفْضَلَ مَا يُتَّقَى ؛ وَيَتَحَقَّقُ بِفَعْلِهِ أَنَّ مِثْلَهُ لَا يَهْمِلُ وَاجِبًا ؛ وَلَأَمْرِ مَا قَالِ الْأَحْفَبُ وَقَدْ وُصِفَ بِالْأَنَانَةِ : لَكِنِّي أَتَعَجَّلُ أَنْ لَا أَرْدُّ كُفُوءًا خَاطِبًا .

النوع التاسع

(في الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار)

قال في "موادّ البيان" : المكاتبَةُ في استعطافِ الرؤساء ، ومُلاطَفةِ الكبراء ، تحتاج إلى حُسْنِ تأتٍّ : لما تشتمَلُ عليه من إيجابِ حقوقِ الخدمة ، وما أسلفوه من مرعى الخدم ، وما يتبع هذا من التنصّل والاعتذار الذي يسألُ السخائم من القلوب ، ويستنزِلُ الأوغار من الصدور ، ويُطْلِعُ الأتس وقد غَرَبَ ، ولها موقع في تأليف الكلام .

قال : وينبغي للكاتب أن يستعملَ فيها فكره ، ويُوفِّيها حقها من جَوْدَةِ الترتيب ، وأستيفاءِ المعاني ، وأن يذهبَ إلى استعمالِ الألفاظِ الجامعةِ لمعاني العُذر ، الملوّحة بالبراءة مما قُرف به ؛ ولا يُخْرِجَ لفظه مُحَرَج من يُقيمُ الحجّةَ على براءةِ الساحةِ مما رُمي به ، فإنَّ ذلك مما يكرهه الرؤساء : لأنَّ عادتَهُم جاريةٌ بإيثارِ اعترافِ الخُدّام لهم بالتقصير والتفريط والإخلالِ بالفروض : ليكونَ لهم في العفو عند الإقرار عارفةٌ توجبُ شكرا مستأنفاً ؛ فأما إذا أقام التابعُ الحجّةَ على براءته وسلامته مما رُفِعَ عنه ، فلا يُوضَعُ الإحسان إلا إليه في إقراره على منزله ، والرضا عنه والاستعطاف ، بل ذلك واجبٌ له ، في منعه منه ظلم .

(١) في الاصلين «مما قرب منه» وهو تصحيف من النسخ .

(٢) المراد أن إقراره والرضا عنه ليس من الاحسان بل من الواجب تأمل .

وهذه نسخ من ذلك :

لأبي الحسين بن سعد :

فإن رأيت أن تنظر في أمري نظراً يُشبه أخلاقك المرضية ويكون لحسن ظني بك مصداقاً، ولعظيم أمني [فيك] محققاً، ولما لم ترل تعدني منجزاً، ولحق حرمي بك وقديم اتصالي بأسبابك قاضياً، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

ومنه : لسليمان بن وهب .

من أنصرف في الاحتجاج إلى الإقرار بما يلزمه وإن لم يكن لازماً، فقد لطف الاستغفاف، وأستوجب المسامحة والإنصاف .

ومنه : وقد نالني من جفوة الأمير بعد الذي كنت أتعرف من ربه وألطافه أمرٌ أحلني محل المذنب في نفسي مع البراءة من الذنب ، وألزمي الإساءة مع الخروج من التقصير، وزاده عندي عظاماً وشدة أنني حاولت الخروج منه بالإعذار، فلم أجدي إلى الأمير ذنباً أعذر منه ، ولا على فيما ألزمي من معيبتة حجة أحاول دفعها والتخلص منها ؛ فأصبحت أعالج من ذلك داء قد خفي دواؤه، وأحاول صلاح أمري لم أجني فسادَه ؛ فإن رأيت أن تفعل كذا وكذا ففصل قديم ما أصبح عندي من معروفك بحديثه ، فليس عندي في مطالبة حجة أنجح من التوجه إلى الأمير بنفسه ، والثقة عنده بفضله ، فإن كنت مُذنباً عفاً، وإن كنت بريئاً راجع .

ومنه : لأبي علي البصير .

وأنا أحد من أسكنته ظلك، وأعلقتَه حبلك ، وحبوته بلطيف ربك ، وخاص عاتيك، وانتصف بك من الزمان، وأستغني بإخائك عن الإخوان ؛ فهو لا يرغب

إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَنْجِحُ طَلَبُهُ إِلَّا بِكَ ، وَقَدْ كَانَ فَرَطَ مَنْ
 قَوْلٌ : إِنْ تَأَوَّلْتَهُ لِي ، أَرَاكَ أَوْجُهُ عُدْرِي ، وَقَامَ عِنْدَكَ بِحُجَّتِي ، فَأَغْنَانِي عَنْ تَوْكِيدِ
 الْإِيمَانِ عَلَى حُسْنِ نَيْتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَى ، أَحَاقَ بِي لَائِمَتُكَ وَحَبْسُنِي عَلَى [أَسْوَأِ]
 حَالٍ عِنْدَكَ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ مَعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْوَجْدَةِ ، عَائِدًا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ،
 فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقَرَّرَ عَيْنًا قَرَّتْ بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تُسَلِّبْنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي ، وَأَنْ تَقْتَصِرَ
 مِنْ عَقُوبَتِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَالَنِي بِسَبَبِ عَثْبِكَ عَلَيَّ ، وَتَأْمُرَ بِتَعْرِيفِي رَأْيِكَ بِمَا
 يُطَافِئُ هَلَعِي ، وَتُسْكُنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ بِهِ رُوعِي ، فَعَلْتَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَغَلِ .

نُبُو الطَّرْفِ مِنَ الْوَزِيرِ دَلِيلٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ عِنْدَهُ ، وَالْجَفَاءُ مِنْ عَوْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْهُ
 شَدِيدٌ ، وَقَدْ أَسْتَدَلْتُ بِإِزَالَةِ الْوَزِيرِ إِيَّايَ النَّحْلَ الَّذِي كَانَ نَحْلَانِي بِتَطَوُّلِهِ ، عَلَى مَا
 سَوَتْ لَهُ ظَنًّا بِنَفْسِي ، وَمَا أَخَافُ عَثْبًا : لِأَنِّي لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا ، فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنَّ
 يَقُومَنِي لِنَفْسِي ، وَيَدُلَّنِي عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنِّي ، فَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لَأَبِي الرَّبِيعِ .

أَصْدَقُ الْمَقَالِ ، مَا حَقَّقَهُ الْفَعَالُ ، وَأَفْضَلُ الْخَبَرِ ، مَا صَدَّقَهُ الْأَثَرُ .

ومنه : لِمَوْلَانَا سِيرَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا أَمَلَهَا أَمَلٌ إِلَّا جَادَتْ وَسَخَتْ
 وَمَتَحَتْ ، وَعَوَائِدُ فِي الْعَفْوِ مَارَجَاهَا رَاجٍ إِلَّا صَفَحَتْ وَسَمَحَتْ ، وَأَحَقُّ مَنْ تَلَقَّاهُ
 عِنْدَ الْعِتَارِ ، بِالْإِقَالَةِ وَالْإِغْتِفَارِ ، وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ حَدِّ التَّقْوِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلَمْ يُعْرِضْهُ

لنقيصة الإقضاء والإطراح، مَنْ شَفَعَ الْهَفْوَةَ بِالْإِعْتِذَارِ، وَخَطَبَ التَّعَمُّدَ بِلِسَانِ الْإِفْرَارِ؛ وَدَلَّتِ التَّجَارِبُ مِنْهُ عَلَى حَسْمِ الْأَضْرَارِ؛ وَكَانَ لَهُ مِنْ سَالِفِ الْخِدْمِ وَسَائِلُ وَذَرَائِعُ، وَمِنْ صَحِيحِ الْإِخْلَاصِ مُمَهَّدٌ وَشَافِعٌ؛ فَلَا عَجَبَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ يَهْفُو فَيَعْفُو، وَيَظْلِمُ فَيَكْظِمُ، وَيَجْهَلُ فَيَحْلُمُ، وَيُخْطِئُ فَيُصِيبُ، وَيَدْعُو مُتَنَصِّلًا فَيُجِيبُ؛ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سَهْمَهُ الْمَعْلَى، وَيَدَهُ الطُّوْلَى، وَأَلْهَمَهُ التَّفَضُّلَ بِالْإِنْعَامِ، وَالتَّغْمِيزَ عَنْ زَلَّاتِ الْكِرَامِ؛ وَقَدْ حَصَلَ لِلْمَمْلُوكِ فِي هَذِهِ النَّبْوةِ مِنْ إِزْرَائِهِ عَلَى عَقْلِهِ، وَتَقْيِيحِهِ لِفِعْلِهِ؛ أَعْظَمُ تَجْرِبَةٍ، وَأَكْبَرُ مَادَّةٍ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ إِحْسَانَ سَيِّدِي أَنْ يُعِيدَهُ إِلَى رِضَاهِ وَلُطْفِهِ، وَيُؤْنِسَ مِنْهُ مَسْتَوْحِشَ إِقْبَالِهِ وَعَظْفِهِ؛ وَيَصَدِّقَ رَجَاءَهُ فِيهِ، وَيُجْزِلَ ثَوَابَ وَفَادَتِهِ عَلَيْهِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

رقعة : الْمَمْلُوكُ يُخْطِبُ صَفْحَ سَيِّدِهِ وَإِقَالَتَهُ بِلِسَانِ الْإِعْتِذَارِ، وَيَسْتَعِيدُ مَا عَرَفَ مِنْ رِضَاهِ وَعَاطِفَتِهِ بِوَسَائِلِ الْإِعْتِذَارِ: لِيَكُونَ الْمُتَفَضَّلُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ، وَالْمُنْعِمَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ؛ وَقَدْ عَرَفَ السُّهُوَ وَالنَّسيَانَ، الْمُعْتَرِضِينَ لِلْإِنْسَانِ؛ وَأَنْهَمَا يَحُولَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، وَيُزَوِّرَانِ عَلَيْهِ خَطَأَهُ فِي صُورَةِ صَوَابِهِ؛ فَيَتَوَرَّطُ فِي السَّقَطِ غَيْرَ عَامِدٍ، وَيَتَهَوَّرُ فِي الْغَلَطِ غَيْرَ قَاصِدٍ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾. وَمَا أَوْلَى مُوَلَانَا بِأَنْ يُحْفَظَ عَلَى الْمَمْلُوكِ جَمِيلُ آرَائِهِ، وَلَا يَسْلُبَهُ مَا شَبَّهَ مِنْ ظِلِّ آلَانِهِ؛ وَلَا يَسِمَهُ بِمِيسَمِ الْعُقُوقِ فَإِنَّهُ يَجِدُ نَفْسَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ فِي طَاعَتِهِ، وَمُرْتَبَتِهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الرِّتَبَةِ فِي خِدْمَتِهِ.

فصل : وَقَدْ آوَى سَيِّدِي الْمَمْلُوكُ مِنْ ظِلِّهِ، وَأَعْلَقَهُ مِنْ حَبْلِهِ، وَأَسْنَعَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ، مَا أَنْصَفَهُ بِهِ مِنَ الزَّمَانِ، وَأَغْنَاهُ عَنِ الْإِخْوَانِ، وَوَقَفَ رَغْبَاتِهِ عَلَيْهِ، وَصَرَفَ أَمَالَهُ إِلَيْهِ، وَزَلَّهَ مَنَزَلَهُ مَنْ لَا يَشْكُ فِي أَعْتِقَادِهِ، وَلَا يَسْتَرِيبُ بِوَدَادِهِ؛ وَكَانَ

المملوك أرسل لفظاً على سبيل الإشفاق ذهب به الحاسد إلى غير معناه ، وخالف في تفسيره حقيقة مغزاه ، وأحاله عن نيته ، وعرضه عليه على غير صورته : ليوحش محل المملوك المانوس من رعايته ، وينقر سر به المطمئن بملاحظته وعنايته ، وقد أرسل المملوك هذه العبودية سائلاً في نحو إظلام موجدته ، وأن يعيد المملوك إلى مكانه من حضرته ، إن شاء الله تعالى .



لا أتوسل إليك إلا بك ، ولا آتيك إلا من بابك ، ولا أستشفع إليك بسواك ، ولا أكل رجعة هোক إلا إلى هোক ، ولا أنتظر إلا عطفتك التي لا تقودها زحارف الأموال ، ولا تعيدها شفاعات الرجال :

إذا أنت لم تعطفك إلاشفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع

شعر في معنى ذلك :

هبنى تحطيت إلى زلة * ولم أكن اذنبت فيما مضى !

أليس لي من قبلها خدمة * توجب لي منك سبيل الرضى !

غيره :

وحقك ما هجرتك من ملال * ولا أعرضت إلا خوف مقت !

لأن طبائع الإنسان ليست * على وفق الإرادة ككل وقت !

اعتذار عن التأخر ، من ترسل أبى الحسين بن سعد .

إن لم يكن في تأخرى عنك عذر تقبله ، فاجعله ذنباً تغفره .

على بن خلف :

الأعذار - أطل الله بقاء سيدي - تنأى على الامتناع ، ونضيق على الاتساع ؛
وذلك بحسب ما نصادفه من قبول ورد ، ومسامحة ونقد ؛ وأنا أحمد الله على أن
جعل عذري إلى من يتمحل العذر للعذر ، ويصفح صفح المالك المقتدر ، كما
اتم بقول الشاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالاً لزلة عذرا

ولم يجعله إلى من يغلب هاجس الظنون ، على واضح الحجة ، ومعتل الشك على
صحيح اليقين . ونمى إلى أن غابط المكنى من حضرته ، حسدني على محلى من
مودته ، وزور ما ينكشف عن الإفك والبهتان ، ودلس الكذب في صورة البرهان ؛
فلما جلّاه في معارض زخارفه أظهر لسيدى عواره ، وأبدى لطرفه شواره ؛ فسل^(١)
سمعه عن وعيه ، وطرف طرفه عن رعيه ؛ وأستمّ علاميم شيمته ، في حسن الظن
بأحبته ؛ فقدمت من الاعتذار ما يقدمه المذنب نزولا على طاعته ، وتأدبا في خدمته ،
وشفاعة من الشكر بما يقتضيه إحسانه ويوجهه .

أبو الفرج البيهقي :

أحقّ المعاذير بالتقبل وأولاهما بسعة القلوب ما صدر عن استكانة الأقدار ، ودلّ
على حسم مواد الأضرار ، وصفا من كدر الاحتجاجات ، وتنزه عن تمحل الشبهات ؛
ليخلص به ملك العفو ، وتكامل نعمة التجاوز . ولست أكره شرف تأديبه ، ونبل
تثقيفه وتهذيبه ؛ ما لم يتجاوز في العقوبة والتقويم إلى مؤلم الإعراض ، ومضيق

(١) أى عيبه وشل سمعه أى طرده والمراد أنه لم يصغ إليه .

التنكر والإيقاباض ؛ ولا أخطبُ الإقالة من تفضله إلا بلسان الثقة وشافع الخدمة ،
 هارباً إلى سعة كرمه مما دفعني المحبة إليه ، وأشفى بي عدم التوفيق عليه ؛ فإن رأى أن
 يكون عند أحسن ظني به في الصّفح ، كما هو عند أصدق أمل في الإينعام ، فعَل .
 وله في مثله :

ليس يَحُلُو الإغراق في التنصّل والمبالغة في الاعتذار من إقامة الحجّة ، أو تمسك
 باعتراض شبهة ، وأنا أجل ما أخطبه من عظيم عفوه ، وأكبر ما أحاوله من نعمة
 تجاوزه ؛ عن المقابلة بعين الاعتراف بالزلل وبعد الإِستحقاق من الصّفح ، ما لم يُوجِب
 لي بسعة تأوله ، ويُعدّ عليّ فيه بعداد تفضله : لتصفوّ منه الأعضاء ، وتزمني
 واجبات الشكر والثناء ؛ غير ممتنع مع ذلك من التبرّي إليه مما أنكره من تجاوز السهو
 إلى العمل ، والتوجه إلى ما فرط بالاختيار والقصد اللذين يغفر بتجنّبهما مذموم
 الأفعال ، ويتعمد سيّئ الأعمال ؛ فإن رأى أن يحلّ امرئ فيما قصدتني الأيام بتوجه
 الظنون فيه على غير النية لظاهر الفعل ، إذ كانت صفات الإنسان بالأشهر من
 أخلاقه والأكثر من أفعاله ، ولا صفة لي أعرف بها وأنسب إليها غير الاعتراف
 بإنعامه ، والتّطاول من اصطناعه ، أخذاً من كلّ حال بالفضل ، ومشقّة بسطة
 الرياسة والتّنبّل .

وله في مثله :

لست أخلو في المدة التي تجاوز الدهر لي عنها في خدمته من توصّل بفرط
 الاجتهاد ، إلى ما وصل من رأيه إلى رتبة التقبّل والإحماد ؛ وليس يحبط ما أتيتّه من
 مرضى الخدمة بالنية والعمد بما لعله قرط من غير مُراد ؛ إذ كان - أيده الله بفائض

طَوَّلَهُ ، وَمَأْثُورَ فَضْلِهِ - أَخْذًا مِنْ آدَابِ اللَّهِ بِمَا أَحَاكَمَهُ مِنْهُ : ^(١) « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ » . و [لو] لَا يُثَارَى مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ وَاسْتِكَانَةِ الْأَعْتِدَادِ ؛ وَأَنْ لَا أُخْطَبَ رِضَاهُ بِلِسَانِ الْأَحْتِجَاجِ ، وَلَا أُلْتَمَسَ عَقْوُهُ بِوُجُوبِ الِاسْتِحْقَاقِ : لِتَسْلَمَ لَهُ صِفَاتُ التَّفَضُّلِ ، وَلِي مَوَاتُ الْأِعْتِرَافِ بِسَالِفِ التَّطَوُّلِ ؛ لِتَرْهَنْتُ عَلَى سَلَامَتِي بِمَا قُصِرَ عَلَى تَبَوُّجِهِ الظُّنُونُ وَأَعْتَرِضَ الْأَوْهَامُ ؛ وَلَا أَقُولُ بِشَعَثِ النَّيْسَةِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَحْفَظَ مَا أَبْتَدَأَهُ مُحْتَارًا مِنْ أَصْطِنَاعِي بِمَا يَصُورُهُ عَنِ التَّنَكُّرِ ، وَيَصُورَ عَادَتِي فِي شُكْرٍ ذَلِكَ وَالْأَعْتِدَادِ بِهِ عَنِ الْقُتُورِ وَالتَّغْيِيرِ ، فَعَلَّ .

أجوبة الأسترضاء والاستعطاف

قال في "موادّ البيان" : لَا يَخْلُو الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَقْبَلَ الْعُذْرَ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمَوْجِدَةِ وَيَرْفُضَ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ حُجَّةٍ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ قَبِلَ الْعُذْرَ ، وَجَبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابُ عَلَى وُصُولِ الْكِتَابِ ، وَالْوُقُوفِ عَلَيْهِ ، وَالتَّاقِبِلِ لِمَا تَضَمَّنَهُ ، وَتَبَرُّئِ الْمُعْتَذِرِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، وَالْإِنْقِيَادِ إِلَى الْأَعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ وَالْإِفْرَارِ ، إِكْرَامًا لِحُلَّتِهِ عَنِ التَّهْمَةِ ، وَلِوُدِّهِ عَنِ الظَّنَّةِ : فَإِنْ الْأَمْرُ الَّذِي أَوْجَبَ الْعُذْرَ لَوْ صَدَرَ مِنْهُ ، لَا قُتِضِيَ وَدَادُهُ التَّأَوُّلُ لَهُ بِأَنَّهُ مَا صَدَرَ إِلَّا عَنْ بَاطِنٍ سَلِيمٍ وَمُصْلَحَةٍ أَوْجَبَتْهُ . قال : وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يُجَابُ بِهِ مَنْ قَبِلَ عُذْرَهُ فَقَطْ : لِأَنَّهُ يَحْجُوزُ أَنْ يَجِبَ بِأَنَّهُ قَدْ قَبِلَ الْعُذْرَ ، وَصَفَحَ عَنِ الْجُرْمِ ، عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ . وَإِنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى الْقَصْدِ ^(٢) ، بَنَى الْجَوَابُ عَلَى إِبْطَالِ الْعُذْرِ وَمُعَارَضَتِهِ بِمَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ « إِلَيْهِ » .

(٢) فِي الْأَصُولِ « وَلَا يُثَارَى عَلَى مُفْتَرَضٍ ... لَا أُخْطَبُ الْخ » .

(٣) أَيْ قَصْدَ الْبَصَدَةِ وَفَقِيَ عَلَى هَجْرِهِ وَلَمْ يَقْبَلِ الْإِعْتِذَارَ .

يقتضيه ؛ والدلالة على خطأ المعتذر ، وأنه مما لا يسوغُ الصَّفْحُ عنه ، ولا يليق بالحَزْمِ إقالتُه .

قال : وهذان معنيان يَجِلَّانِ من العبارة مالا يكادُ يُخَصِّرُ في قول مشروح مبسوط ؛ فضلا عن قولٍ مجملٍ مُوجِزٍ ، إلَّا أن المتدرب بالصناعة إذا مرَّت به هذه الأصول أمكنه التفرُّعُ عليها .

النوع العاشر

(في الشكوى - أعاذنا الله تعالى منها)

قال في ” موادَّ البيان “ : رِقَاعُ الشَّكْوَى - عَصَمَنَا اللهُ مِنْ مُوجِبَاتِهَا - يَجِبُ أَنْ تكون مَبْنِيَّةً مِنْ صِفَةِ الْحَالِ الْمُشْكِيَةِ ، على ما يُوجب المشاركة فيها وَيُقْضَى بالمُسَاعَدَةِ إنْ أَسْتَدْعِيَتْ عَلَيْهَا ، مِنْ غَيْرِ إِغْرَاقٍ يُقْضَى إِلَى تَطْلِيمِ الْأَقْدَارِ وَإِحْبَاطِ الْأَجْرِ ، وَشَكْوَى الْمَبْتَلَى بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَيَدُلُّ عَلَى التَّهَالُكِ بِالْجَزَعِ ، وَضَعْفِ التَّمَسُّكِ وَقُوَّةِ الْهَلَعِ ؛ بِأَسْتِيلَاءِ الْقُنُوطِ وَالْإِيَّاسِ ، وَأَنْ يَشْفَعَ الشَّكْوَى بِذِكْرِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ ، وَالتَّسْلِيمِ إِلَيْهِ ، وَالرِّضَا بِأَحْكَامِهِ ، وَتَوَقُّعِ الْفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ ، وَتَلَقُّ آخْتِبَارِهِ بِالصَّبْرِ ، كَمَا تَتَلَقَّى نِعْمُهُ بِالشُّكْرِ ؛ وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا يَلِيقُ بِهِ وَيَجْرَى بِجَرَاهِ . قال : وقد يَكْتُبُ الْأَتْبَاعُ لِلرُّؤَسَاءِ رِقَاعاً بِشِكَايَةِ الْأَحْوَالِ وَمَسْأَلَةِ النَّظَرِ ؛ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ سَبِيلَ هَذِهِ الرِّقَاعِ أَنْ يُعَدَّلَ بِهَا عَنِ التَّصْرِيحِ بِالشَّكْوَى إِلَى لَفْظِ الشُّكْرِ وَمَعْنَاهُ ، وَطَلَبُ الزِّيَادَةِ وَالْإِلْحَاقِ بِالنُّظَرَاءِ فِي الْإِحْسَانِ : لَمَّا فِي إِطْلَاقِ الشُّكَايَةِ ، وَالتَّصْرِيحِ بِهَا مِنْ التَّعْرِيزِ بِإِحْلَالِ الرَّئِيسِ بِمَا يَلْزُمُهُ النَّظَرُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ خَاصَّتِهِمْ وَتَعَهُّدِ مَرَافِقِهِمْ مِنَ الْكَفَايَةِ .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة شكوى هموم :

كتب المملوك هذا الكتاب وهو رهين فكرٍ وغمٍّ ، وقلبي وهمٍّ ، وحليف جوى قد سكن القلب ، وخوفٍ قد أطار اللب ؛ وبالله العياد ، وهو الملائد ؛ وبالله العقده ، وبأمره نزول الشده ؛ وقد ألهم الله سبحانه المملوك صبرا يسر أمره ، وأملا في الفرج خفف ضره ؛ وليس بأئس من عطفته ، ولا قانط من نعمته .

رقعة في معنى ذلك :

كتب المملوك وهو شاك لتجاهل الأيام ، وقيد من مواقع سهامها الرغية الكلام ؛ منهم بهموم تضعف الجليد ، وتسوء الوديد ، وتسر الحسود ، لاق من قسوة الدهر وفظاظته ، ونبوة العيش ونفرتة ؛ ما يرد الحفون عن الهجوع ، ويفرق العيون بالدموع ، والله تعالى في عبادته أفضية يقضيها ، وأقدار يمضيها ؛ والله أسأل حسن العاقبة والختام ، وتمحيص الأوزار والآثام .

رقعة : كتب المملوك وجسمه صحيح ، وقلبه قريح ، وجنانه سليم ، وجنابه سقيم : لما يتبادر إليه من نكايات تفدح وتقرح ، وحادثات تكلم وتجرح ؛ ونوب تهص ، وتهدم وترص ، وخطوب تخاطب شفاها ، وتوصل من اليد إلى اليد أذاها ؛ إلا أن الله يهب ريح المنح ، وقد تداكت المحن فينشفها ، ويشق عمود الفرج ؛ وقد أذهمت فيكشفها ؛ وظن المملوك بالله تعالى جميل ، وله في صنعه ولطفه تأميل .

رقعة : وينهى أنه قد كتب هذه العبودية بيد قد أعرشتها الآلام ، يملئ عليها قلب قد قلبته الأسقام ؛ لجسمه ناكل ، وجسده بعد النضرة قاحل ؛ وقواه قد

وَهَنَتْ ، وَجَلَدَتْهُ قَدَ وَهَتْ ؛ وَصَبْرُهُ قَدَ تَحَلَّى وَأَضْطَرَبَ ، وَتَحْمَلُهُ قَدَ نَأَى وَأَقْتَرَبَ ؛
وَعَادَ شَبَحًا مِنَ الْأَشْبَاحِ ، وَهَبَاءً تَذُرُّهُ الرِّيحُ ؛ فَلَوْ أَعْتَلَقَ بِشَعْرَةٍ لَمْ تَتَصَرِّمْ ، أَوْ وَلَجَ
خَرْتِ لِبَرَةٍ خَيَّاطٌ لَمْ تَتَفَصِّمْ ؛ وَلَوْلَا الثَّقَةُ بِاللَّهِ وَأَنَّهُ يُتَّبِعُ السُّقْمَ بِالصَّحَّةِ ، وَيُسْفَعُ الْحِمْنَةُ
بِالْمِنْحَةِ ؛ لَذَهَبَ مَا بَقِيَ مِنْ ذِمَّائِهِ ، وَأُطْلِيَ عَلَى شَفَا شِقَائِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْتَشْرِفُ مِنْهُ
تَعَالَى لُطْفًا يُعِيدُ الْكَئِيلَ حَدِيدًا ، وَالْمُخَلَّقَ جَدِيدًا .

رقعة : وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ ، وَقَدْ سَاءَ أَثَرُ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ ، وَقُبِحَ
صُنْعُهَا لَدَيْهِ ؛ وَأَبْتَلَتْهُ بِمَوْلِمِ الْبَلْوَى ، وَأَنْطَقَتْهُ بِلِسَانِ الشَّكْوَى ؛ فَهُوَ مُحْتَرِّقٌ بِنَارِ الْغَيْظِ ،
يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِالْفَيْظِ ؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ يَفْرُجُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَلُطْفٌ يُرِيحُ مِنْ هَذَا
الْجِهَادِ ؛ وَكُلَّمَا طَلَبَ الْمَزَايِلَةَ عَوَّقَ ، أَوْ طَلَبَ الْفِكَالَكَ أَعْتَلَقَ ؛ فَهُوَ قَاطِنٌ فِي صُورَةِ
الطَّاعِنِ ، وَحَالٌ فِي حَالِ الرَّاحِلِ ، وَاللَّهُ يَمُنُّ بِالْمَخْرَجِ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ .

رقعة : وَقَدْ سَطَّرَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَقَدْ أَنْجَلَتْ هَذِهِ النَّبُوَّةَ ، عَنِ الْبَلَاءِ
وَالشَّقْوَةِ ، وَنَفَادِ الْمَالِ ، وَاسْتِحَالَةِ الْحَالِ ، وَاسْتِيلَاءِ الْعُدُوِّ ، وَاسْتِعْلَاءِ السُّوِّ ، وَكَذَا
الدَّهْرِ خُدُوعَ غُرُورٍ ، خُثُونِ غُدُورٍ ؛ إِنْ وَهَبَ آرْتَجِعَ ، وَإِنْ أَلْبَسَ آتَرَاعَ ؛ وَإِنْ
أَعْطَى أَعْطَى قَلِيلًا وَقَلَعَ ؛ وَإِنْ أَحْلَى أَمَرَ ، وَإِنْ تَفَعَّ ضَرًّا ؛ وَإِنْ أَبْرَمَ نَقَضَ ، وَإِنْ
رَفَعَ خَفَضَ ؛ وَإِنْ أَقْبَلَ أَعْرَضَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَمْرَضَ ؛ فَنِعْمَهُ مَقْرُونُهُ بِالزَّوَالِ ،
وَمِنْحَهُ مَعْرُضَةٌ لِلْإِنْتِقَالِ ؛ وَصِفْوُهُ مَشُوبٌ بِالْكَدَرِ ، وَعَيْشُهُ مَمْرُوجٌ بِالْغَيْرِ ؛ مَا أَجَنَّ
إِلَّا أَوْجَدَ خَلَلًا ، وَلَا أَمَّنَ إِلَّا أَتْبَعَ الْأَمْنَ جَلَلًا ؛ وَالْمَمْلُوكُ يُحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَوْسَعَهُ
فِي حَالِ الْبَلَاءِ شُكْرًا ، وَفِي حَالِ الْإِبْتِلَاءِ صَبْرًا .

أجوبة رِقَاع الشكوى

قال في "مواد البيان" : يجب أن تبنى أجوبة هذه الرقاع على الارتماض في الحال المُشكِية ، والتوجُّع منها ، وبذل الوسع في المعونة عليها ، والمشاركة فيها ، وما يجري هذا الجرى مما يليق به .

النوع الحادى عشر

(فى أستمحة الحوائج)

قال فى "مواد البيان" : ورقاعُ الأستمحة يُختار أن تكون مودعة من الألفاظ ما يحرك قوئ السَّاح ، ويبعث دواعى الارتياح ؛ ويُوجب حرمة الفضل المسهلة بذل المال الصَّعب بذله ، إلّا على من وفرَّ الله مِرْوءته ، وأرخص عليه أثمان المحامد وإن غلت .

قال : وينبغى للكاتب أن يتلطف فيها التلطف الذى يعود بنجاح المرام ، ويؤمن من الحصول على إراقة [ماء] الوجه ، والخيبة بالرد عن البغية ، ويعدل عن التثقل والإلحاف المضجرين ولا يضيق العُذر على السَّاح إلّا أن يتمكن للثقة به ، ويعلم المشاركة فى الحال .

وهذه نسخ من ذلك :

من كتاب [أبى] الحسين بن سعد .

أفضل القول أصدقه ، وأهنى المعروف أعجله ، وأبلغ الشكر أظهره .

ومنه : إن حضرتك نية في قضاء حاجة فعجلها ، فإن أهني المعروف ما عجل ، وأنكده ما تنازعه العلل ، وأعرضته كثرة الاقتضاء .

ومنه : أنت أعزك الله واجد السبيل إلى أصطناع المعروف واكتساب الثواب ، وأنت أعرف بما في استنقاذ أسير من أسرى المسلمين ، من وارد الأسر ، وعرضة الكفر ، وأنياسه من الذلة والفاقة ، والبلاء والمشقة ، من جزيل ثواب الله وكريم جزائه [وأجل] من أن تُحاطب في ذلك مخاطبة من يحتاج إلى زيادة في بصيرته ، وتقوية لنيته ، وبالله توفيقك وعونك .

على بن خلف :

قد تمسك أمني بزمانك ، وتطلع رجائي إلى إحسانك ، وكفل لي النجاح مشهور كرمك ، ورغبتك في رب نعيمك ، ولي من فضلك نسيب أعترى إليه ، ومن شكري شفيع أعتد عليه .

وله : المواعيد .. أطال الله بقاء مولاي - غروس ، حلو ثمرها الإنجاز والتعجيل ، وممره المطل والتطويل ؛ وقد شام أمني من سحاب فضله ، حقيقاً بأن ينهر ويهيم ، وأرتاد من روض نبيله ؛ جديراً بأن يزيد وينمي ، فإن كانت هذه الخيلة صادقة ، فلتكن منه همة للرجاء محققه ، إن شاء الله تعالى .

وله : هممت أن أستصحب إلى مولاي ذريعة تحجب مطلق ، وتكون حجاباً على وجهي في المطالعة بأربي ، فلاح لي من أساريه برق أوضح مقصدي ، ومن أخلاقه أنبساط أمال تجعدي ، ولست مع معرفته بحق نعمة الله تعالى وحق مؤمله ، محتاجاً عنده إلى ذريعة ولا مفتقراً إلى وسيلة .

(١)
وله : ولا يَجْنِي مَوْلَايَ عَلَى ظَاهِرٍ تَجَلَّى ، وَجَمِيلٍ تَوَكَّلَى ، عَلَى حَالٍ قَدْ أَحَالَتَهَا
الْعُطْلَةُ ، وَتَحَلَّلَتْهَا الْحَلَّةُ ؛ وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِالتَّجَمُّلِ عَلَى دِيبَاجَةِ هِمَّتِي ، وَأَصُونُ بِالتَّخْفِيفِ
عَنِ الصَّدِيقِ مُرُوتِي ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الشَّكْوَى تَخَفَّفَ مَتَحَمِّلُ الْبَلْوَى ، لَأَضْرَبْتُ
عَنْ مُسَاءَلَتِهِ ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ تَذْكِرِهِ ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لِلْوَصِيبِ الشَّاكِي ، مِنْ ذِكْرِ حَالِهِ
لِلطَّيِّبِ الشَّافِي ؛ وَقَدْ كَانَ بَرَقَ لِي مِنْ سَحَابٍ وَعَدَهُ مَا هُوَ جَدِيرٌ بِالْإِنْهَامَارِ ، وَأُورِقَ
مِنْ نَمَائِهِ مَا هُوَ حَقِيقٌ بِالْإِنْهَامَارِ ؛ فَإِنِ رَأَى أَنْ يَسِمَ وَجْهَ التَّأْمِيلِ ، بَعْدَ الْإِنْجَازِ
وَالْتَعَجِيلِ ، فَعَل .

وله : مَا حَامَتِ آمَالِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَّا وَقَعْتُ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَا صَعُبَتْ عَلَيَّ
جَوَانِبُ الرَّجَاءِ إِلَّا سَهَلْتُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَلَا كَذَّبَتْنِي الظُّنُونُ إِلَّا صَدَقَهَا بَعْلُو هِمَّتِهِ ؛
فَلِذَلِكَ أَعْتَلَقُ فِي الْمُهَمِّ بِجَنَلِهِ ، وَأَعْتَصِمُ فِي الْمَلَمِّ بِظُلَّةٍ ؛ وَقَدْ عَرَّضَ لِي كَذَا وَعَلَيْهِ فِيهِ
الْمَعُولُ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمُؤْمَلُ ؛ وَمَا أَوْلَاهُ بِالْجَرِيِّ عَلَى عَادَتِهِ فِي رَيْشِ جَنَاحِي ، وَالْمَعُونَةِ
عَلَى صَلَاحِي .

في طلب كسوة ، من كلام المتأخرين :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي نَهَرُ جُودِهِ * يَزِيدُ وَعَاصِي أَمْرِهِ الدَّهْرَ يَنْقُصُ !
إِلَيْكَ أَشْتَكِي مِنْ دِمَشْقَ وَبَرْدَهَا * وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ تُغْصَّ !
وَأَنَا فِي عُرْسٍ مِنَ الْبَرْدِ دَائِمٍ * تُصَفِّقُ أَسْنَانِي وَقَلْبِي يَرْقُصُ !

الْمَمْلُوكُ يُنْهِى بَعْدَ الْإِثْبَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِدَامَةِ نِعْمَتِهِ ، وَإِدَالَةِ دَوْلَتِهِ ،
أَنَّهُ مَا أَلِفَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُضَاعِفُ رِسْمَ الْإِنْعَامِ ، وَيُؤَاتِرُ إِرْسَالَهُ عَلَى مَرَّ الْأَيَّامِ
وَالْأَعْوَامِ ؛ وَلِلْمَمْلُوكِ فِي خِرَازِنَتِهِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ عَامٍ تَشْرِيفٌ يُفِيضُهُ عَلَى جَسَدِهِ ،

وَيُسِرُّ بِهِ قُلُوبَ أَوْلِيَانِهِ وَيُقِثُّ أَكْبَادَ حُسَدَاهُ، وَيَتَّقِي بِهِ سَوْرَةَ الشَّتَاءِ وَقَرَّهُ، وَيَجْعَلُهُ قُرَّةً وَيَجْلُلُ بِهِ مِنَ الدَّعَةِ وَقَرَّهُ، وَقَدْ دَرَسَ رَسْمُهُ، وَفُقِدَ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمَعْمُورِ أَسْمُهُ، وَهُوَ يَسْأَلُ بُرُوزَ الْأَمْرِ الْعَالِي بِإِجْرَائِهِ عَلَى عَادَتِهِ الْمُسْتَمَرَّةِ، وَقَاعِدَتِهِ السَّالِفَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ؛ بِتَشْرِيفِهِ بِأَخْذِ التَّشْرِيفِ وَلُبْسِهِ : لِيُدْفَعَ بِذَلِكَ شِدَّةَ الْبَرْدِ وَالْأَيْمِ مَسَّهُ؛ وَيَتَذَكَّرُ بِهَا فِي يَوْمِهِ مَا يُوجِبُ حَمْدَ الْمَوْلَى وَذَمَّ أَمْسِهِ، وَرَأْيَهُ الْعَالِي .

وله في طلب ورق :

يَا أَسْمَحَ النَّاسِ وَيَا مَنْ غَدَا * جَبِينُهُ يُجْحِلُ ضَوْءَ الشَّفَقِ !
جُودُكَ بِالْوَرَقِ عَمِيمٌ ^(١) [فَلِمَ] * أَخَّرْتَ يَا مَوْلَايَ بَعَثَ الْوَرَقَ ؟

وله في طلب رَسْم :

رَسْمِي يَا مَوْلَايَ غَدَا * مُؤَخَّرًا وَلَوْ حَضَرَ !
وَلَوْ أَرَادَ سَيِّدِي * إِحْضَارَهُ، كَانَ أَمْرًا !
قَدْ مَضَى مُحَرَّمٌ * وَرَاحَتِي مِنْهُ صَفَرًا !

وكتب كاتبٌ إِلَى مُحَمَّدُومِهِ، وَقَدْ تَأَخَّرَ صَرْفُ مَعْلُومِهِ :

وَتَعْلَمُ أَنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ * قَلِيلُ الْحِرَايَةِ وَالْوَاجِبِ !
فَلَسْتُ عَلَى ظَلَمٍ قَانِعًا * بِوَرْدٍ مِنَ الْوَشْلِ النَّاضِبِ !
وَلَا شَنْكَ فِي أَنْتِي هَارِبٌ * [فَ] قَدَّرَ لِنَفْسِكَ فِي كَاتِبٍ !

(١) الورق مثله وككتف وجبل الدراهم المضروبة اهـ من القاموس .

قلت : وكتبتُ نظماً لأُمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس : خليفة العصر؛ أَسْتَمِجِه حَاجَةً فِي مَجْلِسٍ كَانَ فِيهِ هُوَ وَوَلَدُهُ يَحْيَى وَأَخَوَاهُ دَاوُدُ وَيَعْقُوبُ مَاصُورَتِهِ :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْطَى بَنِيْلَ مَارِپٍ * فَبَادِرْ لِي الْعَبَّاسَ مِنْ آلِ عِيَّاسِ !
إِمَامٌ بِهِ تَفَرُّ الْخِلَافَةِ بِاسْمٍ * وَعِزُّ نِيْهَا يَسْمُو عَلَى قِسَّةِ الرَّاسِ !
أَبِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِهِ * [دَوَامًا] وَأَنْ يُدْعَى أَبَا الْفَضْلِ فِي النَّاسِ !
فَالْمُسْتَعِينَ أَقْصِدْ تَجِدْ خَيْرَ مُنْجِدٍ * حَرِيصٌ عَلَى الْمَعْرُوفِ بَرٌّ بِلَيْنَاسِ !
فِيَحْيَا لَهُ يَحْيَى دَاوُدُ صَنُوهُ * وَيَعْقُوبُ أَعْضَادًا وَحَصْنًا مِنَ الْبَاسِ !



وكتبت لقاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام عمر البلقيني أَسْتَمِجُه حَاجَةً أَيْضًا :

أَيَا شَيْخَ إِسْلَامٍ وَقَاضِيَ قُضَايَتِهِ * وَمَنْ قَدَّ سَمَا فِي النَّاسِ عَلَمًا وَمَنْصِبًا !
لَقَدْ عَمَّ نَوَاءُ مِنْكَ كُلِّ مُؤْمِلٍ * وَحَاشَى لِبَرْقِ شِمْتٍ يَظْهَرُ خُلْبًا !
أَأَحْرَمُ مَعْرُوفًا لَهُ كُنْتُ أَرْجِي * وَيَحْجُبُ دُوبُعْدٍ مِنَ الْقَوْمِ أَقْرَبًا !
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فِي زَمَانِكَ رِفْعَةً * وَلَكِنْ جَوَادُ الْحِطِّ بِالْبُعْدِ قَدْ كَبَا !
وَلَنْ يَسْتَعِيزَ الْخَفِضَ بِالرَّفْعِ مَا جَدَّ * خُصُوصًا وَمَنْ أَثَرَتْ مَا نَالَ مَطْلَبًا !
وَلَسْتُ تَرَى مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلَةً * سِوَاكَ وَحَسْبِي بِاعْتِلَاكَ تَقَرُّبًا !



وكتبت للقاضي القضاة جمال الدين محمود القيسراني ^(١) ، وهو يومئذ قاضي قضاة الحنفية وناظر الجيوش المنصورة ؛ أدكر بطالة عرَضْتُ لى من وظيفة مباشرة كانت بيدي :

إلى الله أشكوا من زمانى بواره * فامسيت فى الحزمانى يضرب المثل !
تماديت بطالا وأعوزت حيلة * ولم يبرح البطال تعرف له الحيل !
فلا ملتجى جاء ولا عز صاحب * ولا مالك يمنو فياقوم ما العمل ؟
ولكن (محمود) العواقب أرتجى * ومن يمد العقبى على القصد قد حصل !



وكتبت للقاضي شمس الدين العمرى كاتب الدست الشريف فى حاجة تجزها :
إن لا أرى عمرا حتى ألىم به * ألفت من نسله من كان لى عمرا .
لم يغف عن حاجتى حتى أنبهه * وكيف يغفو فى المعروف كم سيرا ؟
جعلته مبتدا فى رفعه خبرى * وعادة المبتدا أن يرفع الخبرا !

أجوبة استماعة الحوائج

قال فى "مواد البيان" : لا يخلو المستراح والمكلف حاجة من أن يسعف أو يمنع ، فإن أسعف فقد غنى عن الجواب ، وربما أجاب المسعف بجواب مبنى على حسن موقع أنيساط المستريح ، والاعتذار عن التقصير فى حقه وإن كان قد بلغ به فوق

ما يَجِبُ له - تَكْرُماً وتَفَضُّلاً ، وإن منع فربما أجاب بعُذْر في الوقت الحاضر أو عُذْر في المُسْتَأْنَف ؛ وربما أَخْلَّ بالِجَوَابِ تَغَافُلاً .



وهذه نسخة جواب بالإسعاف بالمقصود ، كُتِبَ بها في جوابٍ لكَاتِبِ السَّرِّ عن نائب الشام ، في طَلَبِ إِقْطَاعِ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَةَ إجابةً للمطلوب ، وهي :

لا زال قَلْمُهَا يَمُدُّ عَلَى الْإِسْلَامِ ظِلًّا ظَلِيلًا ، وَيَسْتَجِدُّ صُنْعًا جَمِيلًا ، وَيَأْخُذُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَعْدَاءَ دِينِهِ أَخْذًا وَبِيلًا ، وَيَقُومُ بِاجْتِهَادِهِ فِي مَصَالِحِ الْمُلْكِ النَّهَارُ كُلَّهُ وَاللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ؛ تَقْيِيلُ مُوَاطِئٍ عَلَى وِلَاءٍ لَا يَجِدُّ لَهُ تَبْدِيلًا ، وَثَنًا لَوْ سَمِعَهُ الْحُبُّ فَشَافَهُ الْأَحْبَابُ إِذَا لَا تَحْدُوهُ خَلِيلًا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مَشْرِفَةِ مَوْلَانَا الْقَدِيمِ فَضْلُهَا ، الْكَرِيمِ وَصْلُهَا وَأَصْلُهَا ؛ فَوْقَ الْمَمْلُوكِ عَلَيْهَا ، وَأَصْنَعِي بِجَهْلَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَعَلِمِ مَارَسَمَ بِهِ مَوْلَانَا ، وَأَشَارِ إِلَيْهِ تَيَانًا ؛ وَكَذَلِكَ بَلَّغَهُ مَمْلُوكُهُ الْوَلَدُ فَلَانَ الْمَشَافَهَةِ الْكَرِيمَةِ فَخْبْدًا مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا ؛ وَشَكَرَ لَهَا مَشْرِفَةً وَمَشَافَهَةً أوردوا الإحسانَ مَنَى مَنَى ، وَسِرًّا سَمِعَهُ الْمَمْلُوكُ لَفْظًا وَأَسْتَهْدَاهُ مَعْنَى ؛ فَمَا مِنْهُمَا فِي الْإِحْسَانِ إِلَّا زَائِدُهُ ، وَلَا فِي الصَّلَاتِ إِلَّا عَائِدُهُ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ أَقْبَلَ عَلَى قَبِيلِهِمَا بِسَمْعِهِ وَنَظَرِهِ ، وَقَلْبِهِ وَخَاطِرِهِ ، وَجَمْلَتِهِ وَسَائِرِهِ ؛ وَأَمْتَلِ الْإِشَارَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُقَدَّمَ عَلَى كُلِّ مَهْمٍّ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، وَأَمْرٍ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ ، وَيَدُّ الزَّمَانَ مَشْكُورَةً يَأْخُذُهَا مِنْهُ بِكُلِّمَا يَدَيْهِ ؛ وَعَيْنَ الْمَمْلُوكِ لَوْ قَتَهُ الْإِقْطَاعُ الْمَطْلُوبُ ، وَتَقَدَّمَ بِكَاتِبَةٍ مَرَبَّعَتِهِ حَسَبَ مَارَسَمٍ مِنْ تَجَرُّى السَّعَادَةِ مِنْ سَطْرِهِ تَحْتَ مَكْتُوبٍ ؛ وَجَهَرًا قَرِينَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ وَمَنْ ذَا يُقَارُنُ سَبْقَ ذَلِكَ الرَّائِدِ ، وَكَيْفَ تُوَازَى

الرُبْعَةُ كِتَابًا هُوَ بِالْإِحْسَانِ لِلْعُنُقِ تَقْلِيدٌ ؛ لِابْرِحَتْ مَرَامُ مَوْلَانَا مَعْدُودَةً مِنْ رُسُومِ نِعَمِهِ ، وَمَشْرِفَاتِهِ مُحَسَّبَةٌ مِنْ تَشْرِيفَاتِهِ الَّتِي يَحْمِلُهَا عَلَى أُنْبَاءِ حَبِيْبِهِ وَخَدَمِهِ .

النوع الثاني عشر

(في الشكر)

قال في "موادّ البيان" : رِقَاعُ الشُّكْرِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُودَعَةً مِنَ الْاعْتِرَافِ بِأَقْدَارِ الْمَوَاهِبِ ، وَكِفَايَةِ الْاِسْتِقْلَالِ بِحُقُوقِ النِّعَمِ ، وَالْاَضْطِلَاعِ بِحِجْلِ الْاَيَادِي ، وَالتَّهَوُّضِ بِأَعْبَاءِ الصَّنَائِعِ ، مَا يَشْحَذُ الْحِمَمَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا ، وَيُوَثِّقُ الْمَصْطَلِحَ بِإِفَاضَةِ الصُّنْعِ ؛ وَيَعْرُبُ عَنْ كَرِيمِ سَجِيَّةِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ .

قال : وَيَنْبَغِي لِلكَاتِبِ أَنْ يَفْتَنَ فِيهَا ، وَيَقْرَبَ مَعَانِيهَا ، وَيَنْتَحِلَ لَهَا مِنْ أَلْفَاظِ الشُّكْرِ أَنْوَطَهَا بِالْقُلُوبِ : لِتَسْتَقِينَ نَفْسُ الْمُتَفَضِّلِ أَنَّهُ قَدْ آجَتْنِي ثَمَرَةُ تَفَضُّلِهِ ، وَحَصَلَ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى أَضْعَافٍ مَا بَدَّلَهُ مِنْ مَالِهِ أَوْ جَاهِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ صَادِرَةً مِنَ الْاِتِّبَاعِ إِلَى رُؤُسَائِهِمْ ، وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَى اخْتِصَاصٍ وَاثَرَةٍ ، أَنْ لَا تَبْنِي عَلَى الْإِغْرَاقِ فِي الشُّكْرِ : لِأَنَّ الْإِغْرَاقَ فِي الشُّكْرِ يَحْمِلُ هَذِهِ الطَّبَقَةَ عَلَى التَّمَلُّقِ الَّذِي لَا يَلِيْقُ إِلَّا بِالْأَبَاعِدِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَ الدَّلَالََةَ عَلَى اِسْتِقْلَالِهِمْ بِحُقُوقِ مَا أُسْدِيَ إِلَيْهِمْ ؛ فَأَمَّا مَنْ ضَفَّأَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ مَا يَدْفَعُ الشُّكَّ فِي اعْتِرَافِهِ بِالذَّلِّ لَدَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَغْنَى عَنْ الْمُبَالَغَةِ فِي الشُّكْرِ وَالِاعْتِدَادِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ فِيمَا يَكْتُبُ عَنْ هَؤُلَاءِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ مَذْهَبَ الْإِخْتِصَارِ ، وَالِإِتْيَانِ بِالْأَلْفَاظِ الْوَحِيدَةِ الْجَامِعَةِ لِمَعَانِي الشُّكْرِ ، دُونَ مَذْهَبِ الْغُلُوِّ وَالِإِفْرَاطِ ، وَذُو الطَّبَعِ السَّلِيمِ ، وَالْفِكْرِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ يَكْتَفِي بِسِيرِ التَّمَثِيلِ .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البيهقي ، في شكر تابع لمتبوع :

أنا في شكره - أيده الله - مبرهن عن مواقع إحسانه إلى ، وتظاهر إنعامه على ،
لامقدر أني مع المبالغة والإسهاب ، والإطالة والإطناب ؛ أجازى عفوتفضله ،
ولا أجامل أيسر تطوله ؛ وقد سئني أيده الله من شرف أصطناعه ، بما بواني به
أرفع منازل خدمه وأتباعه ؛ وإلى الله أرغب في توفيق من مقابلة ذلك بالاجتهاد
في خدمته ، والمبالغة في طاعته - لما أكون به للزيد مستوجبا ، وللخطوة مستحقا .

وله في شكر قريب :

فرض الشكر - أعزك الله - لا يسقط بقرب الأنساب ، ولذلك لا أستحيز إغفال
الواجب على منه ، ولا أجد عدولا في التسامح فيه والإضراب عنه ، وإن كنت
غنيا عن الإفاضة فيما أعتقده من ذلك وأضمره ، وأبديه وأظهره ؛ بالمتعالم من خلوص
النية وصحة الاعتقاد ، فلا أخلاك [الله] من جميل تسديده ، وتفضل توليه ؛ يمتري
لك المزيد من سوابغ النعم وفوائد الشكر .

وله : قد استنفدت مادة شكرى ، ووسع اعتدادي ونشري ؛ نتاج تفضلك ،
وتوالي تطورك ؛ ولست أقدر على النهوض بشكر منية حتى تطرقني منك منه ،
ولا أحاول مجازاة نعمة حتى تفد على منك نعمة ؛ فبأي عوارفك أعترف ، أم بأي
أياديك بالثناء أنتصف ؛ فقد فزعت إلى الإقرار بالعجز عما يلزم من فروضك ،
وواجبات حقوقك ؛ وأنصرفت إلى سؤال الله جل اسمه بإيزاعي شكر ما وهب منك ،
والتجاوز للكارم والفضل عنك .

وله : وقد شكرتُ بِرَّكَ الْجَلِيلِ مَوْقِعَهُ ، اللطيفَ مَوْضِعَهُ ، الخفيفَ حِمْلَهُ ،
العذبَ مَنَهْلَهُ ، وشافهتُكَ من ذلك بما اتَّسَعَتْ لَهُ الْقُدْرَةُ لا ما تَقْتَضِيهِ حَقُوقُ
الْمِنَّةِ .

وله : أنا في الشكر بين نعمةٍ تُنْطَقَنِي ، ونِعْمَةٍ عَمَّا يَجِبُ لَكَ يُخْرِسُنِي ؛ ولسْتُ
أَفْرُعُ إِلَى غَيْرِ تَجَاوُزِكَ ، ولا أَعْتِمِدُ عَلَى غَيْرِ مَسَاعِمْكَ ؛ ولا أَتَطَوَّلُ إِلَّا بِمَكَانِي
مِنْكَ ، ولا أَفَاحِرُ إِلَّا بِمَوْقِعِي مِنْ إِثَارِكَ ؛ فالحمدُ لله الذي جعلني بَوَلَاةِكَ مشهوراً ،
وفي شكرِكَ مقصُوراً .

على بن خلف :

رقعة : وينبى أن الله تعالى لما ألهم مولانا البرَّ ، ألهم المملوكَ الشُّكْرَ ؛ فهو
لا يَزَالُ يُوسِعُ في البرِّ وَيَزِيدُ ، والمملوكُ لا يَزَالُ يُبْدِي في الشكرِ وَيُعِيدُ ، وَلَكِنْ شَتَانِ بَيْنَ
فَاعِلٍ وَقَائِلٍ ، وَمُعْطٍ وَقَائِلٍ ، وَوَاهِبٍ وَسَائِلٍ ، وَرَافِدٍ وَحَامِدٍ ، وَشَاكِرٍ وَشَاكِدٍ ؛
وَأَمْلُوكُ يَحْمَدُ اللهَ تعالى إِذْ جَعَلَ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَحَظَّهُ الْأَعْلَى .

رقعة : وصل بِرُّ مولانا وقد أَحَالَتْ الْخَلَّةُ مِنَ الْمَمْلُوكِ حَالَهُ ، وَأَمَالَتْ آمَالَهُ ؛
فَلَأَمْتُ مَاصِدَعَهُ الدَّهْرُ مِنْ مَرُوتِهِ ، وَجَدَدْتُ مَا أَخْلَقَهُ مِنْ فُرُوتِهِ ، فَكَفَّ الْمَمْلُوكُ
يَدِيهِ [عَنْ] أَمْتِحَانِ الْخُلَّانِ ، وَقَبَضَ لِسَانَهُ عَنْ شِكَايَةِ الزَّمَانِ ؛ وَأَقْرَأَ مَاءَ وَجْهِهِ
فِي قَرَارَتِهِ ، وَحَفِظَ عَلَى جَاهِهِ لِبَاسَ وَجَاهَتِهِ ؛ فَيَالَهُ مِنْ بَرِّ وَقَعِ مِنَ الْفَقْرِ ، مَوْقِعَ
الْقَطْرِ مِنَ الْفَقْرِ ؛ وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ مِنْ قَدَامَةِ الْوَعْدِ ، مَا يَتَقَدَّمُ الْقَطَرُ مِنْ جَهَامَةِ الرَّعْدِ ؛
وَكُلُّ مَعْرُوفٍ وَإِنْ فَاضَتْ يَنَابِيعُهُ ، وَطَالَتْ فُرُوعُهُ ، قَاصِرٌ عَنِ الْأَمَلِ فِي كَرَمِهِ ،
وَاقِعٌ دُونَ غَايَاتِ هِمَمِهِ ؛ كَمَا أَنَّ الشُّكْرَ وَلَوْ وَآكَبَ النُّجْمُ ، وَسَاكَبَ السَّجْمُ ؛ قَاصِرٌ
عَنْ مَكَاافَةِ تَفَضُّلِهِ ، وَجُجَاازَةِ تَطَوُّلِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ اللهَ تعالى الَّذِي جَعَلَهُ قُدُورَةً

الكرام، وحسنة الأيام، وربّ الإنعام، وواحد الأنام؛ أن يُلهم المملوك من حمده، بقدر ما أسبغه عليه من رفده .

رقعة شكر : عند المملوك لسيّدى أيّادٍ وصلت سابقةً هَواديها ، وظلّت لاحقةً تَوَالِيها ؛ فصارتُ صُـدُورُها نسبا أعتري إليه ، وأعجازُها [سبباً أَعُول في الملمات عليه] .

رقعة : لولا أن الله تعالى جعل الشكر ثمرة البرّ، والحمد جزاء الرّفد، وأراد إقرارهما على أهلهما من الغائرين ، وأن يجعلَ لهم مِنّا لسانَ صدق في الآخرين ؛ لكان الذى غمّره مولانا من الإنعام ، يُتحدّثُ عنه تحدّثَ الرّيحِ بآثارِ الغَـمِّ ؛ ويُكنّى المملوكُ بالإشارة، مَثُونة العبارة ؛ والمملوكُ وإن رام تَأدية ما يلزمه من شكره، قاصرٌ عن غايةِ برّه ؛ ولو استَخدمَ ألسنة الأفلام ، واستغرقَ أمدى النّثار والنّظام ؛ ومولانا جديرٌ بقبولِ السّير ، الذى لا يُمكنُ الزّيادة عليه ؛ والصّفح عن التقصير، الذى تُقوّدُ الضرورةُ إليه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : لو أنّ هذه العارِفةَ بِكُرِّ عَوَافِره ، وبأَكُورةِ لطائفه ؛ لعجزتُ عن شكرها ، وقصّرتُ عن نشرها ؛ فكيف وقد سبقها قرائنٌ ونظائرٌ ، وتقدّمها أترابٌ وصَرَائِرٌ ؛ [مما] أنقلُ من المملوك كاهله ، وبَسَطَ به يَدَي أمله ؛ فما يَعدمُ شيئاً فِرَجِيه ، ولا يَفقِدُه فِرْعَبُ فيه ؛ والذى تُربُّه من المملوك جوارحه ، وتَحويه جوانحه ؛ علمه بأنه لا يُجارى أياديه ، ولا يُجَازى مَسَاعيِه ؛ والله تعالى يَخْصُه من الفضائل ، بمثل ما تَبَرَّع به من الفَوَاضِل .

رقعة : ومثل مولانا من [ذوى الشرف] ^(١) والسودد من حسن محضره، وطاب
مُحْبَره، وكرم غيبه ومشهده، وصح على تغاير الأحوال عقده ووُده؛ وقد اتّصل بالملوك
ما أعاره له مولانا من أوصافه، وجرى فيه على عادة فضله وإنصافه؛ فطُفِقَ لفضله
شاكرًا، ولطوله ناشرًا؛ وأضاف ذلك إلى توالّد إحسانه، ونظّمه في عقد آمّتينه .

رقعة : قد طوّق مولانا [مملوكه] من فضله طوقا كأطواق الحمام لا يُتزع ،
وألْبسه بُردًا من ربه لا يُخلع ؛ وأولاه من مزيده ما قصّرت الهمة عن تمّنه ، ولم تهتدِ
القريحةُ إليه فتستدعيه ؛ ولو وجد الملوكُ جزاءً على عارفته ، وكفّاءً لمثوبته ، غير
المؤالاة الصريحه ، وعقد الضائر على المؤدّة الصحيحه ؛ واللّهج بالشكر ، فى السرّ
والجهر ، لرمى من وراء عنايته ، ولا استبعد طول شقّته ؛ ولكن الملوكُ عادِمٌ
لما يقابل به يده الغزاء ، عاجزٌ عما يقضى به حقّ موهبته الزهراء ؛ ما لم يُحسن كرمه
أمره ، ويقبل منه على التقصير شكره ؛ ويُضف ذلك إلى لطائفه ، وينظّمه فى سلك
عوارفه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : واجتهاد الملوك فى نشر أياديه وشكرها ، كأجتهاد مولانا فى كتمانها
وسترها ؛ فكُلّما أبديتها بالثناء أخفاها ، أو نشرتها بالإشادة طوّأها ؛ وهيات أن يخفى
عرف كرم المسك نشرًا ، ومن كالروضة نورًا والغزاة نورًا ؛ ولو كان الملوك
والعياد بالله ستر هذا العرف بكفر ، وأغتمصه مانعًا لشكر ؛ لنمّ عليه حسنه بموم
الصباح ، وتوقّد توقّد المصباح ؛ فكيف والملوك مَقُول لا يُسَمّى [يُعجِم سَوَاد] ^(٢)
الليالى بالإحماذ ، ويرقم صفحات النهار بالاعتداد .

(١) بياض فى الاصول والتصحيح من المقام .

(٢) فى الاصول « ولا يسامى الليالى » الخ وزدنا ما يقتضيه المقام ويتم الكلام تأمل .

الأجوبة عن رِقَاع الشكر

قال في "موادّ البيان" : [ان كَانَتْ] هذه الرِّقَاع من المرعوسين إلى الرؤساء فلا جوابَ لها . وإن كَانَتْ من النّظير فالواجبُ أن يُستعمل في أجوبتها مندوبُ التناصّف والتفاوض .

جواب عن فعل المعروف والشكر عليه من كلام المتأخرين :

من ذلك، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الصدر :

خَلَدَ اللهُ عَلَى الْمَالِكِ نِعْمَهُ ، وَعَلَى الْمَالِكِ دَيْمَهُ ، وَحَرَّمَ بَقَائَهُ ذِمَّ الزَّمَانِ وَأَوْجَبَ ذِمَّهُ ؛ وَلَا بَرَحَ نَحْوُ الْحَامِدِ يُنَادِي يَوْمَ الْكَرَمِ مُفْرَدَهُ وَيَوْمَ الْهِجَابِ عَلمَهُ . تَقْيِيلًا يَسْحَبُ فِي الْفَخَّارِ بُرُودَهُ الْمُعْلَمَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ بِالْقُرْبِ فَلَا يَزَالُ الشَّوْقُ يُنتِجُهُ حَيْثُ كَلَّا التَّدْكَارَ وَالْعَهْدَ مُقَدِّمَهُ .

وينهى ورود المثال العالى بما مَلَأَ القلبَ خيرا واليدَ برآ ، والسمعَ إشارةً والوجهَ بشرا ، حَتَّى تَنَافَسَتِ الْأَعْضَاءُ عَلَى تَقْيِيلِهِ ، وَالْجَوَارِحُ عَلَى تَأْيِيلِهِ ؛ فَالْيَسْدُ تَسَابَقَ إِلَى مَنَنْهُ بِالْإِمْتِدَادِ ، وَالْقَلْبُ يَسَاقُ إِلَى كَرَمِ عَهْدِهِ بِالْإِعْتِدَادِ ؛ وَالْوَجْهُ يَقْلُبُ نَظْرَهُ فِي سَمَاءِ مَوَاقِعِ الْقَلَمِ ، وَالسَّمْعُ يَنْعَمُ بِمَا تُقْصُ عَلَيْهِ الْمَسَارُّ مِنْ أَخْبَارِ جِيرة الْعَلَمِ ؛ حَتَّى كَادَ الْمَمْلُوكُ يَحْوُ بِالتَّقْيِيلِ أَسْطَرَّهُ ، وَيَشْتَغِلُ بِذَلِكَ عَنْ اسْتِجْلَاءِ مَا ذَكَرَهُ الْمُنْعِمُ لِاعْدَمِ الْمَمْلُوكِ فِي مَصْرٍ وَالشَّامِ تَكَرَّرَهُ ؛ وَفِيهِمْ مَا أَشَارَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي مَوْلَانَا أَهْلُهُ ، وَكَرَمِ الْعَهْدِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ مِنْ مِثْلِهِ وَأَيْنَ مِثْلُهُ ؛ وَقَابِلِ الْمَمْلُوكِ جَمِيعَ ذَلِكَ بِجَهْدِهِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ ، وَبِسَمَاحَةِ الْحَمْدِ الْمُتَفَاوِحَةِ ؛ وَالْإِعْتِدَادِ بِنِعْمَةِ مَوْلَانَا الَّتِي لَوْلَا [مُوَالَاتُهَا ^(١)] كُلِّ وَقْتٍ لَقِيلَ فِيهَا « مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ » وَتَضَاعَفَ

هُوَ الْمَمْلُوكُ عَلَى قَدَمِ الْمَوَالَاةِ الَّتِي [يَسْتَشِيرُ] فِي دَعْوَاهَا بِشَهَادَةِ الْخَاطِرِ الشَّرِيفِ ، وَيَتَقَدَّمُ بِهَا تَقْدُّمًا تَحْتَ لَوَاءِ الْوَلَاءِ وَتَأْتِي بَقِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ فِي اللَّفِيفِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوزِعُ الْمَمْلُوكَ شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ الْمُتَّصِلِ مَدَدُهَا ، وَالْمِنْنِ الَّتِي لَا يَعْدُمُهَا وَلَا يَعُدُّهَا ، وَيُطِيلُ بَقَاءَ مَوْلَانَا لِحَمْدِ يَحْيَاهُ وَيَحْيِيهِ ، وَشَرَفِ دُنْيَا وَأُخْرَى يَهْدُمُ وَفَرَهُ وَنَعْمَهُ وَيَنْتِنِيهِ .

النوع الثالث عشر (العتاب)

قال في "مواد البيان" : المكتبة بالمعابة على التحول عن المودة والاستخفاف بحقوق الخلّة من المكاتبات التي يجب أن تستوفي شروطها، وتكمل أقسامها : لأن ترخيص الصديق لصديقه في المقاطعة والمصارمة دالٌّ على ضعف الاعتقاد ، واستحالة الوداد .

من كلام المتقدمين :

إِنِّي مَا أَحْدَثْتُ نَبْوه، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَحْدَثْتُ جَفْوه؛ وَلَا أَبْدَيْتُ هَجْرًا، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَبْدَيْتُ غَدْرًا؛ وَلَا لَوَيْتُ وَجْهًا عَنِ الصَّلَاةِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ شَيْتُ عِطْفًا إِلَى الْقَطِيعَةِ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَّا جَانٌ، وَالثَّانِي حَانٌ؛ وَالْمُتَقَدِّمُ مُؤَثِّرٌ، وَالْمُتَأَخِّرُ مُضْطَّرٌّ؛ وَكَمْ بَيْنَ فِعْلِ الْمُخْتَارِ وَالْمَكْرَهِ، وَالْمُبْتَدِعِ وَالْمُتَّبِعِ .

آخر : إِنْ أَمْسَكْتُ يَاسِيدِي عَنْ عِتَابِكَ ، مُرْخِيَا مِنْ عِنَانِكَ ؛ كُنْتُ بَيْنَ قَطْعِ لِحْبَلِكَ ، وَرِضَا بِفِعْلِكَ ؛ أَوْ اقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى التَّلَوُّجِ بِهِ لَمْ يَغْنِ ذَلِكَ مَعَ كَثْرَةِ جُجُوحِكَ ، وَشِدَّةِ جُنُوحِكَ ؛ وَمَا آرَتَكْبَتُهُ مِنْ رَائِكَ ؛ وَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ جَفَانِكَ .

رقعة عتاب : لمولانا لدى المملوك عوارِف لا يَتَدبى إلى معرفتها فيوفيا كُنْهَ المراد، وأيادٍ لا يَبْلُغ ما تستحقه من الإحاد ؛ ولو عَصَدْتُهُ خُطْبَاءُ إِيَاد، أجلها في نفسه خطراً، وأحسنها عليه أثراً؛ ما يَفْرِضُه له من ربه وإكرامه ، وتعهدته وأهتامه ؛ وقد غير مولانا عادته ، وتقض شيمته ؛ وبَدَل المملوك من الانعطاف بالإعراض، ومن الانبساط بالانقباض ؛ وحمله من ذلك ما أوهى قوئ صبره، وأظلم بصائر فكره ؛ فإن يكن ذلك لخطأ واقع المملوك ساهياً، وجرم أجترمه لاهياً؛ فمثل مولانا لا يطالب إلا بالقصد، ولا يعاقب إلا على العمد؛ إذ كان المملوك لا يُعَصَم من زلل ، ولا يَسْلَم من خلل ؛ اللهم إلا أن يكون مولانا أراد من المملوك تقويمه وتأديبه ، وإصلاحه وتهذيبه : ليحسن أثره في خدمته ، ويسلك السبيل الواضح في تباعته ، فلا أعدم الله المملوك تثقيفه ، ولا سلبه تبصيره وتعريفه ؛ وإن كان ذلك لشك عَرَض من المملوك في وداده، وأرتياح خامر في حسن اعتقاده؛ فأعيدته بالله من القطع بالشبهات ، والعمل بمنغل السعيات ؛ ومولانا خليق بأن يطلع من أنس المملوك ما غرب، ويُنِيط من سروره مانصب ؛ ويعيده لرضاه، ويُجْريه على ما أحده منه وأرضاه .

رقعة : ليس المملوك يرفع مولانا في إعراضه، إلا إلى فضله، ولا يُجَاهِ كُنه على انقباضه، إلا إلى عدله ؛ ولا يستعين عليه إلا بما يستمليه من آدابه ، ولا ينظره إلا بما أخذه عنه من محافظته وإيجابه ؛ إذ كان المملوك مُد وصلته السعادة بجباله ، ناسجاً على منواله ؛ متقبلاً شرائف خلاله . وما عهدته عمر الله معاهده ، وكبت

(١) لعله للولى .

(٢) يقال أنظلم حديثاً سمعه ثم إليهم به أنظر اللسان ج ١٤ ص ١٩٤ .

حاسده ؛ يغضبُ تقليدًا قبل الاختبار، ويُخَوِّج البريء إلى مَوْقِف الاعتذار ؛ ولا سِيًّا إذا كان المظنونُ به عالمًا بشروط الكرم ، عارفًا بمواقع النعم ؛ لا يَنْسَخ الشكرَ ، بالكُفْر ، ولا يتعوّضُ عن الحمد ، بالتحذُّ ؛ وقد عرفَ مولانا شَاءَ المملوك على تفضاله ، ووقف على بَلَاءه لأعماله ؛ وهو وفيٌّ بربِّ عوارِفِه وصنائعِه ، وتتمير مارَهَنَ لَدَيْهِ من ودائعِه ؛ وتنزيهِ سَمْعِه عن الإصغاءِ إلى ما يَخْتَلِفُه حاسد ، ويصوغُه كائد ؛ وقد حَكَمَ المملوكُ على نفسه نَقْدَه الذى لا يُبْهَرُجُ عليه ولا يدَلَّسُ ، وكشفَه الذى لا يُعْطَى عليه ولا يُلْبَسُ ؛ فليَحْكُ أفعالَ المملوكِ على حَكِّ بصيرتِه ، وليُجَلِّ في تأملِ مقاصدِه طَرْفَ فكرتِه ؛ فإنه ممن لا تُحِيلُه الأحوال ولا تُحوِلُه ، ولا تُغَيِّرُه الغَيْرُ ولا تُبَدِّلُه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : أفعالُ شكرِ المملوكِ في الحِلْمِ والغَضَبِ ، والرِّضَا والسَّخَطِ ، إذا لم يَقْتَضِ الحِزْمُ إيقاعها مَوْقِعَ الفضل ، واقعةٌ مَوْقِعَ الإنصافِ والعَدْلِ ؛ ولا يَغْلُبُ هواه على رَأْيِه ، ولا بادرتِه على أَنَاتِه ؛ وقد جَانَبَ مع المملوكِ عادَتَه ، وبَإِنِّ فِيهِ شِمَتَه ؛ ونالَه من إِعْرَاضِه ، وجَفَائِه وأنْقِبَاضِه ، وتَغْيِيرِ رَأْيِه ، ما وَسَمَ المملوكُ فِيهِ بِالذَّنْبِ ولم يُذْنِبْ ، وحمله على الجُرْمِ ولم يَحْتَقِبْ ؛ وأوقفه لَدَيْهِ مَوْقِفَ الاعتذار ، وأحوجَه إلى الإِسْتِقَالَةِ والإِسْتِغْفَارِ ؛ وليس المملوكُ يُحَاكِمُه إلَّا إِلَيْهِ ، ولا يُعَوِّلُ فى الانتصافِ إلَّا عَلَيْهِ ؛ وما أولاه بأن يُعيدَ المملوكُ إلى محلِّه من رضاه ، فإنه لم يُوقِعْ فى خدمتِه إلا ما يَرْضاه ؛ وحسبُه شاهدًا بذلك ما يَعْلَمُ من المملوكِ من سَلَامَةِ غِيْهِ ، وطهارة جَنِيْهِ ؛ وَفَضْلُ وَدِّهِ ، وَصَحَّةُ مَعْتَقِدِهِ ؛ إن شاء الله تعالى .

(١)

رقعة بمعاتبه على :

كُلِّ مانعٍ مَالِدِيهِ مَنْ رَغِبَهُ ، دافعٍ عَمَّا عنده مَنْ طَلَبَهُ ؛ فستغنى عنه إِلَّا الله تعالى
 المُتَبَدِّئُ بالنَّعمِ ، العَوَادُ بِالكَرَمِ ؛ وَلَوْ عَرَفَ مَوْلَانَا بَطْءَ شَجَرَةِ المَعْرُوفِ ، لَأَسْرَعَ
 إِلَى أَحْضَائِهَا ، وَلَوْ عَلِمَ مَالَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ فِي مَالِهِ وَجَاهِهِ ، لَمْ يُقْصِرْ عَنْ
 أَدَائِهَا ؛ غَيْرَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الفَوْزَ بِالْوُجُودِ ، غَايَةُ المَجْدِ ، وَأَنَّهُ إِذَا أَحْمَدَ النَّسَبَ غَنَى عَنْ
 المَجْدِ ؛ وَأَنَّ النِّعْمَةَ تُرْتَبِطُ بِالرِّبْطِ عَلَيْهَا ، وَتَتَصَرَّفُ بِالتَّصَرُّفِ فِيهَا ؛ وَمَا سَاءَ المَمْلُوكُ
 أَنْ تَنَزَّهَ عَنْ تَقَلُّدِ مَنَّةٍ لَيْمٍ ، وَحُرْمِ مَحَمْدَةٍ مِنْ كَرِيمٍ ؛ وَهَذَا الحِرْمَانُ أَحْسَنُ وَاللهُ
 فِي عَيْنِ المَمْلُوكِ مِنَ النَّوَالِ ، وَهَذَا الإِكْدَاءُ أَبْرَلَدِيهِ مِنْ بُلُوغِ الآمَالِ ؛ وَسَيَنْشُرُ المَمْلُوكُ
 مَذْهَبَهُ فِي كُلِّ نَادٍ ، وَيَكْفُفُ عَنْهُ أَمَانِي الْقُصَادِ ؛ وَيَكْفِيهِ مَثُونَةُ الاعتذارِ ، وَيَصُونُهُ
 عَنْ أَنْ تُبَدَّلَ إِلَيْهِ وَجُوهُ الْأَحْرَارِ : لِيَعْلَمَ أَنَّ المَمْلُوكَ عَلَى مَنْعِهِ لَمْ يُقْصِرْ فِي بُلُوغِ
 أَوْطَارِهِ ، وَالسَّعْيِ فِي إِيْثَارِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رقعة في المعنى : مَارَدَ المَمْلُوكُ بِمَوْلَانَا مُسْتَتَرًّا لِقَلِيلِهِ ، وَلَا لَائِمًا لِنَفْسِهِ عَلَى
 تَأْمِيلِهِ ؛ لِكِنَّهُ آتَجَمَعَهُ أَنْتِجَاعَ مَنْ ظَنَّهُ عَارِفًا بِقُدْرِهِ ، رَاغِبًا فِي شُكْرِهِ ؛ فَلَوْ أَعْضَى
 المَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى الْإِطْرَاحِ لِأَمْرِهِ ، لَأَسْتَدَلَّ مِنْهُ عَلَى قِصَرِ الهِمَّةِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَوْمُهُ
 بِدُونِ الْقِيَمَةِ ؛ لَا سِيَّمَا وَهُوَ يُقْرَضُ لِمَنْ لَا يُجَارِي المَمْلُوكَ فِي مِضْمَارٍ ، وَلَا يُسَاوِيهِ
 فِي مِقْدَارٍ ؛ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بِتَأْمِيلٍ وَرَجَاءٍ ، وَتَقْدِيمِ ذَرِيعَةٍ مِنْ تَقْرِيطِ وَثَاءٍ ، مَا تَضِيقُ
 عَنْهُ الهِمْمُ الفِسَاحَ ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِقْتِرَاحُ .

(١) بياض في الأصل ولعله « على منع عطاء » .

(٢) لعله « مرة المعروف ... الى اجتنانها » تأمل .

رقعة عتاب، على تقصير في خطاب :

حُوشَى مَوْلَاىَ أَنْ يُجَرَّ الذَّيْلَ عَلَى آثَارِ فَضْلِهِ ، وَبُيِّتَ مِنْ غُرُوسِ إِحْسَانِهِ
 مَا هُوَ جَدِيرٌ أَنْ يَتَعَهَّدَ بَوْبِهِ ؛ وَيُعْفَى مِنِّي رُسُومَ كَرَمِهِ ، وَيَصْدَعُ بِجَانِبَةِ الْإِنْصَافِ
 صِفَاةَ صِفَاتِهِ وَصَفَائِهِ ، وَيُنِطِقَ الْأَلْسُنَ بِعَتَابِهِ ؛ وَيُصَلِّتَ سَيْفَ التَّائِبِ مِنْ قِرَابِهِ ؛
 بِمَا أَسْتَحْسَنَهُ مِنْ مُسْتَقْبَحِ الْمَصَارِمَةِ فِي الْمَخَاطِبَةِ ، وَأَسْتَوَطَاهُ مِنْ جَامِحِ التَّرْيِثِ
 فِي الْمَكَاتِبَةِ ؛ وَلَا سِيَّما وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْقِعَ الْإِكْرَامِ مِنَ الْكِرَامِ ، أَلْطَفُ مِنْ مَوْقِعِ
 الْإِنْعَامِ ؛ وَأَنْ حَلَّ الْقَالَ ، أَفْضَلُ مِنْ حَلِّ النَّوَالِ ، وَأَنْ تَغْيِرَ الْعَادَةُ فِي الْبَرِّ ، مُقَوِّضُ
 لِمَعَاهِدِ الشُّكْرِ ؛ وَسَيْحِ (؟) السَّنَةِ فِي الْإِنْصَافِ ، قَاضٍ بِالْإِنْصِرَافِ بَعْدَ الْإِنْطِافِ ،
 وَقَدْ كَانَ الْمَمْلُوكُ أَرْمَعَ أَنْ يَتَحَمَّلَ تَقْصِيرَهُ بِهِ ، وَأَنْ يُقْلَّ مِنْ غَرْبِهِ ، غَيْرَ مَطَاوِيعِ
 لِلْحَمِيَّةِ ، وَلَا مُنْقَادٍ لِنَفْسِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَلَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ بِعِتَابِ ، وَلَا يُورِدَ عَلَيْهِ مُمَضُّ
 خِطَابِ ؛ ثُمَّ رَأَى الْمَمْلُوكُ أَنْ يُرْشِدَهُ إِلَى الْأَزْزِينَ ، وَيَبْعَثَهُ عَلَى اعْتِمَادِ الْأَحْسَنِ ؛
 وَيُخَضِّصَهُ عَلَى مُرَاجَعَةِ الْأَفْضَلِ ، وَمُعَاوَدَةِ الْأَجْمَلِ : لِيَتَحَفَّظَ مَعَ سِوَاهُ ، وَلَا يَجْرِيَ
 نَجْرَاهُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَحَمَّلُهُ ، وَيَرْضَى رِضَا الْمَمْلُوكِ بِمَا يَفْعَلُهُ ؛ فَيُؤَلِّقُ اللَّهُ
 إِلَيْهِ الرِّشْدَ ، وَوَقْفَهُ إِلَى الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ ؛ هَلْ هُوَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ ؛ فَمَا هَذَا التَّيُّ
 وَالْبَطَرُ ؟ وَلِمَ هَذَا الْأَزْلُ وَالْأَشْرُ ؟ وَمَا فِعْلُ الرَّئِيسِ إِلَى مَا يَصْغُرُ عَنْهُ قَدْرُ ؛
 وَلَا يَبْتَاسُ مِنْ نَيْلِهِ عَمْرُ ؛ وَلَا مَضَتْ أَقْلَامُكَ فِي الْأَقَالِمِ ، وَلَا أُشِيرَ إِلَيْكَ بِبَنَانِ
 التَّعْظِيمِ ؛ وَلَا فُوضَتْ إِلَيْكَ الْوِزَارَةُ وَالرِّدَافَةُ ، وَلَا تَأَمَّرَتْ عَلَى الْكَافَةِ ؛ وَلَا طَاوَلَتْ
 الْأَكْفَاءَ فُطُلْتَ ، وَلَا نَاضَلْتَ الْقُرَنَاءَ فَفَضَلْتَ ؛ وَإِنَّمَا سَرَقَ إِلَيْكَ الْحِطُّ مِنْ مِمَّادِهِ
 وَشَلَا مُصَرِّدًا ، وَأَدْرَكَكَ الدَّهْرُ مِنْ أَخْلَافِهِ مُجَدِّدًا ، فَانْتَحَتْ الْمَعَامِلَةُ بِظُلْمِ
 الْإِخْوَانِ ، وَنَسَخَ شَرَائِعَ الْإِحْسَانِ ؛ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ ، وَغَرَّكَ حَدْسُكَ ؛ كَيْفَ بِكَ
 غَدًا إِذَا أَسْتَرَدَّ الزَّمَنُ مَا خَوَّلَكَ ، وَأَسْتَرْجَعَ مَا نَوَّلَكَ ؛ وَصَحَّوْتَ بِالْعَزْلِ مِنْ سَكْرَةِ

(١) الْوِلَايَةِ ، وَتَقَرَّرَتْ بَعْدَ طَلَبِ الْغَايَةِ ، وَعُدْتُ إِلَى إِخْوَانِكَ فَوَجَدْتُ أَوْطَانَ أَنْسَهُمْ بِكَ نَائِيَةً ، وَنَفُوسَهُمْ لِلْإِقْبَالِ عَلَيْكَ آيَةً ، وَلَوْ كَانَ الزَّمَنُ أَمَكَّنَكَ مِنْ رَقَبَتِي ، وَطَرَّقَ لَكَ الطَّرِيقَ إِلَى إِيدَاعِ عُرْفِكَ فِي جِهَتِي ، لَقَبَّحْتُ بِكَ أَنْ تَطُولَ بَطُولُكَ ، وَتَدَّعِيَ الْفَضْلَ بِفَضْلِكَ ، وَلَمْ يَحْسُنْ أَنْ تُبَدِّلَ الْإِنْعَامَ ، وَتَضِنَّ بِالْإِتْرَامِ ، فَإِنْ كُنْتَ تَفْخَرُ بِسَلَفِكَ وَأَبْنُوتِكَ ، وَتُطَاوِلُ بِأَوْلِيَّتِكَ وَأُسْرَتِكَ ، فَلَوْ كَانَ أَبُوكَ كَسْرَى ، لَمَا جَبَرَ مِنْكَ كَسْرًا ، وَلَوْ كَانَ جَدُّكَ بُحْتًا نَصْرًا ، لَمَا أَنْتَفَعْتَ بِهِ فِي مُظَاهَرَةٍ وَلَا نَصْرٍ ، فَدَعِ أَكْثَرَ مَافَاتٍ ، وَلَا تُعَوِّلْ عَلَى الْعِظَامِ الرُّفَاتِ ، فَمَا أَسْتَدَدَ إِلَيْهَا إِلَّا عَارٍ مِنَ الْفَضْلِ عَاطِلٍ مِنَ الْحِلْيِ . عَلَى أَنَّكَ لَوْ فَاحَرْتَنَا بِهَا لَفَخَرْنَاكَ ، وَتَقَدَّمْنَا وَأَخْرْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ تَسْتَدِدُ إِلَى دِيَانَتِكَ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى نُسُكَ وَأَمَانَتِكَ ، فَهَذِهِ خَالِصُ حَالٍ لَا تَخْلُصُ مَرَاتِبُهَا وَلَا تَتِمُّ فَضِيلَتُهَا إِلَّا بِأَسْتِشْعَارِ التَّوَّاضُعِ ، وَالْأَخْذِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لَدَى التَّنَازُعِ ، فَارْجِعْ هِدْيَتَكَ إِلَى الْأَجَلِ ، وَاعْمَلْ بِالْأَفْضَلِ ، وَاقِفْ بِحَيْثُ رُبَّتِكَ ، وَلَا تَتَشَوَّفْ إِلَى غَيْرِ دَرَجَتِكَ ، وَإِنْ أَبَيْتَ ذَلِكَ فَاقْطَعْ الْمُرَاسَلَةَ ، وَأَعْفِهَا مِنْ الْمَوَاصِلَةِ ، وَالسَّلَامِ .

رقعة عتاب على تأخر المكاتبة :

مِنْ حُكْمِ الْوِدَادِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - الزِّيَارَةُ عِنْدَ الْمُقَارَبَةِ ، وَالْمَكَاتِبَةُ عِنْدَ الْمُبَاعَدَةِ ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَوَدَّةُ الصَّرِيحَةُ لَا يُغَيِّرُهَا اجْتِنَابُ ، إِلَّا أَنَّ الْكُتُبَ أَلْسُنَ الْعِبَادِ ، وَالْأَعْيُنُ الَّتِي تَنْظُرُ حَقَائِقَ الْوِدَادِ ، وَلَهَا فِي الْقُلُوبِ تَأْثِيرٌ ، وَمَوْقِعُهَا فِيهَا أَثِيرٌ ، وَخَوْشَى مَوْلَانَا أَنْ أَهْزَأَ أَرِيحِيَّتَهُ لِمَا يُوَكِّدُ الثِّقَةَ بِإِخْوَانِهِ ، وَيَشْهَدُ بِوَفَائِهِ ، وَلَا سِيَّمَا وَهُوَ يَفْرِضُ ذَلِكَ لِأَحِبَّتِهِ ، وَقَوْلُهُ وَاجِبٌ فِي شَرَعٍ مَوْدَّتِهِ .

رقعة في معناه :

إِنْ أَبْتَدَأَ الْمَلُوكُ مَوْلَانَا لَمْ يُجِبْ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْإِبْتِدَاءُ لَمْ يُوجِبْ ؛ فَلَا حَقَّ
الْإِجَابَةِ تُؤَدِّيهِ ، وَلَا نَاجِرَ الْمَسْأَلَةِ تَقْضِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ إِذَا شَخْصَ غَابَتْ عَنْ فِكْرِهِ
أَشْخَاصُ أَحَبَّتِهِ ، وَإِذَا بَعُدَ عَامِلُهُمْ بِتَجَافِيهِ وَجَفَوْتِهِ ؛ فَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّفَ
وَيَتَعَمَّلَ ، وَيَتَصَنَّعَ وَيَتَعَمَّلَ : فَإِنَّهُ لَوْ عَلَّلَ مَشُوبًا بِالْإِنْتِظَارِ ، أَوْ أَعْتَذَرَ مَرَضًا
بِالْإِعْتَذَارِ ؛ لَأَقَمْتُ ذَلِكَ مَقَامَ الْمُكَاتِبَةِ ، وَصُنَّتُهُ عَنْ تَحْضِ الْمُعَاتِبَةِ ؛ لَكِنَّهُ مَالٌ مَعَ
الْمَلَالِ ، وَرِضَى الْإِطْرَاحِ وَالْإِهْمَالِ ؛ وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَقِلٌّ بِالْإِخْوَانِ ، مُتَنَقِّلٌ مَعَ
الزَّمَانِ ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَصُدُقَ الْمَخِيلَةُ ، وَيَرْجَعَ إِلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ .

رقعة معاتبية رجل كريم الأصل لئيم الفعل :

قَدْ عَرَفَ مَوْلَانَا وَفَقَهُ اللَّهُ وَوَقَفَهُ عَلَى مَنَهِجِ الرَّشَادِ ، أَنَّ جُنَايَةَ الْغَضَبِ الذَّمِيمِ ،
تَقْدَحُ فِي كَرَمِ الْحَنِثِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنَّ قَبِيحَ الصِّلَفِ ، يَنْسَخُ تَلِيدَ الشَّرَفِ ، وَخِيْثَ
الذَّرِيَةِ ، يُعْنَى عَلَى طَيْبِ الْمَنَاحِثِ الزَّكِيَةِ ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِمَنْ تَحَلَّى بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ،
وَتَلَبَّسَ بِاللُّعْنَةِ وَالْعَدْرِ ، وَسَاحَ نَفْسَهُ بِإِطْرَاحِ الْحُقُوقِ ، وَأَسْتِطَاءِ الْعُقُوقِ ؛
إِلَّا إِضَاعَةُ الْحَرَمِ ، وَإِخْفَارُ الذَّمِّ .

المعاتبية من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ صَارَ يَرَى قُرْبَهُ أَزْوَارًا ، وَطَوِيلَ سَلَامِهِ اخْتِصَارًا ؛
وَيُغَالِطُ فِي ذَلِكَ حَتَّى شَاهَدَهُ عِيَانًا مَرَارًا ؛ هَذَا وَيُكْرِ الْوَلَاءَ ، صَقِيلَةُ الْحِلَابِ ،

وعروسُ الشَّاءِ، جميلةُ البَرَّةِ حَسَنَةُ الشَّبابِ، وهو لا يفتأ من المُوَالاةِ في صَعْدِ وَقْدِهِ
 فِي صَبَبٍ ؛ فَكُلُّهَا مَكَّنَ وَتَدَّ الإِسْتِعْطَافَ يَرْجُو عَدَمَ تَخْلُصِهِ فُجْصِلَ بِأَيْسَرِ سَبَبٍ ؛
 بِحَيْثُ أَطْفَأَ الإِهْمَالُ نَارَ المُسَاعَفَةِ والمُسَاعَدَةِ، وَأَنْتَقَلَ تَوَهُّمُهُمْ عَدَمَ العِنَايَةِ إِلَى تَيَقُّنِ
 وَجُودِهِ بِالمُشَاهَدَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ يُرْفَعُ قَدْرُهُ خُفْضُ، وَعَوَّضُ فِي الْحَالِ عَنِ الرُّفْعِ
 بِالإِبْتِدَاءِ، أَنَّهُ مُقَرَّدٌ وَيُنْصَبُ كَالنِّكَرَةِ فِي النَّدَاءِ، وَأَهْمِلَ حَتَّى صَارَ كَالْحُرُوفِ لَا يُسْنَدُ
 وَلَا يُسْنَدُ إِلَيْهَا ، وَأُلْفِيَ حَتَّى شَابَهَ ظَنَنْتُ إِذَا وَقَعَتْ مُتَأَثِّرَةٌ عَنْ مَفْعُولِيهَا ؛ وَمَتَى
 يَقْلُقُ لِأَمْرِ، أَسْنَدَ نَفْسَهُ * مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ *

وكان يَغْنَى مُجْلِسُهُ الكَرِيمَ خِدْمَةً وَأَدَاءً لِلوَاجِبِ ، وَطَلَبًا لِعَادَةٍ أَكَّدهَا إِحْسَانُهُ
 حَتَّى صَارَتْ ضَرْبَةً لِازِبٍ ؛ فَلَا يَخْلُو مُجْلِسٌ مِنْ إِظْهَارِ تَغْيِيرِ عَادَةٍ وَطَدِّ الْجُودِ
 أَسَاسَهَا، وَأَتَتْقَاضِ قَاعِدَةٍ أَبْرَمَ الكَرَمِ أَمْرَاسَهَا ؛ فَيَنْقَطِعُ سُلُوكًا لِلأَدَبِ وَتَخْفِيقًا عَنِ
 الْخَوَاطِرِ ، وَيَتَلَقَّى مَا يَصْدُرُ بَقْلِبٍ شَاكِ وَلِسَانٍ شَاكِرٍ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ عَزَمَ مَوْلَاهُ
 عَلَى طَرْدِهِ، وَعَوَّضَهُ عَنْ مِثْنَةِ القُرْبِ المِحْنَةَ بَعْدَهُ ؛ فَإِنَّهُ يَأْبَى ذَلِكَ جُودُهُ وَلُطْفُهُ،
 وَمَعْرِفُهُ يُشْكِرُ وَيَزِيدُ لَا يَمَكِّنُ صَرَفُهُ ؛ وَلَوْ جَازَ الصَّرْفُ لِحَبْرَدٍ ^(١)
 الْعَدْلُ مِنْ سَيِّدِهِ، وَالْحِلْمُ الَّذِي عُرِفَ مِنْ كَرِيمٍ مُحْتَدِهِ ؛ فَكَانَ المَمْلُوكُ يُسْتَحْسِنُ
 فِي حَبْرَةٍ وَسَبْرِهِ ، وَيَعَوَّضُ عَنْ مُقَابَلَتِهِ بِجَبْرِهِ ؛ فَقَدْ صَارَ سَمِينُهُ غَنًّا وَشَحْمُهُ وَرَمًا ،
 وَحَدِيثُهُ رَتًّا وَسَهْلُهُ عَلَمًا :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْنٍ كَلِيلَةٌ * كَمَا أَنَّ عَيْنَ الشَّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا
 وَمَا تَمَّ بِمَحْدِ اللَّهِ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ وَلَا بَعْضُهُ ، وَلَا يُحْدِثُ ذَمَّ المَمْلُوكِ وَبُغْضَهُ ؛
 وَلَوْ بَدَأَ مِنْهُ زَلٌّ ، أَوْ لَمَحَ مِنْهُ خَطَلٌ ؛ فَكَلَامُ مَوْلَانَا أَوْسَعُ مِنْ إِقْبَاءِ ذَلِكَ فِي صُدُورِ
 الصُّدُورِ، وَ[أُخْرَى بِ] مَحْوِ آيَاتِ السِّيَّئَاتِ فَإِنَّهُ لَمِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ .

(١) بياض بالأصل ولعله « ليجرد الشك بالعبودية » :



وله : يُخْذَمُ بُدْعَائِهِ ، وَصَادِقٌ وَلَائِهِ ؛ وَيُنْهَى أَنَّهُ أَنْكَسَرَ خَاطِرُهُ ، وَأَرِقَ جَفْنُهُ
وَنَاطِرُهُ ؛ وَتَضَاعَفَ بَلْبَالُهُ ، وَتَزَايَدَتْ فِي النَّقْصِ أَحْوَالُهُ ؛ مِنْذُ تَأَخَّرَتْ الْأُمَثِلَةُ الْكِرَامُ ،
وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهُ بَانِقَطَاعِهَا الْمِنْنُ الْحِسَامُ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْ ذَنْبٍ وَقَعَ ، وَتَشْرِيفَهُ
بِمِثَالٍ يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ مَا وَضَعَ ؛ وَاسْتَعْمَلَ الصَّفْحَ عَنْهُ كَسَائِرِ عَادَاتِهِ ، وَإِجْرَاءَهُ عَلَى
اللُّطْفِ الَّذِي أَلْفَهُ مِنْ تَفَضُّلَاتِهِ ؛ فَقَدْ ضَعُفَ صَبْرُ الْمَمْلُوكِ وَجَنَانُهُ ، وَتَفَرَّقَ لِلْفِرَاقِ
جَفْنُهُ وَإِنْسَانُهُ ؛ وَصَغُرَ قَدْرُهُ ، وَأَهْمِلَ جَانِبُهُ وَمِنْ أَمْرِ بِلَاهَاتِهِ نَحْرُهُ ، وَلِهَذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ ، وَكَانَ لِسَانُ حَالِهِ [يَنْشُدُ] فِي ذَلِكَ :

وَاهْتَنَيْتِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا * مَا مِنْ يَهْوٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ !

وَالْمَمْلُوكُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّهُ مَازَالَ يَجْهَلُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْخِدْمِ ، وَمُقَرَّرٌ بِتَقْصِيرِهِ عَنِ الْقِيَامِ
بِحَمْلِ مَا يُوَاصِلُ بِهِ مِنَ النِّعَمِ ؛ لَكِنَّهُ أَلْفَ مِنْ مَوْلَانَا أَنْ يُقَابِلَ إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ ،
وَجَهْلَهُ بِصَفْحٍ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ اللِّسَانُ ، بَلْ جَمِيعُ الْجُنَّانِ ؛ فَإِنْ كَانَ ذَنْبٌ مِنَ الْمَمْلُوكِ
هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ أَطْرَاحَهُ ، وَأَوْجَدَ أَسْفَهُ وَأَذْهَبَ أَفْرَاحَهُ ؛ وَكَانَ أَيْسَرَ مَا تَقَدَّمَهُ
مِنْ جَهْلِهِ وَإِسَاءَتِهِ ، فَحِلْمُكَ جَدِيرٌ أَنْ يُلْحِقَهُ بِإِخْوَتِهِ ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ تَزَايَدَ مِقْدَارُهُ ،
فَالْمَوْلَى قَدْ تَضَاعَفَ عَلَى الْعَفْوِ اقْتِدَارُهُ ؛ وَإِذَا كَبُرَتْ الْخَطِيئَةُ كَثُرَ أَجْرُ غُفْرَانِهَا ،
وَعَلَّتِ الْمَجَاوِزَةُ عَنْهَا عَلَى أَقْرَانِهَا ؛ وَعَلَى كَلَا الْأُمْرَيْنِ فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْمَمْلُوكُ الْمَغْفِرَةَ بِكُلِّ
طَرِيقٍ ، وَأَنْ يُقَابِلَ رَجَاؤَهُ بِالتَّحْقِيقِ ، وَأُمْلَهُ بِالتَّصَدِيقِ .



وله : وَيُنْهَى أَنَّهُ مَازَالَ يَشْلُو آيَاتِ مَحَاسِنِهِ وَحَمْدِهِ ، وَيَرْفَعُ رَايَاتِ إِحْسَانِهِ
وَعَجْدِهِ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ وَلَا يَتَوَلَّى عَنْ مَحَبَّتِهِ ، وَيُكْثِرُ الثَّنَاءَ عَلَى أَلْمَعَى فِطْطِهِ وَجَزِيلِ

مُرُوتِهِ ؛ وَقَدْ صَارَ يُشَاهِدُ مِنَ الْمَوْلَى مَلَالًا وَصُدُودًا ، وَإِعْرَاضًا يَنْيِظُ بِهِ صَدِيقًا
وَيُسِرُّ بِهِ حَسُودًا ؛ وَأَطْرَاحًا أَوْهَمَهُ أَنَّهُ أَلْفٌ وَصَلَّ دُرُجَتُ ، أَوْ لَفْظَةً هَجْرًا لَفِظَتْ ؛
وَلَا يَعْرِفُ لَهُ ذَنْبًا يُوجِبُ إِعَادَهُ ، وَلَا جُرْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ أَنْ يَنْقُضَ حَبْلَ وَصْلِهِ
وَيَرْفُضَ وِدَادَهُ ؛ وَلَا يَعْلَمُ سَبَبًا يُوجِبُ سَبَّهُ ، وَلَا شَيْئًا يُحْدِثُ عَتَبَهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ
أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْإِعْرَاضِ ، وَيَرْفُلَ مِنْ إِغْفَالِ مَوَدَّتِهِ فِي الثَّوْبِ الْفَضْفَاضِ ؛ فَإِنَّ
الْمَوْلَى أَلَمَهُ بِالْقَوْلِ مِرَارًا ، وَجَعَلَ سَحَابَةً حَيْفَهُ تَهْمِي عَلَيْهِ مِذْرَارًا ؛ وَهُوَ يَحْتَمِلُ
الْأَذَى ، وَيُعْضِي عَلَى الْقَذَى ؛ وَلَا يُظْهِرُ إِلَّا مَحَبَّةً ، وَلَا يُبْطِنُ لَهُ إِلَّا مَوَدَّةً ؛ فَإِنْ
شَاهَدَ الْمَوْلَى بَعْدَ إِعْرَاضِهِ إِعْرَاضًا فَلْيَلْمُ نَفْسَهُ ، أَوْ أَحْرِقْهُ لَهَبُ نَارِ الْخَفَاءِ فَلَا يَشْكُو
مَسَّهُ ؛ يُحِيطُ بِذَلِكَ عُلَمَاءُ ، وَرَأْيُهُ الْعَالَى .

شعر في العتاب :

مَوْلَايَ قَدْ طَالَ التَّبَاعُدُ بَيْنَنَا * أَوْ مَا سَمِيتَ قَطِيعَتِي وَمَلَائِي !
إِنْ لَمْ تَرَقَّ لِحَالَتِي يَا هَاجِرِي * مَوْلَايَ قُلْ لِي مَنْ يَرِقُّ لِحَالِي !

غيره :

يُبَاعِدُنِي عَنْ قُرْبِهِ وَلِقَائِهِ * فَلَمَّا أَذَابَ الْجِسْمَ مِنِّي تَعَطَّفَا

غيره :

إِنْ كَانَ هَجْرُنَا يَطِيبُ لَكُمْ * فَلَيْسَ لِلْوَصْلِ عِنْدَنَا تَمَنُّ

غيره :

سَمَّيْتُ فِي الْأَعْدَاءِ حِينَ هَجَرْتَنِي * وَالْمَوْتُ دُونَ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءُ !

غيره :

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَتَشْكُو الْهَوَى * لَوْ كُنْتَ صَبًّا لَمْ تَكُنْ نَائِمًا !

(١١)
ولبعضهم : سیدی بادانی بلطف من غیر خبره، وأعقبنی جفاً من غیر ذنب؛
فاطمعتی أؤلہ فی إخوانه، وآیسنی آخره من وفائه؛ فسبحان من لو شاء لكشف
بإيضاح المبهم عن غزیمۃ الرأی فیہ؛ والمملوك يقول :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ أَنْقَلَبَ * وَصَفُوْا وِدَادَكَ أَنِّي ذَهَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنِّي * أُرَاكَ بَعَيْنِ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ

أجوبة رقاع العتاب

قال في "مواد البيان" : حكم أجوبة هذه الرقاع حكم رقاع أجوبة الاعتذار
إلا أنها لا تخلو من الإجابة بالاعتاب أو الإصرار على العتاب . قال : ويجب
أن يسلك فيها المذهب المحيى عن رقاع الاعتذار .
زهر الآداب :

في جواب العتب على تأخر مكاتبة .

وعلم المملوك ما أشار به من العتب بسبب تأخر خدمه عن جنايه ، وما توهمه
من اشتغال المملوك بأهله وأصحابه ؛ وحاشاه أن يتوهم في المملوك غير الولاء ، والملازمة
على الحمد والثناء ؛ فهو لا يعتمد ذلك إلا تخفيفاً عن خاطره ، ووئوفاً بما يتحققه
المولى من خالص مودته في باطنه وظاهره ؛ حرسه الله ووفقه ، وفتح له باب السعادة
ولا أغلقه ، بمنه وكرمه .

زهر الربيع :

جواب عتاب :

زاد الله جنابه حنانا، وأسبغ عليه إنعاما وإحسانا، وخلد له على كلِّ عدوِّ سلطانا .
ولا زالت همته سماءَ لنا كبِّ الكواكب، وأياديه تُفيضُ على الأولياءِ غرائبَ
الرغائبِ ؛ ولا برحتْ سحابُ إنعامه هاميه، وقطوفُ إحسانه دائمةٌ دائيه ؛ وشرائعُ
مياه جوده تُجففُ جفونا من الفاقةِ دامية .

المملوك يحدّد خدمته، ويؤاثر لولوى أدعيته ؛ ويعترفُ بمننه التي أقرتْ بها ألسنةُ
جوارحه فلا يستطيعُ أن ينكرها ؛ ويعترفُ بيد تضرعه من بحار جوده التي تتعبُ
الوليَّ من سحابها إلى كلِّ وليٍّ وتقذِفُ له جواهرها .

وينهى ورود المكاتبه والعلم بمضمونها، والآخِثواء على سائر معاني فنونها ؛
وما أشار إليه من العتب الذي يرجو به بقاء الوداد، وأستصحب حال التواصل
من غير نقاد؛ والمملوك فلا ينكر ذنبه، ولا يتنصل ولا يتوصّل بل يعترفُ بجرمه وقلةِ
خدمه ؛ ويستمسك بالعروة الوثقى من إحسانه وحلمه، ويسأل مكارمه إجراءه
على عادته بالصّفح عنه ورسمه ؛ وهو يرجو أن أم هذه الحفوة لآئله أختا، وأنه
لا يعتمدُ إلّا ما يزيدُه إلى المولى مِقَّةً ويُرِيلُ مَقْتًا ؛ فإنَّ معاتبته مولانا قد وعثا أذنُ
واعيه، ومراضيه لا تخفى على المملوك بعد ذلك منها خافيه ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر : أسعد الله المجلسَ وعطف للأولياءِ قلبه، ونصر تائبه وأنفد كُتبه ؛
وأرّهف في نُصرة الإسلام سنانهُ وعَضْبهُ ؛ وألهم حبة قلب الزمان حبه ؛ وأقدره
على الحلم الزائد حتى يغفر به لكلِّ مُذنب ذنبه .

[وينهى] وُرودَ الكتابِ الذى أعدَّته يدُ مولانا فصارَ كَرِيماً ، وكستته عبارته ثوبَ برّاعته فأصبحَ منظرُه وَسِيماً ، وأستنشَقَ عَرَفَ نَسِيَمِهِ المَبَارِكِ فطابَ شَمِيماً ؛ وعلمَ المملوكُ منه شِدَّةَ عَتَبِهِ ، ومُرَّ التَّجَنِّيَ الذى ظَهَرَ من حُلُولِ لَفْظِهِ وَعَدْبِهِ ؛ ولم يَعْرِفْ لَعْتَبَهُ مُوجِباً ، ولا تَغْيِيرَ مَوَدَّتِهِ سَبَباً ؛ فإنه ما حادَ عن طَرِيقِ وَلَانِهِ ولا حالَ ، ولا زَلَّتْ قَدَمُهُ عنه ولا زالَ ؛ ولا مادَ عن مَنَهِجِ المَوَدَّةِ ولا مالَ ؛ وما قَتِيَ لِمَحَاسِنِهِ نَاشِراً ، ولا حَسَنَاتِهِ شَاكِراً ؛ فإن كان قد نُقِلَ عنه إلى مولانا شَيْءٌ أَرْجَحَهُ ، وأُخْرِجَهُ عن عادَةِ حِلْمِهِ وأُحْرَجَهُ ؛ فإن الوُشَاةَ قد آخَلَقُوا قَوْلَهُمْ ونَقَلَهُمْ ، وقَصَدُوا تَشْتِيتَ المُصَاحِبَةِ شَتَّ اللهُ شَمْلَهُمْ :

وقد نَقَلُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفْهَيْهِ * وما أَفْهَى الأَخْبَارِ إِلَّا رُؤَاتُهَا !

آخر: وردت المشرفة العالية أعلى الله نَجْمَ مَرْسِلِهَا ؛ وأسبغَ أيادِيه وشكرَ جِسِيمَ تَفْضِيلِهَا ؛ فابتهجتِ الأنفُسُ بِحُلُولِهَا وحُلَّ جَمَالِهَا ، وعُومِلَتْ بما يَجِبُ من إِكْرَامِهَا وإِجْلَالِهَا ، وفُضِّ خِتَامُهَا ففاحَ منها أَرْجُ العَبِيرِ والعَنْبَرِ ، وتَلَيَّتْ أَلْفَاظُهَا التى هى أبهى من الرِّياضِ وأحلى من السُّكَّرِ ؛ فأغنتْ كُثُوسُ فَصَاحَتِهَا عن المَدَامِ ، وأزال ماؤها الزَّلَالُ الباردَ حرَّ الأَوَامِ ؛ وأعربَ مُنْشِئُهَا عَمَّا فى ضميره من العَتَبِ ، والضيقِ الذى حَصَلَ فى ذلك الصِّدْرِ الرَّحْبِ ؛ وهو يُقَسِّمُ بِنِعْمَتِهِ ، وبصَادِقِ مَحَبَّتِهِ ؛ أنه لم يَبْدُ منه ما يُوجِبُ عليه عَتَباً ، ولا أَنْتَى عن الشَّاءِ على [مَحَاسِنِهِ] ^(١) التى شَغَفَتْهُ حُبّاً ؛ فإن كان المولى قد تَوَهَّمَ شَيْئاً أُحْرَجَهُ وأَقْلَقَهُ ، وإلى أَلِيمِ العَتَبِ شَوْقَهُ ؛ فليزِلْ ذلك الوَهْمَ من خاطِرِهِ ، وليَثِقْ بما تحقَّقَ من مُوالاتِهِ فى باطنِهِ وظاهرِهِ ؛ ورأيه العالى .

آخر: أعز الله عزَماته، وشكر جسيم نفضلاته .

ولا زالت نعمته باقيه، وقدمه إلى درج المعالي راقيه؛ وهيمته إلى السمو على الكواكب ساميه، وسماء جوده على العفاة هاميه؛ وعزمته لتغور الإسلام حاميه، عبء نعمه، وغرس كرمه، يعلمه بصدق وده، والمداومة على شكره وحمده؛ وأنه وقف على مشرفه وفهمه، وشاهد منه عبته وعلمه؛ وهو لا يشكو من المولى جفاء ولا يعيب، و[عن] طريق المصافاة والمخالصة فلا يغيب؛ بل يقول :

أنت البريء من الإساءة كلها * ولك الرضا وأنا المسيء المذنب

والمرجو من لطافة أخلاقه، وطهارة أعراقه، أن يصفح عن زلته، ويعفو عن ذنبه وإساءته :

فأنت الذي تُرجى لتخفيف زلتي * وتحقيق آمالي ونيل ماري!

وقربك مقصودي وبابك كعبي * وروياك ياسؤلي أعز مطالبي!

قلت : وكتبت إلى المولى شهاب الدين الدنيسري وقد بلغني عنه مساعدة بعض الجهال على في بعض الأمور :

عهدت شهاب الفضل يرمي سهمه * شياطين جهل أن تُداني جنابه!

فأ بال مولانا على فرط فضله * يعرف شيطان الجهالة بابه؟

النوع الرابع عشر (العيادةُ والسؤال عن حال المريض)

رُقعة عيادة :

وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مِنْ أَلَمِ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَحَرَسَ حَوْبَاءَهُ -
مَا أَهْمَى مَدَامِعَهُ ، وَأَنْجَى أَضَالِعَهُ ؛ وَمَزَقَ جِلْدَهُ ، وَحَرَّقَ خَلْدَهُ ؛ وَأَطَارَ الْوَسْنَ عَنْ
عَيْنِهِ ، وَنَقَّرَ الْهُدُوءَ عَنْ مَضْجَعِهِ ؛ حَتَّى تَدَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَتَابِهِ النَّاطِقِ بِإِفْلَاحِ الْمُلِمِّ ،
الْمُغْرَبِ عَنْ دِفَاعِ الْمُهِمِّ ؛ فَرَقًا مِنْ دُمُوعِي مَا آرَفَضَ ، وَجَبَرَ مِنْ ضُلُوعِ الْمَمْلُوكِ
مَا آرَضَ ؛ وَالتَّامِ مِنْ جِلْدِهِ مَا نَقَطَرَ ، وَبَرَدَ مِنْ خَلْدِهِ مَا تَوَقَّدَ ؛ وَجَمَّ مَاطَارَ مِنْ وَسْنِهِ
وَأَسَّسَ مِنَ الْهُدُوءِ مَا نَفَرَ عَنْهُ ، وَالتَّامَّتِ الْآمَالُ بَعْدَ انْتِلَامِهَا ، وَبَرَزَتْ ثِمَارُ الْأُمَانِيَّ
مِنْ أَكْلَامِهَا ؛ وَطَلَعَ مِنَ الرَّجَاءِ آفَلُهُ ، وَرَوَى مِنَ الشَّرُورِ مَاحِلُهُ ؛ وَتَجَدَّدَ مِنَ السُّودَدِ
طَامِسُهُ ، وَصَحَّكَ مِنَ الزَّمَانِ عَاسِسُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُغْضُ طَرْفَ الْحَدَثَانِ ، عَنْ مُهْجَتِهِ ،
وَيَصْرِفُ صُرُوفَ الزَّمَانِ ، عَنْ سَاحَتِهِ ؛ وَيَهْنِيهِ بِمَا أَعَادَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِبْلَالِ ، وَيُمْلِكُهُ
بِمَا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِقْلَالِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رُقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَا خَامَرَهُ مِنْ قَلَقٍ وَجَرَعٍ ، وَفَرَقٍ وَهَلَعٍ ، بِسَبَبِ مَا بَلَغَهُ مِنْ
شَكْوَى مَوْلَانَا لَا تَحْضُرُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تُسْطِرُّهُ الْأَقْلَامُ ؛ وَلَوْلَا نِقَةُ الْمَمْلُوكِ بِاللَّهِ تَعَالَى
لَوَهَتْ عُقْدَ صَبْرِهِ ، وَلَا تَخْلَعُ فُؤَادَهُ مِنْ صَدْرِهِ ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْأَلَمَ
لَوْ نُقِلَ إِلَى الْمَمْلُوكِ لَمَا ثَقُلَ عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَسْتَنْقِلُ مَا يَحْفَفُ عَنْ مَوْلَانَا وَصَبَهُ
وَيُحْسِمُهُ ، وَيُعْكَفُ لَهُ سِلْكَ الشِّفَاءِ وَيَنْظُمُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ فِي أَمَانٍ مِنْ
كَفَايَتِهِ ، وَضَمَانٍ مِنْ حَيَاطَتِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في الاصل "توفر" بالقاء والراء وهو لا يناسب المعنى .

أجوبة كُتِبَ الشِّفَاعَاتِ وَالْعَنَايَاتِ^(١)

قال في "موادّ البيان" : هذه الكُتُبُ إذا أُجِيبَ الملتَمِسُ إلى حاجته فينبغي أن تُبْنَى أجوبتها على شُكْرٍ مَقْصِدِ الشَّافِعِ ، والإِدْلَالِ وَالْأَسْتِرْسَالِ وإِنَالَةِ المشفوع له وَطَرِهِ إيجاباً لحَقِّ الشَّافِعِ ؛ وإن وقع الامتناعُ والتوقفُ عن الإجابة إلى الملتَمِسِ ؛ فالواجب أن تُبْنَى على إقامة العُدْر لا غير .

زهر الربيع :

جوابُ شفاعَةٍ في حقِّ كاتب :

جَدَّدَ اللهُ [له] السَّعَادَةَ وَخَلَّدَهَا ، وَأَصَارَهَا لَهُ شِعَارًا وَأَبْدَهَا ؛ وَوَطَّدَ بِهِ الْمَالِكَ وَمَهَّدَهَا ؛ وَعَضَّدَ بِهِ طَائِفَةَ الْإِسْلَامِ وَأَيَّدَهَا ؛ وَشَكَرَ لَهُ صَنَائِعَ يَعُدُّ مِنْهَا وَلِيٌّ وَلَا كُلٌّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْدَّهَا .

المملوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الشَّرِيفَةَ أَدَاءً لِلْفَرْضِ الْإِلَازِمِ ، وَشُكْرًا لِمَا أَوْلَتْهُ مِنَ الْإِيَادِي وَالْمَكَارِمِ ؛ وَحَمْدًا لِأَلْطَافِهِ الَّتِي أَطْمَعْتُهُ بِالتَّمْيِيزِ فَاصْبَحَ بَرْقِعُ قَدْرِهِ كَالْجَازِمِ .

وَيَنْهَى وَرُودَ الْمَشْرِفِ الَّذِي تَزَهُ نَظَرُهُ ، وَجَبَرَ قَلْبَهُ بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ وَخَاطِرِهِ ؛ وَالْعَلَمَ بِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَشَفَعَ إِلَى الْمَمْلُوكِ بِسَبَبِهِ ؛ وَهُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ رَكَّنَ إِلَى مَا شَكَرَهُ بِهِ الْمَوْلَى وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَاعْتَقَدَ يُمْنُ^(٢) إِغَارَةَ الشَّافِعِ فَعَقَّدَ عَلَى الْمَشْفُوعِ فِيهِ خَنْصَرَهُ ، وَتَقَدَّمَ بِتَرْبِيئِهِ فِي دِيْوَانِ إِنْشَائِهِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ خَوَاصِّهِ وَخُلَصَائِهِ ؛ وَفَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ اتِّبَاعًا لِإِسَارَتِهِ ، وَقَبُولًا لَشَفَاعَتِهِ ؛ فَالْمَوْلَى يُوَاصِلُ بِمِرَاسِمِهِ وَأَمْثَلَتِهِ ، فَإِنَّهَا تَرِدُ عَلَى مُرْتَسِمٍ مِمْتَلٍ .

(١) حق هذه الأجوبة أن تكون تابعة للنوع الرابع فهي مؤخره من تقديم فتنبه .

(٢) لعله إشارة الشافع .

ومنه : جواب شفاعة في استخدام جُنْدَى :

ضاعفَ الله تعالى نِعَمَهُ ، وأَرْهَفَ في نُصْرَةِ الإسلامِ سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ ولا بَرَحَتْ أُنْسَةُ الْأَنَامِ نَاطِقَةً بَوْلَانِهِ ، وَأَيْدَى ذَوِي الرِّجَاءِ مَمْلُوءَةً من فَوَاضِلِ نِعَمَائِهِ .

المملوكُ يُوَاصِلُ بِأَدْعِيَتِهِ الصَّالِحَةَ ، وَيَسْتَنْشِقُ رُوحَانِيَّ رِيحَكُمُ فَيَسْكُنُ مِنْهُ بَلَدِيذَ تِلْكَ الرَّائِحَةِ ؛ وَيَشْكُرُ لَهُ مَا مَنَحَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ ، وَيَبَاهِي بِعِزَمَاتِهِ اللَّيُوثَ الضَّرَاعِمَ ؛ فلا يَجِدُ مُضَاهِيًا لَتِلْكَ الْعِزَامِ .

ويُنْهِى وَرُودَ الْمِثَالِ الَّذِي أَشْرَقَتْ الْوُجُوهُ بِنُورِهِ ، وَأَبْتَهَجَتْ الْأَنْفُسُ بِبِلَاغَةِ مُنْشِيهِ وَوَشْيِ سَطْوَرِهِ ، وَعَلِمَ إِشَارَةَ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانٍ : أَدَامَ اللَّهُ سَعْدَهُ ، وَأَعْدَبَ مَنَّهُلَهُ وَوَرَدَهُ ، وَالتَّوَصَّيَةَ بِأَمْرِهِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنْ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ، وَأَنْ يُقْطَعَ إِقْطَاعًا يَلِيْقُ بِأَمثَالِهِ ، وَيَتَقَيَّأُ مِنْ نَحْرَاجِهَا ضَافِي ظِلَالِهِ ، وَغِنْدُ مَثُولِ مِثَالِهِ الْعَالِي أَمْتِثَلُ وَالْتِمِمْ ، وَاسْتَعْدَمَ الْمَشَارَإِلِيهِ لِإِشَارَتِهِ وَخَدَمَ ، وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِهِ ، وَتَعْظِيمِ كِتَابِهِ وَتَجْيِيلِ قَدْرِهِ ، فَيُوَاصِلُ بِمَرَامِهِ فَإِنَّهَا تُقَابِلُ بِالْإِرْتِسَامِ ، وَمَشْرِفَاتِهِ فَإِنَّهَا تُعَامَلُ بِوَأَفْرِ الْإِكْرَامِ .

جوابُ شفاعة في الجملة :

قُلْ مَا تَنْشَأُ فَإِنِّي لَكَ طَائِعٌ * مَا أَنْتَ عِنْدِي شَافِعٌ بَلْ أَمْرُ !

جعله الله لكل خير سبباً ، وَحَقَّقْ بِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ظُنُونًا وَحَصَلَ أَرْبَاباً ؛ وَوَفَّرْ لَهُ مِنْ أَلْبَرِ شَفَاعَتِهِ الْحَسَنَةِ نَصِيْبًا ، وَأَدَامَهُ عَنْ كُلِّ شَرٍّ بَعِيدًا وَإِلَى كُلِّ خَيْرٍ قَرِيبًا .

المملوكُ يَنْهَى نَأْلَهُ لِإِفْرَاقِهِ ، وَمَا يَجِدُهُ مِنْ صَبَابَتِهِ وَشِدَّةِ أَشْوَاقِهِ ؛ وَيُعَانِيهِ مِنْ جَنْبِنِهِ وَأَتَوَاقِهِ ، وَأَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَاسْتَلَمَهُ وَلَتَمَّهُ ، وَبِجَلِّهِ وَعَظَمَتِهِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ

إليه ، وأخذَ أمرَ المشفوع فيه بكلتا يديه ، وجعل قضاءَ أَرِيهِ أمراً لازماً ، وما قَيَّ على ساقِ الاجتهادِ قائماً ، إلى أنْ حصلَ غرضه ، وأدى من حُسن القيام بأمره ما أوجبَه مُشرفُه العالى وأقرضَه ، والمولى أمرٌ غيرُ شَفِيع ، ومهما وردَ من جهته على المملوك فواردٌ على سَمِيعِ مُطِيع ؛ فيواصل من مراسمه بما سَنَح ، ومن أخباره بما تَأرج طِيبُ عَرفه ونَفَح ؛ ورأيه في ذلك العالى .

آخر : شكرَ الله عَوَافِها ، وتَالَدَ جُودَها وطَافِها ، ووافَ ظَلالَها ووَافِها ؛ وينهى ثَناءَه على مَعَالِيه ، وملازمته ومُداومته على بَثِّ محاسنه ونَثِّ أَيْاديهِ ؛ وحمِدِ عَوَاقِبَ إحسانه ومَبَادِيهِ ، وشِدَّةَ أشواقه إلى جَنَابِهِ ، ولذِيذِ مشاهدته وخطابِهِ ؛ وما يُعَانِيهِ من غَرامٍ لازمه مُلازمةَ الغَريمِ ، وداءِ صِبابَةٍ يُضَاعِفُ شَوْقَه إلى رؤية وجهه الوَسِيمِ ؛ ومُداومته على التَعَوُّضِ بِشُكْرِ محاسنِهِ عن المَدَامَةِ والنَّدِيمِ ؛ ونَظَمِ جواهرِ مَدَحِهِ لِجِدِّ جُودِهِ ، وحمِدِ المولى على ذلك التَنظِيمِ ؛ وأنه ورد عليه مُشرفُه العالى فقبَلَه ، ودعا لِمُرْسَلِهِ دُعَاءَ يَرْجُو من الله تعالى أنْ يَسْتَجِيبَهُ وَيَتَقَبَّلَهُ ؛ وحصلَ له بوصولِهِ آتِهاجٌ عَظِيمٌ ، وقال لمن حضرُ وُروَدِهِ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ وفَهِمَ مضمُونَهُ وَخَوَاهُ ، وعلمَ معناه وما أظهره فيه وأبداه : من الوصية بفلان وما يُؤثره من تَسْهِيلِ مَطَالِبِهِ ، وتيسيرِ مَآرِيهِ ؛ ووصلَ المشارُ إليه وحصلَ الأُنْسُ بِرُؤْيَتِهِ ، وتمتَّعتِ البَوَاطِرُ والمَسَامِيعُ بِمَشَاهِدَتِهِ ومَشَافَهَتِهِ ؛ وقام المملوكُ في أمره قِيامًا تامًا ، وجعلَ عَيْنَ اجتهاده في مصلحته مَتَبَقَّةً لا تَعْرِفُ مَنَامًا ؛ وشَمَّرَ عن سَاقِ الاجتهادِ ، في تحصيلِ المَرَامِ والمُرادِ ، إلى أنْ حصلَ له الفَوْزُ بِبَيْلِ أَمَلِهِ ، وعاد رَاتِعًا من العَيْشِ في أخْضَرِهِ وأخْضَلَهُ ؛ رافلاً من الشُّرُورِ في أَيْمَى حُلَلِهِ ، فيُحِيطُ علْمُهُ بِذلك ، والله تعالى يعضدُ به الدُّوَلُ والمَمَالِكُ ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر: جعله الله مفتاحاً لكلِّ بابٍ مُرتجٍّ، وصَدَّقَ به [أَمَل] كلُّ أَمَلٍ وحَقَّقَ رجاءَ كلِّ مُرتجٍّ، ولا زالت سحائبُ جُودِهِ هاميةً بالوسْميِّ والوَلِيِّ، ماطرَةً بوبلها وطلَّها على الوَلِيِّ.

المملوكُ يُخْدَمُ بتحيَّةِ أرقٍّ من النسيم، وسلايمٍ أطيبَ عَرَفًا من بَانِ النَّقَا إذا تَحَمَّلت عَرَفَهُ رِيحُ الصَّريم.

وينهى إلى علمه الكريم ورُودَ مشرقه وأنه أحاطَ بمضمونها علماً، وشاهدَ منها في حال طيِّها مكارِمَ أصارت تفضيله على حاتم الطائي حتماً؛ ووقفَ منها على دُرِّ لفظ قذِّفه بحر خاطره ثراً ونظماً؛ وبراعةٍ عبارةٍ زادت قلبَ مواليه غراماً وأنفَ مُناويه رَعَمًا؛ وفصاحةٍ عرَّفته قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحُكْمًا»^(٢) وفيهم عنايته بفلان نفع الله بعلمه وعمَّله، وقربَ له من الخير مالا يُطِمِّعُه به بعيدَ أمله؛ وإشارته بسبب التنبيه والإرشادِ على جُلِّ فضائله، ومفصلٍ مناقبه المشهورة في البلاد، وإيضاحٍ كفايته في وجيز تلك الفصول الصَّحاحِ الإسناد، فحالُ قدومِ المذكور وحلوله، وورودِ مشرقه ووُصوله؛ أنهى المملوكُ أمره إلى غُخْدومه، وطالع به شريفَ علومه؛ ولا زال يُحسِّنُ سعيه، ويعتمدُ على مشيئة الله ولا يتركُ خِصمه ومُشييه؛ إلى أن حَقَّقَ قصده بقضاء شُغله، وقربَ له أمدَ أمله، وكتبَ توقيعه ولم يرد الله تعويقه، ونَجَعَ طعمُ قصده وأنجَحَ الله طريقه؛ وقد عاد مصحُوباً بالسَّلامه، معروفاً بتحصيل هذا القصد بأنه (طَّلَاعُ الثَّنَايَا) من غيرِ وضعِ العِلماء، حسبَ إشارةِ المولى وأمره، والله تعالى يُمِدُّه بصونه ونصره.

(١) الولي المطر الذي يأتي بعد الوسمي ووقع في الأصول "الوبلي" وهو تحريف واضح.

(٢) هو بضم الحاء وسكون الكاف العلم والفقہ أى إن في الشعر كلاماً نافعا يمنع من الجهل والسفه.....
ويروى إن من الشعر لحكمة وهو بمعنى الحكم. انظر اللسان ج ١٥ ص ٣٠.

آخر : في استخلاص حق .

شَكَرَ اللهُ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ، وَحَصَّلَ بِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ مَرَامَهُ ، وَحَدَّ تَطَوُّلَهُ وَتَفَضُّلَهُ ،
وَأَنَالَ بِهِ لِكُلِّ أَمِيلٍ أَمَلَهُ ، وَخَلَّدَ دَوْلَتَهُ ، وَأَدَامَ نِعْمَتَهُ ، وَأَنفَذَ كَلِمَتَهُ ؛ وَلَا زَالَ فَضْلُهُ
كَامِلًا ، وَإِحْسَانُهُ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ وَاصِلًا ؛ وَنَوَّالُهُ لِبَنِي الْآمَالِ شَامِلًا .

الْمَمْلُوكُ يَخْدُمُ بَدْعَاءَ أَحْسَنَ مِنْ نَوْرِ الرَّبِّ ، وَثَنَاءِ أَلْطَفَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا ؛ وَسَلَامٍ
أَطْيَبَ بِمُرُورِهِ مِنْ تَذَكُّرِ أَيَّامِ الصَّبَا .

وَيَنْهَى وَرُودَ الْكَتَابِ الَّذِي طَابَ بِالْمَوْلَى مَحْتَدُهُ وَنِجَارُهُ ، وَزَادَ عَلَى كِتَابِ الْكُتُبِ
نِجَارُهُ ، وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقُوفَ مُشْتَاكِ إِلَى مُرْسِلِهِ ، شَاكِرٍ أَنْعَمَ فَضْلِهِ وَجَسِيمٍ
تَفَضُّلِهِ ؛ فَاسْكُرْتُهُ تِلْكَ الْفَصَاحَةَ بِشَدَاها الْأَرَجَ ، وَتَزَهَّتْ لِحْظُهُ فِي دُرْلَفِظِهَا الْبَهَجَ ؛
فَظَنَّا لَمَّا اسْتَنْشَقَ رَائِحَتَهَا رَاحًا قَرَفَقًا ، وَلَمَّا أَهْبَجَهُ لَفْظُهَا بِالْفَاظِ تُرْهِى عَلَى الرِّيَاضِ
رَوْضَةً أَنْفًا ؛ وَعَلِمَ الْإِشَارَةَ الْكَرِيمَةَ فِي مَعْنَى 'فُلَانٍ' وَالْوَصِيَّةَ بِخِدْمَتِهِ ، وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ
مُسَاعَدَتِهِ وَمُسَاعَفَتِهِ ؛ وَعِنْدَ وُصُولِ مُشْرِفِ الْمَوْلَى وَقَبْلَ وَضْعِهِ مِنْ يَدِهِ ، نَوَى
الْمَمْلُوكُ مُسَاعَدَةَ الْمَذْكُورِ عَلَى مَقْصَدِهِ ، فَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِ غَرِيمِهِ فَوَجَدَهُ عَنِ الْبَلَدِ
غَائِبًا ، فَانْتَظَرَهُ إِلَى أَنْ عَادَ آتِيًا ؛ فَعِنْدَ وَصُولِهِ طَلَبَهُ وَأَحْضَرَهُ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَدَّعِيهِ
عَلَيْهِ خَصْمُهُ فَأَنكَرَهُ ؛ وَطَلَبَ الْحُضُورَ إِلَى الْقَاضِي ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَوْهَمَ أَنَّهُ
الْمُتَقَاضِي ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمَمْلُوكُ أَنَّ حُجَّةَ الْمَشْفُوعِ فِيهِ لَا تُقُومُ بِصَدَقِ دَعْوَاهِ وَحُجَجِ ،
وَلَا يَظْهَرُ بِهَا عَلَى غَرِيمِهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ حَرَجٍ ؛ بَدَّلَ فِي مُصَالِحَتِهَا جُهْدَ الْإِجْتِهَادِ ،
وَمَا زَالَ يُرْشِدُهَا إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ ؛ وَيُدْهِمُهَا عَلَى سَبِيلِ السَّدَادِ ، وَيَعْرِفُهَا أَنَّ
التَّضَارُّرَ ضَيْرٌ ، وَأَنَّ الصُّلْحَ خَيْرٌ ؛ فَكُلَّ مِنْهُمَا يَهَيِّمُ فِي وَادٍ ، وَيَسْلُقُ خَصْمَهُ بِالْسِّنَةِ
حَدَادٍ ؛ إِلَى أَنْ تَرَاضِيَا وَتَوَافَقَا ، وَسَلَكَا طَرِيقَ الرِّفْقِ وَتَرَافَقَا ؛ وَصَدَّقَ الْخَصْمُ

خَصَمَهُ فَصَادَقَا ، وَأَنْفَصَلَا وَكُلٌّ مِنْهُمَا قَدْ أَرْضَى خِيَدَهُ ، وَعَنِ الْحَاكِمَةِ وَالْمَحَاقِقَةِ
أَغْضَى جَفْنَهُ .

آخِر : أَيْدِ اللَّهُ سَعْدَ الْمَوْلَى وَأَبْدَهُ ، وَأَثَلْ مَجْدَهُ وَمَجْدَهُ ، وَأَعَانَهُ عَلَى إِسْدَاءِ
الْعَوَارِفِ وَعَصَدَهُ ، وَأَمَدَّهُ مِنَ الْمَسَرَّاتِ بِمَا يُزِيلُ عَنْ الْأَيَّامِ أْبْدَهُ ، وَأَنَالَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُ
الْأَنَامُ أَمَدَهُ ؛ وَلَا زَالُ بُرْدُ جَدِّهِ مِنَ السَّعَادَةِ جَدِيدًا ، وَنَجْمُ عُدُوهِ أَفْلًا وَنَجْمُهُ سَعِيدًا .
الَّذِي يُحِيطُ بِهِ عِلْمُهُ الْكَرِيمُ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ فَسَرَى هَمُّ الْأَنْفُسِ وَسَرَّهَا ، وَضَاعَفَ
بِمَا ضَاعَ مِنْ نَشْرِهِ بِسَرَّهَا ؛ وَفَاحَ مِنْهُ شَدًّا عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتِ الْقُبُولُ ،
وَرَجَّحَ الْأَوْلِيَاءُ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتْ رِيحُ الشَّمَالِ وَأُدِيرَتِ الرَّاحُ الشُّمُولُ ؛ وَأَنَّ الْمَمْلُوكَ
وَقَفَ مِنْهُ عَلَى أَلْفَاظِ سَقْتِهِ كُثُوسَ سُورٍ لَا كُثُوسَ مُدَامَ ، وَرَوَتْ لَهُ أَخْبَارَ حِلْمٍ
لَوْ أُسْنِدَتْ إِلَى سِوَاهُ لَتَوَهَّمَتْ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ ؛ وَرَوَتْ أَوْ كَادًا أَصْرَبَهَا لَعَيْنَتِهِ حُرٌّ
ظَلَمًا وَأَوَامَ ؛ وَبَيَّنَتْ سِحْرَ الْبَيَّانِ ، وَأَعْرَبَتْ بِلِسَانِ حُسْنِهَا عَمَّا لَمُنْشِيهَا بِلِ مَوْشِيهَا مِنْ
الْإِحْسَانِ ، وَأَعْرَبَتْ فِي الْفَصَاحَةِ نَحْلُنَا كُلَّ كَلِمَةٍ تَنْطِقُ عَنْ سَحْبَانِ بِلِسَانٍ ؛ وَزَهَتْ
بِيَانِجِ ثِمَارِ فَضْلِهَا فَتَزَهَتْ كُلُّ عَيْنٍ فِي بُسْتَانٍ ؛ وَعِلْمُ إِشَارَةِ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى 'فَلَانِ' ،
وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي حَقِّهِ ، وَالْإِيشَارِ لِصِلَةِ رِزْقِهِ ؛ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَزْلَامِ ؛ وَالَّذِينَ
تَجِبُ مَعَامَلَتُهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ التَّامِّ ؛ وَعِنْدَ مَا شَاهَدَ الْمَمْلُوكُ كِتَابَ مِنْ شَرَفِهِ ،
وَسَمِعَ أَلْفَاظَهُ الَّتِي بَلُطْنُهَا أَتَحَفُّهُ ؛ بَلِ يَرْدَأُهَا عَلَى الْبَرْدِ أَحْلَفَهُ ، تَقَدَّمَ بِإِجَابَةِ سُؤَالِهِ ،
وَتَرْتِيبِهِ فِي جِهَةٍ تَلِيْقُ بِأَمَثَالِهِ ؛ وَقَصَصَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ قِيَصًا لَا يَبْلَى ، وَجَمَعَ لِحَاطِرِهِ وَالِدَّةَ
شَمْلًا ؛ وَهَذَا حَسَبَ إِشَارَةِ الْمَوْلَى الَّتِي لَا تُخَالَفُ ، وَأَمْرِهِ الَّتِي يَقِفُ كُلُّ أَحَدٍ عِنْدَهُ
وَلَا يَسْتَوْقِفُ وَلَا يُوَاقِفُ .^(٢)

(١) أَيْ غَضَبُهُ فَهُوَ مُصَدَّرٌ أَبْدَ عَلَيْهِ كَفَرَجَ إِذَا غَضِبَ .

(٢) هَذَا آخِرُ مَاحِقِهِ التَّقْدِيمِ بَعْدَ النَّوعِ الرَّابِعِ وَقَبْلَ الْخَامِسِ فَتَنْبَهُ .

كتاب إلى مريض بالسؤال عنه من كلام المتأخرين :

حاشي مَرَجَكَ مِنْ أَدَى * وَكَرِيمَ جِسْمِكَ مِنْ وَصَبِ !
يَا غَايَةَ الْمَأْمُولِ وَالْمَرْجُوءِ كُلِّ الطَّلَبِ !
مُدْ غَبَتَ عَنِّي لَمْ أَزَلْ * مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ فِي نَصَبِ !
جَفَنِي غَرِيقٌ بِالْذُّمِّ * عِ وَماءُ صَبْرِي قَدْ نَصَبِ !
وَاللهِ مَالِي فِي الْبَقَا * وَأَنْتَ نَاءٍ مِنْ أَرْبِ !
فَتُرَى ^(١) أُبَشِّرُ سَيِّدِي * أَنَّ الْلِقَاءَ قَدْ أَقْتَرَبِ !

حَرَسَ اللهُ مِرَاجَ الْمُؤَلَّى ! وَأَصَارَ الْعَافِيَةَ لَهُ شِعَارًا ؛ وَالصَّحَّةَ لَهُ دِنَارًا ؛ وَلَا زَالَتْ
سَاكِنَةً فِي جَوَانِحِهِ ، مَقِيمَةً حَشَوَ أَعْضَائِهِ الْمُبَارَكَةِ وَجَوَارِحِهِ .

أَصْدَرَهَا الْمَمْلُوكُ تُعْرِبُ عَنْ شَوْقٍ يَكُلُّ عَنْ وَصْفِهِ اللِّسَانُ ، وَتَوْقٍ لَا يُحْسِنُ وَصْفَهُ
الْبَنَانُ ؛ وَلَا يَجِيعُ عَنْ حُلِّ بَعْضِهِ الْحَنَانُ ، مَلْتَمِسًا الْمَوَاصِلَةَ بِأَخْبَارِهِ ، وَوَاصِفًا
مَا يَجِدُهُ الْقَلْبُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ وَنَارِهِ ؛ وَشَاكِيًا مِنْ جَوْرِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ ، وَرَاجِيًا أَنْ يُبَشِّرَ
بِالْإِبْلَالِ مِنْ مَرَضِهِ وَالْإِفْرَاقِ ؛ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِتَعْجِيلِ أَيَّامِ التَّلَاقِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ
رُمْتُ أَنْ أُشْرَحَ كُلُّ مَا أَجِدُهُ مِنَ الصَّبَابَةِ لِأَسَامَتُ وَأُسَهَّبْتُ ، بَلْ لَوْ ذَكَّرْتُ مَا أَعَانِيهِ
لَأَلِمَهُ لَثَقْتُ عَلَى خَاطِرِهِ وَشَوَّشْتُ ، لَكِنْ خَاطِرُ الْمُؤَلَّى شَاهِدٌ بِوُجُودِي ، وَعَارِفٌ
بِمَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْكَاتِبَةِ الَّتِي لَمْ يَحْمِلْهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا تُحْمَلُ بَعْدِي ؛ فَيُوَاصِلُ بِأَخْبَارِهِ ،
وَاللهُ يَحْرُسُهُ آتَاءَ لَيْلِهِ وَأَطْرَافِ نَهَارِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

(١) مراده فتى أبشر . ولعله تصحيف من الكاتب .

(٢) نقل هذا الفعل الفارابي وتبعه الجوهرى وأستعمله كاتب هذه الرسالة وأنكره بعض الخذاق وقال
الصواب هو شئت .

في معناه :

يَا مَنْ شَكَ فَشَكَ فُؤَادِي حُرْفَةً * لَا تَتَطَنِّي وَصَابَةً لَا تَبْرَحُ !
وَعَدَا سَقِيمَ الْحَسَمِ يَوْمًا وَاحِدًا * فَتَرَحْتُ دَمْعًا لِلدَّمَاعِ يَجْرَحُ !
وَأَزْدَادَ شَوْقِي نَحْوَ طَلْعَتِهِ الَّتِي * أَبَدًا يُؤْمِنُ بِهَا هُهَا أَسْتَجِجُ !
لَا زِلْتُ فِي عِزٍّ وَسَعْدٍ دَائِمٍ * أَيَّامُنَا بِيَقَائِهِ نَتَّبَجِّحُ !
وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُؤَيَّدًا * تُنْمِسِي قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيهِ وَتُصْبِحُ !

كَلَّمَ اللَّهُ عَافِيَةَ الْمَوْتَى وَحَرَسَهُ ، وَلَا سَلَبَهُ ثَوْبَ الصِّحَّةِ بَلْ قَمَّصَهُ إِيَّاهُ وَالْبَسَهُ ؛
وَأَخْدَمَهُ الْإِيَّامُ فَلَا تَسْتَطِيعُ مُخَالَفَةَ أَمْرِهِ وَلَا الْخُرُوجَ عَنْ حُكْمِهِ ، وَرَزَقَهُ أَنْ يَمْلِكَ
الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا وَهَذَا يَحْصُلُ بِعَافِيَةِ جِسْمِهِ .

الْمَلُوكُ يَنْهَى أَنَّهُ أَتَّصَلَ بِهِ تَأَلُّهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَوَصَلَ مِنْ الْقَلَقِ إِلَى حَدٍّ
لَمْ يَصِلِ الْمَوْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَيْهِ ؛ وَابْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ فِي مُعَافَاةِ جَسَدِهِ ، وَأَنْ يُعْضِدَهُ بِنِقَاءِ
وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ؛ وَيُضَاعَفُ تَسْهِيلَ مَآرِيهِ وَمَقَاصِدِهِ ، وَيَرْفَعُ كَلِمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ عَلَى رَغْمِ
مَعْطَسِ شَانِيهِ الْأَبْتَرِ وَحَاسِدِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

جواب^(١) إلى من قَنَطَرَهُ فَرُسُهُ :

ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَ مَجْدِهِ ، وَبَلَّغَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُهُ الْآمَالُ لِبُعْدِهِ ؛ وَأَهْمَى عَلَى مَحَبَّتِهِ
سَحَابَ جُودِهِ وَرَفَدَهُ .

(١) جارى في هذا الفعل اللغة العامية والصواب قطره قال الشاعر :

قد علت سلى وجاراتها * ما قطر الفارس الا أنا

أنظر اللسان ج ٦ ص ٤١٨ .

المملوك يُخدم بتجئة أرق من النسيم ، ويشكر مواهبه التي مازالت تحنو عليه حنو
المرضعات على الفطيم .

ويُنهى ورود الخبر بأنه بكاه جواده عند مازلت قوائمه ، وأثقلته فضائل المولى
ومكارمه ؛ فأنزع لذلك وتألّم ، وكاد قلبه لولا المبشر بسلامته أن يتكلم ؛ وجواد
المولى لاسيّل إلى ذمه ، فإنه أشمخ جواد ، ولا آتمّاه بالعجز ، فإنه عرّف بإتهام
وإنجاد :

لِكنّه نظّر الأفلاك ساجدة * إلى علاك فلم تثبت قوائمه !

والمولى أولى من قابل عذر طرفه بطرف القبول ، وأعتمد عليه دون سائر
الخيول : فإنّ المولى ولله الحمد في صحة دائمه ، وسلامة ملازمه ؛ وهذا هو القصد
والمُراد ، والاستبشار الذي تفتّره ثغور الثغور وتعمّره البلاد ؛ جعله الله في سعي ماله
فراع ولا نقاد ، ورزقه مادعا به العادُ الفاضل والفاضلُ العاد ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة كُتب العيادة

قال في ”موادّ البيان“ : يجب أن تبنى هذه الأجوبة على وُصول الرقعة ،
وما صادفت المريض عليه من المرض ، وأنها أهدت رَوْحَ الهدوء ، وأركدت رِيّاحَ
السوء ؛ وأقبلت بنسيم الإبلال ، وتضوّعت بأريج الاستقلال ؛ وبشرت بالعافية
والسلامه ، وأذنت بالصّلاح والاستقامه ؛ وأشابه هذا .

ابن نباتة المصري :

شكر الله آفتقادهَا وأنسها ، وقلّمتها وطرسها ؛ وحمى من عارض الخطب لامين
عارض الخصب شمسها ؛ ولا أعدم الأولياء قصدها الجميل ، ووُدّها الجليل ، وإحسان

رسائلها التي كُرِّمَتْ فما صَوَّبُ النِّعَمَ لها رَسِيلٌ ؛ وأَمْتَعُ المَمَالِكَ يُنْهِا التي صَحَّتْ
بتدبيره فليس غَيْرَ النَّسِيمِ عَلِيلٌ .

وَيُنْهَى ورُودَ المَشْرِفِ الكريمِ فبَلِّغْهُ المَمْلُوكَ حَيِّبًا وَاِرِدًا ، وَطِيبًا بِإِحْسَانِهِ وَلِلْجَسَدِ
عَائِدًا ؛ وَفَهِّمِ المَمْلُوكَ مَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الصَّدَقَاتِ التي مَا زَالَتْ فِي فَهْمِهِ ، وَالْحَبِبةِ
الصادِقةِ التي مَا عَزَبَتْ عَنْ عِلْمِهِ ؛ وَمَا تَضَمَّنَ مِنْ فُصُولٍ كَانَتْ أَنْفَعَ مِنْ فُصُولِ
أَقْرَاطٍ لِمُعَالِجَةِ جِسْمِهِ ؛ وَأَيْنَ أَقْرَاطُ مِنْ بَرَكَاتِ كِتَابِ مَوْلَانَا الَّذِي طَالَعَ مِنْهُ كِتَابُ
الشِّفَاءِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَالتَّجَاةِ مِنْ عُرْوَةِ الْبَاسِ الْوَثِيقَةِ ؛ وَأَذْنَى وَرَقَةٍ الْحِمَاءِ لِرَأْسِهِ
تَبَرُّكًا وَإِكْرَامًا وَقَالَ : نِعَمَ الْجَلَنَارَةُ الْمُعَوِّذَةُ مِنَ الشَّقِيقَةِ ، وَأَسْتَنْطَبَ حُرُوفَهَا فَإِنهَا عَنْ
أَيْدِي الْكَرِيمِ وَالْكَرَامَاتِ ، وَلَمْ الْعَلَامَةُ وَتَمَسَّكَ بِالسُّطُورِ فَإِنهَا مِنْ أَسْبَابِ الصَّحَّةِ
وَالْعَلَامَاتِ ؛ وَوَافَقَتْ عِيَادَةَ مَوْلَانَا مَبَادِيَ الْعَافِيَةِ وَأَذْنَتْ بِالزِّيَادَةِ ، وَصَلَحَ خَطُّهُ
الْكَرِيمُ عَائِدًا وَمَا كُلُّ خَطٍّ يَصْلُحُ لِلْعِيَادَةِ ؛ وَمَا تِلْكَ الْجَارِحَةُ الْمَتَأَلِّمَةُ إِلَّا يَدٌ أَثْقَلَتْهَا
مِنْ مَوْلَانَا فَأَعْيَتْ وَتَأَلَّمَتْ ؛ ثُمَّ أَعَاتَهَا بِرُكْنَتِهِ هِيَ وَالْقَدَمُ بِالْحَمْلِ الْعَظِيمِ وَتَقَدَّمَتْ ؛ وَمَا
بَقِيَّةُ الْجَوَارِحِ إِلَّا عَيُونٌَ كَانَتْ تَنْتَظِرُ لُطْفَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَتَهُ وَقَدْ قَدِمَتْ ، فَشَكَرَ لَهَا
مِنْ بَرَكَاتٍ تَنْعُمُ بِهَا قَبْلَ الْحُسُومِ أَرْوَاحُهَا ، وَأَدْوِيَّةٍ قَلِيلَةٍ تُعَالِجُ بِهَا ذَوَاتُ النُّفُوسِ
فَكَيْفَ أَشْبَاحُهَا ؛ لَا بَرِحَ جَوْهَرُ كَلِمَاتِ مَوْلَانَا يُؤْذِنُ بِالشِّفَاءِ مِنَ الْعَرَضِ ، وَسِيَّامِ
أَقْلَامِهِ إِذَا كَتَبَتْ عَائِدَةً أَوْ جَائِدَةً أَصَابَتْ الْغَرَضَ وَفُوقَ الْغَرَضِ .

وله : تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَفِيهِ صَالِحُ الْأَدْعِيَةِ ، وَمَلَأَ بِحَاسِنِ ذِكْرِهِ وَرَّهَ الْآفَاقِ
وَالْأَنْدِيَةِ ، وَشَكَرْهُ بِاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ التي تَنْزِلُ بِعَارِضِ الْغَيْثِ قَبْلَ الْإِسْتِمَارِ وَتَرْفَعُ عَارِضَ
الْأَلَمِ قَبْلَ الْأَدْوِيَةِ ؛ تَقْيِيلَ مُعْتَرِفٍ بِسَابِقِ النِّعَمِ ، مُقِيمٍ عَلَى صِحَّةِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْوَلَاءِ
فِي حَالَتِي الصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ .

وينهى ورود مشرف مولانا الكريم على يد فلان عائداً من جهة العيادة ، وعائداً من جهة الصّلات المعتادة ، ومفتقداً لأعدم الأولياء في الشّدّة والرّخاء آفتقاده ، ما كان إلّا ريثماً شيق العليل نسماته الصّحيحه ، وتناول كأس ألفاظه الصّريحه ، وإذا بقانون المزاج قد همّ باعتداله ، وكتاب الشفاء والنّجاة قد تسنّت فوائده إقباله ، فتميّز حال الصّحة من المرّض ، واستعمل جوهر الألفاظ فعزم على زواله العرض ، وبلغ الولد فلان المشافهة وكلّ مقاصد مولانا مبتدأة مبتدعة ، والمملوك جوابها وكلّ أجوبته منوّلة منوّعه ، شكر الله عوارف مولانا المتّصلة ، ورسل آفتقاده التي منها العائد ومنها الصّلة .

وله : في جواب كتاب عيادة وارد في يوم عيد على يد من أسمه جمال الدين محمود . شكر الله منّنها التي إذا أبدت أعادت ، وإذا جادت أجادت ، وإذا كُرت الأفتقاد حلاّ وإذا تصدّت لمودات القلوب صادت ، تفصيل مخلص في ولّائه وآبئاله ، مقيم على صحة العهد والحمد في صحّته وأعتلاله .

وينهى ورود مشرفة مولانا الكريمة على يد الولد جمال الدين محمود متفقداً على العادة ، مكرراً لعيادة الإحساب وإحسان العيادة ، فقابل المملوك بالحمد وإردها ، وبعوائد الاعتدال عائدها ، وفهم ماتصمّته من تألم قلب المالك على ضعف المملوك ، وقلّق خاطره على بدن كبيت العرّوض منهوك ، وأنه كان آبتداً ضعف المملوك فتألم ، ثم تلا خبر الصّحة فثلا : ولكن الله سلّم ، ثم بلغه أن الآما تراجعت ، وموادّ واصلت بعد ما قاطعت ، فحملته خواطر الإشفاق على تكرير العيادة ، وارتقاب فعالات الشفاء المستجاده ، جارياً من إحسانه وآفتقاده على أجمل معهود ، باعنا مشرفته

(١) مراده وناول أى أوصل المملوك الخ تأمل .

(٢) في الأصول "كثير" وهو تصحيف من النسخ .

وحاملها وكلاهما حسن الحال محمود ؛ فعند ما وصلأ أوصلأ كمال العافيه ، وحققت
أخيلة البرء الشافيه ؛ وما كان المشكؤ إلا مادة يسيرة وزالت ، وبقية ضعف تولت
بحمد الله وبركة مولانا وما تولت ؛ وما عيّد المملوك إلا وشفاء الجسد في ازدياد ،
والنفس بالوقت وبالمشرفة في عيدين قائمين بأعياد ؛ لازالت من مولانا إزاء اللحظ
حيث دار ، وودّه وحمّاه جامعين فضل الجار والدار .

زهر الريح :

لازال محروس الشيم ، هاطلة سحابه بالديم ، مشكوراً بلساني الإنسان والقلم .
المملوك يقبل يده الشريفة مؤدياً للواجب ، ويواصل بدعاء صالح أصاره إنعامه
ضربة لازب .

وينهى إلى كريم علمه ورود مشرفه الذي أبهج الأنفس وضاعف الصبابة ؛
وأفنى الصبر عن حيّاه وإن كان ما أفناه أيسر صبابة ؛ وأنه علم منه إنعامه وتشوفه
إلى المملوك وإلى سماع أخباره ، وما أبداه من شفقة ألفت من إحسانه وعرفت
من كريم نجاهه ؛ وتحققت من شيمه على من ينأى عن بابه العالى وداره ، فالله يحرس
هذه الأخلاق التى هى أرق من الماء الزلال ، والشائل التى تفعل بلطفها فعل
الجرىال ؛ والمملوك فوالله لا يخصص شوقه إلى الخدمة العالية ولا يحصره ، ولا يقدر
على وصف ما يسره من الاتواق ويظهره ؛ إنما الاعتماد فى ذلك على شاهد عدل
من خاطره وقلبه ، وهما يغنيان المملوك عن شرح ولائه بالسنّة أعلامه ووجوه كُتبه ؛
وأما السؤال عن أخبار مزاج المملوك فإنه كان فى ألم دائم ، وسقيم ملازم : لشدة
المرض ، الذى كاذ يحتوى على جوهر جسمه والعرض ؛ فذ ورد كتاب المولى
انتعشت قوته ، واشتدت مثته ؛ وصدقت فى طلب تناول الغذاء شهوته ؛ وترجى

الشفاء بعد أن كان على شفا التلّف ، وكان له كالطبيب الآسى فى إزالة مَرَضِ
الأسا والأسف . وقد حصلت للملوك مَسَرَّتَانِ بكتّاب المولى وعافيته ، وفرحتان
بما أهداه إليه من عفو وإنعامه ومحو أثر الألم وتغفّيته ؛ وكلّ ذلك بسعادته .

ومنه : ورد المُشَرَّفُ العالى لا زال قدّر مُرْسِلُهُ شريفا ، وشرفه الباذخ يجعل
كلّ شريف مشروفا ؛ وسحاب جوده تُهدى إلى الأولياء من مكارمه تليدا وطريقا ؛
وقواضيه تردّ [طرف] حوادث الأيام عنه مطروفا ؛ وأياديه تبعث لمحبيه تحفا ،
وهيبته تُهدى إلى الأعداء خوفا ، والدهرُ بخدمة جنّابه العالى مشغوفا ؛ فوقف عليه
وقوف مشتاق إلى مُسَطَّرِهِ ، متنزّه فى ربيع الفاظه وحسن أسطوره ؛ وعرف منه
إحسانا ما قفى يعرفه ، وتفضّلا ما زال المولى بمثله يُخفّفه ؛ وما أشار إليه من شدّة
إيثاره ، لرؤية الملوك وسماع أخباره ؛ والذى يُنبئه أنّ جسده كان قد تضاعف
ضِعْفُهُ ، حتّى أتعب الألسنة وصفه ؛ فلما وقف من مشرف المولى على خطّ هو
الوشى المنعم ، وألفاظه هى الرّحيق المُحتم بل الدّر المنظم ؛ وسحر هو محلّ وكلّ سحر
محرم ؛ أبّل الملوك وبرّت غلته ، وبرّت غلته ؛ وكان كمن آستوف نصيبه من
النّصب ، وأخذ قسمة من السّقم والوصب ؛ فسقاه مشرفه الصّحة فى كاس ،
وأفاض عليه من العافية أنفر لباس .

آخر :

ورد الكتاب فعمّت الأفراح * وأضاء فى ليل الأسا الإصباح !
وأفترّ نغز للزمان بفرحة * وللظه طربت ربّى وبطاح !
وتضوّعت أرواح طيب عرّفها * تحيا به الأجسام والأرواح !
وسقى سلاف فصاحة وبلاغة * ما ألمسك عند شميمها ما الرّاح !

شكر الله مَنَّهُ ، وأخدمه زَمَنَهُ ، ومنَحَهُ من العِيش أغَضَّهُ وأحْسَنَهُ ، وشَرَّفَ ببقائه
الدَّهْرَ وشَنَّفَ بَمَدْحِهِ أَذُنَهُ .

المملوك يُنْهِى إلى علمه وُصولَ مشرِّفه الذى تَزَهَّتِ الأَعْيُنُ فى حُسْنِ مَنْظَرِهِ ،
ويَانِجُ ثَمَارِ لَفْظِهِ البديعِ ووَشَى أَسْطَرَّهُ ، وأنه أَسْتَشَقَّ من رِيحِهِ أَطِيبَ نَفْعِهِ ،
وتَقَمَّصَ منه ثَوْبَى دَعَاةٍ وَصَحَّهِ ، فشفَى دَاءَ شَفَّ مِنْهُ جِسْمُهُ ، وزاد لُورُودِهِ سُرُورَهُ
وزال هَمُّهُ ، وعلم إِنْعَامَ المولى الذى لا يَشْكُ فِيهِ ، وإِحْسَانَهُ الذى لا يُحْضِرُهُ لِسَانُ
مَادِحٍ ولا يُخْصِيهِ ، وما ذكره من الأَلَمِ المُلِمِّ بِهِ وَاسْتِغَالِ خَاطِرِهِ الكَرِيمِ لما أَلَمَ
بجِسْمِهِ ، والمرَضُ بِسَعَادَةِ المولى قد بَقِيَ مِنْهُ قُلُّهُ ، وتَقَلَّصَ بَعْدَ مَا أَمْتَدَّ ظِلُّهُ ، والعَافِيَةُ
تَتَكَلَّمُ إِنْ شَاءَ الله تعالى بِرُؤْيَا مُجَاهِ الكَرِيمِ وَمَشَاهِدَةٍ ، والمُتَوَلِّى بين يَدَيْهِ العَالِيَتَيْنِ
فى خَدْمَتِهِ .

النوع الخامس عشر (فى الذَّم)

ذَمُّ بَخِيلٍ : لأحمد بن يوسف :

كَأَنَّ البُخْلَ والشُّؤْمَ صَارَا مَعًا فى سَهْمِهِ ، وَكَانَا قَبْلَ ذَلِكَ فى قِسْمِهِ ، فَخَازَهُمَا
بِالْوَرَاثَةِ ، وَاسْتَحَقَّ مَا اسْتَمْلَكَ مِنْهُمَا بِالشُّفْعَةِ ، وَأَشْهَدَ عَلَى حِيَازَتِهِمَا أَهْلَ الدِّينِ
وَالْأَمَانَةِ ، حَتَّى خَلَصَا لَهُ مِنْ كُلِّ مَانِعٍ ، وَسَالِمَا لَهُ مِنْ تَبِيعَةِ كُلِّ مُنَازَعٍ ، فَهُوَ لَا يُصِيبُ
إِلَّا مُخْطِئًا ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَّا نَاسِيًا ، وَلَا يُنْفِقُ إِلَّا كَارِهًا ، وَلَا يُنْصِفُ إِلَّا صَاحِرًا .

وفى مثله : وَصَلَ كِتَابُكَ فَرَأَيْتَكَ قَدْ حَلَّتْهُ بَزَخَارِفُ أَوْصَافِكَ ، وَأَخْلَيْتَهُ مِنْ
حَقَائِقِ إِنْصَافِكَ ، وَأَكْثَرْتَ فِيهِ الدَّعَاوَى عَلَى خَصْمِكَ ، مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ أَتَيْتَ بِهِ
عَلَى دَعْوَاكَ وَزَعْمِكَ .

ومنه : ولو أراد غير ذلك من الأخلاق السنية ، الشريفة الهنيئة ؛ لاستوحش في سبلها ، ووقع في مضرة منها ، ولن يجد من سلفه ولا نفسه دليلاً عليها ، ولا هادياً إليها .

ومنه : لأبي العيناء :

أما بعد ، فلا أعلم للعرف طريقاً أهدر ولا أوعر من طريقه إليك ، ولا مستودعاً أقل زكاءً ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عنده : لأنه يحصل منك في حسب دني ، ولسان بدى ، ونسب قصي ، وجهل قد ملك طباعك ، فالعرف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ؛ وإنما غايتك في المعروف [أن] تُحرزه ، وفي وليه أن تكفربه .

ومنه : لمحمد بن الليث :

بكم علن الظلم ، وظهرت البدع ، وأنذرن الحق ، وعز الفاجر ، وظهر الكافر ، وفشت الآثام ، وقضت الأحكام ، وأخذ عباد الله خولا ، وأمواله دولا ، ودينه دخلا .

ومنه : لأبي علي البصير :

عدوك منعزل عنك ، وصديقك على وجل منك ؛ إن شاهدته عاقك ، وإن غبت عنه حاقك ؛ تسأله فوق الطاقه ، وترهقه عند الفاقه ؛ وإن أعذر إليك لم تعذره ، وإن استنصرك لم تنصره ؛ وإن أنعم عليك لم تشكره ؛ ولا يزيدك السن إلا نقصا ، ولا يفيدك الغنى إلا حرصا ؛ تسمو إلى الكبير ، بقدر الصغير ، وتشف للتطفيف لا للتخفيف ؛ تعترض الناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملا ، ولا كاره لأن ينظر إليك بعين الاستقلال ؛ حتى لقد أخرجت الأضغان ، وقبحت الإحسان ؛ وزهدت

في أصطناع المعروف، وإغاثة المهوف، والناس منك بين أسرار تُفشى، وبوائق تُحشى، وشناعات واردة، ونوادِر بارِده، ودُّك تَحُلُّق، وشكرك تَمَلُّق .

ومنه : لسعيد بن حميد :

رجلٌ يَعْنِفُ بِالنِّعَمِ عُنْفَ مَنْ قَدْ سَاءَتْهُ يُجَاوَرَتُهَا، وَيَسْتَخِفُّ بِحَقِّهَا أَسْتِخْفَافٌ
مَنْ لَا يَخْشَى عَلَيْهِ مَحْمَلُهَا، وَيَقْصُرُ فِي شُكْرِهَا تَقْصِيرَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الشُّكْرَ يَبْطِئُهَا، وَمَنْ
كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ، فَكَيْفَ أَرْجُو حُسْنَ اخْتِيَارِهِ لِي ؟ وَمَنْ كَانَ
فِي مُدَّةٍ مِنْ ابْتِلَاءِ اللَّهِ بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ لَا أَدْرَى أَيْنُفُذُ بِي الْأَجَلُ إِلَى أَقْصَاهَا،
أَمْ يَقْصُرُ بِي فِي أَذْنَاهَا، فَكَيْفَ يَتَّسِعُ الصَّدْرُ لِلصَّبْرِ عَلَيْهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَخَافُ الْفُوتَ
فَهُوَ يُمِئُّهُ، وَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ جَلٍّ وَعِزٍّ إِلَى سُلْطَانٍ غَيْرِهِ
فِيَعْجَلُهُ، وَأَنَا عَلَى خَوْفٍ مِنْ إِعْجَالِ الْمَدَى عَنْ بُلُوغِ [مَنَآئِ فَأَذْهَبُ] ^(١) حَرَجًا صَدْرِي،
وَعَلَى ثِقَةٍ مِنَ الشُّغْلِ فِي الْآخِرَةِ بِنَفْسِي عَنِ التَّشْنُّيِّ مِنْ أَهْلِ عَدَاوَتِي وَتَرْتِي، وَأَحْمَدُ
اللَّهَ عَلَى الْمِحْنَةِ، وَأَسْأَلُهُ تَعْجِيلَ رَوْحِ النِّعْمَةِ، وَفُسْحَةِ الْعَافِيَةِ .

النوع السادس عشر

. (في الأخبار) .

قال في "موادِّ البيان" : كُتِبَ الْأَخْبَارُ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ الدَّوَرَانِ
فِي الْأَسْتِعْمَالِ فَلَيْسَتْ مِمَّا يُمَكِّنُ تَمْثِيلَهُ، وَلَا حَضَرَ الْمَعَانِي الْوَاقِعَةُ فِيهِ بُرُؤُومُ ^(٢) تَشْتَمِلُ
عَلَيْهَا، نَعَمْ وَلَا أَنْ تَقْدِّمَ لَهُ مَقْدَمَةً تَكُونُ تَوَاطُئًا لَهَا بَعْدَهَا، كَمَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِي سَائِرِ
فُنُونِ الْمَكَاتِبَاتِ الْأَحْرَالِ الَّتِي لَا تَحْتَلُّوْ مِنْ مَقْدَمَاتٍ تَحُلُّ مِنْهَا مَحَلَّ الْأَسَاسِ مِنَ الْبُنْيَانِ،

(١) هذه الزيادة يقتضها المقام .

(٢) مراده الواقعة فيه ولعله مصحف عنه تأمل .

والرأس من الجثمان ؛ لكن المقدمات التي توضع في الكتب من شرطها أن تكون مشتقة من نفس معنى الكتاب ، ومنه الخبر لا يمكنه أن يستنبط من كل خبرٍ ينهيه مقدمة تكون بساطا له ، وإنما يقول : كتبت من موضع كذا يوم كذا ، والذي أنهيه كذا ؛ بل الذي يلزمه أن يتحدها بطاقته ، ويتحرّاه بجهده ، أن يبين ما يطالع به من الأخبار ، ويكشفه ويوضحه ويفصح عنه ، ولا يقف منه إلا عند الشفاء والإقناع لتتقرر صورته في نفس من ينهيه إليه ؛ اللهم إلا أن يكون الخبر مما يوجب الأدب العدول عن لفظه الخاص به ، والإخبار عنه بالفاظ تؤدّي معناه ، ولا يهجم على المخبر بما يسوء سماعه ، كأن يكون خبرا يرفعه إلى سلطانٍ عن عبده له قد أطلق فيه ما يضع منه ويسقط مهابته ، أو نحو من ذلك مما يتثقل على السلطان المنقص منه ، فإنه ينبغي أن يعدل في هذا وأمثاله عن التصريح إلى التعريض ، ومن التصحيح إلى التثريض ، وعن المكاشفة إلى التورية ، وأن يأتي بالفاظ تدلّ على معاني ما يروم إبداءه ، ويحرص [على] صورة منزلة السلطان وتوقيره عن قرع سمعه بما يكرهه ولا تجوز مقابلته به ؛ وأن يقصد إلى استعمال الإيجاز والإطناب في المواضع التي تحتمل كلا منهما ، فهذا ما يمكن أن يتعرف من رسوم هذا الباب .

قال : ومن نفذ فهمه وخاطرهُ في الصناعة وتدرّب فيها ، يكتفي بهذه اللّمة ولا يحتاج إلى زيادة عليها .

في الإخبار بوقوع مطر وسيل

من ترسل أبي الحسين بن سعد :

فالماء منه يفيض على العُمران ، بعد أن ضاقت به المغايص والغدران ؛ فأني على كثير من التلال والروابي ، فضلا عن الرساتيق والقرى ؛ وصار الوادي على اتّساع

عَرْضُهُ ، وَامْتِدَادِ طَوْلِهِ ، وَسَعَةِ مَصَبِّهِ ، وَفُسْحَةِ مَغِيْضِهِ ، لَا يَفِي بِهَضْمِهِ ، وَلَا يَقُومُ بِجَمَلِهِ ؛ فَفَاضَ مِنْهُ مَا عَطَّلَ الْعُمُرَانُ وَنَسَفَ الدُّورُ وَمَحَقَ الزُّرُوعُ ، فَعَظُمَ بِهِ الْبَلَاءُ ، وَكَثُرَ لَهُ الْجَلَاءُ ، وَشَمِلَ النَّسَادُ ، وَعَظُمَ الْخَرَابُ .

صدر كتاب بإخبار عن الخليفة :

كُتِبَتْ ، وَمَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَطُّدٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَتَمْهِيدٍ مِنْ دَوْلَتِهِ ، وَعُلُوٍّ مِنْ رَأْيِهِ ، وَنَفَازٍ مِنْ كَلِمَتِهِ ، وَعِزٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ؛ وَنِعَمٌ سَابِغَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ ؛ قَالِصَةٌ عَنْ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَخَالِفَتِهِ ، وَاسْتِقَامَةٌ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتُغُورِهِ ، وَاسْتِثْبَابٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأُمُورِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ حَمْدًا لَا يَقِفُ دُونَ رِضَاهِ ، وَلَا يَحِيطُ بِمِقْدَارِهِ سِوَاهِ .

صدر بإخبار عن الوزير :

كُتِبَتْ ، وَحَضْرَةُ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ فِي نِعَمٍ مُحْصَبَةٍ الْأَكْثَافِ ، بِعِيدَةِ الْأَطْرَافِ ، سَادِرَةِ الْوَيْلِ ، سَاحِبَةِ الدَّلِيلِ ؛ وَمَا أَنْظَرُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دَوْلَتِهِ مَنِتْظِمٍ ، وَأَرَاغِيهِ مِنْ أَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ مُلْتَمِمْ ؛ وَقَدْ وَطَّأَ اللَّهُ لَهُ أَوْعَارَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْيِيرِ ، وَوَقَفَهُ عَلَى جَوَادِّ الْمَصْلَحَةِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَسْتَقِلُّ بِحَقِّهِ فَيُقْضِيهِ ، وَبِوَاجِبِهِ فَيُؤَدِّيهِ ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ عِزُّ سُلْطَانِهِ فَيُرِضِيهِ .

صدر بإخبار عن أمير :

كُتِبَتْ ، وَالْأَمِيرُ فِي عُلُوٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ، وَظَفَرٍ يُوَاكِبُ أَلِيَّتَهُ ، وَنَضِيرٍ يُصَاحِبُ دَوْلَتَهُ ؛ وَوَاوِيٍّ عَلَى مَنْ ظَلَّهِ ، وَشَمْلِيٍّ مِنْ فَضْلِهِ ، مَا سَبَغَ لِبَاسُهُ ، وَطَابَتْ أَغْرَاسُهُ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ آعْتِرَاقًا بِنِعْمَتِهِ ، حَمْدًا يُوجِبُ شُمُولَ مَتْنِهِ ؛ وَيَسْتَدْعِي الشُّكْرَ عَلَيْهَا ؛ وَيَقْضِي بَمَزِيدٍ مِنْهَا .

صدر باخبر عن عافية المكتوب عنه :

كُتِبْتُ ، وأنا صالحُ الحال ، وقد مَنَّ اللهُ تعالى بالعافية والإنعاش ، والإقالة
والا^(١)ش ؛ وأعاد إلى الصحة بعد نبوِّها وذهاها ، والسلامة بعد تجعِّها وإغراها ؛
وأَسْبَلَ النِّعْمَةَ بعد الإنذار ، والتحذير من الإغترار ؛ ممحِّصاً بما أَلَمَّ من الآلام
عَصَبَ الأيام ؛ والحمد لله أولى ما نِلَيْتُ به النِّعَم ، وطُرِّز به المَفْتَحَ والمُخْتَمَ ؛ حمداً
يؤمن من التغيير والتبديل ، ويُعيذ من الانتقال والتَّحوِيل .

أَبْنَى الخصال ، في الإخبار عن زَلْزَلَةٍ عَظِيمَةٍ وَقَعَتْ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ من الأندلس .
الشيخُ الأَجَلُّ ، الوليُّ الأَكْرَمُ الأَفْضَلُ ؛ أبو فُلان ، الذي أطرَفَهُ اللهُ تعالى
بِعَجَائِبِ الأَخْبَار ، وأَذْهَبَ به في مَسْلَكِ الأَتَاعِطِ وَمَنْهَجِ الأَدِّكار ؛ أبقاه اللهُ أَخِذاً
في سَنَنِ الأَتْرَاجِ ونَهْجِ الأَزْدِجَار . المَخْلُصُ له المَخْصَصُ النَّاصِعُ من الوَلَاءِ ، ومَعْرِفَةِ
غَرِيبِ الآثَارِ وعَجِيبِ الأَنْبَاءِ ؛ فلان .

سلامٌ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي جعل عبده أنواعاً متلوثةً وصُفُوفاً ، وأرسل الآياتِ
(وما نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً) . والصلاة على سيدنا محمد المصطفى صلاة طيبةً
تُعَبِّقُ تَأْرِيجاً وتَضُوعُ تَعْرِيفاً ؛ وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين حَضَرُوا حُرُوباً
وشَهِدُوا زُحُوفاً ؛ والدعاء لسيدنا الإمام أمير المؤمنين في نصير عزيزٍ يُؤْتَسَ مدْعوراً
ويؤمنُ مَخُوفاً ، فإني كُتِبْتُه - كتبَ اللهُ لكم دَعَةً حَافِظَةً وَأَمَاناً ، وتَصَدِيقاً بِآيَاتِ اللهِ
البَيِّنَةِ وبرهانها - من موضع كذا ، عِنْدَ ما طَرَأَ عَلَيْنَا ما حَلَّ العُيُونَ بِقَدَّأِها ، وَمَنَعَهَا لَدَيْدَ
كَرَّها ، وأخْفَقَ الضُّلُوعَ الحَانِيَةَ وأَقْلَقَ مَصَارِينَ حَشَاها : وهو أَنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ

(١) بيض في الأصول لهذا الحرف .

ذَكَرَ عِبَادَهُ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ، وَتَبَهُمْ إِنَّ تَنْبَهُوا وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ كَيْدًا مُبِيرًا وَلَا مَكْرًا؛
وَذَلِكَ بَزْزَالُ قَضِيٍّ بِهِ عَلَى قُرْطُبَةَ وَبَعْضِ أَعْمَالِهَا، وَمَلَأَ نَفُوسَ سَائِكِيهَا مِنْ رَوْعَاتِهَا
وَأَوْجَالِهَا؛ وَحَالَتْ لَذَلِكَ فِي الْخَوْفِ وَالْأَرْتِفَاعِ أَقْبَحَ حَالِهَا؛ حَتَّى نَحْوًا إِلَى الْإِسْتِكَانَةِ
وَالضَّرَاعَةِ، وَأَطَاعَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ طَاعَةٌ؛ وَخَشُوا بَلْ كَانُوا يُوقِنُونَ
أَنَّهَا زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ. وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ آثَارِهَا، وَكَرِيهِهِ إِيرَادِهَا وَإِصْدَارِهَا، أَنْهَادُ الْقُبَّةِ
الْعُظْمَى فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ صَانَهُ اللَّهُ، وَكَانَتْ قُبَّةً أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بِنَاؤُهَا، وَذَهَبَ
فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ذِكْرُهَا الْعَاطِرُ وَتَشَائُؤُهَا؛ وَتَهَدَّمَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَهْدَمِ دِيَارٌ
كَثِيرَةٌ، وَحَدَّثَ بِهِ خَوَادِثُ مُبِيرَةٍ. وَأَمَّا تَلَوُّكَ مِنْ أَعْمَالِهَا، وَكَانَ فِيهَا مَبْنَى مِنْ مَبَانِي
الرُّومِ، فَإِنَّهُ غَادَرَهَا قَاعًا صَفْصَفًا، وَقَرَأَ نَفَقًا؛ وَأَضْطَرَّ ذَلِكَ الْخَطْبُ الْفَادِحَ، وَالرَّيْحُ
الْقَادِحَ؛ إِلَى أَنْ خَرَجَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْحَاقَ وَكَافَّةُ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَفَرُّوا مِنْ
الْمَوْتِ بِأَقْوَاتِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَدَارَكَ بِالرَّحْمَى، وَكَشَفَ تِلْكَ
الْعُغْيَى، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ صَقْلًا لِقُلُوبِنَا، وَتَوْبَةً عَمَّا سَبَقَ مِنْ ذُنُوبِنَا؛ وَعَصَمْنَا
مِنْ جُرْمِنَا الْمُؤِيقِ وَخُوبِنَا، وَأَوَّلَانَا وَإِيَّاكُمْ أَمْنًا مِنَ الْغَيْرِ، وَأَزْدَجَارًا بِمَا ظَهَرَ مِنْ
الْعَبْرِ؛ وَجَعَلَ كَلَامًا جَمِيلَ الْخَوَادِثِ طَيِّبَ الْخَبَرِ، بِمَنَّةٍ؛ وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

من كلام المتأخرين في الإخبار بقدم نائب إلى نيابة.

من ذلك نسخة كتاب عن نائب الشام إلى كافل الممالك الإسلامية مُخْبِرًا لَهُ بِوُصُولِهِ
إِلَى دِمَشْقَ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ. وَهُوَ بَعْدَ الْأَلْقَابِ :

(١) لعله في الخفض.

(٢) جرى الكاتب في كلامه على لغة من يعربها أعراب المقصور على حد قوله :

نعم الفتى عمدت إليه مطبى * في حين جد بنا المسير كلانا شرح الأشموني

لا زالت آفاق الممالك مُضيئةً بأنوار شمسه، هنيةً بأنس سعادته وسعادة أنسه؛
سنة المقاصد التي قام في كفالتها بنقاسة نفسه؛ ولا يرح يستثمر من خير الدنيا
والآخرة ما قدم صنعه الجميل من غرسه . تقبلاً يُشافه به القلم القِرطاس، ويود
المملوك لو شافه به الخدم ساعياً سعى القلم على الرأس . ويُنهي قيامه بوظائف دعاء
يُسِر الحلك، وولاء يدور بكواكب الإخلاص إدارة الفلك؛ وخميد تذهب به
صفحات الصحف حيث ذهب وتسلك عُقود الأفلاك حيث سلك، وأنه خدم
بهذه العبودية عند وروده إلى دمشق المحروسة لنيابة كانت عناية مولانا سفيرة
أمرها، وميزة برها، يوم كذا؛ وسعادة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - تعلمه
وتعلمه، والغيث بركات الدولة القاهرة يُساره ويقدمه؛ وتغر المطر يسابقُ تغر
المملوك إلى مشافهة الثرى ويلثمه؛ والرعية منه آمنة في سربها، وادعة بظلال
الأبواب الشريفة مع بعدها دعة الصوامير في قُرُيها، وباكر المملوك يوم الاثنين
الذي بُورك فيه : في الخميس من يوم وجيش، وأنتصب لمهمات على مثلها
في الخدمة يطيب أن يرفع لئن العيش؛ مجتهداً فيما هو بصدد، مستمداً من ربه
عز وجل وسعادة سلطانه برشده، معتداً نعم مولانا فيما يأتي [في] ذلك من أوفى وأوفر
عُده ومدده، والله تعالى يُعين المملوك على شكر من مولانا الباطنة والظاهره،
والغائبة والحاضرة، والمقيمة والمسافره، ويصل نفع المملوك بولائه في الدنيا والآخرة؛
ويقيم الرعايا بالأمن في كفالاته التي مابرحت بعيون الأعداء فإذا هم بالساهره .

الأجوبة عن كتب الأخبار

قال في "مواد البيان": الأخبار على أكثر الأحوال لأجوبة لها، وإنما هي
مطالعاتُ بأمور يُنهى الخدام، وأصحابُ البرد إلى السلاطين، مما تخرج أو أمرهم

إلى الولاية بما تَضَمَّتْه : مما يقتضيه كلُّ خبر ينهى من سياسة عامة ، أو مصلحة تامة . قال : فأما ما يستعمله الإخوان في المكتبة بالأخبار التي يكلُّ بعضهم إلى بعض الأخبار بها ، فمنها ما يقتضى الجواب ، ومنها ما لا يقتضيه . قال : وأجوبة ما يقتضى الجواب منها تُفَتَّنُ بحسبِ آفتان الأخبار والأغراض التي يحجب الحجب بها ، وهو أيضا مما لا يعبر عنه بقوى جامع ولا برسم رسم كلى ، وإنما يرجع فيه إلى الأمور التي يتبدأ بها ويُنْجَبُ عنها .

النوع السابع عشر (المَدَاعِبَةُ)

قال في "موادّ البيان" : ومَعَانِي المَدَاعِبَاتِ التي يستعملها الإخوان غيرُ مُتَنَاهِيَةٍ ، والأغراض التي يَنْتَظِمُهَا المِزَاجُ وتُعَدُّ من طَلَاقةِ النفس لا تَقِفُ عند قاصيه : لأنها مستملاة من أحوال متباينة ، وماخوذة من أمور غير معيّنة ، وحضرها في رسوم جامعة يستحيل ، وتمثيلها غير مفيد : لأنه لا تعلق لبعضها ببعض ، ولا نسبة بين الواحد والآخر ، ثم قال : والأحسنُ بأهل الوداد والصِّفاء ، والأليقُ بذوى المخالصة والوفاء ، أن يتزَّهوا في المَدَاعِبَةِ الدائِرة بينهم عن بدى اللفظ ومفحشه ، ومؤلم الخطاب ومقذعه ، ويكفُّوا اللسان واليد عن الإِطلاق بما يدل على خفة الأحلام ، والرضا بالرذل من الكلام اللائق بسفهاء العوام ، ويتخرجوا من إرسال قول يئق وضمة على [مدى الأيام] إذ لا فرق بين جرح اللسان وجرح اليد ، وقد نطق بهذا المثل : لما في ذلك من الترفع عن دنايا الأمور التي لا يتنازل إليها الكرماء ، والتزَّه عن المساقط التي لا يستعملها الأدباء ، وصيانة المروءة عما يسيئها ويحدثها ، وتوقيها

عما يَنْقُصُهَا ، والأَمْنِ من الجواب الذي رُبَّمَا قَدَحَ في النفس وأَثَّرَ ، وأَحْمَى الصَّدْرَ وأَوَغَّرَ ، ونَقَلَ عن التَّوَادُّدِ إلى التَّضَادُّدِ ، وعن التَّدَانِي إلى التَّبَاعُدِ ؛ وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين على كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بقوله من أبياته المنسوبة إليه :

فَرُبَّ كَلَامٍ يُمِصُّ الْحَشَا * وَفِيهِ مِنَ الضَّحْكِ مَا يُسْتَطَابُ

مع مُرَاعَاةِ السَّلَامَةِ من المُدَاخَلَةِ المُنْطَوِيَةِ عَلَى الغِلِّ ، والمُرَاآةِ المَبْنِيَةِ عَلَى المَكْرَبِ ؛ إذا لم يَكُنْ لِلْمُقَابَلَةِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ المِصُّ بالجواب المريض ، وغير ذلك مما لَا تُؤْمَنُ عَاقِبَتُهُ ، وَلَا تَحْسُنُ عَائِدَتُهُ . قال : ويكون المستعمل في هذا الفنَّ مَا خَفَّ مَوْقِعُهُ ؛ وَلَطْفُ مَوْضِعِهِ ، وَهَشٌّ لَهُ سَامِعُهُ ؛ وَتَلَقَّاهُ الْوَارِدُ عَلَيْهِ مُسْتَحْلِيًا لِنَّارِهِ ، مُسْتَدْعِيًا لَأَنْظَارِهِ ، وَلَا يُعَدِّلُ بِهِ عَنْ سَمْتِ الصِّدْقِ ، وَطَرِيقِ الْحَقِّ ، وَمَذْهَبِ التَّحَرُّزِ مِنَ الْمَذَقِّ ؛ وَيُقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى النَّادِرَةِ الْمُسْتَظَرَفَةِ ، وَالنُّكْتَةِ الْمُسْتَظَرَفَةِ ؛ وَاللُّغَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَالْفِقْرَةِ الْمُسْتَغْرَبَةِ ، دُونَ الإِطَالَةِ الْمُئَمَّلَةِ ، وَلَا يَجْعَلُ الْمَرْحَ غَالِبًا عَلَى الْكَلَامِ ، مُدَاخِلًا لْجَمِيعِ الْأَقْسَامِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ مَعَانِيَ الْمَكَاتِبِ ، وَيُجِلُّ نِظَامَ الْمَخَاطَبَةِ ، وَيَضَعُ مِنْ مَعْنَاهَا وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا ، وَيُوْخِمُ لَفْظَهَا وَإِنْ كَانَ لَطِيفًا ؛ وَيَذْهَبُ بِجِدِّهَا فِي مَذْهَبِ الْهَزْلِ وَيُمِيلُهُ عَنِ الْقَصْدِ ؛ وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ :

أَفَدِ طَبَعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً * بَلْهُوٍ وَعَلَّةٌ يَشْنِي مِنْ الْمَرْحِ !

وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلِجِ !

وَأَنْ يَقْتَصِدَ مَعَ ذَلِكَ . ثم قال : وينبغي أَنْ يَقْصِدَ إِلَى اسْتِجْمَالِ الدَّعَابَةِ فِي الْمَوَاضِعِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، وَالْأَحْوَالِ الْمَشَابِهَةِ لَهَا ؛ وَلَا يُودِعَ بَابًا مِنَ الْأَبْوَابِ ، مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مِنَ الْخَطَابِ : فَإِنَّ الْقَصْدَ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ إِنَّمَا هُوَ الْإِعْرَابُ عَنِ الظَّرْفِ وَالْبَرَاةِ ، وَالْإِبَانَةُ عَنِ طَلَاقَةِ النَّفْسِ ؛ وَالْإِنْسِلَاخُ مِنْ تَعْبِيسِ الْفَدَامَةِ

والجَهَامَة ؛ ثم عَقَّبَ ذلك بأن قال : وَمَنْ وَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الْكَافِي ، وَلَزِمَ فِيهِ الْأَدَبَ اللَّائِقَ بِأَهْلِ النَّصَافِي ، دَلَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَشَهِدَ لِمُسْتَعْمَلِهِ بِإِحْرَازِ مَا وَصَفْنَاهُ ؛ وَمَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْمُجُونِ وَالْمُلَاعِبَةِ ، وَحُسِبَ مِنْ رَذَالَةِ الطَّبَعِ وَنَذَالَةِ الْخَلِيمِ وَسَفَهَةِ اللِّسَانِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِالْكَاتِبِينَ الْكَرَامِ ، الَّذِينَ هُمْ خِيَارُ الْأَنَامِ ، وَوُلاَةُ النَّقِصِ وَالْإِبْرَامِ . وَخَتَمَ ذَلِكَ بِأَن قَالَ : وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مَهِيًّا طَبِيعًا لِلْإِنْطِبَاعِ بِرُسُومِ الصَّنَاعَةِ وَمُنَاسِبَةِ أَوْضَاعِهَا ، أَغْنَاهُ الْوُقُوفُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَجْمَلِ فِي اسْتِعْمَالِ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ تَمَثِيلِ مَفْصَلٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مِثَالًا .

ابن أبي الخصال :

سَيِّدِي وَوَاحِدِي الَّذِي أَبْجَلْتُ ذِكْرَهُ ، وَأَوَّلِي شُكْرَهُ ، لَا زَالَ مَغْنَاكَ رَحِيبًا ، وَزَمَانُكَ خَصِيْبًا ، وَلَا زِلْتَ تَأْخُذُ لِأَنْحَرَاكَ نَصِيْبًا ؛ عَبْدُكَ فَلَانٌ مُؤَدِّبُهَا يَنْتَجِعُ الْكَرَامَ ، وَيُبَارِي فِي جَرِيهَا الْأَيَّامَ : فَتَارَةً يَجْمَعُ ، وَأُخْرَى يُفَرِّقُ ؛ وَطَوْرًا يُغْرِبُ ، وَطَوْرًا يُشْرِقُ ؛ وَأُمُّ الْحَضْرَةِ - وَصَلَّ اللَّهُ حِرَاسَتَهَا ، وَأَدَامَ بَهْجَتَهَا وَتَقَاسُتَهَا - وَالْمُلْكُ بِهَا غَضُّ الشَّبَابِ ، أَخْضَرُ الْحُلُبَابِ ؛ وَإِحْسَانُكَ إِحْسَانُكَ ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مَكَانُكَ ؛ فَأَوْسَعُهُ قِرَى ، وَأَمْلَأَ عَيْنِيهِ عَلَى الشَّبَعِ كَرَى ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، بَلْ أُنْجِدُهُ تَبْنَا وَعَلَفَا ، وَأَرْكَبُهُ حَزْنَا مِنَ الْأَرْضِ ظَلَفَا ؛ وَدُونَكَ لَمْ يَقْلَبْ أَرْضَهُ بَيْطَارٌ ، وَلَا لِحْنَانِيَّةٌ بِهِ جَبَّارٌ ، وَجُرْحُهُ جُبَّارٌ ؛ وَعِنْدَهُ كَمَا عَلِمْتَ دَعَاءُ مُبَاحٍ ، وَتَشَاءُ فِي الشُّكْرِ مَسَاءٌ وَصَبَاحٌ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) الظلف بالتحريك ما غلظ من الأرض فلم يؤد [أى لم يظهر] أثرًا . انظر اللسان ج ١١

من كلام المتأخرين :

كتب بعضهم إلى كمال الدين بن الأثير ، وقد جاء إليه في بستانه فلم يجده ولا وجد من أنصفه .

حضر المملوك البستان ، مستديناً فطوف الإنعام والإحسان ، واستمطر سحاب فضله ، وهز إليه بجذع نخله ؛ فلم تتساقط عليه رطباً جنيّاً ، فعلم أنه قد جاء شيئاً فريّاً ؛ فنبت نفسه مع تصاعد الأنفاس ، والطمع ينشده :

* مافي وقوفك ساعة من بأس *

فانطلق حتى أتى القرية مستطعياً أهلها فأبوا أن يضيفوه ، مستعطفا حاشيته الرقيقة فأبوا^(١) حاشيته أن يستعطفوه ؛ وقال كل منهم : تطلب بالقرى كما تطلب بدينك ! أرجع حيث شئت هذا فراق بني وبينك ! وعلم أنه لو أقام بها جداراً لما أعطى عليه أجراً ؛ ولو حاول قرى لسمع من التوبيخ ما لم يستطع عليه صبراً ؛ فرجع بخفى حين ؛ بعد مشاق جرعت كاسات الحين ؛ فأين هذه المعاملة مما نشيعه عنه من كريم الخلال ، وكيف نسكو نقص حظ وله كمال الإحسان وإحسان الكمال .

الأجوبة عن رقاع المداعبة

قال في "مواد البيان" : ينبغي للجيب عن المداعبة أن يشتق من نفس الابتداء جواباً مناسباً لها ، وأن يتيه متى أحب الأخذ بالفضل على المسامحة ، وأطراح المناقشة ، والإغضاء عما يمس إبقاء على المودة ، وتحسيناً لقبح الصديق ، وتعوذاً لعادة الحلم والإحتمال ؛ وأن يهَب في الجواب مذهب الاختصار ؛ وإيراد النكت الرائعة كما في الابتداء ، على ما تقدم .

(١) كذا في النسخ وهو على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة .

الفصل الثامن^(١)

(في إخفاء ما في المكتوب من السر)

وهو مما تمس الحاجة إليه عند اعتراض معترض من عدو ونحوه يحول بين المكتوب عنه والمكتوب إليه : من ملكين أو غيرهما حيث لم تُفد الملطقات لضرر الرصد وزيادة الفحص عن الكتب الواردة من الجانيين، وهو على نوعين :

النوع الأول

(ما يتعلق بالكتابة، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يتعلق بالمكتوب به)

وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلا يكون مقررا بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة، أو مسح به شيء، أو عرضه على النار ونحو ذلك .

وقد ذكروا لذلك طرقا :

منها — أن يكتب في الورق بلبن حليب قد خلط به نوسادر فإنه لا ترى فيه صورة الكتابة، فإذا قرب من النار ظهرت الكتابة .

ومنها — أن يكتب في الورق أيضا بماء البصل المعتصر منه فلا ترى الكتابة فإذا قرب من النار أيضا ظهرت الكتابة .

(١) أى من الباب الثانى من المقالة الرابعة وهو آخر فصولها فهى ثمانية لاسطة وتقدم فى ج ٦ ص ٣٦٥

أنها ستة موافقة للأصول فتنبه .

ومنها — انه يَكْتُبُ فيما أراد من وَرَقٍ او غيره بماءٍ قد خُلِطَ فيه زاجٌ، فلا تَظْهَرُ الكتابةُ، فإذا مَسَحَ بماءٍ قد خُلِطَ فيه العَفْصُ المدقوقُ، ظهرتِ الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتُبَ في الورق غيرِ المُنَشَّى بالشَّبِّ المحلولِ بماءِ المطر؛ ثم يُلقِيهِ في الماءِ أو يَمْسَحُهُ به ، فإنه إذا جَفَّ ظهرتْ فيه الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتُبَ بِمِرَّةِ السُّلْحَفَةِ فَإِنَّ الكتابةَ بها تُرَى في الليل ولا تُرَى في النهار .

ومنها — أن تأخُذَ الليمونَ الأسودَ وعُروَقَ الحَنَظَلِ المَقْلُوءَةَ بزيْتِ الزيتونِ جَزَائِنَ مُتساوِيَيْنِ وتَسْحَقَهُمَا ناعِمًا، ثم تُضَيِّفُ إِلَيْهِمَا دُهْنَ صَفَارِ البَيْضِ وتَكْتُبُ به على جسد من شئتَ، فإنه يَنْبُتَ الشَّعْرُ مكانَ الكتابةِ ، وهو من الأسرارِ العَجِيبَةِ؛ فإذا أُريدَ إرسالُ شَخِصٍ بِكُتَابٍ إلى مكانٍ بعيدٍ، فُعلَ به ذلكَ ، فإنه إذا نَبَتَ الشَّعْرُ قُرِئَتِ الكتابةُ .

الضرب الثاني

(ما يتعلق بالخَطِّ المكتُوبِ)

بأن تكون الكتابةُ بِقَلَمٍ أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ المُرْسَلُ والمُرْسَلُ إِلَيْهِ لا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمَا مِنْ لَعَلِّهِ يَقِفُ عَلَيْهِ ، وَيُسَمَّى التَّعْمِيَّةُ ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَعْبُرُونَ عَنْهُ بِحَلِّ المَتَرَجِّمِ ، وفيه نظر : فَإِنَّ التَّرْجَمَةَ عِبَارَةً عَنْ كَشْفِ المَعْنَى ، وَمِنْهُ سُمِّيَ المَعْبَرُ لِغَيْرِهِ عَنْ لُغَةٍ لَا يَعْرِفُهَا بِلُغَةٍ يَعْرِفُهَا بالتَّرْجُمَانِ ؛ وَإِلَيْهِ يَنْحَلُّ لَفْظُ الحَلِّ أَيْضًا ؛ إِذَا المُرَادُ مِنَ الحَلِّ إِزَالَةُ العَقْدِ فَيَصِيرُ المُرَادُ بِحَلِّ المَتَرَجِّمِ تَرْجَمَةَ المَتَرَجِّمِ أَوْ حَلَّ الحَلِّ ، وَلَوْ عَبَّرَ عَنْهُ بِكَشْفِ المَعْنَى لَكَانَ أَوْفَقَ للغرضِ المطلوبِ .

ثم مبنى ذلك على قاعدتين :

القاعدة الأولى — كيفية التعمية .

إِعلم أنَّ التعمية بالنسبة إلى كلِّ واحد من الناس باعتبار ما يجهله من الخطوط ، فيعمى على العربى في اللغة العربية بالخطوط غير العربية ، كالرومية والعبرانية ونحوهما ، إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب ، أو بقلم مصطلح عليه على وفق حروف العربية ؛ وكذلك يعمى على غير العربى من الرومى ونحوه ممن يجهل الخط العربى بالقلم العربى ، وعلى ذلك .

ثم للناس في التعمية مذهبان :

المذهب الأول — أن يكتب بالأقلام القديمة التي ليست بمتداولة بين الناس مما لا يعرفه إلا الآحاد ، إذا وافق ذلك القلم اللغة التي تريد الكتابة [بها] .

وقد ذكر ابن الدريهم أن أقل اللغات المغل وهو سبعة عشر حرفاً ، وأطولها الأرمني ، وهو ستة وثلاثون حرفاً^(١) . ثم قال : والتركى عشرون حرفاً ، وكذلك الفارسي إلا أن في الفارسي ثلاثة أحرف ليست في التركى ، وهى الهاء والفاء والدال . وفي التركى ثلاثة ليست في الفارسي : وهى الصاد والطاء المهملتان والقاف ، والعبراني والسرياني اثنتان وعشرون حرفاً [من أول أبيجد إلى آخر قرشت . واليوناني والرومى القديم أربعة وعشرون حرفاً]^(٢) ولهم قلم آخر ثلاثون حرفاً ، والقبطى اثنتان وثلاثون حرفاً ، وذكر أن جميع الأقلام مقطعة الحروف على اصطلاح أبيجد ، خلا العربى والمغلى

(١) في هذا المحصر مخالفة لما تقدم في ج ٣ ص ١٩ من هذا المؤلف فراجعه وحرر .

(٢) قد تقدم أنه من أربعة وعشرين الى ستة وعشرين حرفاً فتنبه .

(٣) زائد في بعض النسخ .

والسريانيّ فإنّ حروفها تُوصَل وتُقطَع ، وقطع السرياني كالعربي ، وأقلام المتقدمين المقرّرة : كالروميّ والفَرَنْجِيّ وغيرهما معلومةٌ لاحاجة إلى التمثيل بشيءٍ منها .

المذهب الثاني — أبْنِ يَصْطَلِحَ الإنسانُ مع نفسه على قلم يبتكره وحروف يُصوِّرها ؛ وقد ذكر ابن الدريهم أنّ الناس اختلفت مقاصدهم في ذلك :

فمنهم — من يصطليح على إبدال حرفٍ معيّن بحرفٍ آخر معيّن حيث وقع في القلم المعروف بالقُمِّيّ ، وهو أنهم جعلوا مكان كلّ حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ؛ فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واواً وبالعكس ، والدالّ المهملة راءً مهملةً وبالعكس ، والسين المهملة عينا مهملةً وبالعكس ، والفاء ياءً مثناةً تحتيةً وبالعكس ، فيكتب محمد « كطكر » وعلى « سفف » ومسعود « كعسار » وعلى ذلك ، وقد نظم بعضهم ذلك في بيتٍ واحد ذكر فيه كلّ حرف تلو ما يُبدّل به ، وهو :

كَمْ أَوْ حِطَّ صِلَا لَهُ دَرَّ سَعٌ * فِي بَزْ خَيْشٍ غَضٌّ ثَجَّ تَدَفَّقْ

قال : ومنهم — مَنْ يَعْكِسُ حُرُوفَ الْكَلِمَةِ فَيَكْتُبُ مُحَمَّد « دمح » وعلى « يلع » .

ومنهم — مَنْ يُبَدِّلُ الْحُرُوفَ الْأَوَّلَ مِنَ الْكَلِمَةِ بَثَانِيَةٍ مُطْلَقًا فِي سَائِرِ الْكَلَامِ فَيَكْتُبُ مُحَمَّد أَخُو عَلَى « حدم خا عويل » إلى غير ذلك من التمييزات .

ومنهم — مَنْ يُبَدِّلُ الْحُرُوفَ بِأَعْدَادِهَا فِي الْجُمْلِ ؛ فَيَكْتُبُ مُحَمَّد أَرْبَعُونَ ، وَثَمَانِيَةً ، وَأَرْبَعُونَ ، وَأَرْبَعَةً ، وتعمل التعميةُ صفةً محاسبةً .

ومنهم — مَنْ يَكْتُبُ عِوَضَ عَدَدِ الْحُرُوفِ حُرُوفًا وَهُوَ الْبَلْغُ فِي التَّعْمِيَةِ ؛ فَيَكْتُبُ مُحَمَّد « لى بو لى اج » لأنّ اللام بآربعين وهى عدد مالمم الأولى ، والباء

والواو بثمانية وهى عدد ما للحاء، واللام والياء أيضا بأربعين وهى عدد ما لليم الثانية،
والألف والجيم بأربعة وهى عدد ما للدال، فكأنه قال : م ح م د . وإن شاء
أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن هذه الأعداد .

ومنهم — من يعمل لكل حرف اسم رجل أو غيره .

ومنهم — من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين على ترتيبها
على حروف أبجد : فيجعل الألف للشرطين ، والباء للبطين ، والجيم للثريا ، وهكذا
إلى آخرها ، فيكون بطن الحوت للغين من ضغط . وربما أصطلح على الترتيب
على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من
الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التعمى التى لا يأخذها حصر . وأكثر أهل هذا
الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختارها قلبا له مقطعة على ترتيب حروف
المعجم . والطريق فى ذلك أن يثبت حروف المعجم ثم يرتب تحت كل واحد شكلا
لا يماثل الآخر ، فكلما جاء فى اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط ،
ثم يفصل بين كل كلمتين : إما بخط أو بنقط أو بياض أو دائرة أو غير ذلك ، وأكثر
المتقدمين يعملون الحرف المشدد بحرفين ، والمتأخرون يعملونه حرفا واحدا ، وهذه صور
حروف مترجم كان قد وصل إلى الأبواب السلطانية من منححين فى بغداد يقاس عليه

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
هـ	ظ	لا	س	م	ع	هـ	ك	ح	ط	ع	ح	و	و
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	لاي
ل	ن	م	هـ	ق	سج	مى	لا	د	هـ	ل	ل	هـ	ضم

القاعدة الثانية — حلّ المعنى، وهو مقصودُ الباب ونتيجته .

ويحتاج المتصدى لذلك مع جَوْدَةِ الحَدْسِ وذَكَاءِ الفِطْرَةِ أن يَعْرِفَ اللِّغَةَ الَّتِي يَرُومُ حَلَّ مَتَرَجِمِهَا مَا وَقَعَ بِهِ التَّعْمِيَةُ فِيهَا، وَمِقْدَارَ عِدَدِ حُرُوفِهَا؛ وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّ حُرُوفَ الْعَرَبِيَّةِ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا، وَيَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ الْحُرُوفَ الَّتِي تَدْخُلُ كُلَّ لُغَةٍ وَالْحُرُوفَ الْمُتَنَعَةَ الْوُقُوعَ فِيهَا كَمَا تَقْدَمُ .

ثم المَعْوَلُ عَلَيْهِ، وَالْمُنْصَبُ الْقَوْلُ إِلَيْهِ، فَمَا هُوَ مُتَعَارَفٌ فِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ لُغَةُ الْعَرَبِ الَّتِي [هِيَ] أَشْرَفُ اللُّغَاتِ وَأَبْذَخُهَا .

وَالنَّاضِرُ فِي حَلِّ مَتَرَجِمِهَا يَحْتَاجُ إِلَى أَصْلَيْنِ :

الأَصْلُ الْأَوَّلُ — مَعْرِفَةُ الْأُسِّ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْحَلُّ ؛ وَالَّذِي تَمَسُّ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ ذَلِكَ سَبْعَةُ أُمُورٍ :

أحدها — أَنْ يَعْرِفَ مَقَادِيرَ الْحُرُوفِ الَّتِي تَتَرَكَّبُ مِنْهَا الْكَلِمَةُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ مِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِثْلَ «ق» مِنَ الْأَمْرِ بِالْوَقَايَةِ، وَ«ع» مِنَ الْأَمْرِ بِالْوَعْيِ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى حَرْفَيْنِ مِنَ الْأَفْعَالِ مِثْلَ «قُمْ» فِي الْأَمْرِ بِالْقِيَامِ، وَ«كُلْ» فِي الْأَمْرِ بِالْأَكْلِ؛ وَمِنْ الْحُرُوفِ نَحْوُ : مِنْ فِي رَبِّ هَلْ بَلَّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ وَمِنْ الْأَسْمَاءِ الْمَبْنِيَّةِ نَحْوُ : ذِي ذَا مَنْ كَمْ؛ وَمِنْ الضَّمِيرِ مَعَ حُرُوفِ الْجَزْرِ نَحْوُ : بِكَ لَهُ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ فِي الْحُرُوفِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ، ثُمَّ تَدْخُلُ فِيهِ أَحْرَفُ الزِّيَادَةِ الْعَشْرَةِ، وَهِيَ «هَوَيْتَ السَّمَانَ» وَثَلَاثَةُ أَحْرَفِ أَنْحَرَ، وَهِيَ الْفَاءُ وَبَاءُ الْجَزْرِ وَكَافُ التَّشْبِيهِ

وكأف الخطاب إلى أن تبلغ الكلمة على اصطلاح الكتاب [أربعة] عشر حرفاً ،
كقولك مخاطباً لرجلين [أنشأ] جُنَيْنَةً : أَفَلَمْ تُسْتَرْهَاتِكُمَا أَعَدْتُمَا .

قال ابن الدريهم : وليس في كلام العرب كلمة رُبَاعِيَّةُ الأصل أو نُحْمَاسِيَّةُ الأصل
ليس فيها حرف من الحُرُوفِ الذَّلِّيَّةِ كاللام والنون والواو، والشَّفَوِيَّةِ كالفاء والميم
وبالباء إلا ما شذَّ مثل «عَسَجَد» من أسماء الذهب .

قال : ونهاية الأسماء العربية قبل الزيادة خمسة ، وشذَّ (؟) مثل عَنَدَلِيْب ، والأفعال
قبل الزيادة أربعة ؛ وليس في القراءة كلمة نُحْمَاسِيَّةُ الأصل سوى الأسماء الأعجمية
مثل إبراهيم ، ولا يمكن أن يتكرر حرف [في] كلمة واحدة أكثر من خمسة كقول القائل
مارأينا [كُكَّا كُكَّا كُكُّم] جمع كُكَّة وهو المركب الكبير مثل عُكَّة وعُكَّك ،
وأربع كافات في قولك ^(١) وَكُكُّمَك ^(٢) .

الثاني — أن يعرف الحروف التي لا يُقَارَبُ بعضها بعضاً بمعنى أنها لا تجتمع
في كلمة واحدة .

وَأَعْلَمُ أَنَّ في الأحرف ما لا يُقَارَبُ بعضُه بعضاً مطلقاً بتقديم ولا تأخير كالتاء
المثلثة ، فإنها لا تقارب الذال المعجمة والزاي المعجمة والسين والصاد المهملتين
والضاد المعجمة ، وكذلك الجيم لا تقارب الطاء المهملة ولا الظاء المعجمة ولا الغين

(١) بيض له في الاصول وقد صححناه من المقام ، ولكن لم نعر على هذا البناء في كتب اللغة ولعله
عامي تامل .

(٢) يياض في الاصل .

المعجمة ولا القاف ولا الكاف، وما وقع من ذلك في الكلام نحو : نُعْجَة وَبَرْجَقْ
وَجُرْمُوقْ وَجَوْلَقْ وَجُلَاهِقْ وَمَنْجَبِقْ وَجَوْقَة وَجَوْسَقْ وَصَنْجَقْ وَسَنْجَقْ وَجَرْدَقْ
ونحو ذلك فليست عربية : لأنه لا يجتمع في كلام العرب جيم وقاف في كلمة
واحدة ؛ وكذلك الدال المهملة لا تقارن الظاء المعجمة والذال المعجمة لا تقارن
الزاي المعجمة والصاد والضاد والطاء والظاء ، وما وقع في الكلام من ذلك فليس
عربي ، مثل طبرزد فارسي والزُّطْ نبطي ، ولا تقارن السين المهملة الصاد المهملة
والضاد المعجمة والطاء المعجمة ؛ ولا تقارن الصاد المهملة الضاد المعجمة ولا الظاء
المعجمة ؛ ولا تقارن الضاد المعجمة الشين والطاء المعجمتين ؛ ولا تقارن الطاء
المهملة الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن القاف الغين المعجمة ولا الكاف في كلمة أصلية ،^(١)
وشدَّ نغق الغراب وناقة نغيق ؛ ولا تقارن الكاف الخاء المعجمة في كلمة أصلية ،
ولا تقارن الميم الباء الموحدة والفاء في كلمة أصلية إلا في فَمٍ وأصله فَوْه ، وأما بَمٌ
لأحد أوتار العود فليس عربي ؛ والحروف الحلقية لا يقارن بعضها بعضاً خلا الهاء
فإنها تعقبها زائدة ، كهاء الضمير وهاء التأنيث ، وتعقب العين أصلية كالعهد والعهر
وعهر ؛ وليس في كلمة أصلية حرفان حقيقيان سوى ما تقدم من الهاء ، وقد تعقب
بواسطة كغيب وعبر ؛ أما حَيْهَلْ فمرگبة ، ولا يجتمع حرفان من هذه الخمسة :
وهي الهاء والطاء المهملة (٩) والعين والغين والحاء المعجمة في أول كلمة سوى ما ذكر ،
ولا في أثناء الكلمة إلا الهاء مع العين كهلع والهاء مع الغين كاهنغ ، والحاء مع الغين^(٢)
كأخنغ ، والهاء مع الخاء المعجمة في كلمة واحدة وهي هَيْيَخَة ؛ ولا تجتمع الهاء

(١) في الأصول العين المهملة وهو غير مستقيم . وفي كتب اللغة ناقة نغيق «أى بإعجام الغين» إذا كانت

تبغم مرة بعد مرة .

(٢) لم توجد في كتب اللغة التي بأيدينا .

الأصلية مع الخاء المعجمة ، ولا الخاء المهملة والعين المهملة إلا أن تكون مرتبة مثل هرقصع (؟) والحيعة .

الثالث — أن يعرف الحروف التي لا تقارن بعض الحروف في الكلمات إلا قليلا ، كقارنة السين المهملة للشين المعجمة في شسع والسين مع الزاي كشزر والراء مع اللام كورك .

[وَأَعْلَم] أَنَّ الحَرْفَ الواحدَ يَتَكَرَّرُ في الكَلِمَةِ الواحدةِ كَثِيرًا مِثْلَ دَهْدَه وَتَهْتَه وَنَهْنَه وَحَصْحَصَ وَجَبَجَبَ وَخَمَخَمَ وَجَلَجَلَ وَخَلَخَلَ وَشَعَشَعَه وَزَعَزَعَ وَدَغَدَغَ وَبَغَبَغَ وَنَعَنَعَ وَعَسَعَسَ وَزَعَزَعَ وَغَوَّاءَ وَصَخْصَخَ وَخَوْخَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

الرابع — أن يعرف ما يجوز تقديمه على غيره من الحروف وما يمتنع ، فالثاء لا تتقدم الشين المعجمة ، والذال المهملة لا تتقدم على زاي ولا صاد^(١) مهملة ولا طاء مهملة بدليل أنهم لما عرّبوا مُهَنْدِزَ ، أبدلوا الزاي سينا فقالوا مُهَنْدِسَ وَهَنْدَسَه ، والذال المعجمة لا تتقدم الجيم ولا السين المهملة ولا الشين المعجمة ولا العين المهملة ، ومن هنا لما عرّبوا الفالوذج من الفارسي قالوا فالوذق ، والسين المعجمة لا تتقدمها الزاي المعجمة ولا السين المهملة ولا الصاد المهملة ، والطاء المهملة لا تتقدم الكاف في كلمة أصلية ، والسين المهملة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كسَدَابَ ، والذال المعجمة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كقولك في الأمر دُدِ الغَم .

(١) في الأصل "على نون" وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) أورده القاموس بالذال المعجمة وتكلم عليه شارحه ثم قال ويوجد في بعض كتب النبات بالذال المهملة .

الخامس — أن يَعْرِفَ ما لا يَقَعُ في أوّل الكلمات من الحروف كالجيم لا تقع بعدها التاء المثناة فوق ولا الصاد المهملة ولا الضاد المعجمة ولا الغين المعجمة؛ أما الحِصْنُ فمَعْرَبٌ .

السادس — أن يَعْرِفَ أنه لا يَتَكَرَّرُ حرفٌ في أوّل كلمة إلا من هذه العَشْرَةِ الأَحْرَفِ وهي: الكاف واللام والميم والنون والتاء المثناة فوق والالف والباء الموحدة والواو والقاف والياء المثناة تحت ويجمعها قولك « كُلُّ مَنْ تَابَ وَقِيَ » وأقلّها وقوعاً كذلك الياء .

السابع — أن يَعْرِفَ أَكْثَرَ الحروف دَوْرَانَا في اللّغة، ثم الذي يليه من الحروف في الكثرة إلى أقلّها دَوْرَانَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِيهِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ اسْتِقْرَاءُ الْقِرَاءَنِ الْكَرِيمِ الْأَلْفُ ثم اللام ثم الميم ثم الياء المثناة تحت ثم الواو ثم النون ثم الهاء ثم الراء المهملة ثم الفاء ثم القاف ثم الدال المهملة ثم الذال المعجمة ثم اللام ألف ثم الحاء المهملة ثم الجيم ثم الصاد المهملة ثم الخاء المعجمة ثم الشين المعجمة ثم الضاد المعجمة ثم الزاي المعجمة ثم التاء المثناة ثم الطاء المهملة ثم الغين المعجمة ثم الظاء المعجمة؛ وقد جمع بعضهم أَحْرَفَ الْكَثْرَةِ في قوله (اليونة) وبعضهم يجمعها في قوله (اليوم هن) وجمع الحروف المتوسطة في قوله (رعت بكس نخب)^(١) وجمع أَحْرَفَ الْقَلَّةِ في قوله (طظع صخذز قش) .

(١) تأمل هذا المثال وما بعده وحررها .

فيجد قد تكرر معه هذا الشكل ه أكثر من كل الأشكال بكثير، فيعلم أنه الألف
 فيرقم عليه في موضعه، ثم المكرر بعده أكثر من باقي الأشكال هذا الشكل 3
 فيظن أنه اللام ويحقق ظنه كونه تابعا للألف في سبعة مواضع من الكلام؛ ثم ينظر
 فيجد فيه حرفا واحدا كلمة فيظن أنها اللام ألف؛ ثم يجد الكلمة الثالثة ثنائية
 ثانيها اللام ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه: بلا تلا جلا حلا خلا سلا علا
 غلا فلا كلا هلا ولا؛ ثم يجد هذا الشكل ه الذي مع اللام ألف قد ورد
 مكررا في أول كلمة أمتنع أن يكون جيا أو حاء أو خاء أو سينا أو عينا أو غينا
 أو هاء فلم يبق معنا سوى بلا تلا فلا كلا ولا؛ ثم يجد الكلمة الخامسة ثنائية
 ثانيها ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه: با جا دا ذا سا شا ضا فا ما نا يا،
 ثم يترجح أنها ما أو يا لأن هذا الشكل I قد تكرر أكثر من باقي الحروف
 فيكون إما الميم أو الياء وإن قاربهما النون لكن ما ويا أكثر وقعا في الكلام
 من نا فإنها غريبة الوقوع، ثم رأينا هذا الشكل المتقدم قد تلا الشكل الذي مع
 اللام ألف الذي ظننا أنه أحد هذه ه ب ت ف ك وفي الكلمة الثلاثية
 المكرر أولها I II III فحربنا الحروف مع الميم فظهر منها لفظة
 «ففى» لاغير؛ ثم نظرنا هذا الحرف ه فوجدناه وقع في أربعة مواضع في الكلام
 لاغير، فقلنا إنه الفاء: لأن الياء بنسبة هذا الكلام تقع أكثر من ذلك غالبا، فصَحَّ
 معنا أن الكلمة الثالثة «فلا» والكلمة الخامسة «يا» والحرف المفرد «لا»
 والكلمة الخامسة منه هي رايد ذلك أننا وجدنا الكلمة الحادية عشرة قد تكرر
 [فيها] بعد الألف واللام حرفان تلاهما ألف بعده حرف آخر، ولا يمكن أن يتكرر
 حرف في مثل هذا المكان سوى الميم إذا جربته على جميع الحروف، فقلنا: المئات

المَح المَآر المَاس المَاع؛ ورأينا هذا الشكل **ت** الذى هو آخر الكلمة قد تكرر أكثر من باقى الحروف بعد الألف واللام والباء، فبقى أن تكون هذه ر س ت ع لأن الميم قد صح معنا ولم يكن النون فعلمنا على الميم فى مواضعه؛ ونظرنا فرأينا هذا الشكل **ط** أول الكلمة الرابعة الثلاثية وقد صح ثانياها اللام وثالثها الميم فخرَّبناها على هذه الحروف فسقطتِ الرَّاءُ وبقى أحد هذه: سلم تلم علم؛ ثم نظرنا الكلمة المجارية للمات الماع الماس، فرأينا قبل الألف واللام حرفا يكون أحد هذه ب ل و: لأن الفاء علمناها؛ ونظرنا هذا الحرف **م** قد تبع الألف واللام قبل الياء، ووجدناه بين البين فى كلمة ثلاثية تكون إحدى هذه أبا إذا أسا أنا، فخرَّبنا الكلمة على الباء والذال والسين والنون على أن يكون الحرف الآخر السين فلم يتفق منه لفظ فسقط «سلم» ثم جَرَّبناها على أن تكون العين فصل منه بعد الحرف الأول البياع؛ ثم على أن تكون تاء فصل منه الثبات السيئات فسقط وبقى أبا أسا أنا؛ ثم نظرنا الكلمة السابعة وهى ثلاثية أولها اللام وثانيها هذا الحرف **م** الذى قبل الياء وثالثها هذا **ت** الدائر بين العين والتاء قلنا يقوم منها «لست» وسقط الباء والنون، وإِنما لم يَقم منه «كسع» لأنه لما سقطت الباء سقطت العين من البياع، فصَحَّ أن تلك «السيئات» ونظيرها «المات» والثلاثية «تلم» وسقط علم، فرقنا على التاء فى مواضعها وعلى السين فى مواضعها، فصارت الثلاثية «أسا» فقد صح معنا من الكلمات: «فلا تَلَمْ يا لَسْتُ الماتِ لا أسا ففى» وبقى الحرف الذى قبل السيئات؛ ثم نظرنا الكلمة العاشرة الثلاثية فيها ت ي فخرَّبناها على الحروف فظهر منها «حتى» لا يشارِكها شيء فعلمنا على الحاء فى مواضعها؛ ثم نظرنا كلمة نحاسية قد بقى منها الحرف

الوسط، بجرّناها على الحروف فقام من ذلك : « حَسَرَات حَسَكَات حَسَنَات »
 فعلنا أنه حسنات : لأن هذا الشكل **هـ** تكرر أكثر من باقى الحروف بعد
 الألف واللام والياء والتاء، وقد صحّ الميم فأثبتنا النون فى موضعها؛ ثم نظرنا هذا
 الشكل **ل** فى أول كلمتين ثلاثيتين وقد صحّ من إحداهما ن ي ومن الأخرى
 ل ي، بجرّنا الحرف فوجدناه إمّا عينا أو واوا، فيقوم منهما عنى على وبى ولى
 فتعين أن يكون عينا لقلة الحرف عن مرتبة الواو؛ ثم نظرنا كلمة سباعية قد بقي
 منها حرف مجهول، بجرّناها على الحروف فصحت «البَيَانُ» لا يشاركها لفظة أخرى،
 وللحرف هذا الشكل **ح** الذى قبل السينّات فتعيّنت الباء فى مواضعها؛ ثم نظرنا
 كلمة سداسية نالّها حرف مجهول، بجرّناها فظهر منها «الكَّاب»؛ ثم نظرنا كلمة
 نحاسية قبل التى قبل «هذه» قد بقي حرف الوسط [منها] مجهولا، بجرّناها على الحروف
 فقام لمحيّف لمدنف لمصنف فتعيّنت «لمصنف» بسبب سياق الكلام بلفظ
 «الكَّاب» ورقمنا على الصاد؛ ثم نظرنا الكلمة الأخيرة قد بقي منها رابعها مجهولا،
 بجرّناها على الحروف فصحت «المَوْصِلُ» وصحّت الكلمة التى بعد لست أنها «أسلو»
 فرقمنا على الواو؛ ثم نظرنا الكلمة الأولى وهى ثنائية أولها ص بجرّناها فصحت
 صدّ، وإنما كالأخرى لقلّة وقّع حروفها، ثم علّمنا على الدال فوجدنا كلمة ثنائية آخرها
 «د» بجرّناها على باقى الحروف التى لم تظهر، فقام منها جد حد قد هد؛ ثم نظرنا
 كلمة ثلاثية فصح أولها ت وآخرها ل وسطها هذا الحرف **ث** الذى قبل الدال
 فى الثنائية، بجرّناها على الجيم والحاء والقاف والهاء، فسقطت الهاء وبقي تجل
 تقل تجل؛ ونظرنا فرأينا سياق الكلام يدل على أن الكلمة قبل أسا «قد» والثلاثية
 «تقل» فانتظم الكلام «لا تقل قد أسا» ثم نظرنا الكلمة السادسة قد بقي منها

ثانيها مجهولا ، جُزئناها على باقي الحروف فصحت « عَدُولِي » ، فرقنا على الذال في مواضعه ؛ ثم نظرنا الكلمة الثلاثية التي بين « لمصنف » وبين « الكتاب » أولها هذا الشكل **د** وقد صح منها « ذا » فغلينا أنها « هذا » ورقنا على الهاء ؛ ثم نظرنا الكلمة الخماسية التي بين « فني » وبين « منه » قد بقي رابعها ، جُزئناها على باقي الحروف فصحت « الوجه » ؛ ثم نظرنا الكلمة السباعية التي قبل الأخيرة وقد بقي منها رابعها مجهولا ، جُزئناها فظهر منها الدَّرِيهِم ، فتكل الحل وظهر الكلام :

صَدَّ عَنِّي فَلَا تَلُمُ يَا عَدُولِي * لَسْتُ أَسْلُو هَوَاهُ حَتَّى الْمَمَاتِ

لَا تُقْلُ قَدْ أَسَا فَنِي الْوَجْهِ مِنْهُ * حَسَنَاتٌ يَذْهَبْنَ بِالسَّيِّئَاتِ

هذا البيان لمصنف هذا الكتاب ، علي بن الدَّرِيهِم الموصلي .

وعلى مثل هذا المنوال يجرى الحل ؛ ثم آنظر إلى حروف هذا الكلام كيف جاءت أحداً وعشرين حرفاً ، ونقص منه ثمانية لم توجد فيه ، فإذا نظرت إلى ما قررت لك من ترتيب وقع الحروف كما جاءت في الكتاب العزيز ، رأيت الثمانية الناقصة هي آخر الترتيب سواء لم يختلط منها شيء بتقديم أو تأخير ، وهذا اتفاق : لأنه قد يقع الحرف قريباً من رُتْبَتِهِ كما تقدم ؛ وكما تقدمت الياء على الميم في هذا الكلام ، والفاء على الميم والنون ، وتقدمت الهاء على الميم أيضاً ؛ لكن الأصل معرفة وقع الحروف بالتقريب وتجربة الكلمات ، ومقارَبة ما دلَّ عليه سياق الكلام .

ولنضرب مثالا آخر : لتتضح أنواع الحل .

من الجميع فلم يوافق : لأنه قد تقرر أن اللام تكون تابعة للألف في أكثر المواضع ولم نجد تبعه البتة ، بل وجدنا العكس فعلمنا أن هذا **ج** هو الألف وهذا **ح** هو اللام ، ورقننا عليهما في مواضعهما فإذا الكلمة الثانية الثلاثية فيها لآمان ، بقي حرف آخرها مجهول ؛ فجربناها على الحروف فظهرت الهاء لا يمكن غيرها ، فعلمنا أنها « لله » ورقننا على الهاء في مواضعها ، ثم وجدنا الكلمة الخماسية قد بقي رابعها مجهولا ؛ فجربناها فظهر لها ألها ألها الهاء ، ووجدنا الحرف قد تكرر أكثر من كل الحروف بعد الألف واللام ؛ فظننا أنه الميم ، لكنه يحتمل أن يكون النون ، وسقط الباء والجيم فوجدناه في الثنائيات في كلمتين قبل الألف ؛ فعلمنا أنها « ما » فرقنا على الميم في مواضعها ، ثم رأينا الميم قد تبعه في الثنائيات حرف يحتمل أن يكون مد مر مس مض مط مع من ، ورأينا الحرف كثير الوقوع ، وقد تكررت ثلاث لفظات ؛ فعلمنا أنها « من » ورقننا على النون في مواضعه ، ثم رأينا هذا الشكل **ن** أكثر من غيره وهو قبل الألف واللام وفي أوائل الكلمات فقلنا إنه الواو ، ثم رأينا آخر كلمة قد بقي منها رابعها مجهولا ، فجربناها فظهر والبهم والتهم والجهم والدهم والسهم والشهم والفهم واليهيم ؛ ثم وجدنا هذا الحرف **هـ** الذي فيها قد جاء قبل حرف في الثنائيات وذلك أكثر ما وقع بعد الألف واللام والميم ، فيحتمل أن يكون الياء ، ووجدنا قد بقي من كلمة هذا الحرف فصَحَّ أن يكون النهى وأخرى أولى ، فعلمنا أنها الياء ، فجربنا الحرف معها ؛ فظهر بي ني ، ووجدنا كلمة خماسية هذا الحرف **ي** رابعها وبعد حرف آخر ، جربناها على الياء والفاء فظهر اللبث اللبد اللبس اللبط اللبك اللفت اللفج اللفح اللفظ اللفق ؛ ثم وجدنا هذا الحرف الآخر **ذ** أول كلمة بعده لآمان وهاء ؛ فجربناها فظهر منها الحرف الثالث مجهولا ، جربناها فظهر

الَّتَمَّامُ الْحَمَامُ الدَّمَامُ الشَّمَامُ الْغَمَامُ الْكَمَامُ ؛ فرأينا سياق الكلام يدلُّ على أنه «ظَلَّلَ الْغَمَامُ» وتعينت تلك اللفظة والأخرى الْفَهْمُ والثنائية، فرقنا على الفاء ؛ ثم رأينا الكلمة الثالثة الثلاثية ثانياً لام وآخرها ياءٌ وبعدها «ما ألهمًا» فدل سياق الكلام على أنها «على» فرقنا على العين، فرأينا الرباعية التي بعد «وآله» قد بقي ثالثها مجهولاً ؛ فخرَّبناها فظهرت مَعِجَن مَعِدَن فتعين مَعِدَن والثنائية التي بعدها ؛ وقيل «علم كل» فرقنا على الدال في مواضعه ورأينا الكلمة الأولى قد بقي وسطها مجهولاً ؛ فخرَّبناها وظهرت التمدُّد الحمد الصمد، فدلَّ سياق الكلام أنها الحمد : لأن بعدها «لله على ما ألهمًا» فرقنا على الحاء في مواضعها، ورأينا الثالث من الرباعية التي بين على وظلَّله، فخرَّبناها فظهرت «الذي» ورأينا الكلمة الخماسية التي بعد «محمد» قد بقي رابعها [مجهولاً] ، فخرَّبناها فظهرت «النبى» فرقنا على الياء في مواضعها ورأينا قد بقي ثالثُ السُداسية التي بعد «من» هذا الشكل ٥ وهو ثالثُ رباعية أولها الألف وثانيها فاء وآخرها حاء، وثاني خماسية أولها واو وثالثها حاء ورابعها باء وخامسها هاء ؛ فتعينت الصاد، فالأولى «البصواب» والأخرى «أنصح» والأخرى «وصحبه» وتعينت الثنائية التي هي أول البيت الثاني بعد السطر الأوَّي «ثم» والتي تليها «صلاة» وتعين السين في السلام ؛ فصار، «ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ» وكلما تمزّن الإنسان في ذلك ظهر له أسرع بكثرة المباشرة، ثم تعين رابع السُداسية التي بعد أفصح من أنه الضاد، وتعين بسياق الكلام أن بعد بالضاد «في اللَّفْظِ نَطَقَ» فرقنا على القاف فرأينا مجاريها الثلاثية من رأس المِصْرَاعِ «خَلَقَ» فرقنا على الخاء، وتعينت الكلمة التي قبل «مَنْ خُلِقَ» أنها «خير» فتكلت الأبيات وظهر أنها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا * مِنَ الصَّوَابِ وَعَلَى مَا عَلَّمَنَا
 ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ * عَلَى الَّذِي ظَلَّلَ لَهُ الْغَمُّ
 مَحْدِ النَّبِيِّ خَيْرٍ مِنْ خَلْقٍ * أَفْصَحَ مِنَ الْبُضَادِ فِي اللَّفْظِ نَطَقُ
 وَآلِهِ مَعْدِنٌ كُلِّ عِلْمٍ * وَصَحْبِهِ أَوْلَى النَّهْيِ وَالْفَهْمِ

قلت : وما يلتحق بتعمية الخطّ المتقدمة الذكر ما حكاه ابنُ شيثٍ في معالم
 الكتابة : أنَّ بعض الملوك أمر كاتبه أن يكتب عنه كتاباً إلى بعض أتباعه يُطمّنه
 فيه ليقبض عليه عند انتهاز فرصة له في ذلك ؛ وكان بين الكاتب والمكتوب إليه
 صداقة فكتب الكاتب على ما أمر به من غير خروج عن شيء من رسمه ، إلا أنه
 حين كتب في آخره « إن شاء الله تعالى » جعل على النون صورة شدة ، فلما قرأه
 المكتوب إليه ، عرف أنَّ ذلك لم يكن سدى من الكاتب فأخذ في التأويل والحُدس
 فوقع في ذهنه أنه يُشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ .
 فأخذ حذره ، وأحترز على نفسه ، وبلغ الملكَ احترازه على نفسه فاتهم الكاتب في أنه
 ألحق في الكتاب شيئاً نبه به على قصد الملك ، فأحضره وسأله عن ذلك ، وأمره
 بأن يكتب الكاتب على صورة ما كتب به من غير خروج عن شيء منه ،
 فكتبه ولم يغير شيئاً من رسمه حتى إنه أثبت صورة الشدة على النون ؛ فلما قرأه
 الملكُ ونظر إلى صورة الشدة أنكرها عليه ، وقال : ما الذي أردتَ بذلك ؟ قال :
 أردتَ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ . فأعجب بذلك وعفا عنه
 لصدقه إياه .

النوع الثاني

(الرُّمُوزُ والإِشَارَاتُ الَّتِي لَا تَعْلُقُ لَهَا بِالْخَطِّ وَالْكَتَابَةِ)

وهي التي يعبر عنها أهل المعاني والبيان بالإستعارة بالكناية « بالنون بعد الكاف » وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة .

ومن غريب ما وقع في ذلك ما حكاه العسكري في "الصناعتين" : أن رجلا من بني العنبر أسرف في بني حنظلة ، وفهم عنهم أنهم يقصدون الغارة على قومه بني العنبر ، فقال لبني حنظلة : إن لي حاجة عند أهلي وأريد رسولا من قومكم أرسله فيها ، فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يخاطبه في حاجته بحضورهم ، فأحضروا له رجلا في الليل وقد أوقدت العرب نيرانها ، فأقبل على الذي أتوه به وقال له : أنتقل ؟ قال : إني لعاقل . فقال : أنظر إلى السماء ونجومها ، فنظر ، ثم قال : أنظر إلى نيران العرب ، فنظر ، فقال له : ما أكثر ؟ نجوم السماء أو نيران العرب ؟ فقال : إن كلا منها لكثير ، قال : إنك إذا لعاقل ، ثم دفع إليه حنظلة وصرة فيها رمل وصرة فيها شوك ، وقال أذهب إلى قومي فادفع إليهم هذه الحنظلة وهاتين الصرتين ، وقل لهن يعروا ناقتي الحمراء ، ويرحلوا بحمل الأورق ، وسلوا أخى الأعور يُخبركم الخبر . فقال الحاضرون : ليس في هذا ما يُنكر ، أذهب في حاجته ، فذهب إلى بني العنبر ودفع إليهم ذلك وقص عليهم القصة ورجع ، فبعث القوم إلى أخيه الأعور فحضر ، فأخبروه الخبر . فقال إنه يقول : أتاكم بنو حنظلة في عد الشوك والرمل ، وإن نيران العرب تُعادُ بنجوم السماء ، ويأمركم أن ترحلوا عن الدَّهْناء وانزلوا مكان كذا ، ففعلوا ورحلوا لوقتهم فصَبَّحهم بنو حنظلة فلم يدركوا منهم أحدا .

وفي معنى ذلك ما حكاه المَقَرَّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلٍ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ "التَّعْرِيفُ" :
 فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَكَاتِبَةِ إِلَى الْأَدْفُونِشِ مَلِكِ الْفَرَنْجِ بِطَلَيْطَلَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ؛ كَانَ
 خَبِيثَ النِّيَّةِ ، سَيِّئَ الْمَقَاصِدِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ مَرَّةً إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
 مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ : صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ هَدِيَّةً فِيهَا سَيْفٌ وَثَوْبٌ بُنْدُقٌ وَطَارِقَةٌ
 مُسْتَطِيلَةٌ تُشَبِّهُ النَّعْشَ كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَقْتُلْكَ بِهَذَا السَّيْفِ ، وَأَكْفَنْكَ فِي هَذَا الثَّوْبِ ،
 وَأَحْمِلْكَ عَلَى هَذَا النَّعْشِ . قَالَ : وَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ حَبْلًا أَسْوَدَ وَحَجَرًا ،
 أَيْ إِنَّهُ كَلَبٌ يُرْمَى بِهَذَا الْحَجَرِ أَوْ يُرَبِّطُ فِي هَذَا الْحَبْلِ .

قلت : ومما وقع من ذلك في زماننا أنه في الدولة الظاهرية «برقوق» وتمرنك
 يومئذ ببلاد العراق يُغاور الممالك الشامية لقصد الاستيلاء عليها وردَّ عليه كتابٌ من
 المملكة الحلبية فيه : أنه وقع بتلك البلاد سَيْلٌ عَظِيمٌ سَاقَ جَمَلَةً مِنَ الْأُسْدِ وَالنَّمُورَةِ
 وَالْحَيَّاتِ ، وَأَنَّهُ دَفَعَ حَيَّةً عَظِيمَةً سَعَةً رَأْسُهَا بِقَدْرِ قَوْسٍ ، وَقَرَأَ الْكِتَابُ بِحَضْرَةِ
 السُّلْطَانِ ، وَحَمَلُوا ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ : مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ حَقِيقَةُ السَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لِقَوْتِهِ سَاقَ
 تِلْكَ الْحَيَّةَ وَالسَّبَاعَ وَغَيْرَهَا ، وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ الْكَافَّةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَسَائِرِ
 الرِّعِيَّةِ ، وَمَضَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ؛ ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذَلِكَ السَّيْلِ وَمَا فِيهِ
 هُوَ تُمُرُّنُكَ وَعَسَاكِرُهُ ؛ وَأَنَّهُ كُنِيَ بِالْحَيَّةِ الْعَظِيمَةِ عَنْهُ نَفْسِهِ ، وَبِالسَّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ
 عَنْ عَسَاكِرِهِ .

ومن لطيف ما وقع في ذلك أنه ورد على السلطان الملك الناصر «فرج بن برقوق»
 في أواخر دولته كتابٌ عن صاحب تُونُسٍ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ فِي آخِرِهِ خَطَابًا لِلْسُّلْطَانِ
 (وعلى إحسانكم المَعُولَ ، وَبَيْتُ الطُّغْرَائِيَّ فِي لَامِيَّةِ الْعِجْمِ لَا يَتَأَوَّلُ) فَسَأَلَنِي بَعْضُ
 أَعْيَانِ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ عَنِ الْمُرَادِ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْكِتَابُ مُتَضَمِّنًا لَغَيْرِ الْوَصِيَّةِ

على يُجْجَجِ المَغَارِبَةِ ، وكان رَكِبَ المَغَارِبَةَ قَبْلَ تِلْكَ الحِجَّةِ قَدْ عَرَضَ لَهُمْ عَارِضٌ
مِنْ عَرَبٍ دَرَبَ الحِجَازِ أَجْنَحُوهُمْ فِيهِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَنَهَبُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا
جَمَّةً ، فَعَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَى أَبِياتِ اللّامِيَةِ ، فَلاحَ لِي أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ فِيهَا :

فَقُلْتُ أَرْجُوكَ لِلْجُلِيِّ لَتَنْصُرَنِي * وَأَنْتَ تَحَذُّنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

وَالْجُلِيُّ بضم الجيم هِيَ الْأُمْرُ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ ، وَالْجَلَلُ بفتح الجيم فِي اللُّغَةِ مِنْ أَسْمَاءِ
الْأَضْدَادِ ، يَقَعُ عَلَى الشَّيْءِ الْجَلِيلِ وَعَلَى الشَّيْءِ الْحَقِيرِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَنَا كُنْتُ
أَرْجُوكَ لِلْأُمُورِ الْعِظَامِ لَتَنْصُرَنِي فِيهَا نَفَذْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَسِيسِ ، وَهُوَ الْأَخْذُ
بِثَّارِ حُجَّاجِ بِلَادِي مِمَّنْ أَعْتَدِي عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَبِ بِلَادِكَ : نَحَابَ ظَنِّي فِيمَا كُنْتُ
أَرْجُوهُ فِيكَ ، وَأَوَّمَلَهُ مِنْكَ ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ لَا يَتَأَوَّلُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ الْجَلَلَ فِي قَوْلِ
الطُّغْرَائِيِّ عَلَى الشَّيْءِ الْجَلِيلِ كَمَا قَالَ الصَّلَاحُ الصَّفْدِيُّ فِي شَرْحِ اللّامِيَةِ ، بَلْ عَلَى
الْأَمْرِ الْخَسِيسِ : لِأَنَّهُ هُوَ اللَّائِقُ بِالْمَقَامِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ تَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةِ ذِكَاةٍ وَأَحْتِدَامِ قَرِيحَةٍ مِنَ الَّذِي يَقَعُ
مِنْهُ الرَّمْزُ ، وَإِلَى قُوَّةِ حَدْسٍ مِنَ الَّذِي يَحَاوِلُ إِدْرَاكَ الْمَقْصَدِ مِنْ تِلْكَ [الْمَعَامِي]
كَمَا يَقَعُ فِي الْأَلْغَازِ وَالْأَحَاجِيِّ لِللِّغَزِّ ، وَالْمَتَصَدِّى حَلَّ الْأَغَاذِ وَالْجَوَابِ عَنْهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
هُوَ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ .

المقالة الخامسة

(١)

في الولايات ، وفيها [أربعة] أبوابٍ

الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت ، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في بيان طبقات الولايات ، وهي على ثلاث طبقات

الطبقة الأولى — الخِلافة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : إما عهد من الخليفة الأول ، وإما بيعة من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله على ماسأى بيانه إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية — السُّلْطَنَة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : أحدهما العهد من الخليفة ، والثاني العهد من السلطان قبله . قال في " التعريف " : أما من قام من الملوك بغير عهد ، فلم تجر العادة أن تكتب له مبايعة .

الطبقة الثالثة — الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر والشام والحجاز : مما يكتب من ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية .

وهي على خمسة أنواع :

(١) بياض في الأصل والتصحيح مما تقدم في ج ١ ص ٢٤ من هذا المؤلف .

النوع الأول

(ولايات أرباب السيوف ؛ وهم على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول — التواب من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف ، وغالب من يكتب له منهم بالبلاد الشامية ومضافاتها ؛ كتواب السلطنة بدمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرک ، ومقدمى العسكر بغزة وبيس ؛ وتواب القلاع بالمدن العظام ذوات القلاع الرفيعة القدر : كالنائب بقلعة دمشق ، والنائب بقلعة حلب ، والنائب بقلعة صفد . أما طرابلس وحماة ، فليس بهما قلعة ؛ وكذلك الولايات الصغار المضافة إلى القواعد الكبار : كالقدس الشريف وحصص ومضيف من مضافات دمشق ، وقلعة المسلمين والرجة والبيرة والرها وشيزر وعيتاب وبهسن وملطية وآياس والأبلستين وأذنة وطرسوس من مضافات حلب ، والأذقية وحصن عكار من مضافات طرابلس وما يجرى مجرى ذلك ، على ما سيأتى بيانه مفصلا فى مواضعه ؛ إن شاء الله تعالى .

أما مادونها من الولايات فإن تواب السلطنة بالمملكة يستقلون بالتولية فيها .

قلت : والضابط فى ذلك أن كل نيابة كان نائبها تقدمه ألف فوليتها عن السلطان بمرسوم شريف من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ وكل ولاية كان نائبها جندياً أو مقدم حلقه فوليتها عن نائب السلطنة بالمملكة التى هى مضافة إليها بتوقيع كريم من ديوان الإنشاء بها ؛ وكل نيابة كان نائبها أمير طبلخاناه أو عشرة ربما وثلى فيها السلطان وربما وثلى فيها نائب السلطنة ، إلا أن تولية السلطان لتواب الطبلخاناه أغلب ، وتولية تواب السلطنة لتواب العشرة أغلب .

أما الديار المصرية فإنه كان يُكْتَبُ فيها أولاً لولاية الوجهين : القبلى والبحرى
بحراً على ما كان الأمر عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ، وكذلك والى الإسكندرية
قبل أن تستقر نيابة ، ووالياً الولاية بالوجهين قبل أن يستقرتا نيابتين ، في جماعة
أخرى من أرباب الوظائف : كالنائب الكافل وأتابك الجيوش كاستادار وأميرأخور
ومقدم الممالك ووالي مصر والقاهرة ؛ ثم صارت الكتابة لذوى الوظائف من أرباب
السيف قاصرة على النائب الكافل إذا كان موجوداً والنواب المستجدين
بالإسكندرية والوجهين : القبلى والبحرى ؛ وبطل ما عدا ذلك مما كان يُكْتَبُ ،
وكان المعنى فيه القرب من مقرة السلطان ؛ والكتابة إنما تقع في الغالب مع البعد :
لتكون حجة للتولى على بعد المدى ، ولا ينتقص ذلك بما يُكْتَبُ للخلفاء والملوك
في الحضرة ، فإن ذلك من الأمور العامة التي يُحَافُ آتقاضها أو مجودها ، إذ مثل
ذلك لا يجوز في الولايات عن السلطان : لأنه متى شاء عزل من ولاه .

الصنف الثانى — ولاية أمراء العربان ، وهؤلاء لاحظ لهم في الكتابة بالولاية
بالديار المصرية الآن ؛ وربما يُكْتَبُ لأمرائهم بالملكة الشامية : كأمر آل فضل ،
وأمر آي مرا ، وأمر آل علي ، ومقدم بحر ، وكذلك أمير مكة المشرفة ،
وأمر المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ،
والنائب بالينع من البلاد الحجازية . والمعنى في اختصاص من بعد منهم ماتقدم
في الكلام على أرباب السيف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم
الاهتمام بأمرهم .

الصنف الثالث — ولاية المتقدمين على الطوائف : كمقدمي التركمان ، والأكراد ،
والجبلية بالبلاد الشامية ، وأتابك طائفة الإسماعيلية بقلاع الدعوة ، وحاكم البندق

ونحوهم ؛ وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن ؛ أما حاكم البندق ، فإنه لم يعهد له كتابة من ديوان الإنشاء بمصر والشام . على أن المقر الشهابي بن فضل الله قد ذكر وصيته في " التعريف " ولعله ممن كان يكتب [له] في زمانه أو قبله ثم ترك ، وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البندق وعدمه كما في لباس الفتوة ، وأنه ربما اعتنى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك .

النوع الثاني

(ولاية أرباب الأقلام ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على ثمانية أضرب)

الضرب الأول — أ كابر القضاة بأقطار المملكة : كقضاة القضاة بالحاضرة السلطانية بالديار المصرية ونغر الإسكندرية ، وكذلك قضاة القضاة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرك ، وقضاة العسكر بالديار المصرية ؛ أما القضاة بالنيابات الصغار المضافات إلى دمشق وحلب ونحوهما فولايتهن إلى قضاة القضاة بها ، وقضاة العسكر بدمشق وحلب وما في معناهما إلى التواب بتلك الممالك .

الضرب الثاني — المفتون بدار العدل بالديار المصرية ؛ أما المفتون بدار العدل بالممالك الشامية فولايتهن إلى نائبيها .

الضرب الثالث — أكابرُ المحسّنين : كمحتسبي مصر والقاهرة ؛ أما الممالك الشاميةُ فلا يُؤلّى فيها إلا نُوابُها .

الضرب الرابع — أكابرُ المدرّسين في عامّة العلوم بأماكن مخصوصة : كالزوايا الخشائية بالجامع العتيق بمصر ، والمدرسة الصلاحية بترّة الإمام الشافعي بالترافة ، ونحو ذلك بأقطار المملكة من مدرّسي الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم الدينيّة .

الضرب الخامس — أكابرُ الخطباء بجوامع مخصوصة بأقطار المملكة : بجامع الناصري بقلعة الجبل ، والجامع الأموي بالشام ونحوهما .

الضرب السادس — وكلاء بيت المال بالديار المصرية وغيرها .

الضرب السابع — المتحدثون على الوظائف المعترّة : كتنابة الأشراف ، ومشيخة الشيوخ ، فما كان بالديار المصرية فولايته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى نواب السلطنة بها .

الضرب الثامن — المتحدثون على جهات البرّ العامّة المصلحة : كنظر الأعباس وأنظار البيمارستانات ونحوها : فما كان منها بالديار المصريّة : كنظر الأعباس والبيمارستان المنصوري وما أشبه ذلك فتوليته ^(١) إلى نوابها ، ما لم يكن لها ناظر خاص فيكون ذلك مختصاً به .

(١) لعله فتوليته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ، وما كان منها بالممالك الشامية فتوليته الخ

كما لا يخفى تأمل .

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدِّيوانية)

ودَوَاوِينُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ :

الضرب الأول — دَوَاوِينُ الْمَالِ؛ وَأَرْبَابُ الْخِدْمِ بِهَا مِنْ تُكْتَبِ وَلَا يَأْتُهُمْ مِنْ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ : إِمَّا نَاطِرٌ، أَوْ وَزِيرٌ، أَوْ صَاحِبُ دِيَوَانٍ، أَوْ شَهَادَةٌ، أَوْ أَسْتِيفَاءٌ؛ فَأَمَّا الْوِزَارَةُ فَلَا يُصَرِّحُ بِهَا إِلَّا لِلْوَزِيرِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَرَبَّمَا صُرِّحَ بِهَا لِلْوَزِيرِ دِمَشْقَ إِذَا وَلِيَهَا مِنْ أَرْتَفَعَتْ مَرْتَبَتُهُ، وَإِلَّا عُبِّرَ عَنْهُ بِنَاطِرِ الْمَمْلَكَةِ .

وَأَمَّا النَّظَرُ، فَكَنْظَرُ الدَّوَاوِينِ الْمَعْبَرِّ عَنْهُ بِنَظَرِ الدَّوْلَةِ، وَنَظَرِ الْخِصَاصِ، وَنَظَرِ الْخِزَانَةِ الْكُبْرَى، وَنَظَرِ الْبُيُوتِ « الْحَاشِيَةِ » وَنَظَرِ بَيْتِ الْمَالِ، وَنَظَرِ الْإِصْطِبَلَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَنَظَرِ دَارِ الضِّيَافَةِ وَالْأَسْوَاقِ، وَنَظَرِ خَزَائِنِ السَّلَاحِ، وَنَظَرِ الْبَهَارِ وَالْكَارِمِيِّ، وَنَظَرِ الْأَهْرَاءِ، وَنَظَرِ الْمَوَارِيثِ الْحَشْرِيَّةِ، وَنَظَرِ ثَغْرِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ الْمَحْرُوسِ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ الْأَنْظَارِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ . وَكَذَلِكَ نَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِدِمَشْقَ إِذَا لَمْ يُصَرِّحْ لِمَتَوَلِّيهِ بِالْوِزَارَةِ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِحَلَبَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِطَرَابُلُسَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِحِمَاةَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِصَفَدَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِسَيْسَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِغَزَّةَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِالْكَرْكِ .

وَأَمَّا صَحَابَةُ الدِّيَوَانِ، فَكَصَحَابَةُ دِيَوَانِ الْحَيْشِ وَصَحَابَةُ دِيَوَانِ الْخِصَاصِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الشَّهَادَةُ، فَكَشَهَادَةُ الْخِزَانَةِ الْكُبْرَى، وَشَهَادَةُ خِزَانَةِ الْخِصَاصِ وَنَحْوَهُمَا .

وأما الإِسْتِيفاءُ ، فكاستِيفاءُ الصُّحبةِ ، وأستِيفاءُ الدَّولةِ ، وأستِيفاءُ الخِصاصِ ، ونحو ذلك . ولا حَظَّ لغيرِ النُّظَّارِ من دَوارينِ الأموالِ بالممالكِ الشاميَّةِ : من صاحبِ ديوانٍ ولا شاهدٍ ولا مستَوِفٍّ ، في الكتابةِ بالولايةِ من ديوانِ الإنشاءِ بالأبوابِ السلطانيةِ ؛ بل ولايتُها من ثوابِ الممالكِ الشاميةِ بتواقيعِ من دَوارينِ الإنشاءِ بها .

الضرب الثاني — دَوارينُ الجُيُوشِ بالديارِ المصريةِ وغيرها من الممالكِ الشاميَّةِ . وأربابُ الخِدمِ بها لا يُخْرِجُونَ عن ناظِرٍ ، وصاحبِ ديوانٍ ، وشاهدٍ ، ومستَوِفٍّ .

والذين يُولَّوْنَ عن السلطانِ منهم [و] تُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ من ديوانِ الإنشاءِ الشريفِ ناظِرُ الجيشِ بالأبوابِ السلطانيةِ ، وناظِرُ الجيشِ بِدِمَشقَ ، وناظِرُ الجيشِ بِحلبَ ، وناظِرُ الجيشِ بطرابلسَ ، وناظِرُ الجيشِ بِحماةَ ، وناظِرُ الجيشِ بِصفدَ ، وناظِرُ الجيشِ بِغزةَ ، وناظِرُ الجيشِ بِسيسَ ، وناظِرُ الجيشِ بالكركَ ، وصاحبُ ديوانِ الجيشِ بالأبوابِ السلطانيةِ ، والشُّهُودُ ، والمستَوِفُّونَ بها ؛ أمَّا مَنْ عدا هؤلاءِ : من نُظَّارِ الجيشِ وأصحابِ الدَوارينِ والشُّهُودِ بالممالكِ الشاميةِ ، فولايتُهم إلى ثوابِ السلطنةِ بها .

الضرب الثالثُ — دَوارينُ الإنشاءِ ؛ وأربابُ الخِدمِ بها لا يُخْرِجُونَ عن كاتبٍ سرٍّ ، وكاتبِ دَسِتٍ ، وكاتبِ دَرَجٍ .

والذين يُولَّوْنَ عن السلطانِ من مُكَّابِ هذه الدَّوارينِ وتُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ من ديوانِ الإنشاءِ السلطانيِّ صاحبُ ديوانِ الإنشاءِ بالأبوابِ السلطانيةِ ، وصاحبُ ديوانِ الإنشاءِ بِدِمَشقَ ، وصاحبُ ديوانِ المكاتباتِ بِحلبَ ، وصاحبُ ديوانِ المكاتباتِ

بطرابلس ، وصاحب ديوان المكاتب بحمّة ، وصاحب ديوان المكاتب
بصفد ، وكاتب الدرج بسيس ، وكاتب الدرج بغزة ، وكاتب الدرج بالكرك ،
وكاتب الدرج بالإسكندرية ، وكاتب الدست وكاتب الدرج بالأبواب السلطانية ؛
أما مكاتب الدست وكاتب الدرج بالممالك الشامية فإلى نوابها بتوقيع من دواوين
الإنشاء بها .

النوع الثالث

(ولايات أرباب الوظائف الصّناعيّة)

كالأطباء ، والكحّالين ، والجرائحية ، ومن جرى مجراهم من سائر أرباب الوظائف
التي هي من تتمّة نظام الملك ؛ فما كان منها بالأبواب السلطانية فولايته عن السلطان
بتوقيع من ديوان الإنشاء السلطاني ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى
نواب السلطنة بها .

النوع الرابع

(ولايات زعماء أهل الدّمة . وهي ضربان)

الضرب الأوّل — ولاية بطاركة النصارى من اليعاقبة والملكيّة^(١) .

الضرب الثاني — ولاية رئيس اليهود الحاكم على طوائفهم .

(١) لم ينص على من له توليتهما .

النوع الخامس

(ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع)

كصغار الأمور التي يُكتب فيها لكل فرد فرد : إما ابتداءً ، وإما بالحمل على ما بيده من ولاية سابقة : من نائب أو قاض أو ناظر وقف أو غير ذلك ؛ مما لا ينحصر كثرة .

قلت : وربما ولي السلطان في بعض الوظائف بالمالك الشامية مما تختص توليته بنواب السلطنة إذا كانت الوظيفة وضعية المنزلة وأدركت المولى عنايته ، وربما ولي بعض نواب السلطنة ما تختص توليته بالسلطان إذا عظمت رتبة النائب وارتفعت منزلته ؛ خصوصاً إذا كان نظام المملكة محلولا وأمرها مضطربا .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(فى بيان ماتجب على الكاتب مراعاته فى كتابة الولايات على سبيل الإجمال)

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى "حسن التوسل" : يجب على الكاتب أن يراعى فى ذلك أموراً .

منها - براعة الاستهلال بذكر الرتبة ، أو الحال ، أو قدر النعمة ، أو لقب صاحب الولاية ، أو أسمه ؛ بحيث لا يكون المطلع أجنبياً من هذه الأحوال ، ولا بعيداً منها ، ولا مبيناً لها ؛ ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها .

ومنها - أن يراعى المناسبة وما تقتضيه الحال : فلا يعطى أحداً فوق حقه ، ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله ؛ ويراعى أيضاً مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنّة بها على مقدار ذلك .

ومنها - أن لا يصف المتولى بما ^(١) [يكون] فيه تعريض بدم المعزول [وتنقيص له ^(١)] ؛ فإن ذلك مما يؤغر الصدور ، ويورث الضغائن فى القلوب ، ويدل على ضعف الآراء فى اختيار الأول ، مع إمكان وصف الثانى بما يحصل به المقصود من غير تعريض بالأول .

ومنها - أن يتخير الكلام والمعانى فإنه مما يشيع ويذيع ، ولا يُعذر المقصر فى ذلك بعجلة ولا ضيق وقت ، فإن مجال الكلام متسع ، والبلاغة تظهر فى القليل والكثير .

قلت : ومنها أن يَحْرِصَ الكاتبُ على أن تكون نهاية السجعة الأولى في السَّطْرِ الأول أو الثاني ولا يُؤَخِّرْها عن ذلك . ومما كان يراعى في ذلك أن تكون الخطبة من أولها إلى آخرها على رَوى واحد في السَّجْع ، وكذلك الدعاء في أول صِغار التواقيع والمَراسيم المبتدأة بلفظ « رُسِم » بخلاف ما بعد ذلك إلى آخر ما يكتب ، فإنه يتَّفِق فيه روى السجعتين والثلاث فما حوَّلها ، ثم يخالِف رويها إلى غيره ؛ ولا يَكْفٍ الكاتبُ الإتيانَ بجميعها على روى واحد ؛ وعلى ذلك كانت طريقةُ فُحول الكُتَّاب بالدولة التركية ، كالقاضي محيى الدين بن عبد الظاهر ، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، والمقرّر الشهابي بن فضل الله ، ومن عاصرهم إلّا في القليل النادر ؛ فإنه رُبَّمَا وقع لبعضهم مخالفة روى الخطبة ؛ وإلى هذا قد جَنَحَ غالب كُتَّاب ديوان الإنشاء في زماننا ومألوا إليه : لما في اتِّزام الرَوى الواحد في جميع الخطبة من التكلّف وعُسْر التلّفيق على من يتعاناها .

ثمَّ الكلامُ فيما يُكْتَب في الولاية قد يكون جميعه بلفظ الغيبة ؛ مثل أن يقال : عهد إليه بكذا ، أو قلده كذا ، أو فوض إليه كذا ، أو أن يستقرّ في كذا ، ونحو ذلك ، ثم يقال : وأمره بكذا ، أو ونحن نوصيه بكذا ، أو فعله بكذا ، وما أشبه ذلك ؛ وقد يكون جميعه بلفظ الخطاب ، مثل أن يقال : وقد عهد إليك بكذا ، أو قللك كذا ، أو فوض إليك كذا ثم يقال : ونحن نوصيك بكذا ، أو فعلك بكذا ، ونحوه ؛ وقد يُصَدَّر بلفظ الغيبة ثم يُلْتَفَت منها إلى الخطاب ؛ وقد يُصَدَّر بلفظ الخطاب ثم يُلْتَفَت منه إلى الغيبة بحسب ما يؤثّرهُ الكاتب وتودّي إليه بلاغته مما ستَقِفُ على تنويعه في خلال كلامهم في أصناف الِوَلَايات الآتية في هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات، وذلك من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(الألقاب، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء)

وسبيلها الاختصار دون البسط، اكتفاء بما هو ظاهر من أبهة الخلافة، وعلو مقام الإمامة، إذ هي الزعامة العظمى، والرتبة التي هي أعلى الرتب وأسمى .
وهي صنفان :

الصنف الأول — ألقاب الخلفاء أنفسهم، وغاية ما ينعى به الإمام وأمير المؤمنين .

الصنف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالخلافة، وألقابهم نحو السيد الجليل وذخيرة الدين، ونحو ذلك على ماسياتي بيانه في عهود الخلفاء عن الخلفاء .

النوع الثاني

(ألقاب الملوك، وهي صنفان أيضا)

الصنف الأول — ألقاب السلطان نفسه، والكتاب تارة يتدثونها بالسلطان، وتارة يتدثونها بالمقام، ولكل منهما نعوت تخصه، وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في الكلام على عهود الملوك عن الخلفاء، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالملك ، والملوك المنفردين بولاية صغار
البلدان عن السلطان الأعظم ، وهي لأتفتح إلا بالمقام ليس إلا ؛ ولها نعت تخصها
يأتى الكلام عليها فى الكلام على عهدودهم أيضا .

النوع الثالث

(ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان : من أرباب
الوظائف الواقعة فى هذه المملكة)

وقد تقدم فى الكلام على الألقاب فى مقدمة الكتاب أن أصول الألقاب
المستعملة فى ذلك خمسة ألقاب على الترتيب : وهى المقر ، ثم الحناب ، ثم المجلس ،
ثم مجلس مضافا : كمجلس الأمير ، ومجلس القاضى ، ومجلس الشيخ ، ومجلس
الصدر ، ثم الاختصار على المضاف إليه وحذف المضاف : كالأمير والقاضى والشيخ
والصدر ؛ ويلحق بذلك لأهل الذمة الحضرة ، وحضرة الشيخ ، والشيخ مجزأ
عن حضرة ، وتقدم فى الفصل الأول من هذا الباب أن أرباب الولايات خمسة
أنواع : أرباب السوف ، وأرباب الأقاليم ، وأرباب الوظائف الصناعية ، وزعماء
أهل الذمة ، ومن لا يختص بطائفة لصغرهم . وجميع هذه الأنواع على اختلاف
أصنافهم لا يخرجون عن الألقاب المتقدمة ؛ وقد تقدم الكلام على هذه الألقاب
ونعوتها لمن يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية من أرباب الوظائف مستوفى
فى المكاتبات ، إلا أنه قد يؤتى عن السلطان من لم يؤهل للمكاتبة عنه ، كأكثر
أرباب الوظائف من حملة الأقاليم وغيرهم ، فاحتجج إلى تعريف مراتب الألقاب
لكل نوع من أرباب الولايات .

فأما أربابُ السُّيوف، فأعلى ألقابهم المَقَرَّ، وأدناها مجلسُ الأمير، ثم الأمير مجرّداً عن مجلس .

وأما أرباب الوظائف الصَّنَاعِيَّة، فأعلى ألقابهم المجلس وأدناها مجلسُ الصَّدر، ثم الصَّدرُ مجرّداً عن مجلس .

وأما من لا يختص بطائفة لصغره، فيقتصر فيه على لقب التعريف وهو فلانُ الدين إن عَظُم وإلاّ أَقْتَصِر على اسمه خاصّة .

وأما زعماء أهل الدِّمَّة، فأعلى ألقابهم الحَضْرَة، ثم حَضْرَة الشيخ، ثم الشيخ مجرّداً عن حَضْرَة .

وأعلم أن كلَّ مَنْ كانت له مكتبةٌ عن الأبواب السلطانية من أرباب السُّيوف والأقلام وغيرهم، فلَقَبُ ولايته ونُعوته كما في مكتبته، غير أنه يَزَادُ في آخر النُعوت المركّبة ذكر اسمه العلم، ونُسبته إلى السلطان: كالناصرى، والظاهرى، ونحوهما إن كان ممن يَنْتَسِب إليه بِنِياةٍ ونحوها؛ ثم إن كانت مكتبته تُفْتَح بالدعاء نُقِلَ ذلك الدعاء من أوّل المكتبة إلى ما بعد اسمه والنسبة إلى السلطان في الولاية، كما إذا كانت مكتبته : أَعَزَّ الله تعالى أنصار المَقَرَّ الكريم، فإنه يُدْعَى له عَقِيبَ اسمه والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بأَعَزَّ الله تعالى أنصاره، وكذلك في البواقي .

وإن كانت مكتبته تُفْتَح بغير الدعاء : كصدرت هذه المكتبة ونحو ذلك ، فإنه يدعى له في الولاية عَقِبَ الاسم والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بما يُدْعَى له في مكتبته في آخر الأقباب، كما إذا كان من أرباب السُّيوف ومكتبته صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى أو المجلس السامى بالياء فإنه يُدْعَى له بمثل : أدام الله سعادته، وأدام الله رفعة، ونحو ذلك؛ وإن لم تكن له مكتبةٌ عن الأبواب السُّلطانية

كُتِبَ له في الولاية ما يُناسِبُه من اللقب والنُعت، ثم يذكر أسمه والدعاء له إن كان مستحقاً للدعاء؛ وسيأتى لقب كل ذي ولاية من الأنواع الخمسة المتقدمة الذِّكر ونوعته عند ذكر ولايته فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

ثم للألقاب في الولايات محلان :

أحدهما — الطَّرة . ويُقتصر فيها على اللقب : من المقر أو الجَناب أو المجلس أو مجلس مضافا وما بعده من النُعت إلى اللقب المميز للوظيفة كالأميرى والقضائى ونحوهما ، ثم يذكر لقبه الخاص به وهو الفُلانى أو فلان الدين ، ثم يذكر أسمه وأنسابه إلى السلطان إن كان، على ماسياتى بيانه مفصلاً، إن شاء الله تعالى .

الثانى — فى أثناء الولاية . وهناك تستوفى النُعت ويُؤتى بما فى الطَّرة فى ضمنه إلا أنه يُجعل لقب التعريف — وهو الفُلانى أو فلان الدين — بين النُعت المفردة والمركبة فاصلاً بينهما .

الوجه الثانى

(ألفاظ إسناد الولاية إلى صاحب الوظيفة؛ ولها ست مراتب)

الأولى — لفظ العهد، مثل أن يقال : أن يُعهد إليه، وهى خاصّة بالخلفاء والملوك .

الثانية — لفظ التقليد، مثل أن يقال : أن يُقلد كذا، ويكون مع المقر الكريم والجَناب الكريم .

الثالثة — لفظ التفويض، مثل أن يُقال : أن يفوض إليه كذا، ويختص بالجَناب لأرباب السيوف، وكذلك الجَناب والمجلس العالى لأرباب الأقاليم .

قلت : وَكُتِّبَ زَمَانَنَا يَسْتَعْمِلُونَهَا^(١) مَعَ الْمُقَرَّرِ أَيْضًا ، وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ لَفْظَ يُقَلَّدُ فِي التَّقَالِيدِ لِتَوْهُمِهِمُ الْإِكْتِفَاءَ بِلَفْظِ تَقْلِيدٍ عَنْهَا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُقَلَّدُ فَوْقَ يُفَوِّضُ كَمَا تَقَدَّمَ . عَلَى أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بَنَ فَضَّلَ اللَّهُ قَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي ”التعريف“ كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الرابعة — لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِسْتِمْرَارِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنْتَ يَسْتَقِرُّ فِي كَذَا ، أَوْ يَسْتَمِرُّ فِي كَذَا . وَلَفْظُ يَسْتَقِرُّ مَخْتَصٌّ بِالْمُسْتَجِدِّ ، وَلَفْظُ يَسْتَمِرُّ مَخْتَصٌّ بِالْمُسْتَقَرِّ ؛ وَيَكُونَانِ مَعَ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ ، وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ وَغَيْرِهِمْ ؛ أَمَّا الْمَجْلِسُ الْعَالِي فَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِالْإِعْدَاءِ ، مِثْلُ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ كِتَابَ السُّلْطَانَةِ بِالْكَرَّكَ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يُفَوِّضَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِصَدْرَتِ هَذِهِ الْمَكْتَابَةِ كِتَابَ الْقُدُسِ وَنَحْوِهِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ .

الخامسة — لَفْظُ التَّرْتِيبِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُرْتَّبَ فِي كَذَا ، وَيَكُونُ مَعَ مَجْلِسِ مَضَافًا ، مِثْلُ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ وَمَجْلِسِ الْقَاضِي وَنَحْوَهُمَا ، وَرَبَّمَا اسْتَعْمِلَتْ مَعَ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ .

السادسة — لَفْظُ التَّقَدُّمِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنْ يُقَدَّمَ فَلَانٌ عَلَى الطَّائِفَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قلت : وَهَاتَانِ الْمُرْتَبَتَانِ أَعْنَى السَّادِسَةِ وَالْخَامِسَةِ قَدْ ذَكَرَهُمَا الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بَنَ فَضَّلَ اللَّهُ فِي ”التعريف“ فَقَالَ : وَقَدْ يُقَالُ أَنْ يُرْتَّبَ وَأَنْ يُقَدَّمَ . وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي كِتَابَةِ مُعَاَصِرِيهِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ؛ أَمَّا كُتَابُ زَمَانِنَا فَقَدْ رَفَضُوهُمَا جَمَلَةً وَأَضْرَبُوا عَنْ اسْتِعْمَالِهِمَا بِكُلِّ حَالٍ ، وَأَكْتَفَوْا عَنْهُمَا بِالْمُرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ وَهِيَ لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ ،

(١) أَيْ لَفْظَةُ ”يُفَوِّضُ“ .

والواجب إثباتهما لتفاوت ما بين المراتب . على أن استعمال لفظ يرتب موجود في كلامهم بكثرة ، ولفظ يُقدّم لم يستعملوه إلا في التزّر اليسير ، والله أعلم . وهذه الألفاظ تقع في الطّرة وفي أثناء الكلام على حدّ واحد .

الوجه الثالث

(الإفتتاحات ، وهي راجعة إلى أربع مراتب)

المرتبة الأولى — الافتتاح بلفظ : هذه بيعة ، أو هذا ماعهد ، ونحو ذلك في البيعات والعهود على المذهب القديم ؛ أو بالحمد لله . ويقع الابتداء به في العهود والبيعات إذا ابتدئ العهد أو البيعة بخطبة على ما عليه استعمال أهل زماننا ؛ وكذلك في التقاليد لأرباب السيوف والأفلام ، والمراسيم المكبرة لأرباب السيوف ، والتواقيع الجكار لأرباب الأفلام .

المرتبة الثانية — الافتتاح بأما بعد حمد الله . ويقع الابتداء به في المرتبة الثانية من أرباب المراسيم المكبرة من أصحاب السيوف ؛ والمرتبة الثانية من أرباب التواقيع من أصحاب الأفلام .

المرتبة الثالثة — الافتتاح برسم بالأمر الشريف ، ويقع الافتتاح به في المرتبة الثالثة لأرباب التواقيع والمراسيم من سائر أرباب الولايات .

المرتبة الرابعة — ما كان يستعمل من الافتتاح بأما بعد فإن كذا . أو من حسنت طرائقه ، وحمّدت خلايقه ، فإنه أحق ، وما أشبه ذلك ؛ كما أشار إليه في ” التعريف ” إذ كان الآن قد رُفِض وترك على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وقد كان ذلك يستعمل فيما تقدّم لأرباب السيوف والأفلام جميعاً .

الوجه الرابع

(تعدُّ التَّحْمِيدُ فِي الْخُطْبَةِ أَوْ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ وَاتِّحَادُهُ)

فَقَدْ قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" فِي الْكَلَامِ عَلَى عُهُودِ الْمُلُوكِ لِلْمُلُوكِ : وَكُلَّمَا كَثُرَتْ التَّحْمِيدَاتُ فِي الْخُطْبِ ، كَانَ أَكْبَرَ : لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ قَدْرِ النِّعْمَةِ ؛ وَذَكَرَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عُهُودِ الْخُلَفَاءِ عَنِ الْخُلَفَاءِ أَنَّهُ يُنْتَهَى فِي التَّحْمِيدِ إِلَى سَبْعَةٍ .

الوجه الخامس

(الدَّعَاءُ . وَلَهُ ثَلَاثَةٌ مَوَاضِعَ)

المَوْضِعُ الْأَوَّلُ — فِي طُرَّةِ الْوَلَايَةِ بَعْدَ ذِكْرِ مَا يُكْتَبُ فِي الطُّرَّةِ مِنْ أَلْقَابِهِ ، وَلَا يُزَادُ فِيهِ عَلَى دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ تَنَاسِبُهُ .

المَوْضِعُ الثَّانِي — فِي أَثْنَاءِ الْوَلَايَةِ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْأَلْقَابِ وَذِكْرِ الْأَسْمِ ؛ وَهُوَ مَا فِي الطُّرَّةِ مِنَ الدَّعْوَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ بِغَيْرِ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ .

المَوْضِعُ الثَّلَاثُ — [فِي] آخِرِ الْوَلَايَةِ بِالْإِعَانَةِ وَنَحْوِهَا . قَالَ فِي "التَّنْقِيفِ" : وَأَقْلَاهَا دَعْوَتَانِ ، وَأَكْثَرُهَا أَرْبَعٌ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَمَنْ اسْتَصْغَرَ مِنَ الْمُؤَلِّينَ لَا يُدْعَى لَهُ فِي آخِرِ وَلَايَتِهِ .

ثُمَّ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَكَاتِبَاتِ أَنَّ الدَّعَاءَ مَعَ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى : كَأَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقَرَّرِ ، وَضَاعَفَ اللَّهُ [تَعَالَى] نِعْمَةَ الْجَنَابِ وَنَحْوَ ذَلِكَ أَعْلَى مِنْ حَذْفِهِ ؛ كَأَدَامَ اللَّهُ سَعْدَهُ ، وَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ فِي الْوَلَايَاتِ كَذَلِكَ .

(١) أَيْ حَذَفَ التَّنْزِيهِ فِي الْأَصْلِ حَذْفَهَا أَيْ جُمْلَةَ التَّنْزِيهِ .

الوجه السادس

(طُولُ الكلام وقصره ، فكُلُّنا عَظُمَتِ الوظيفةُ وأرتفعَ قدرُ صاحبها
كان الكلام فيها أبسط)

قال في "حُسن التوسل" : ويحسُن أن يكونَ الكلامُ في التقاليد منقَسِباً أربعة
أقسام متقاربة المقادير؛ فالرُّبُّ الأوَّلُ في الخطبة؛ والرُّبُّ الثاني في ذكر موقع الإنعام
في حق المقلِّد ، وذكر الرتبة وتَفخيم أمرها ؛ والرُّبُّ الثالثُ في أوصاف المولى^(١) ،
وذكر ما يناسبُ تلك الرتبة ويُناسبُ حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعْدِ صيت
وسُمتة وشجاعة إن كان نائباً ؛ ووَصِفَ الرأي والعدْل وحُسن التدبير والمعرفة بوجوه
الأموال ، وعمارة البلاد ، وصلاح الأحوال ، وما يناسبُ ذلك إن كان وزيراً ؛
وكذلك في كلِّ رتبة بحسبها ؛ والرُّبُّ الرابع في الوصايا .

قال في " التعريف " : والذي اختاره اختصارُ مقدار التجميدة [التي]
في الخطبة والخطب مطلقاً وإطالة ما بعد ذلك ؛ والإطناب في الوصايا [اللهم]
إلا لمن جَلَّ قدره [وعظم أمره]^(٢) فإن الأولى الأقصرُ في الوصايا على أهمِّ الجُمليَّات ،
ويعتذرُ في الإقتصار بما يُعرف من فضله ، ويُعلم من علمه ، ويوثق به من تجربته
ومن هذا ومثله . قال : والكاتب في هذا [كله] بحسب ما يراه ، ولكلِّ واقعةٍ
مَقال يليقُ بها ، ولملبس كلِّ رجل قدر معروف لا يليقُ به غيره ؛ وفي هذا غنى لمن
عرَف ، وكفاية لمن عِلِم ؛ على أن المقرَّ الشهابيَّ تابع في ذلك القاضي « محي الدين
أبن عبد الظاهر » رحمه الله ، فإنك إذا تأملتَ تقاليدَه وتواقيعه ، وجدتها كلها

(١) في حسن التوسل ص ١١٠ « المقلد » وهي بمعناها .

(٢) الزيادة من التعريف ص ٨٨ .

كذلك ، ولكل وجه ظاهر ؛ فإنَّ المطول للخطبة لا يُحليها من براعة الإِسْتِهلال ،
المناسبة للحال ؛ والمقصر لها مُراعٍ لزيادة الإطناب في الوصف .

قلت : ولا يخفى أن ما ذكره في التقاليد يحىء مثله في العهود لجريها على موجبها
من مؤلٍّ ومؤلٍّ .

أما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البرِّ
والإحسان للخلق ، ووعد النظر في أمور الرعية ، وصلاح أحوالهم ؛ وذكر التحليف
للخليفة ، أوله وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد
والدخول تحت الطاعة . قال في "حسن التوسل" : والأمر الجارى في ذلك على
العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن
التصرف على ما يقتضيه الحال ؛ وذكر من ذلك تقليدا أنشأه لملك سيسى ، وتقليدا
كتبه بالفتوة ؛ وسيأتى ذكر ذلك مع ما شاكلة في مواضعه إن شاء الله تعالى .

الوجه السابع

(قطع الورق)

وأعلم أنَّ الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بجلتها يحصر قطع
الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها :

أحدها — قطع البغدادى الكامل ؛ وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقا على
أى الافتتاحات كان .

الثاني — قَطَعَ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ ، وَهُوَ لِأَجْلِ الْوَلَايَاتِ السُّلْطَانِيَّاتِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَبَعْضِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهَا إِلَّا بِالْحَمْدِ .

الثالث — قَطَعَ النِّصْفَ مِنْهُ ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهِ إِلَّا بِالْحَمْدِ أَيْضًا :
الرابع — قَطَعَ الثُّلُثَ مِنْهُ ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وُلِّيَ صَاحِبُ وَظِيفَةٍ تَسْتَحِقُّ قَطَعَ النِّصْفَ وَظِيفَةً أُخْرَى تَسْتَحِقُّ قَطَعَ الْعَادَةِ ، فَإِنَّهُ يُرَاعَى مَقْدَارُ صَاحِبِهَا وَيُزَادُ عَلَى مِقْدَارِ الْعَادَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ رَتْبَةِ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا ؛ فَيَكْتَبُ لَهُ فِي قَطَعَ الثَّلَاثِ لَتَكُونَ رَتْبَةُ بَيْنَ رَتْبَتَيْنِ فَتَحْصُلُ مِرَاعَاةُ تَعْظِيمِهِ مِنْ حَيْثُ الزِّيَادَةُ عَلَى قَطَعَ الْعَادَةِ ، وَمِرَاعَاةُ قَدْرِ الْوِظِيفَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّمَا لَمْ تَبْلُغْ شَأْوَ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ؛ أَمَّا إِذَا وُلِّيَ مَنْحَطٌ الْقَدْرِ وَظِيفَةٌ تَسْتَحِقُّ الْقَطَعَ الْكَبِيرَ ، فَإِنَّهُ يَكْتَبُ لَهُ فِيهِ ، وَتَكُونُ تَوَلِيَّتُهُ لَهَا رَفْعًا إِلَى دَرَجَتِهَا .

الخامس — قَطَعَ الْعَادَةَ ، وَهُوَ أَصْغَرُهَا ؛ وَالْأَصْلُ أَنْ يَفْتَحَ فِيهِ بِلَفْظِ «رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» وَرَبَّمَا عَلَتْ رَتْبَةُ صَاحِبِ الْوَلَايَةِ وَلَمْ يُؤْهَلْ لِلْكَتَابَةِ فِي قَطَعَ الثَّلَاثِ فَيَكْتَبُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ قَلِيلُ الْأَسْتِعْمَالِ ، فَإِنْ أَسْتُعْمِلَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كَذَا ، أَوْ إِنَّ أَوْلَى ، أَوْ إِنْ أَحَقَّ وَنَحْوَ ذَلِكَ كُتِبَ فِي قَطَعَ الْعَادَةِ أَيْضًا .

الباب الثاني

من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معناها)

(١) البيعات جمع بَيْعَة، وهي مصدرُ بَاعَ فلانٌ الخليفةَ يَبِيعُهُ مُبَايَعَةً، ومعناها المعاقدةُ والمُعاهدةُ، وهي مُشَبَّهَةٌ بِالْبَيْعِ الْحَقِيقِيِّ. قال أبو السَّعَادَاتِ بْنُ الْأَثِيرِ فِي نَهَائِيَّتِهِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ صَاحِبِهِ وَأَعْطَاهُ خَالِصَةً نَفْسِهِ وَطَاعَتَهُ وَدَخِيلَةَ أَمْرِهِ. ويقال: بَايَعَهُ، وَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ؛ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُ إِذَا تَبَاعَعَ آثَانِ صَفَقَ أَحَدُهُمَا بِيَدِهِ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ.

وقد عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَ الْبَيْعَةِ وَحَدَّرَ مِنْ نَكْثِهَا بِقَوْلِهِ خُطَابَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبِيعُونَكَ إِيْمًا يَبِيعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِمَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وأمر بمبايعة الْمُؤْمِنَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَيْعَتَيْنِ.

(١) ليس مراده المصدر الصناعي كما لا يخفى والأوضح "وهي اسم مصدر لباع" الخ تأمل.

الفصل الثاني

(في ذكر تنوع البيعات ، وهي نوعان)

النوع الأول

(بيعات الخلفاء ، وفيها سبعة مقاصد)

المقصد الأول

(في أصل مشروعيتها)

فالأصل في ذلك بعد الإجماع ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها " أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادَةَ في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : **مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ** ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : **مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأتُ كَلَامًا أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَلْغُهُ أَبُو بَكْرٍ** ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال في كلامه : **نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ** . فقال الحباب بن المنذر : **لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ** . فقال أبو بكر : **لَا وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ** . فبايعوا عمرَ أَوْ أبا عبيدة . فقال عمر : **بَلْ نُبَايِعُكَ فَإِنَّتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايع الناس .

وهذه أول بيعة بالخلافة كانت في الإسلام ، ولكن لم يُنقل أنه رضي الله عنه كُتِبَ له مبايعة بذلك ، وأعل ذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا بايعوا لا يَحْدُون البيعة بعد صدورها ، بخلاف ما بعد ذلك .

المقصود الثانى

(فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية)

وهى خمسة أسباب :

السبب الأول — موت الخليفة المنتصب من غير عهد بالخلافة لأحد بعده ، كما فى قصة الصديق المتقدمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أو تركها شورى فى جماعة معينة ، كما فعل عمر رضى الله عنه عند وفاته حيث تركها شورى فى ستة : على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وسعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنهم .

السبب الثانى — خلع الخليفة المنتصب لموجب يقتضى الخلع ، فتحتاح الأمة [إلى] مبايعة إمام يقوم بأمرها ، ويتحمل بأعبائها .

السبب الثالث — أن يتوهم الخليفة خروج ناحية من النواحي عن الطاعة فوجه إليهم من يأخذ البيعة له عايمهم : لينقادوا لأمره ، ويدخلوا تحت طاعته .

السبب الرابع — أن تؤخذ البيعة للخليفة المعهود إليه بعد وفاة العاهد ، كما كانت الخلفاء الفاطميون تفعل فى خلافتهم بمصر ، وكانوا يسمون البيعة سجلاً كما كانوا يسمون غيرها بذلك .

السبب الخامس — أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولى عهده بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهده ، كما فعل معاوية رضى الله عنه فى أخذه البيعة لولده يزيد .

المقصود الثالث

(في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة)

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يراعى في كتابة البيعة أموراً :

منها - أن يأتي في براءة الاستمالة بما يتبها له من أسم الخليفة أو لقبه :
كفلان الدين ، أو لقب الخلافة : كالمثوكل أو المستكفي ، أو مقتضى الحال الموجب
للبيعة من موت أو خلع ونحوهما ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

ومنها - أن يذبه على شرف رتبة الخلافة وعلو قدرها ورنة شأنها ، وأنها الغاية
التي لا فوقها ، والدرجة التي لا بعدها ؛ وأن كل رتبة دون ربتها ، وكل منصب فرع
عن منصبها .

ومنها - أن ينبه على ميسر الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، وأنه
لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلا به ، ضرورة وجوب نصب الإمام بالإجماع ،
وإن شذ عنه الأصم يخالف ذلك .

ومنها - أن يشير إلى أن صاحب البيعة أستوعب شروط الإمامة واجتمعت
فيه ، ويصفه منها بما يعز وجوده ، ويتمدح بمصوله : كالعلم والشجاعة والرأي
والكفاية ؛ بخلاف ما لا يعز وجوده ولا يتمدح به وإن كان من الشروط : كالحرية
والذكورة والسمع والبصر ونحو ذلك ؛ فإن الوصف بذلك لا وجه له .

ومنها - أن ينبه على أفضلية صاحب البيعة وتقدمه في الفضل وأستيفاء الشروط
على غيره : ليخرج من الخلاف في جواز تولية المفضول مع وجود الفاضل .

ومنها — أن ينبّه على أنّ المختارين لصاحب البيعة ممن يُعتبر اختياره من أهل الحلّ والعقد : من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم على الوجه المعتبر .

ومنها — أن ينبّه على تعيين المختارين للبيعة ، إن كان الإمام الأول نصّ عليهم ؛ إذ لا يصحُّ الاختيار [من] غير من نصّ عليه ، كما لا يصحُّ إلا تقليد من عهد إليه .

ومنها — أن ينبّه على جريان عقد البيعة من المختارين ، ضرورة أنه إن انفرد شخص بشروط الإمامة في وقته لم يصّر إماما بمجرد ذلك .

ومنها — أن ينبّه على سبب خلع الخليفة الأول إن كانت البيعة مترتبة على خلع ، إذ لا يصح خلع الإمام القائم بلا سبب .

ومنها — أن ينبّه على قبول صاحب البيعة العقد وإجابته إليه إذ لا بد من قبوله .

ومنها — أن ينبّه على أنّ القبول وقع منه بالاختيار : لأنه لا يصح الإيجاب على قبولها ؛ اللهم إلا إن كان بحيث لا يصلح للإمامة غيره فإنه يجبر عليها بلا خلاف .

ومنها — أن ينبّه على وقوع الشهادة على البيعة ، خروجاً من الخلاف في أنه هل يشترط الإشهاد على البيعة أم لا ؟ .

ومنها — أن ينبّه على أنها لم تقترن ببيعة في الحال ولا مسبوقة بأخرى ، إذ لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليهما ، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني حيث جوز نصب إمامين في إقليمين .

ومنها — أن ينبّه على أنه بمجرد البيعة تجب الطاعة والانقياد إليه ، ويجب على كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه ، وطاعته فيما وافق حكم الشرع وإن كان جائراً .

ومنها — أن يعزى في الخليفة الميت ويُنْفَى بالمستقر إن كانت البيعة مبنية على موت خليفة ؛ وأن يبين سبب خلع الخليفة الأول إن كانت مرتبة على خلع .
أما التعزية والتمنئة بموت الأول ، فعليه جرى عامة الحُثَّاب ؛ إلا أنه يختص في عرفهم بما إذا كان الخليفة الأول شديد القرب من الثانى ؛ كأبيه وأخيه وأبن عمه .

وكان الأولون يتعاونون ذلك في خطاب الخلفاء بالتمنئة بالخلافة بعد أقاربهم ، وقد روى أن عطاء بن أبى صيفي دخل على يزيد بن معاوية فهنأه بالخلافة وعزاه في أبيه فقال :

رُزِيتَ بأمر المؤمنين خليفة الله ، وأُعْطِيتَ خلافة الله ؛ قضى معاوية تحببه ، فغفر الله ذنبه ؛ ووُئيتَ الرِّياسه ، وكنتَ أحقَّ بالسياسة ؛ فأحتسب عند الله جليل الرِّزِيه ، وأشكره على جزيل العطيئه ؛ وعَظَّمَ اللهُ في معاوية أجرك ، وأحسنَ على الخلافة دونك .

وتعرضت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السفاح ، فقالت :
يا أمير المؤمنين احتسب الصبر ، وقدم الشكر ؛ فقد أجزل الله لك الثواب في الحالين ، وأعظم عليك المنة في الحادئين ؛ سلكَ خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ؛ فسلم فيما سلك ، وأشكر فيما منحك ؛ وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخار لك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

وأما التعريف بسبب الخلع ، فلائه لا يصح خلع الإمام بغير موجب للخلع .^(١)

ومنها — أن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبيعة إن كان القائم بها سلطاناً على ما استقرت عليه قاعدة الحُثَّاب في ذلك .

ومنها — أن ينبّه على أنّ من استخلف في البيعة من وجوه الدولة وأعيان المملكة إن جرى حلف، ويذكر صفة حلفهم وما ألزموه من الأيمان المؤكدة، والمواثيق المغلظة .

المقصود الرابع

(في بيان مواضع الخلافة التي يستدعي الحال كتابة المبايعات فيها)

وهي أربعة أمور :

أحدها — موت الخليفة المتقدم عن غير عهد خليفة بعده ، وهو موضوعها الأصلي الذي عليه بُنيت .

الثاني — أن يعهد الخليفة إلى خليفة بعده ، ثم يموت العاهد ويستقر المعهود إليه بالخلافة بالعهد بعده ، فتؤخذ البيعة العامة على الرعية ، إظهاراً لوقوع الإجماع على خلافته ، والاتفاق على إمامته .

الثالث — أن تؤخذ البيعة للخليفة بحضرة ولايته ، ثم تُفقد الكتب إلى الأعمال لأخذ البيعة على أهلها ، فيأخذ كل صاحب عمل له البيعة على أهل عمله .

الرابع — أن يعرض للخليفة خلل في حال خلافته : من ظهور مخالف أو خروج خارجي ، فيحتاج إلى تجديد البيعة له حيث وقع الخلاف .

ولكل من هذه الأحوال صرّب من الكتابة يحتاج فيه إلى بيان السبب الموجب لأخذ تلك البيعة .

المقصد الخامس

(في بيان صورة ما يُكْتَب في بَيْعَات الخلفاء ، وفيها أربعة مذاهب)

المذهب الأول

(أن تُفْتَح المِبايعة بلفظ « تُبَايِع فلانا أمير المؤمنين »)

خطاباً لمن تُؤْخَذ عليه البيعة)

ويذكر ما يقع عليه عقد المِبايعة ، ويأتي بما سَنَح من أمر البيعة ، ثم يذكر الحليف عليها ؛ وعلى ذلك جرى مصطلح كُتِب خلفاء بني أُمَيَّة ، ثم خلفاء بني العباس بعدهم ببغداد .

وَأَعْلَم أنه قد تَقَدَّمَ في المقصد الأول من هذا الفصل أنه لم يُنْقَل أنه كُتِب للصديق رضى الله عنه ولا ابن وَلِي الخلافة بعده من الصَّحابة من غير عهد بيعة . ولما كانت خلافة بني أُمَيَّة ، وآل الأمر إلى عَبْد الملك بن مَرْوان ، وأقام المَجَاجِجَ أَبْنُ يَوْسُفَ على إمارة العراق ، وأخذ في أخذ البيعة لعبد الملك بالعراق ، رَبَّتْ أَيْماناً مَغْلُظَةً تشتمل على الحليف بالله تعالى والطلاق والعناق والأيمان المُخْرِجات يُحْلَفُ بها على البيعة ، وأشهرت بين الفقهاء بأيمان البيعة ، وأُطْرِدَ أمرُها في الدولة العباسية بعد ذلك . وجرى مصطلحهم في ذلك على هذا الأسلوب .

وهذه نسخة مبايعة ، ذكرها أبو الحسين بن إسحاق الصائغ في كتابه " غرر البلاغة " وهي :

تُبَايِعَ عَبْدَ اللَّهِ أمير المؤمنين فلانا ببيعة طَوْعٍ وَاخْتِيارٍ ، وَتَبَرُّعٍ وَإِيثَارٍ ، وَإِعْلَانٍ وَإِسْرَارٍ ، وَإِظْهَارٍ وَإِخْتِمارٍ ، وَصِحَّةٍ مِنْ نَفْلِ ، وَسَلَامَةٍ مِنْ غَيْرِ دَغَلٍ ، وَثَبَاتٍ مِنْ غَيْرِ

تبدیل ، ووقار من غیر تأویل ؛ واعتراف بما فيها من اجتماع الشمل ، واتصال
الحبل ؛ وانتظام الأمور ، وصلاح الجمهور ؛ وحقن الدماء ، وسكون الدهماء ؛
وسعادة الخاصة والعامة ، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة - على أن عبد الله فلانا
أمير المؤمنين عبد الله ، الذي أصطفاه ؛ وخليفته الذي جعل طاعته جارية بالحق ،
وموجبة على الخلق ؛ وموردة لهم موارد الأمن ، وعاقدة لهم معاقدة الثمن ؛ وولايته
مؤذنة لهم بحمل الصنع ، ومؤدية بهم إلى جزيل النفع ؛ وإمامته الإمامة التي اقترنت بها
الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ؛ وأمل فيها قمع الملحد الجاحد ، ورد الجائر
الحائد ؛ ووقم العاصي الخالع ، وعظمت الغازي المنارع - وعلى أنك ولي أوليائه ،
وعدو أعدائه : من كل داخل في الجملة ، وخارج عن الملة ، وحائد عن الدعوه .
ومتمسك بما يديه ، عن إخلاص من رأيك ، وحقيقة من وفائك ؛ لا تقص
ولا تتكث ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع ، ولا تداحي ولا تخايل ؛ علانيتك مثل
نيتك ، وقولك مثل طويتك - وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة
وشرائطها على مر الأيام وتطاولها ، وتغير الأحوال وتقلها ، واختلاف الأزمان
وتقلبها - على أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها ، وأعوان الدولة
العباسية ورعاتها ؛ لا يداخل قولك مواربة ولا مداهنه ، ولا تعترضه مغالطة
ولا تتعقبه مخالفة ؛ ولا تخيس به أمانه ، ولا تغله خيانه ؛ حتى تلقى الله تعالى مقبياً
على أمرك ، وفيا بعدك ؛ إذ كان مباعاً ولاة الأمور وخلفاء الله تعالى في الأرض
(إِنَّمَا يُبَايِعُ اللَّهُ يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

عليك بهذه البيعة - التي أعطيت بها صفة يدك ، وأضيفت فيها سريرة قلبك ؛
وألزمت القيام بها ما طال عمرك ، وأمتد أجلك - عهد الله إن عهد الله كان

مَسْئُولًا ؛ وَمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ مِنْ أَيْمَانٍ مَغْلَظَةٍ
وَعُهُودٍ مُؤَكَّدَةٍ ، وَمَوَاقِيقَ مَشَدَّدَةٍ ، عَلَى أَنْكَ تَسْمَعُ وَتُصْنَعِي ، وَتُطِيعِ وَلَا تَعْصِي ؛
وَتَعْتَدِلُ وَلَا تَمِيلُ ، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَحِيدُ ؛ وَتَفِي وَلَا تَعْدِرُ ، وَتَثْبُتُ وَلَا تُتَغَيَّرُ ؛ فَتَيَّ
زَلْتِ عَنْ هَذِهِ الْمَحْجَّةِ حَاقِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِدِيَانَتِكَ ؛ فَحَدَّثَ اللَّهُ تَعَالَى رُبُوبِيَّتَهُ ،
وَأَنْكَرَتَهُ وَحَدَانِيَّتَهُ ؛ وَقَطَعَتْ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَّتْهَا ، وَرَمَيْتْ
طَاعَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذَتْهَا ؛ وَلَقِيتِ اللَّهَ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرَضُ عَلَيْهِ ، مُخَالِفًا
لَأَمْرِهِ ، وَخَائِنًا لِعَهْدِهِ ؛ وَهَقِيمًا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ؛ وَمُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ بِهِ ؛ وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ
اللَّهُ لَكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ يَوْمَ رُجُوعِكَ عَنْ بَذَلِكَ ، وَارْتِجَاعِكَ مَا أَعْطَيْتَهُ
فِي قَوْلِكَ : مِنْ مَالٍ مُوجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْرُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ،
وَسَائِمٍ وَمَعْقُولٍ ؛ وَأَرْضٍ وَضَمِيْعَةٍ ، وَعَقَّارٍ وَعُقُودَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى
الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمَةٌ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ تَمْلِكُ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَى
تَتَرَوُّجُهَا بَعْدَهَا ، طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقُ الْحَرَجِ وَالسُّنَّةِ لَارْجَعَةٍ فِيهِ وَلَا مَشْوِيَةٍ ؛
وَعَلَيْكَ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، رَاجِلًا
مَاشِيًا ؛ نَذْرًا لَازِمًا ، وَوَعْدًا صَادِقًا ؛ لَا يَبْرُئُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ؛
وَلَا قَبْلَ اللَّهِ مِنْكَ تَوْبَةٌ وَلَا رَجْعَةٌ ؛ وَخَذَلَكَ يَوْمَ الْإِسْتِنْصَارِ بِحَوْلِهِ ، وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ
الْإِعْتِصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ وَهَذِهِ أَيْمِينُ قَوْلِكَ قُلْتَهَا قَوْلًا فَصِيحًا ، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا صَحِيحًا ؛
وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتَ فِيهَا عَزَمَكَ صِدْقًا يَقِينًا ؛ وَالنِّيَّةُ فِيهَا
نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ ، وَالطَّوْيَةُ [فِيهَا طَوْيَتُهُ] دُونَ طَوْيَتِكَ ؛ وَأَنْشَدْتَ
اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ بِذَلِكَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيًّا .



وهذه نسخة بيعة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها ابن حمدون في تذكرته ، وربما وافق فيها بعض ألفاظ البيعة السابقة ، وهي :

تُبَاعِ الإمامَ أميرَ المؤمنينَ فلانا ببيعة طوع وإِشَارَ ، وَاعْتِقَادِ وإِضْمَارَ ، وإِعْلَانِ وإِسْرَارِ ، وإِخْلَاصِ من طَوَيْتِكَ ، وَصِدْقِ من نَيْتِكَ ؛ وَأَنْشِرَاحِ صَدْرِكَ وَصِحَّةِ عَزِيمَتِكَ ؛ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ ، وَمُنْقَادًا غَيْرَ مُجْبَرٍ ؛ مُقِرًّا بِفَضْلِهَا ، مُذِنًا بِحَقِّهَا ؛ مُعْتَرِفًا بِرِكَتِهَا ، وَمُعْتَدًّا بِحُسْنِ عَائِدَتِهَا ؛ وَعَالِمًا بِمَا فِيهَا وَفِي تَوْكِيدِهَا مِنْ صَلَاحِ الْكَافَّةِ ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ [مِنْ] الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وَلَمْ الشَّعْثِ ، وَأَمَّنَ الْعَوَاقِبِ ؛ وَسُكُونِ الدَّهْمَاءِ ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَمْعِ الْأَعْدَاءِ - عَلَى أَنْ فَلَانَا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ، الْمَفْتَرَضُ طَاعَتُهُ ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتُهُ وَوِلَايَتُهُ ؛ الْأَلَزَمُ لَهُمُ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالْوَنَاءُ بَعْدَهُ ؛ لَا تَسْكُ فِيهِ ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ . وَأَنْكَ وَلِيٌّ وَلِيَّهِ ، وَعَدُوٌّ عَدُوُّهُ : مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ ؛ مَتَمَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ ؛ سَرِيرَتُكَ مِثْلُ عَلَانِيَتِكَ ، وَظَاهِرُكَ فِيهِ وَفْقُ بَاطِنِكَ - عَلَى أَنْ أُعْطِيَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَتَوْكِيدَكَ إِيَّاهَا فِي عُنُقِكَ ، لِفَلَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ ، وَاسْتِقَامَةٍ مِنْ عَزْمِكَ ؛ وَاسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ - عَلَى أَنْ لَا تَتَأَوَّلَ دَلِيلَهُ فِيهَا ، وَلَا تَسْمَعْ فِي تَضَيُّعِ شَيْءٍ مِنْهَا ؛ وَلَا تَقْعُدَ عَنْ نَصْرِهِ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ ، وَلَا تَدْعَ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ وَحَادِثَةٍ ؛ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ مُؤْذِنًا بِهَا ، مُؤْذِيًا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا ؛ إِذْ كَانِ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ وُلاَةَ الْأَمْرِ ، وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَمَأْثَمًا يُنَكِّتُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ - الَّتِي طَوَّقْتَهَا عَنْقَكَ ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ ، وَأَعْطَيْتَ فِيهَا صَفَقَتَكَ ؛ وَمَا شَرِطَ عَلَيْكَ فِيهَا : مِنْ وِفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ ، وَنُصْحٍ وَمَشَايِعَةٍ ، وَطَاعَةٍ وَمُوَافَقَةٍ وَاجْتِهَادٍ وَمُتَابَعَةٍ - عَهْدُ اللَّهِ إِنْ عَهَدَ اللَّهُ كَانَ مَسْئُولًا . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَكَيْدَاتٍ وَمَوَائِقِهِ وَمُحْكَمَاتٍ عُهُودِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُمْسِكَ بِهَا وَلَا تُبَدِّلَ ، وَتُسَنِّقِمَ وَلَا تَمِيلَ ؛ وَإِنْ نَكَثَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ أَوْ بَدَّلَتْ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا ، أَوْ عَفَيْتَ رَشْمًا مِنْ رُسُومِهَا ، أَوْ غَيَّرْتَ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِهَا ؛ مَعْلَنًا أَوْ مُسِرًّا أَوْ مُحْتَالًا أَوْ مُتَاوَلًا ؛ أَوْ زِغْتَ عَنْ السَّبِيلِ الَّتِي يُسَلِّكُهَا مَنْ لَا يُحْقِرُ الْأَمَانَةَ ، وَلَا يَسْتَحِلُّ الْغَدْرَ وَالْحِيَانَةَ ؛ وَلَا يَسْتَجِيزُ حُلَّ الْعُقُودِ ، فَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرَقٍ أَوْ آتِيَةٍ ، أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ ، أَوْ زَرْعٍ ، أَوْ ضَرْعٍ ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْلاكِ الْمُعْتَدَّةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْمُدْنَحَةِ ؛ صَدَقَةً عَلَى الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِكَ بِحِيلَةٍ مِنَ الْحِيلِ ، عَلَى وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ تَخْرُجَ مِنْ تَحَارِجِ الْإِيمَانِ ؛ وَكُلُّ مَا تَعْتَدُهُ فِي بَقِيَّةِ عَمْرِكَ مِنْ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهُ أَوْ يَجِلُّ فَتْلُكَ سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تَتَوَفَّاكَ مَيِّتُكَ أَوْ يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ الْيَوْمَ : وَأُخْرَى تَتَرَقَّجُهَا بَعْدَهَا مَدَّةَ بَقَايِكَ طَالَتْ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَاقَ الْحَرَجِ وَالسَّنَةِ لَامْتَنُوبِيَّةٍ فِيهِ وَلَا رَجْعَةَ ؛ وَعَلَيْكَ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَاجَةً حَافِيًا ، حَاسِرًا رَاجِلًا ؛ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِهَا ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَخَذْلَكَ يَوْمَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ وَبَرَكَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَجْلَاكَ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا .

(١) فِي الْأَصُولِ "وَلَمْ يَمْلِكْ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ ذِكْرٍ وَأَنْتَ مَدَّةً" أَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ مُنَاسِبًا كَمَا لَا يَخْفَى .



وهذه نسخة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها أبو الحسين الصابي في "غُرر البلاغة" وهي :

تَبَايَعُ أمير المؤمنين بِقُوَّةٍ من بَصِيرَتِكَ ، وَصِحَّةٍ من سِرِّكَ ؛ وَصَفَاءٍ من عَقِيدَتِكَ ، وَصِدْقٍ من عَزِيمَتِكَ ؛ عَلَى الرِّضَا [به] وَالْوَفَاءَ لَهُ ، وَالْإِخْلَاصَ فِي طَاعَتِهِ ، وَالْإِجْتِمَاعَ فِي مُنَاصَحَتِهِ ، وَعَقْدَ النِّيَّةِ عَلَى مُوَالَاتِهِ ، وَبَذْلَ الْقُدْرَةِ فِي مَمَالَاتِهِ ؛ وَأَنْ تَكُونَ لِأَنْصَارِهِ عَوْنًا ، وَلِأَوْلِيَائِهِ حَرْبًا ، وَلِأَعْدَائِهِ حَرْبًا ؛ عَارِفِينَ بِمَا فِي ذَلِكَ من الْحِطِّ ، وَمَعْتَرِفِينَ بِمَا يَلْزَمُ فِيهِ من الْحَقِّ ؛ وَمَحَافِظِينَ عَلَى مَاحَسَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالِدَوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ؛ ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَهَا ، وَأَحْكَمَ مَعَاقِدَهَا ؛ وَزَادَهَا أَسْتِمْرَارًا عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَأَسَّسَ تَقَرُّرًا عَلَى كَرِّ الْعُصُورِ ؛ وَعِزًّا عَلَى تَقَلُّبِ الْأُمُورِ ، وَأَشْتِدَادًا عَلَى تَغَلُّبِ الْمَقْدُورِ ؛ فَإِنْ خَالَفَتْ ذَلِكَ مُسِرًّا أَوْ مُعَلِنًا ، وَحَلَّتْ عَنْهُ مُظْهِرًا أَوْ مُبْطِنًا ، وَحَلَّتْ عَنْقُودَهُ نَاقِصًا أَوْ نَاقِضًا ؛ وَتَأَوَّلَتْ فِيهِ مُحَاوِلًا لِلخُرُوجِ مِنْهُ ، وَاسْتَنْثِيَتْ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلرَّجُوعِ عَنْهُ ؛ فَبَرَأْنِي اللَّهُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَسَلِّبْنِي مَاوَهَبَ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ؛ وَمَنْعْنِي مَاوَعَدَ مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَخَلَّانِي مِنْ يَدَيْهِ ، يَوْمَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ لَدَيْهِ ؛ وَحَنَثَ كُلَّ يَمِينٍ حَلَفَهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى قَدِيمِ الْأَيَّامِ وَحَدِيثِهَا ، وَالتَّنَاهَى فِي تَأْكِيدِهَا وَتَشْدِيدِهَا ؛ وَأَعْرَوْهَا مِنْ لِبَاسِ الشُّبْهِ ؛ وَأَخْلَوْهَا مِنْ دَوَاعِيِ الْخِنَايَةِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ يَمِينِي : أوردتها عَلَى صِدْقٍ مِنْ نَبِيِّ ، وَصِحَّةٍ مِنْ عَزِيمَتِي ، وَأَتَّقَايَ مِنْ سَرِيٍّ وَعَلَايَتِي ؛ وَسَرَدْتُهَا سَرْدًا مُتَابِعًا مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ ، وَتَلَفُظْتُ بِهَا تَلَفُظًا مِنْ غَيْرِ قِطْعٍ ؛ وَالنِّيَّةُ فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ : عَلَى حُضُورِ مَنْهُ وَغَيْبٍ ، وَبُعْدٍ وَقُرْبٍ ؛ وَأَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا عَقَدْتُهُ عَلَى نَفْسِي مِنْهَا ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَى مَنْ أَشْهَدُهُ ، وَحَسْبِيَ عَلَى مَنْ أَجْتَرَأُ عَلَى إِخْفَارِ عَهْدِهِ ، وَتَقْضِ عَقْدَهُ .

قلت : فإن كان من تؤخذ عليه المبايعة اثنين ، أتى في المبايعة بصيغة التثنية ؛ أو ثلاثة فأكثر ، أتى بصيغة الجمع . ولم أتف على كيفية وضعهم لذلك في الكتابة ، والذي يظهر أن المبايعة كانت تكتب على الصورة المنقّمة ، ثم يكتب المبايعون خطوطهم بصدورها عنهم ؛ كما يفعل الآن في تحليف من يحلف من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف بالملكة المصرية والممالك الشامية ، أو يُشهد عليهم في آخر البيعة بمعاقدتهم عليها ورضاهم بها ونحو ذلك .

المذهب الثاني

(مما يكتب في بيعات الخلفاء)

أن تُفتتح المبايعة بلفظ « من عبد الله وولّيه فلان أبي فلان الإمام الفلاني » إلى أهل دولته ، ونحو ذلك بالسّلام عليهم ، ويُؤتى بما سَنَح من الكلام ؛ ثم يُقال : أمّا بعدُ ، فالحمد لله ؛ ويُؤتى على وصفه بشريف المناقب ، واستحقاقه للخلافة ، واستنجاؤه لشروطها ، وما يجرى هذا المجرى ؛ ثم يتخرط في سلك البيعة ، ويذكر القائم بأخذها على الناس من سلطان أو وزير عظيم أو نحو ذلك ؛ ويذكر من أمر ولاية الخليفة ما فيه استجلاب قلوب الرعية والأخذ بنخاطهم وما يتخرط في هذا السلك .

وهذه نسخة بيعة من هذا الأسلوب ، لوليّ عهد بعد موت العاهد ، كتب بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم بها ، وهي :

(١) لعله ونحو ذلك ويتبع ذلك الخ تأمل .

من عبد الله ووليه «أبي فلان فلان بن فلان» الإمام الفلاني، بأمر الله تعالى أمير المؤمنين، إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أمراءها وأعيانها، وكبرائها وأولائها؛ على اتساع شعوبهم، وعساكرها على اختلاف ضروبهم؛ وقبائل عمرها الفيسية وأيمية، وكافة من تشمله أقطارها من أجناس الرعيه : الأمير منهم والمأمور، والمشهور منهم والمغمور؛ والأسود والأحمر، والأصغر والأكبر؛ وفقهم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديين، وسلم تسليما .

أما بعد، فالحمد لله مولى المنّ الحسيم، ومبدي الطول العيم، وما منح جزيل الأجر بالصبر العظيم، فيفيد النعم المتشعبة النون، ومُدني المهج المتعالية لتناول المنون؛ ومُبيد الأعمار ومُفنيها، وناشر الأوائ ومُحييها؛ والفتاح إذا استغَلَّتِ الأبواب، والقائل : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الذي لا يغير ملكه مرور الغير، ولا يصرف سلطانه تصرف القدر؛ ولا يدرك قدمه وأزليته، ولا ينقصد بقاءه وسرمديته؛ مسلم الأنام للحمام، ومُصمى الأنفس بسهام الإخترام؛ ومورد البشر من المنيّة منهلًا ما برحوا في رنقه يكرعون، ولزّه المشرق يتجرعون؛ ومعز ذلك بقوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمُ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ .

والحمد لله الذي نصب الأنبياء لمرآشده أعلاما، وحفظ بيعتهم من الحق والهدى نظاما؛ وجعل نبوة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم لنبواتهم ختامًا، وعصّد بوصيه أبينا

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كلاً للدين وإماماً ، واستخلص من ذريتهما أئمة هادين إثناناً لصنعتيه وإحكاما ، وأنام الحجة على الأئمة بأن أقام لكل زمان منهم إماماً ، وعاقب بين أنوار الإمامة فإذا انقبض نور أنبسط نور ، وتابع ظهور بدوره ليشرق طالع إثر غارب يغور ؛ رحمة شاملة للعالمين ، وحكمة تامة حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ؛ ولم يحل نبياً مع ما شرفه [به] من تناول وحيه وتلقيه ، ولا عصم إماما مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقيته ، من لقاء المنية ، ووداع الأمية ؛ بل أجل لكل منهم أجلاً مكتوباً ، وفصح له أمداً محصوراً محسوباً ؛ لا يصرفه عن وُصوله فضيله ، ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيلة ؛ قدرة محكمة الأسباب ، وعبرة واضحة لأولي الألباب ؛ وقضية أوصحها فرقائه الذي أقر بإعجازه الجاحدون ، إذ يقول مخاطباً لنبيه : ﴿ وما جعلنا ليشير من قبلك الخلد أفان ميت قههم الخالدون ﴾ .

والحمد لله الذي منح أمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأنوارها ، وحازله من ذخايرها وأودعه من أسرارها ، ما خوله فأنحثراتها ، وأصارله شرف ميراثها ؛ وجعله القائم بحقه ، والمرشد خلقه ؛ والمأخى بهداه ليلاً من الضلال بهيما ، والحاوي بخلافته مجداً لا يزال ثاؤه عظيماً : ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً ﴾ .

يحمد أمير المؤمنين علي أن أوصح بابائه الأئمة سبل الحقائق ، فأصبحوا خلفاء الخالق وأئمة الخلاق ؛ وخوله ما اختصهم به من الإمامة ، ورفعها بها إلى أشنع منازل العلأ وأرفع مواطن الكرامة ؛ ويستمدّه شكرًا يوازي النعم التي أثبتت [له] على سرير الخلافة وسرها قدما ، وصبرا يوازن الفجعة التي قل لها فيض المدام دماً .

ويسأله أن يصلي على جده محمد الذي فضَّ بجِهاده جُموعَ الإلحاد، وحصدَ
باجتهاده من مال عن الهدى وحاد؛ وصدع بما أمر به حتى عمَّ التوحيد، ودانت
لمُعجزاته الأئمة وقد دناها وهو المفرد الوحيد؛ ولم يزل مبالغاً في مَرْضاة ربِّه،
حريصاً على إظهار دينه ببيده ولسانه وقلبه؛ حتى استأثر به وقبضه، وبدله من الدنيا
شرف جواره وعوضه؛ وأصاره إليه أفضل نبيٍّ بصَّر وبشَّر، وأحيا دين الله وأنشَر؛
وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب إمام الأئمة، وأبي الأئمة؛ وقُدوة
السعداء، وسيّد الشهداء؛ وعاضِد الدين بذى الفقار، ومن لم يزل الحق إلى
دَبِّه شديد الإفِقار؛ صلى الله عليه وعلى آبائه والأئمة من ذرِّيتهما الذين
أيقظوا العقول بإرشادهم من السنَّة، وأفاضوا من العدل والإحسان ما ألْهَجَ
بتمجيدهم الألسنة .

وإنَّ الإمامَ الفلانيّ لدين الله أمير المؤمنين كان ولياً لله شرفه الله واستخلصه،
وأفردَه بإمامة عصره وخصَّصه؛ وفوضَ إليه أمرَ خلافته، وأحلَّه محلّاً تقعُ مطارحُ
الهمم دُون علوه وإنافه؛ فقام بحقِّ الله ونهض، وعملَ بأمره فيما سنَّ وفرض؛ وقهرَ
الأعداء بسطواته وعزائمه، وصرفَ الأمورَ بأزمةِ التذيرِ وخزائمه؛ وبالغ في الذبِّ
عن أشياعِ الملَّة، واجتهدَ في جهادِ أعداءِ القبلة؛ ووقف على مصلحةِ العباد والبلادِ
أمله، ووفَّر على ما يُحيطُ عند الله قوله وعمَله؛ ولم يترك في مَرْضاة خالقه مشقَّة
إلا احتمَلها، ولا رويَّة إلا صرَفها في إرشادِ خلقه وأعمالها؛ حتى بلغ الغايةَ المحدودة،
واستكملَ الأنفاسَ المحدودة؛ وأحسنَ الله له الاختيار، وآثرله الثقلَ من هذه الدارِ
والزَّنى بَسُكنى دارِ القرار، والفوزَ بمصاحبةِ الأنبياء الأبرار، والحُلُولَ في حظائرِ
قُدسِهِ مع آبائه الأئمة الأطهار؛ فسار إليه طاهر السَّريه، جميل المذهب والصُّوره؛
مستوجباً بسَّغِيه أفضل رضوانه، ممهداً بالتقوى لتذيرِهِ أَكثافَ جناه .

وأمر المؤمنين [يحتسب] عند الله هذه الرزية التي عظم بها المصائب، وعظم عند
 تجموعها المصائب؛ وأضرمت القلوب نارا، وأجرت الآفاق دما^(١) مmara؛ وأطاشت
 بهولها الأبداء بالحرق، وحكمت الأجفان بالآرق؛ وكادت لهجومها الصدور تقذف
 أفندتها، والدنيا تنزع نضرتها وبهجتها، وقواعد الملة تضعف وتهى، والخطوب
 الكارثة^(٢) تبصر ولا تتبى، فإن الله وإنا إليه راجعون!! تسلياً لأمره الذي لا يدفع،
 وإذعانا لقضائه الذي لا يصد ولا يمنع.

وكان الإمام الفلاني لدين الله أمير المؤمنين عند نقلته جعل لي عقد الخلافه،
 ونص على بارتقاء منصبها المخصوص بالإتافه؛ وأفضى إلى بسرّها المكنون،
 وأودعني غامض علمها المصون؛ وعهد إلى أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف
 والحنان، والرحمة والغفران، والمن الرائي الذي لا يكدّره أمتنان؛ وأن أكون لأعلام
 الهدى ناشرا، وبما أرضى الله مجاهرا، ولأحزاب القبلة مظافرا مظاهرا،
 ولأعداء الملة مرغما قاهرا؛ وللمنار التوحيد رافعا، وعن حوزة الإسلام بغاية
 الإمكان دافعا؛ مع علمه بما خصصت به من كرم الشيم، وفطرت عليه من الخلال
 القاضية مصالح الأمم؛ وأوتيته من استحقاق الإمامة وأسئجابها، ومنحته من
 الخصائص المبرمة لأسبابها.

فتعزوا جميع الأولياء، وكافة الأمراء؛ وجميع الأجناد، والحاضر من الرعايا والباد؛
 عن إمامكم المقول إلى دار الكرامة، بإمامكم الحاضر الموجود الذي أورثه الله مقامه؛
 وأدخلوا في بيعته بضدور مشروحة نقيه، وقلوب على محض الطاعة مطويه؛ ونيات

(١) ما زال الدم سال وأمازه أساله . انظر القاموس .

(٢) أى تدم من قولهم أصر على الأمر دأوم عليه .

فِي الْوَلَاءِ وَالْمَشَابِعَةِ مَرْضِيَّةً ، وَبَصَائِرَ لَا تَزَالُ بُنُورُ الْهُدَى وَالِاسْتِجَارُ مُضِيَّةً ؛
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ إِمَامَتَهُ مَحْظُوظَةً بِالْإِقْبَالِ ، دَائِمَةً الْكَمَالِ ؛ صَافِيَةً
مِنَ الْأَشْكَارِ ، مَعْضُودَةً بِمُؤَانَةِ الْأَقْدَارِ ؛ وَيُوَالِي حَمْدَهُ عَلَى مَانَحِهِ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ
الَّذِي جَعَلَهُ لَأُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا قَوَامًا ، وَأَقَامَهُ لِلْبَرِيَّةِ سَيِّدًا وَإِمَامًا ؛ فَاعْمَلُوا هَذَا
وَأَعْمَلُوا بِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكُتِبَ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا سَنَةِ كَذَا .



وهذه نسخة بيعة : كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي بعد وفاة
أبن عمه الأمر بأحكام الله ، قام بعقدها الوزير أبو الفتح يانُس الحافظي ؛
أَقْصَرَ فِيهَا عَلَى تَعْمِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَعَزَى بِالْخَلِيفَةِ الْمَيَّتِ ؛ ثُمَّ أَتَقَلَّ إِلَى مَقْصُودِ
الْبَيْعَةِ ، وَهِيَ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيَّهِ عَبْدِ الْمَجِيدِ أَبِي الْمَيْمُونِ ، الْحَافِظُ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِلَى كَافَّةِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ شَرِيفِهِمْ وَمَشْرُوفِهِمْ ، وَأَمِيرِهِمْ وَمَأْمُورِهِمْ ، وَكَبِيرِهِمْ
وَصَغِيرِهِمْ ؛ وَأَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ ، وَفَقَّهُمُ اللَّهُ وَبَارَكَ فِيهِمْ .

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ،
الْأَئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّطِيفِ بِعِبَادِهِ وَبَرِيَّتِهِ ، الرَّءُوفِ فِي أَقْدَارِهِ وَأَقْصِيَّتِهِ ، الْمُهِمِّنِ
فَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ ؛ ذِي النِّعَمِ الْفَائِضَةِ الْغَامِرَةِ ، وَالْمِنَّةِ الْمُتَتَابِعَةِ

المتظاهره؛ والآلاء المتواليه المتاصره، القائل في محكم كتابه : ﴿يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ . مدبر أرضه بحلقائه، الذين هم زينةً للعالم وبهجته، وهادى خلقه بأوليائه، لئلا يكون للناس على الله حجة؛ فسبحان الذى هو للنعم مسبغ وبالكرم جدير، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِينُ الْمُلُوكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين أن جعله خليفة دون أهل زمانه، وأوجب ثواب المستحيين له بكفالاته وحنانه، وجعلهم يوم الفزع الأكبر مكنوفين بحفظه مشمولين بأمانه؛ وأوزعه الشكر على ما أسترعه إياه من أمر هذه الأمة، ونقله إليه من ثراث آبائه الهداة الأئمة، وكشفه بإمامته من أجمع نائبة وأفزع مله .

وصلّى الله عليهم جدنا محمد رسوله الذى أخبر الأنبياء المرسلون بصفته ونعته، وتداولوا البشرى بما يستقبل من زمانه وبعثه؛ وذكروه فيما أتوا به من كل كتاب أوحاه الله وأنزله، وأعترفوا بأنه أفضل من كل من نبأه الله وأرسله؛ فيسر الله سبحانه ما كان مرتقباً من ظهوره، وأذن فى إشراق الأرض بما أنتشر فى آفاقها من نوره؛ وبعثه - جلّت قدرته - إلى الأمة بأسرها قاطبه، وجعل السنة الأعماد مجادلة لمن خالف شرعه مخاطبه؛ فكان لآية الكفر ماحيا، وفى مصالح البرية ساعيا، وإلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة داعيا؛ إلى أن لمعت آيات الحق وسطعت، وأنحسمت مادة الباطل وأقطعت؛ وظهر من آياته ما كبر له المخشون، واشتهر من معجزاته ما خص به المعتنون، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله : ﴿إِنَّكَ مِثُّ مَا نَسُوا﴾ . فحينئذ نقله الله إلى ما أعد له من جناته، وخصه بشرف الشفاعة وإنهم ميتون .

في يوم مجازاته ، وصدقته وعده فيما بواه من النعيم المقيم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وعلى أئمتنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب أولى الناس بالنبي ، وأول من أتبعه من ذوى قرابة وأجنبي ؛ وابن عمه الذى آخضه بمواخاته ، وجعله خليفة على كافة الناس بعد وفاته ؛ وتحمل بأمر الله ، فيما ولّاه وأولاه ، وخطب الناس في حجة الوداع فقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، وعلى آلهما الكرام الأبرار ، وعترتهما المصطفين الأخيار ؛ وهداة المسلمين وفدوتهم ، وأمرء المؤمنين وأئمتهم ؛ الذين حكموا فافسطوا وما قسطوا ، وسلك الحزرون منهم سنن أسلافهم الذين فرطوا ، وأقنفا أنارهم في السياسة فما قصروا ولا فرطوا ؛ ولم يزل كل منهم تاملاً من ذلك بما حسن أيامه ، فاعلاً في أمر الدين مارفع مناره ونشر أعلامه ، حتى آختر الله له ما عنده فنص على من أقامه الاستحقاق مقامه ؛ وسلم عليهم أجمعين سلاماً لا أنقضاء لأمدّه ، ولا أنقطاع لمدده ؛ فنيل المطالب بكرمه وملكوته كل شيء بيده .

وإن الحق إن خفي حيناً فلا بد لهلاله من الإنباد وأنيساط النور ، وإن الشمس إن توارت بالحجاب فما أوشك عودتها إلى البروغ والظهور ؛ وإن حسن الصبر إلى أن يبلغ الكتاب أجله يؤمن من تدلية الشيطان بالنور ، قال الله عز وجل في كتابه ، الذى هدانا به ، : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

وإن الله تعالى لرأفته بمن أبدعه من خلقه وأنشاه ، ولسابق علمه في عمارة هذه الدار على ما أرادته عز وجل وشاء ؛ لا يخلج الأرض من نور يستضيء به السارى في الليل البهيم ، ولا يدع الأمة بلا إمام يهتدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؛ فهو جلّ وعلا أعدل من أن يجعل جيد الإيمان من حلى الإمامة عاطلاً ، أو يترك

الخلق هملاً وقد قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾ . بل يقطع أعدار العباد فيما خلقهم له ووقفهم ، ويهديهم بالأئمة إلى التوفّر على عمل ما ألزمهم وكلفهم ؛ فالأمور محروسة الترتيب محفوظة النظام ، والأرض إذا أظلمت لفقد إمام ، أضاءت وأشرق لقيام إمام . وقد علم الكافة أن حجة الله في أرضه ، والمجتنب من الأعمال ما لم يرضه ، والمحسن إلى البرية ببعثه على المصالح وحضه ؛ الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين الذي آتاه الله الحكم صبيّاً ، ورفعه من إرث النبوة مكاناً عليّاً ؛ واستخلفه على خلقه فكان للفضل باسطاً ولراية العدل ناشراً ، وجعله لشمل المحاسن جامعاً ولأئمة الخلفاء الراشدين عاشرًا ؛ لم يزل ناظرًا في البعيد والقريب ، عاملاً في سياسة الأمة عمل المجتهد المصيب ؛ مستقصياً حرصه في المحافظة على إعزاز الملة ، مستنفذاً جهده في الجهاد فيمن خالف أهل القبلة ، باذلاً من جزيل العطاء وكثيره ما لا يعرف معه أحدٌ من خاصته بالفقر ولا ينسب معه إلى القلة ؛ حتى استوفى مدته الموهوبة ، واستوعب غايته المكتوبة ؛ وناله من القضاء ما أخرجه من الدنيا سعيداً ، وأقدمه على الله شهيداً ، وأصاره إلى ما أعد له من نعيم لا يريد به بديلاً ولا يطلب عليه مزيداً ؛ وكان انتقاله إلى جوار ربّه تبارك وتعالى ، كانتقال أبيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بغياً من الكافرين وأغتيالاً . وقد كان يذكر ما علمه من حق أمير المؤمنين تارةً محاوراً وتارةً مُحافِثاً ، إلى أن صار على بسط القول في ذلك وتبيينه مثاراً مُتَهافِثاً ، وأفصح بما كان مستبهماً مستحجاً ، وصرح بما لم يزل في كشفه مرمّضاً وعن إفصاحه مُحجِجاً ، وذلك لما ألقاه أشرف فرج من سنخ النبوة ، وراه أكرم في فخارة الأبوة ؛ وعلمه من أباه الأمير أبا القاسم

(١) المراد به الحافظ لدين الله صاحب هذه البيعة .

(٢) جرى الكاتب على لغة القصر .

عَمَّهُ سَلامُ اللَّهِ عليه الذي هو سَليْلُ الإمامَةِ القَليْلِ المِثْلِ ، ونَجَلُ الخِلافةِ المَخْصُوصِ
 مِنَ الفَخْرِ بأَجْزَلِ حَظٍّ وأَوْفَرِ كَفْلٍ ؛ كانَ المِستَصرُّ باللهِ أميرُ المُؤمِنينَ سَماهَ وَلِيَّ عَهْدِ
 المُسْلِمينَ ، وتَضَمَّنَ ذلكَ ما خَرَجَتْ بِهِ تَوقِيعاتُهُ وتَسوِيفاتُهُ إلى الدَواوينَ ، وَثَبَتَ
 فِي طَرُزِ الأَبْنِيَةِ ، وَكُتِبَ الأَبْتِياعاتُ والأَشْريَّةُ ، وعَلِمَتِ الكَافَّةُ عَلماءُ يَقيِنًا ظَلَّتْ فِيهِ
 غَيرُ مُرْتابَةٍ ولا مِمْتَرِيَّةٍ ، وفي ضَمَنِ ذلكَ باطنٌ لا يَعلِقُهُ إلا العالِمونَ ، ولا يُنكِرُهُ إلا مَنْ
 قالَ فيهِمَ : ((وَمَا يَصحِدُ بِأَيَّتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)) . وذلكَ أَنَّ أميرَ المُؤمِنينَ الفَرَضُ
 والمَقْصَدُ ، والبُغْيَةُ والمَطْلَبُ ؛ وَلَهُ عَهْدٌ بالتَلَوِيحِ والإِشارَةِ ، وإِلَيْهِ أَوْحَى بالنَصِّ وإن
 لَمْ يُفْصَحَ فِيهِ بالعِبارَةِ ؛ وكانَ والدُهُ الأميرُ أبو القاسِمِ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - بِمِثْلَةِ
 الأشجارِ التي يُتَأَنَّى بِها إلى أَنْ يَظْهَرَ زَهْرُها ، والأَحكامُ التي يُنْتَظَرُ بِها إلى أَنْ يَخْرُجَ
 ثَمَرُها ؛ والزَّرْجُونَةُ التي نَقَلَتِ المِاءَ إلى العُتُقودِ ، والسَّجَابَةِ التي حَمَلَتِ الغِيتَ فَعَمَّ
 نَفْعُهُ أَهْلَ السُّهولِ والجُودِ ؛ ومما يَبَيِّنُ ذلكَ ويُوضِّحُهُ ، ويَحَقِّقُهُ ويَصَحِّحُهُ ؛ وتَنَلِّجُ
 بِهِ لِلْمُؤمِنينَ صُدُورَ وَتَقْوَى أَفْئِدَهُ ؛ وَتَشْهَدُ البِصائِرُ أَنَّ النِّعْمَةَ بِهِ عَلَى الإِسلامِ مُتَتابِعَةٌ
 مُتَجَدِّدَةٌ ، أَنَّ الأَمْرينِ إِذا تَشابَها مِنْ كُلِّ الجِهاَتِ ، وكانتَ بَينَهما مُدَدُ مُتَطاولاتٍ
 مُتَباعِداتٍ ؛ فالسَّابِقُ مِنْهُما يُمَهِّدُ لِلتَّالِي ، والأَوَّلُ أَبَدًا رَمَزٌ عَلَى التَّالِي ؛ ولا خِلافَ
 بَينَ كَافَّةِ المُسْلِمينَ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعالَى أَمَرَ جَدَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقْدِ وَلايَةِ
 أميرِ المُؤمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَعَقَدَها لهُ يَومَ غَدِيرِخَمٍّ ، وأميرَ المُؤمِنينَ
 عَلِيٌّ ابْنُ عَمِّهِ وكانَ لهُ حينئِذٍ عَمٌّ حاضِرٌ ، وأمضى ما أَمَرَ بِهِ والإِسلامُ يَومئِذٍ غَضٌّ
 وَعُودُهُ ناضِرٌ ؛ وَكَذلكَ أَنَّ أميرَ المُؤمِنينَ ، هُوَ ابْنُ عَمِّ الإمامِ الأَميرِ بِأَحْكامِ اللَّهِ
 أميرَ المُؤمِنينَ ؛ وَقَدْ نَصَّ مَعَ حَضُورِ عُمُومَتِهِ عَلَيْهِ ، وفَعَلَ ما فَعَلَ جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ
 أَقْداءً بِهِ وَأَتَهائاً إِلَيْهِ ؛ وكانَ أَبُو عَلِيٍّ المَنْصُورُ الإمامُ الحاكِمُ بأَمْرِ اللَّهِ أميرَ المُؤمِنينَ
 صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، جَعَلَ ابْنَهُ عَبْدِ الرَّحيمِ إِلِياسَ وَلِيَّ عَهْدِ المُسْلِمينَ ، وَمِيزَةً بِذلكَ

على كافة الناس أجمعين ؛ ونقش اسمه في السَّكَّة ، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمَنِّه ؛
والْبَسَه شَدَّةَ الْوَقَارِ الْمَرْصُوعَةِ بِالْجَوْهَرِ ، وَاسْتَنَابَهُ عَنْهُ إِمَامَ الْأَعْيَادِ فِي الصَّلَاةِ وَفِي رُقَى
الْمِنْبَرِ ؛ وَأَقَامَهُ مُتَمِّمًا نَفْسَهُ فِي الْاِسْتِغْفَارِ لِمَنْ يُتَوَقَّى مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَفِي الشَّفَاعَةِ
لَهُمْ بِمَقْبَلِ مُنَاجَاتِهِ وَمَسْمُوعِ دُعَائِهِ ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَنَالُ رُتْبَةَ الْخِلَافَةِ ، وَلَا يَبْلُغُ
دَرَجَةَ الْإِمَامَةِ ؛ وَأَنَّ الْإِمَامَ الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - هُوَ الَّذِي
خُلِقَ لَهَا ؛ وَحِينَ حُمِّلَ أَعْبَاءَهَا أَقْلَهَا وَمَا اسْتَنْقَلَهَا ؛ وَإِنَّمَا تَحْتَ ذَلِكَ مَعْنَى لَطِيفٍ
غَامُضٍ ، وَسُرٌّ عَنْ جُمْهُورِ النَّاسِ مُسْتَرٌّ وَبَرْقُهُ لِأَوَّلَى الْبَصَائِرِ وَامِضٌ : وَهُوَ أَنَّ مَكُونُ
الْحِكْمَةِ ، وَمَكْتُومَ عِلْمِ الْأَمَةِ ؛ يُدْلَلُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ الْمَنْصُورَ أَبَا عَلِيٍّ ، سَيَفْعَلُ فِيمَنْ
يَسْتَخْلِفُهُ بَعْدَهُ مِثْلَ فِعْلِ النَّبِيِّ ؛ وَقَدْ عِلِمَ الْإِمَامَ الْحَاكِمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّ الْمُرَادَ
بِذَلِكَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ أَوْ أُنْسَلِهِ ، لِأَنَّ وَلَدَهُ حَاضِرٌ وَالْمَقْصُودُ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ ؛
بِفِعْلِ وِلَايَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْعَهْدِ تَأْسِيسًا لِمَا سَيَكُونُ ، وَتَقَالًا لِلنَّفُوسِ مِنَ الْاِتِّزَاعِ إِلَى
أَن تَشْمَلَهَا الطُّمَأْنِينَةُ وَالسُّكُونُ ؛ فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ أَبِي عَلِيٍّ الْإِمَامِ
الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافَةِ الَّتِي جَعَلَهَا وَاجِبًا لَهُ حَقًّا ، وَوَافَقَ جَدَّهُ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَانَ لِقَبِهِ مِنْ لَقَبِهِ مُشْتَقًّا ، ظَهَرَ الْمُنْكَدِمُ ، وَرَوَّحَ الْمُسْتَرِّ ؛ وَعَادَ
التَّعْرِیْضُ تَصْرِيحًا ، وَالتَّمْرِیْضُ تَضَعِیْحًا ؛ وَالرَّمْزُ إِبَانَةً ، وَالنَّصُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَمَانَةً ؛ فَاقْتَدَى بِجَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اسْتِخْلَافِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مَعَ حُضُورِ عُمُومَتِهِ ، وَقَعَلَ فِي ذَلِكَ فَعْلَتَهُ وَجَرَى عَلَى قَضِيَّتِهِ ؛ وَكَشَفَ عَمَّا أَهْمُهُ
الْإِمَامُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ قَدَّسَ اللَّهُ لَطِيفَتَهُ فَتَسَاوَى الْخَاصُّ وَالْعَامُّ فِي مَعْرِفَتِهِ ؛ ثُمَّ حَلَّ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَحَلَّ نَفْسِهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَى الْأَسْمَطَةِ ، وَعَمِلَ لِأَوْلِيَائِهِ وَرَعِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ
بِالْقَضَايَا الْمُحِيطَةِ ؛ وَنَصَبَهُ مَنْصِبَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ جَرَتْ عَادَتُهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مِثْلِهِ ؛
وَجَمَعَ فِي اعْتِمَادِ ذَلِكَ بَيْنَ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ وَبَيْنَ امْتِنَانِهِ وَعَدْلِهِ ؛ وَإِذَا قَدْ تَيَّيَّنَ هَذَا

الأمر الواضح الجليّ، وتساوى في علمه الشانئ والوليّ؛ وعلم هو ماخصّ الله به أمير المؤمنين من الإمامه، وأزاله عن العقول من ضباب متكاثف وعمامة، وشمله به من فضله ورافته، ونصّبه فيه من منصّب خلافته؛ التي أيدها بوليّه ووزيره، وعصّدها بصفيّه وظهيره، السيد الأجل أبي الفتح يانس الحافظيّ الذي جعله الله على أعتائه بدولة أمير المؤمنين من أوضح الشواهد والدلائل، وصرف به عن مملكته محذور الصروف والغوائل؛ وأقام منه لمناسبة الخلافة مخلصا جمع فيه أسباب المناقب والفضائل؛ وأيده بالتوفيق في قوله وفعله فأرّب على الأواحر والأوائل؛ ودلّت سيرته الفاضلة على أنه قد عمّر ما بين الله وبينه؛ وحكمت سنته العادلة أن كلّ مذح لا يبلغ ثناءه وكلّ وصف لا يقع إلّا دونه؛ والله يضاعف نعمه عنده ولديه، ويفتح لأمر المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها على يديه؛ وهذا يحقّق أنّ الإسلام قد أحدث له قوّة وتمكينا، وأنّ دوى الإيمان قد ازدادوا إيمانا واستبصارا ويقينا؛ فيجب عليكم لأمر المؤمنين أن تدخلوا في بيعته منشرحة صدوركم، طيبة نفوسكم؛ مجتهدين له في خدمة تقابلون بها إحسانه، متقرّبين إليه بمناجحة تحيطكم عند الله سبحانه؛ عاملين بشرائط البيعة المأخوذة على أمثالكم الذين يتبعون في فعلهم، ويقع الإجماع بمثلهم؛ ولكم على أمير المؤمنين أن يكون بكم رحيا، وعن الصغائر متجاوزا كريما، وبالكافة رؤونا رفيقا؛ وعلى الرعايا عطفوا شفيقا، وأن يصفح عن المسيء ما لم يأت كبيره، ويبالغ في الإحسان إلى من أحسن السيرة؛ ويؤيّل من الإفضال ما يستخلص الضمائر، ويسبغ من الإنعام ما يقتضى نقاء السرائر؛ وأمير المؤمنين يسأل الله أن يعرفكم بركة إمامته، ويؤمن خلافته؛ وأن يجعلها ضامنة بلوغ المطالب، كافلة لكافكم بسعادة المبدئ والعواقب؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المذهب الثالث

(أن تُفْتَحَ البيعةُ بعدَ البسملةِ بِحُطْبَةٍ مَفْتُوحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ،

ثم يُؤْتَى بِالْبُعْدِيَّةِ وَيُتَخَلَّصُ إِلَى الْمَقْصُودِ ؛ وَقَدْ يُذَكَّرُ السُّلْطَانُ الْقَائِمُ بِهَا

وَقَدْ لَا يُذَكَّرُ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَكْتُبُ بِيَعَاتُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ

بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمِنْ أَدْعَى الْخِلَافَةِ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ)

وهذه نسخةُ بَيْعَةٍ كَتَبَ بِهَا طَاهِرُ الْأَنْدَلُسِيِّ ، فِي أَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِ دَانِيَّةَ

مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، لِلرَّشِيدِ بْنِ الْمَأْمُونِ الْأُمَوِيِّ ، وَهُوَ مُتَصِيبٌ فِي الْخِلَافَةِ : نَخْلَفُ

تَوْهَمَهُ مِنَ الرِّعْيَةِ . أَقْتَصِرُ فِيهَا عَلَى تَحْمِيدِهِ وَاحِدَةٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا تَعَرُّضٌ لِسُلْطَانٍ قَائِمٍ

بَعْدَهَا ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ لِنِعَامِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَسَوَّغَ لِفَضَالِهِ هَامِلًا وَهَامِرًا ، وَأَعْجَزَ

عَنْ وَصْفِ إِحْسَانِهِ نَاطِقًا وَنَاطِرًا ، وَقَهَرَ الْخَلْقَ نَاهِيًا وَآمِرًا ، وَتَعَالَى جَدُّهُ فَلَا تَرَى لَهُ

مُضَاهِيًا وَلَا مُظَاهِرًا ، وَلَا مُوَازِيًا وَلَا مُوَازِرًا ، وَنَصَرَ الْحَقَّ وَكَفَى بِهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِهِ

نَاصِرًا ، وَجَعَلَ جَدَّ الْمَطِيعِ صَاعِدًا وَجَدَّ الْعَصِيِّ عَاطِرًا ، وَحَدَّرَ مِنَ الْخِلَافِ بَادِيًا

وَحَاضِرًا ، وَمَاضِيًا وَغَاضِرًا .

نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ حَمْدَ مَنْ أَصْبَحَ لِعُلُقِ الْحَمْدِ ذَاخِرًا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَنِّهِ وَلَنْ

يُعْدِمَ الْمَزِيدَ مِنْهُ شَاكِرًا ، وَنَضْرَعُ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ حِظَّنَا مِنْ بَرَكَةِ الْإِعْتِصَامِ وَافِرًا ،

وَوَجْهَ نَيْتِنَا فِي الْإِتِّظَامِ سَافِرًا ، وَأَنْ يَمْنَحَ أَوْلِيَاءَهُ النَّصَرَ ظَاهِرًا وَالْفَتْحَ بَاهِرًا ، وَأَعْدَاءَهُ

الرُّعْبَ شَاجِيًا وَالرُّخَّ شَاجِرًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ أَقْزَلِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ

صَافِرًا ، وَأُصْحَى لِأَوَامِرِهِ مِمْتِلًا وَلِنَوَاهِيهِ مُحَازِرًا ؛ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ حَرْبَ الْإِيمَانِ

ظافراً، ويمدّه بنصره طالباً للثأر ثائراً، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله الذي آتخذه من صفوة الصفوة كابراً فكابراً، وجعله بالفضيلة أولاً وبالرسالة آخرها، فاقطع بالدعاية ساهياً وناسياً وسكن بعد الإبانة منافياً ومنافراً، وأذهب بنوره ليلاً من الجهالة سائراً، وقام بجهد الكفرة ليثاً خادراً، وباشر بنفسه المكاره دارعاً وحاسراً، وشهد بداراً مبادراً، وحينئذٍ منذراً بالخبر نادراً، وظهر عليهم في كل المشاهد غالباً وما ظهروا نادراً، وعلى آله وأصحابه الذين منهم صاحبه وخليفته، المعلومه رأفته، أبو بكر الذي أفتحهم لهول الردّة مصابراً، وسلّ في قتال الروم أهل الجلد والشدة سيفاً باتراً، ومنهم القوي في ذات الله عمر الذي أصبح به ربيع الإسلام عامراً، ولم يحش في الله عاذلاً ولم يزعج غادراً، ومنهم الأصدق حياءً عثمان ملاقي البلوى صابراً، والخفير الذي لم ير للأدمة خافراً، ومنهم أفضاهم على الذي قاتل باغياً وكافراً، وبات لخوف الله ساهراً، ورضى الله عن الإمام المهدي الذي أطلعه نوراً باهراً، وبحراً للمعلم زائراً، وأتى به والضلال يمحور سنة سادراً، والباطل يثبث وينفي وإردا وصادراً، فحدد رسم الحق وكان دائراً، وقام بأرائه علماً هادياً وقرماً هادراً، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين من أصبح حائداً عن الحق جائراً، المجاهدين خائلاً بالعهد خاتراً.

أما بعد، فإن الله سبحانه جعل الإمامة للناس عظمة، ومنجاة من ريب الالتباس ونعمة، بها يتمهد همة الأرض، ويتجدد صلاح الكل والبعض، ولولاها ظهر الظلم، واختلط المرعى والمصل، وأرتكبت المآثم، واستبدحت المحارم، واستحلّت المظالم، واستقم من المظلوم الظالم، وفسد الائتلاف وأفرق النظام، وتساوى الحلال والحرام، فاختار لأمرهم رعاة أمرهم بالعدل فعدلوا، وبالتواضع

فِي ذَاتِ اللَّهِ وَالتَّقَاطُعِ فَقَطَّعُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَوَصَّلُوا ؛ وَعَدَّلُوا بَيْنَ أَهْلِهِمْ وَأَقْرَبِيهِمْ
 فِيمَا وُثِّقُوا ، وَنَهَضُوا بِأَعْيَاءِ الْكِفَايَةِ وَالْحِمَايَةِ وَاسْتَقْلَلُوا ؛ وَارْتَمَهُمُ الْإِتِّفَاقُ وَالْإِقْتِيَادُ ،
 وَحَظَّرَ عَلَيْهِمُ الْإِنْسِتَاقَ وَالْعِنَادَ ؛ فَمَلَكُوا بِأَزْمَةِ الْعَقْلِ قِيَادَ الْأُمُورِ ، وَأَشْرَقَتْ بِسِيرَتِهِمُ
 الْمُبَارَكَةِ أَقَاصِي الْمَعْمُورِ ؛ وَشَاهَدَ النَّاسُ فَوَاضِلَ إِمَامِهِمْ ، وَتَيَّنُوا مِنْ سِيرَتِهِمُ الْعَادِلَةَ
 عُلُوَّ مَحَلَّتِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ وَمَقَامِهِمْ ؛ وَلَمْ يُطْرَقْ فِي مُدَّتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ جَنَابٌ ، وَلَا أَقْتَحِمَ
 لَهُ بَابٌ ؛ وَائْتَى وَسُيُوفُهُمْ تَقَطَّرَ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ ، وَبِلَادُهُمْ سَاكِنَةُ الدِّهْمَاءِ ،
 وَالْكَفَرَةُ بِالرُّعْبِ الْخَائِرِ وَالِدَاءِ الْعِيَاءِ ؛ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ ، يَجْرُونَ ذُيُولَ الْعَزَائِمِ ، وَعَبْدَةُ
 الصُّلْبَانِ ، يَعْثُرُونَ فِي ذَيْلِ الْهَوَانِ الدَّائِمِ ؛ إِلَى أَنْ عَدِمَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ بِحَارَهَا الزَّوَانِحَ ،
 وَأَنْوَارَهَا الْبَوَاهِرَ ، وَرَأَتْ بَعْدَهُمُ الْعُيُونَ الْفَوَاقِيَّ وَالْمُنُونُ الْفَوَاقِرَ ؛ وَأَكْفَهَرَّ وَجْهُ
 اللَّأْوَاءِ ، وَتَفَرَّقَتِ الذَّرَقُ بِحَسَبِ الْأَهْوَاءِ ؛ وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ ، وَرُكِبَتِ الْمَضَلَّةُ الْعَمِيَاءُ ؛
 وَاحْتَبَقَتِ الْجَوَائِرُ ، وَأَهْمِلَ الشَّرْعُ وَالشَّعَائِرُ ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدْنَى فِي كَشْفِ
 الْكُرْبِ ، وَأَطْلَعَ بِالْغَرْبِ نُورًا مَلَأَ الدُّنْيَا إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ؛ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي أَضَاءَ
 لِلْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَطَلَعَ عَلَى الْآفَاقِ طُلُوعَ النَّهَارِ ، وَذُنِحَتْ أَيَّامُهُ السَّعِيدَةُ لِدَرْكِ
 النَّارِ ؛ وَكَفَلَتْ بِهِ الْخِلَافَةُ وَطَالَ بِهَا كَلْفُهُ ، وَقَامَ بِالْإِمَامَةِ مِثْلَ مَا قَامَ بِهَا الْخُلَفَاءُ
 الرَّاشِدُونَ سَلَفُهُ ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ بِاللَّهِ آئِبُ الْخُلَفَاءِ
 الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَخَلَدَ فِي عَقِبِهِمُ الْإِمَامَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَهُوَ
 الْأَسَدُ الْمَهْصُورُ ، وَمَنْ أَبُوهُ الْمَأْمُونُ وَجَدَّهُ الْمَنْصُورُ ؛ الْعَرِيقُ فِي الْخِلَافَةِ ، وَالْحَقِيقُ
 بِالْإِمَامَةِ وَالْإِنَافَةِ ؛ جَمَعَ مَا فَتَرَقَ ، وَنَظَّمَ الْأُمُورَ وَتَسَّقَ ؛ وَمَنْعَ الْحَوْزَةَ أَنْ تُطْرَقَ
 وَالْمَلَّةَ أَنْ تَفْتَرِقَ أَوْ تُفَرَّقَ .



وهذه نسخة بيعه كتب بها أبو المطرف بن عُميرة الأندلسي بأخذ البيعة على أهل شاطبة من الأندلس لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي ، قام بعقدتها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود صاحب الأندلس ، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفسه ، وأن يكون أبنه ولي عهده بعده ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأرض قَرَارًا ، وأرسل السماء مِذْرَارًا ، وسخر ليلًا ونهارًا ، وقدر آجالًا وأعمارًا ، وخلق الخلق أطوارًا ، وجعل لهم إرادةً واختيارًا ، وأوحى لهم تفكيرًا واعتبارًا ، وتعاهدهم برحمته صغارًا وكبارًا .

نحمده حمد من يرجو له وقارًا ، ونبرأ من عانده استيجارًا ، وألحد في آياته سفاهةً واعتزارًا ، وصلى الله على سيدنا محمد الشريف نيجارًا ، السامي فخارًا ، ^(١) فرفع الله من شريعته للأمة منارًا ، وأطفأ برسالته للشرك نارًا ، حتى علا الإسلام مقدارًا ، وعزَّ جارا ودارًا ، وأذعن الكفر اضطرارًا ، وأستسلم ذلةً وصغارًا ، ففضى وقد ملأ البسيطة أنوارًا ، وعمها بدعوته أنجادًا وأغوارًا ، وأوجب لولاة العهد بعده طاعةً وأتمارًا ، فجراه الله أفضل ماجزى نبيًا مختارًا ، ورسولًا اجتباه أخيصاصًا وإيثارًا ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين آثارًا واختيارًا ، وعلى أصحابه الكرام مهاجرين وأنصارًا ، صلاة نوايلها إعلانًا وإسرارًا ، وزجوها مغفرة ربنا إنه كان غفارًا .

أما بعدُ ، فإنَّ المستأثر بالدوام ، اللطيف بالآنام ، أنشأهم على التغير والتباين ، واضطرهم إلى التجاور والتعاون ، وجعل لهم مصلحة الاشتراك ، ومنفعة الالتحام

(١) لعله " الذي رفع الله به من " الخ . تأمل .

والإشتباك ؛ طريقاً إلى الأفضل في حياتهم ، والأسعد لغاياتهم ؛ وبعث النبيين
مرغبين ومحدّرين ، ومبشرين ومنذرين ؛ فأدّوا عنه ما حمل ، وابتنوا ما حرم وحلّ ؛
وكان أعمهم دعوه ، وأوثقهم عروه ؛ وأعلامهم في المنزلة عنده ذروه ، وأعطفهم
للقلوب وهي كالبحارة أو أشدّ قسوه ؛ المخصوص بالمقام المحمود ، والحوض
المورود ؛ وشفاعة اليوم المشهود ، ولواء الحمد المعقود ؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم
أفضل صلاة تُقضى إلى الظلّ المدود ، وتبلغنا من شفاعته أفضل موعود ؛ بعثه الله
للأحمر والأسود ، والأدنى والأبعد ؛ فصدّع بأمره وظلام الليل غير منجّاب ،
والدّاعي إلى الله غير مجّاب ؛ وأهل الجاهلية كثير عددهم ، شديد جلدتهم ، بعيد
في الضلالة والغواية أمدهم ؛ فسلك من هدايتهم سيلا ، وصبر لهم صبرا جيلا ،
يحبّ صلاحهم وهم العدو ، ويلين لهم إذا جدّ بهم العدو ، ويجهّد في إظهار دينه
ولدين الله الظهور والعلو ؛ حتى آتقأدوا بين سابق سبقت له السعادة ، ولاحق
تداركته المشيئة والإرادة ؛ ولما رُفعت راية الإسلام ، وشفعت حجة الكتاب حجة
الإسلام ؛ ودُعي الناس إلى التزام الأحكام ، ونهوا عن الاستقسام بالأزلام ، أختوا^(١)
إلى الربّ المعبود ، وأشفقوا من تعدّي الحدود ، ووعظوا في الإيمان والعهود ؛ فآتمروا
للشرع حين أمر ، وخافوا وخامة من إذا عاهد غدر ؛ فكان الرجل يدع الخوض
فيما لا يعلمه ، ويترك حقه لأجل يمين تلزمه ، وشرعت الإيمان في كلّ فنّ بحسب
المحلف عليه ، وعلى قدر الحاجة إليه ؛ فواحدة في المال لحق الأداء ، وأربع خمسة
عند ملائعة النساء ، وخمسون انتهى إليها في أحكام الدماء ، فتوثق للحدود على
مقاديرها ، وجرّت أمور العبادات والمعاملات على أفضل تقديرها ؛ وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم والعدل قائم ، والشرع على القوى والضعيف حاكم ، والربّ

(١) لعل المراد بالأول الدين وبالثاني الاتقياء إن لم يكن مصحفا عن الاستسلام .

جَلَّ جَلَالُهُ بِمَا تُخْفَى الصُّدُورُ عَالَمٌ ؛ وَقَامَ بَعْدَهُ الْخَلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ أَرْكَانُ الدِّينِ ،
وَأَعْضَادُ الْحَقِّ الْمَبِينِ ؛ يَجْمَلُونَ النَّاسَ عَلَى سَنَنِهِ الْوَاضِحِ ، وَيَنْقُدُونَ أُمُورَ الْمَصَالِحِ ،
وَيَنْفَقُهُونَ فِي الْأَحْكَامِ وَقُوقًا مَعَ الظَّاهِرِ وَتَرْجِيحًا لِلرَّاحِ ؛ وَكَانُوا يَتَوَقَّفُونَ فِي بَعْضِ
الْأَحْيَانِ ، وَيَطْلُبُونَ لِلشُّبْهِ وَجْهَ الْبَيَّانِ ، وَيَسْتَظْهِرُونَ عَلَى تَحْقِيقِ كَثِيرٍ مِنَ الْوَقَائِعِ
بِالْإِيمَانِ ؛ حَتَّى كَانَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ يَسْتَنْبِثُ فِي الدَّرَايَةِ ، وَيَسْتَحْلِفُ الرَّائِيَ
عَلَى الرَّوَايَةِ ؛ وَمَا أَنْكَرَ ذَلِكَ أَحَدٌ ، وَلَا أَعُوزُهُ مِنَ الشَّرْعِ مُسْتَنْدَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَئِمَّةٌ
بِالْعَدْلِ قَضَوْا ، وَعَلَى سَبِيلِهِ مَضَوْا ، وَالسَّيْرَةُ الْجَلِيلَةُ تَخَيَّرُوا وَأَرْتَضَوْا ؛ وَعَنْ سَيِّدِ
الْأَنْبَاءِ ، وَمُسْتَنْزِلِ دَرِّ الْغَمَامِ ، عَمَ نَبِينَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ الْحَامِي الْحَدِّبِ ،
وَالْمُعْقِلِ الْأَشْبِيبِ ؛ وَالغَيْثِ الْهَامِلِ الْمُنْسَكِبِ ، أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛
وَعَنْ الْفَائِزِينَ بِالرُّتْبَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَالصُّحْبَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَالْمَنَاقِبِ الْعَظِيمَةِ ؛ بُدُورِ الظَّلَامِ
وَبُحُورِ الْحِكْمِ ، وَصُدُورِ أُنْدِيَةِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ؛ وَشَائِرِ صَحَابِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا عَلَى عَمْرِهِ ، وَأَسْلَفُوا جِدًّا فِي نَصْرِهِ ، وَأَدْرَكُوا مِنْ بَرَكَةِ عِيَانِهِ وَزَمَانِهِ مَا لَمْ يَدْرِكْ
لِحَصْرِهِ ؛ كَرَّمَ اللَّهُ مَا بَهُمْ ، وَأَجَزَلَ ثَوَابَهُمْ ، وَشَكَرْهُمْ صَبْرَهُمْ وَأَحْسَنَ أَسْمَاءَهُمْ ؛ فَلَقَدْ عَقَدُوا
نِيَّةَ الصَّدَقِ عِنْدَ قِيَامِهِمْ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْإِطَاقَةِ ، وَاسْتَبَاحُوا صَلَاةَ الشُّكْرِ حِينَ رَفَعُوا
حَدَّثَ الرَّدَّةِ وَأَرَأَقُوا سُورَ الشَّرْكِ وَقَدْ اسْتَحَقَّ بِنَجَاسَتِهِ الْإِرَاقَةَ ، وَأَثَرُوا كَسْرِي زَيْتَهُ
فَأَبْرَزُواهَا عَلَى سُرَاقِهِ ؛ فَرَأَوْا عِيَانًا مَا أَخْبَرَهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَمَلَكُوا مَا رَوَى لَهُ مِنْهَا
فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ بِحَقِّهِ الْمَبِينِ ؛ وَذَهَبُوا فَاطْلَمَتِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَتَكَرَّرَتِ الْمَعَارِفُ
لِفَقْدِهِمْ ، وَاخْتَلَطَ الْهَمَلُ وَالْمَرِئِيُّ ، وَتَشَابَهَ الصَّرِيحُ وَالِدَّعِيُّ ؛ وَنَارَتِ الْفِتْنُ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ ، وَصَارَتِ الْحَقُوقُ نُهْبَةً [كُلِّ] نَاهِبٍ ؛ وَلَمَّا بَرِحَتِ الْعُهُودُ ، وَتَعَدَّتِ

(١) مراده على عهد النبي وفي زمنه .

(٢) لعله ولما تركت العهود . تأمل .

الحُدُودُ ؛ بَلَغَ الْوَقْتُ الْمَحْدُودَ ، وَطَلَعَتْ بَيَاضُ الْعَدْلِ الرَّايَاتُ السُّودُ ؛ تَحْتَهَا سَادَاتُ
النَّاسِ ، وَذَادَةُ مَوْقِفِ الْبَاسِ ؛ وَشَهَبُ الْيَوْمِ الْعَمَاسُ ، وَنُجُوبُ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مِنْ
بَنِي الْعَبَّاسِ ؛ فَأَعَادُوا إِلَى الْأَمْرِ رَوْقَهُ ، وَنَفَوْا عَنِ الصَّفْوَرَنَقَةِ ؛ وَحَمَوْا حَرَمَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَحْيَوْا سُنَّةَ ابْنِ عَمَّتِهِم سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَأَصْبَحَتْ الْأُمُورُ مَضْبُوطَةً ،
وَالثُّغُورُ مَحْوُطَةً ؛ وَالسُّبُلُ آمِنَةٌ ، وَالرَّعِيَّةُ فِي ظِلِّ الْعَدْلِ وَالْأَمْنِ سَاكِتَةٌ ؛ وَكَانَ النَّاسُ
قَبْلَهُمْ قَدْ رَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ ، وَامْتَطَوْا الْحَزْنَ وَالسَّهُولَ ؛ فَوَثِقُوا مِنْهُمْ بِطَائِعِهِمْ ،
وَأَسْتَحْلَفُوهُمْ عَلَى بَيْعَاتِهِمْ ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ أَلْزَمُوهُمْ مِنْهَا وَاجِبًا عَلَى الْقَطْعِ ، لَازِمًا بِالْإِزَامِ
الشَّرْعِ ؛ وَوَجَدُوا لِمَصْلَحَةِ الْإِرْتِبَاطِ بِالْإِيمَانِ شَوَاهِدَ مِنَ الْآثَارِ الْمُقْبُولَةِ ، وَالْأَصُولِ
الْمُقْبُولَةِ ؛ وَمَنْ أُعْطِيَ مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ مَا عَلَيْهَا ، وَرَاعَى جَمْلَةَ الْمَصَالِحِ وَكُلَّ مَا تَطَرَّقَ
إِلَيْهَا ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ فِي سَعَةٍ مِنْ هَذَا التَّكْلِيفِ الْمُسْتَعِدِّ إِلَى الْآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ ،
الِدَاخِلِ فِي أَقْسَامِ الْمَصَالِحِ الْمَرْغِيَّةِ ؛ كَمَا سَلَفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ ؛ أَبَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ابْنِ عَمِّ سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

لَمَّا دَعَا النَّاسَ بِالْمُلْكَةِ الْفُلَانِيَّةِ حَمَاهَا اللَّهُ إِلَى مُجْتَبَاهِ الْقَوِيَّةِ ، وَأَمْرِهِمُ الْهَاشِمِيَّةِ ؛
مَجَاهِدُ الدِّينِ ، بَسِيفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، جَمَالُ الْإِسْلَامِ ، مُجْدُ الْأَنَامِ ، تَاجُ خَوَاصِّ
الْإِمَامِ ؛ نَخْرُ مَلُوكِهِ ، شَرَفُ أَمْرَائِهِ ؛ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدَ ، أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ، وَنَصَرَ أَعْلَامَهُ ؛ وَقَامَ لِذَلِكَ مُتَوَحِّدًا
الْمَقَامَ الْكَرِيمَ ، مَشْمُرًا عَنْ سَاعِدِ التَّضَمُّيمِ ؛ مَاضِيًا عَلَى الْهَوْلِ مَضَاءَ الْحُسَامِ
الْقَاضِبِ ، غَاضِبًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرِضَاهُ عَلَى غَايَةِ هَذَا الْغَاضِبِ ؛ مَالَتْ إِلَيْهِ الْأَجْيَادُ ،
وَأَتَنَالَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ؛ فَانْتَظَمَ هَا مَدِينَةُ مَدِينَةٍ ، وَجَعَلَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ شَرِيعَةً
مَنْبِيعَةً وَذَرِيعَةً مُعِينَةً ؛ وَتَقَدَّمَ - أَيْدِيَهُ اللَّهُ - بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ
قَاطِبَةً لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ

أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين؛ وكان له في ذلك المرام السعيد، والمقام الحميد، والقدم^(١) الذي رضى إبداءه وإعادته المبدئ المعيد؛ وخطب الديوان العزيز النبوي - خلد الله شرفه - متضرعاً لوسائل خدمته، متعرضاً لعواطف رحمته؛ وبعث رسوله على أصدق رجاء في القبول، وأثبت أمل في الإسعاف بالأمول؛ وأثناء هذه الإرادة القويمة، والسعادة الكريمة؛ تفاوض أهل البلاد في توثيق عقدهم للسلطان فلان المشار إليه الذي هو حُكم من أحكام الإجماع المتعقد، وأصل أفضى إليه نظر الناظر واجتهاد المجتهد؛ إذ أجالوا الأمر فيما يزيد وثاقه، ويكسو وجهه على الأيام بشراً وطلاقة؛ ويجعل القلوب مطمئنة برُسوخه في الأعقاب، وثبوتَه على الأحقاب؛ فلم يروا رأياً أسد، ولا عملاً أحصف وأشد؛ من أن يطلبوه بعقد البيعة لابنه الوائى بالله المعتصم به أبى بكر محمد بن مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، على أن يكون وليّ عهدهم مُدة والدِه مدّة الله في حياته، وأميرهم عند الأجل الذي لأبد من موافاته؛ فأمضى لهم ذلك من اتفاقهم، وأثبتوا على ما شرطته بيعته في أعناقهم؛ وبعد ذلك أتى صولة الإسلام، وصلة دار السلام؛ وورد رسول مثابة الجلالة، ونيابة الرسالة؛ وملتزم الملائك، ومعتصم الممالك؛ ومعه الكتاب الذي هو نص أغنى عن القياس، بل هو نور يمشى به في الناس؛ وأدى إلى السلطان فلان المشار إليه من تشریف الديوان العزيز النبوي ماوسمه من الفخار بأجل وشبه، وقلده السيف الصارم وسمّاه باسمه؛ فلاقى السيفان المضروب والضارب، وأشتبه الوصفان الماضى والقاضى؛ وبرزت تلك الخلع فابيض وجه الإسلام من سوادها، ووضع الكتاب فكادت المنابر تسعى إليه شوقاً من أعوادها؛ وقرئت وصايا الإمام، على الأنام؛ فعلموا أنها من تراث الرسالة،

(١) ذكر القدم لأنه بمعنى السبق تأمل .

وقالوا : كَافِلُ الْإِسْلَامِ جَدَّدَ لَهُ بِهَذَا الصُّقْعِ الْغَرِيبِ حُكْمَ الْكَفَالَةِ ؛ وَسَمِعُوا مِنْ
التَّقْدُمِ بِإِنصَافِهِمْ ، وَالتَّهْنِئَةِ بِمَوَاسِطِهِمْ وَأَطْرَافِهِمْ ؛ جُمْلًا عَقَرُوا لَهَا الْحَبَاهُ جُودًا
بِالْجُهِدِ ، وَسَجَدُوا لِلشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ؛ فَأَدْرَكُوا مِنْ بَرَكَةِ الْمَشَاهِدِ أَمْنَتَ شَرَفٍ وَأَبْقَاهُ ،
وَرَأَوْا حَقِيقَةَ مَا كَادَتْ الْأَوْهَامُ تُزَوِّلُ عَنْ مَرْقَاهُ ؛ وَأَزْدَادُوا يَقِينًا بِفَضْلِ مَا صَارُوا
إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا عَيَانًا يُمْنُ مَا بَايَعُوا عَلَيْهِ ؛ فَتَوَافَتْ طَوَائِفُهُمُ الْمَتَّبِعَةُ ، وَجَمَاهِيرُهُمُ
الْمَجْمُوعَةُ ؛ بَدَأُوا إِلَى الْمَرَاضِي السَّرِيفَةِ ، وَبَنَاءٍ عَلَى وَصَايَا عَهْدِ الْخَلِيفَةِ ، أَنْ يُجَدِّدُوا
الْبَيْعَةَ لِمُجَاهِدِ الدِّينِ ، سَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَوَلَّى اللَّهُ عَضُدَهُ ؛ وَلَأَبْنَهُ الْوَائِقُ بِاللَّهِ
الْمُعْتَصِمُ بِهِ أَنْهَضَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ ؛ وَلَمْ تَعُدْ أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ الطَّارِئَةُ شَرْطًا فِي تَقْرِيرِ
الْإِمْرَةِ الْمُؤَدَّةِ وَإِنْجَابِهَا ، أَوْ جَارِيَةٍ تَجْرِي السَّنْبُ التِّي يُؤَمِّرُ الْمَصْلَى بِالْإِعَادَةِ عِنْدَ
فَوَاتِهَا ؛ فَأَعَادُوا بَيْعَتَهُ أَدَاءً لِلْفَرِيضَةِ وَرَجَاءً لِلْفَضِيلَةِ ؛ وَاسْتَدْنَدُوا إِلَى الْإِشَارَاتِ
الْجَلِيلَةِ ، بَعْدَ الْإِسْتِخَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ؛ وَرَأَوْا أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا عَادَةَ الْبَيْعَاتِ الْعَبَّاسِيَّةِ ،
وَاتَّخَذُوا حُكْمَ الْأَصْلِ طَرِيقَ الْإِلْحَاقَاتِ الْقِيَاسِيَّةِ ؛ فَبَايَعُوا عَلَى تَذَكُّرِ بَيْعَةِ أَكْثَرِهَا
بِالْعُهُودِ الْمُسْتَحْفَظَةِ ، وَوَقْفِهَا بِالْإِيمَانِ الْمَغْلَظَةِ ؛ وَبَادَرُوا بِهَا نِدَاءً مُنَادِيَهُمْ ، وَأَعْطَوْا
عَلَى الْإِضْفَاقِ بِهَا صَفَقَةً أَيْدِيَهُمْ .

وَلَمَّا آتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ أَهْلِ فَلَانَةِ وَجْهَاتِهَا ، رَأَوْا أَنْ يَخْلِفَ مِنْ سَبَقِ ،
وَيَصْدُقُوا النَّيَّةَ مَعَ مَنْ صَدَقَ ، وَيَعْقِدُوا مَا عَقَدُوهُ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الْعَهْدُ الشَّرِيفُ
وَنَطَقَ ؛ فَحَضَرَ مِنْهُمْ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ ، وَالْأَجْنَادُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ ، وَالْكَافَّةُ عَلَى
تَبَايُنِهِمْ فِي الْمَرَاتِبِ ، وَتَفَاوُثِهِمْ فِي الْمَنَاصِبِ ، وَأَخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَوَاطِنِ وَالْمَكَاسِبِ ؛
فَامْضَوْهَا بِبَيْعَةٍ كَرِيمَةِ الْمَقَاصِدِ ، سَلِيمَةِ الْمَعَاقِدِ ؛ عَهْدُهَا مُحْكَمٌ ، وَعَقْدُهَا مُبَرَّمٌ ؛
وَمَوْجِبُهَا طَاعَةٌ وَسَمْعٌ ، وَالتَّقِيدُ بِهَا سُنَّةٌ وَشَرْعٌ ؛ وَيَعْمُرُونَ بِهَا أَسْرَارَهُمْ ، وَيَقْنُونَ
عَلَيْهَا أَعْمَارَهُمْ ؛ وَيَدِينُونَ بِهَا فِي عُسْرِ وَيُسْرٍ ، وَرَيْحٍ وَخُسْرِ ؛ وَضِيقٍ وَرَفَاهِيَةٍ ، وَحُبَّةٍ

وَكَرَاهِيَهُ ؛ تَبَرَّعُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ طَوْعًا ، وَاسْتَوْفَوْهُ فَضْلًا فَضْلًا وَنَوْعًا نَوْعًا ، وَعَاهَدُوا عَلَيْهَا
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، وَأَضْمَرُوا مِنْهَا عَلَى مَا أَبْرَعَ عَلَى الظَّاهِرِ وَأَوْفَى ؛ وَتَقَبَّلُوا مِنْ
الْوَفَاءِ بِهِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ خَلِيلَهُ إِذْ قَالَ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، وَبِمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ الْكَرَامِ مِنَ
الْعُهُودِ الْمُؤَكَّدَةِ ، وَالْمَوَاقِفِ الْمُشَدَّدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ حَادُوا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَأَتَقَادُوا
لِدَاعِي التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ؛ فَهُمْ بُرَاءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ ،
تَارِكُونَ ذِمَّتَهُ الْوَاقِفَةَ لِدِمَّتِهِمْ ؛ وَالْأَيْمَانُ كُلُّهَا لَازِمَةٌ لَهُمْ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامِ دَارِ الْهِجْرَةِ ،
وَطَلَّاقُ كُلِّ امْرَأَةٍ فِي مِلْكِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَازِمٌ لَهُمْ ثَلَاثًا ، وَأَيُّ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا
فِي الْبِلَادِ الْفُلَانِيَّةِ فَطَلَّاقُهَا لَازِمٌ لَهُ ، كُلَّمَا تَزَوَّجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَاحِدَةً خَرَجَتْ طَالِقًا
ثَلَاثًا ؛ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، مُحْرِمًا مِنْ مَنَزِلِهِ
بِحُجَّةِ كَفَّارَةٍ لِأَنْتَجِزَ عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَعِيْدُهُمْ وَأَرْقَاؤُهُمْ عُتْقَاءُ لِحَقُونِ بَاحِرِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَجَمِيعُ أَمْوَالِهِمْ عَيْنًا وَعَرْضًا ، حَيَوَانًا وَأَرْضًا ، وَسَائِرُ مَا يَحْوِيهِ الْمُتَمَلِّكُ
كُلًّا وَبَعْضًا ، صَدَقَةٌ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَاشَى عَشْرَةَ دَنَانِيرَ . كُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَشَدِّ
مَذَاهِبِ الْفَتَوَى ، وَأَلْزَمَهَا لِكَلِمَةِ التَّقْوَى ؛ وَأَبْعَدُهَا مِنْ مَخَالَفَةِ الْهَوَى وَالظَّاهِرِ
وَالْفَحْشَى ؛ أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَا الْخِلَافَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَالْفُلَانِيَّةِ (بَلَقِيَ السُّلْطَانَةُ) لِلسُّلْطَانِ
وَوَلَدِهِ الْمَاخُودِ لَهَا الْبَيْعَةُ بَعْدَ بَيْعَتِهِ ، وَأَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَكَفَى بِذَلِكَ اعْتِرَامًا
وَأَيْتِمَامًا ، وَشَدًّا لِمَا أَمَرَ بِهِ وَإِحْكَامًا : ﴿ مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . وَهُمْ يَرْفَعُونَ دَعَاءَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَضَرُّعًا وَاسْتِسْلَامًا ،
وَيَسْأَلُونَهُ عِصْمَةً وَكَفَايَةً أَفْتِيحًا وَأَخْتِيَامًا ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَنْفَذْنَا هَذَا الْعَقْدَ اقْتِسَادًا
وَأَهْتِمَامًا ، وَقَضَيْنَا حَقَّهُ إِكْمَالًا وَإِتِمَامًا ، وَأَسْلَمْنَا وَجْهَنَا إِلَيْكَ إِسْلَامًا ؛ فَعَرَّفْنَا
مِنْ خَيْرِهِ وَبَرَكَتِهِ نَمَاءً وَدَوَامًا ، وَأَكْلَانًا بِعَيْنِكَ حَرَكَةً وَسُكُونًا وَبِقِطْعَةٍ وَمَمَامًا :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْقِيَمِ إِمَامًا ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
مُنْتَهَى الرِّغْبَاتِ ، وَجِبُّ الدَّعَوَاتِ ، وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على موت خليفة ، أنشأها على هذه الطريقة لموافقتها
رَأَى كُتَّابُ الزَّمَانِ فِي افْتِتَاحِ عُهُودِ الْمُلُوكِ عَنْ الْخُلَفَاءِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ
فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَتَعَرَّضْتُ فِيهَا إِلَى قِيَامِ سُلْطَانٍ بِعَقْدِهَا : لِمُطَابَقَةِ
ذَلِكَ لِحَالِ الزَّمَانِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأُمَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ أَبْدَحَ الْأُمَمِ شَرَفًا ، وَأَكْرَمَهَا نِجَارًا وَأَفْضَلَهَا
سَلَفًا ، وَجَعَلَ رُتْبَةَ الْخِلَافَةِ أَعْلَى الرُّتَبِ رتبةً وَأَعَزَّهَا كَنْفًا ، وَخَصَّ الشَّجَرَةَ الطَّيِّبَةَ
مِنْ قُرَيْشٍ بِأَنْ جَعَلَ مِنْهُمْ الْأُئِمَّةَ الْخُلَفَاءَ ، وَآثَرَ الْأُسْرَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ مِنْهَا بِذَلِكَ ، دَعْوَةً
سَبَقَتْ مِنْ أَبِي عَمَّهِ الْمُصْطَفَى ، وَحَفِظَ بِهِمْ نِظَامَهَا عَلَى الدَّوَامِ فَجَعَلَ مِنْ سَلَفٍ
مِنْهُمْ خَلَفًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ هَيَّأَ مِنْ مَقَدِّمَاتِ الرَّشْدِ مَا طَابَ الزَّمَانُ بِهِ وَصَفَا ، وَجَدَّدَ مِنْ رُسُومِ
الْإِمَامَةِ بِخَيْرِ إِمَامٍ مَادَّرَسَ مِنْهَا وَعَفَا ، وَأَقَامَ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا تَارَجَ الْحُجُوبُ بَنَشْرَهُ فَأَصْبَحَ
الْوُجُودُ بِعَرَفِهِ مُعْتَرِفًا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُخْلِصَ تَمَسَّكَ بِعَهْدِهَا فَوْفًا ،
وَأَعْطَاهَا صَفَقَةً يَدُهُ لِلْبَايَعَةِ فَلَا يَنْبَغِي عَنْهَا مَصْرُفًا ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
تَدَارَكَ اللَّهُ بِهِ الْعَالَمَ بَعْدَ أَنْ أَشْفَى فَشْفَى ؛ وَنَسَخَتْ آيَةُ دِينِهِ الْأَدْيَانَ وَجَلَّ بِشِرْعَتِهِ
الْمُنِيرَةِ مِنْ ظُلُمَةِ الْجَهْلِ سَدَقًا ، وَجَعَلَ مُبَايَعَةَ مُبَايَعَةِ اللَّهِ يَأْخُذُهُ بِالنَّكَتِ وَيُؤْفِيهِ أَجْرَهُ
عَلَى الْوَفَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ وَعِثْرَتِهِ الشُّرَفَاءِ ، وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين ليس منهم من عاهد الله فغدر ولا واد في الله بحفاً، خصوصاً من جاء بالصدق
وصدق به فكان له قرابة وصفوة الصفا، والمرجوع إليه في البيعة يوم السقيفة
بعدما أشرأبت نحوها نفوس كادت تذوب عليها أسفاً، والقائم في قتال أهل الردة
من بني حنيفة حتى استقاموا على الحنيفية السمحة حنفاً. ومن استحال دلو الخلافه
في يده غرباً فكان أفيده عبقرى قام بأمرها فكفى، وعمت فتوحه الأمصار وحملت
إليه أموالها فلم يمسكها إقتاراً ولم يبدر فيها سرفاً. ومن كان فضله لسهم الإختيار
من بين أصحاب الشورى هدفاً، وجمع الناس في القرآن على صحيفه واحدة وكانت
قبل ذلك صحفاً. ومن سرى إليه سر: "أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون
من موسى" فغدا يجر من ذيل الفخار سجفاً، وأستولى على المكارم من كل جانب
فأز أطرافها طرفاً طرفاً، وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل الحق
وطريق الهدى آقتنى؛ صلاة ورضواناً يذهبان الداء العضال من وخامة الغدر
ويجلبان الشفا، ويرفعان قدر صاحبهما في الدنيا ويؤنان متحلهما من جنات
النعم غرفاً.

أما بعد، فإن عقد الإمامة لمن يقوم بأمر الأمة واجب بالإجماع، مستند لأقوى
دليل تقطع دون نقضه الأطماع، وتنبؤ عن سماع ما يخالفه الأسماع؛ إذ العباد
مجبولون على التباين والتغاير، مطبوعون على التحالف والتناصر؛ [مضطرون
إلى التعاون والتجاور، مفتقرون إلى التعاضد والتوازر]؛ فلا بد من زعيم يمنعهم
من التظالم، ويحلمهم على التناصف في التداعي والتحاكم؛ ويقيم الحدود فتصان
المحارم عن الإتهاك، وتحفظ الأنساب عن الإختلاط والإشتراك؛ وينجي بيضة

الإسلام فَيَمْنَعُ أَنْ تُطْرَقَ ، وَيُصَوِّنُ الثُّغُورَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهَا أَوْ يَتَطَّرَقَ : لِيَعَزَّ
 الإسلامُ داراً ، وَيَطْمَئِنَّ المستَخْفَى لَيْلاً وَيَأْمَنَ السَّارِبُ نَهَاراً ، وَيَذُبُّ عَنِ الْحَرَمِ
 فَحْتَرَمَ ، وَيَذُودُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ فَلَا تُغْشَى بِلَ تَضَطْلَمَ ، وَيُجَهِّزُ الْجِيُوشَ فَتَنْكُ الْعُدُوْ ،
 وَتُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ فَيَمْنَعُهُمُ الْقَرَارَ وَالْهُدُوْ ، وَيُرْغِمُ أَنْفَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ وَيَقْمَعُهَا ،
 وَيُدْغِمُ الطَّائِفَةَ الْمُبْتَدِعَةَ وَيَرْدَعُهَا ، وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحَقِّهَا فَيُطَاوِعَ ،
 وَيَصْرِفُهَا إِلَى مُسْتَحَقِّهَا فَلَا يُنَازِعَ - لِأَجْرَمَ أَعْتَبَرَ لِلْقِيَامِ بِهَا أَكْلَ الشُّرُوطِ وَأَتَمَّ
 الصِّفَاتِ ، وَأَكْرَمُ الشِّمِّ وَأَحْسَنُ السَّمَاتِ .

وكان السيد الأعظم الإمام النبوي ، سليل الخلافة ، وولي الإمامه ، أبو فلان
 فلان العباسي المتوكل على الله « مثلاً » أمير المؤمنين ، سلك الله تعالى به جدد آبائه
 الراشدين ، هو الذي جمع شروطها فوقها ، وأحاط منها بصفات الكمال وأستوفأها ،
 ورأى به أدنى مراتبها فبلغت إلى أغياها ، ونسور معاليها فرفق إلى أعلاها ، وأتحد
 بها فكان صورتها ومعناها - وكانت الإمامة قد تأيمت من يقوم بأعبائها ، وعزت
 خطبها لقلّة أكتفائها ، فلم تلب لها بعلًا يكون لها قريناً ، ولا كُفًفاً تحطبه يكون
 لديها مكيئاً ، إلّا الإمام الفلاني المشار إليه ، فدعته لحطبتها وهي بيت عرسه :
 ﴿ وَرَأَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ فأجاب خطبتها ، ولبي دعوتها : لتحققه
 رغبته إليه ، وعلمه بوجوب إجابتها عليه ، إذ هو شبلها الناشئ بغاياها ، وغيتها
 المستمطر من سمائها ، بل هو أسدها المصور ، وقطب فلكها الذي عليه تدور ،
 ومعقلها الأمنع الحصين ، وعقدتها الأنفس الثمين ، وفارسها الأروع وليتها الشهير ،
 وابن يجنتها الساقطة منه على الخير ، وتلاذدها العليم بأحوالها ، والجدير بمعرفة أقوالها
 وأفعالها ، وتزجماها المتكلم بلسانها ، وعالمها المتفنن في أفنانها ، وطبيبها العارف بطبها ،
 ومنجدها الكاشف لكرها .

وحين بلغت من القصد سؤلها، ونالت بالإجابة منه مأمولها، وحرّم على غيره أن
يسومها لذلك تلويحا، أو يعرج على خطبتها تعريضا وتصريحا، أحتاجت إلى وليّ
يوجب عقدها، وشهود تحفظ عهدها؛ فعندها قام السلطان الأعظم الملك الفلانيّ
(بالألقاب السلطانية إلى آخرها) خلد الله سلطانه، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه؛
فانتصب لها وليا، وأقام يفكر في أمرها مليا؛ فلم يجد أحق بها منه فتجنب عضلها،
فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها؛ فجمع أهل الحل والعقد، المعترين
للاعتبار والعارفين بالنقد: من القضاة والعلماء، وأهل الخير والصلحاء، وأرباب
الرأى والنصحاء؛ فاستشارهم في ذلك فصوّبوه، ولم يروا العدول عنه إلى غيره
بوجه من الوجوه؛ فاستخار الله تعالى وبايعه، فبّيعه أهل الاختيار فبايعوا، وأنقادوا
لحكمه وطاعوا؛ فقابل عقدها بالقبول بحضرة من القضاة والشهود فلزمت، ومضى
حُكمها على الصحة وأبرمت. ولما تم عقدها، وطلع بصبح الثمن سعدتها، ألتبس
المقام الشريف السلطانيّ الملكيّ الفلانيّ المشار إليه أعلى الله شرف سلطانه ورفع
محلّه، وقرن بالتوفيق في كلّ أمرٍ عقده وحلّه، أن ينالّه عهدها الوفيّ، ويردّ منها
موردّها الصفيّ: ليرفع بذلك عن أهل الدين حُجبا، ويزداد من البيت النبويّ قربا؛
فتعرض لنفحاتها من مقرّاتها، وتطلب بركاتها من مظنّاتها؛ ورغب إلى أمير المؤمنين،
وآبن عم سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، أن يحدّد له بعهد السلطنة
الشريفة عقدا، ويأخذ له على أهل البيعة بذلك عهدا؛ ويستحلفهم على الوفاء لها
بما عاهدوا، والوقوف عند ما بايعوا عليه وعاهدوا: ليقترن السعدان فيعمّ نوءهما،
ويجتمع النيران فيبهر ضوءهما؛ فلبّاه تلبية راغب، وأجابه إجابة مطلوب وإن كان
هو الطالب؛ وعهد إليه في كلّ ما تقتضيه أحكام إمامته في الأمة عموماً وشيوعا،
وفوض له حكم الممالك الإسلاميّة جميعا؛ وجعل إليه أمر السلطنة المعظمة بكلّ

نَظَاقَ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا وَصَرَفَهُ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَأَقَامَهُ فِي الْأُмَّةِ لِعَهْدِ الْخِلَافَةِ وَصِيًّا ، وَجَعَلَهُ لِلْإِمَامَةِ بِتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَلِيًّا ، وَنَشَرَ عَلَيْهِ لَوَاءَ الْمُلْكِ وَقَلَّدهُ سَيْفَهُ الْعَضْبَ ، وَأَلْبَسَهُ الْخِلْعَةَ السَّودَاءَ فَابْيَضَّ مِنْ سَوَادِهَا وَجْهُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبَ ، وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدًا كَبَتَ عُدُوهُ ، وَزَادَ شَرَفَهُ وَضَاعَفَ سُمُوهُ ، وَطُوْلِبَ أَهْلُ الْبَيْعَةِ بِالتَّوْثِيقِ عَلَى الْبَيْعَتَيْنِ بِالْأَيْمَانِ فَادْعَعُوا ، وَاسْتَحْلِفُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَبَالَعُوا فِي الْأَيْمَانِ وَأَمْعَنُوا ، وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ فِي إِسْرَارِهِمْ وَإِعْلَانِهِمْ ، وَأَعْطَوْا الْمَوَاتِيْقَ الْمَغْلَظَةَ الْمَشْدَّدَةَ ، وَحَلَفُوا بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ الْمُعَقَّدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ أَوْ أَدْبَرُوا ، وَبَدَّلُوا فِيهِ أَوْ غَيَّرُوا ، أَوْ عَرَّجُوا عَنْ سَبِيلِهِ أَوْ حَادُوا ، أَوْ تَقَصَّصُوا مِنْهُ أَوْ زَادُوا ، فَكُلُّ مَنْهُمْ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَخَارِجٌ مِنْ ذِمَّتِهِ الْحَصِينَةِ إِلَى ذِمَّتِهِ ، وَكُلُّ أَمْرَاءٍ فِي نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوُجُجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا ، وَكُلَّمَا رَاجَعَهَا فَهِيَ طَالِقٌ طَلَاقًا لَا يَقْتَضِي إِقَامَةً وَلَا ثَبَاتًا ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ فِي مِلْكِهِ أَوْ يَمْلِكُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حُرٌّ لَاحِقٌ بِأَحْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُلُّ مَا مَلَكَهُ أَوْ يَمْلِكُهُ مِنْ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَعَلَيْهِ الْحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَسَائِرِ الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ ، مُحَرَّمًا مِنْ دُورِيَةِ أَهْلِهِ مَاشِيًا ، حَاسِرًا عَنْ رَأْسِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ أَذَى حَافِيًا ، يَأْتِي بِذَلِكَ فِي ثَلَاثِينَ حَجَّةً مُتَابِعَةً عَلَى التَّمَامِ ، لَا تُمَجَّرُ بِهِ وَاحِدَةٌ مِنْهَا عَنْ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِهْدَاءُ مِائَةِ بَدَنَةٍ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ كُلِّ سَنَةٍ عَلَى الدَّوَامِ ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ جَمِيعِ الدَّهْرِ إِلَّا الْمَنِيِّ عَنْهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَأَنْ يُفَكَّ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفْرِ فِي كُلِّ عَامٍ ، يَمِينُ كُلِّ مَنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، لَا نِيَّةَ لِلْحَالِفِ فِي ذَلِكَ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَلَا فِي ظَاهِرِهِ ، لَا يُورَى فِي ذَلِكَ وَلَا يَسْتَنَى ، وَلَا يَتَأَوَّلُ وَلَا يَسْتَفْتِي ، وَلَا يَسْعَى فِي تَقْضِهَا ، وَلَا يَخَالِفُ فِيهَا

ولا في بعضها؛ متى جَنَحَ إلى شيءٍ من ذلك كان آثِمًا، وما تقدّم من تعقيد الإيمان له لازماً؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يُجْزِئُهُ عن ذلك كفارة أصلاً؛ كلُّ ذلك على أشدّ المذاهب بالتخصيص، وأبعدها عن التساهل والترخيص؛ وأمضوها بيعةً مميّونة، باليمن مبتدأةً بالنجج مقرونة؛ وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس العقد من الأئمة الأعلام، والشهود والحكام؛ وجعلوا الله تعالى على ما يقولون وكيلًا، فاستحقّ عليهم الوفاء بقوله عزّت قدرته: ﴿وَأَوْفُوا بعهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ . وهم يرغبون إلى الله تعالى أن يُضَاعِفَ لهم بِحَسَنِ نِيَّتِهِمُ الْأَجُورَ، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَثْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بيعة مرتّبة على خلع خليفة، أنشأتها على هذه الطريقة أيضاً، وتعرضت فيها لذكر السلطان القائم بها، على ما تقدّم في البيعة المرتّبة على موت خليفة، وهي :

الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمناً، وأقام سور الإمامة وقايةً للأنام وحضناً؛ وشدّ لها بالعصاة القرشية أزرًا وشاد منها بالعصبة العباسية رُكناً؛ وأغاث الخلق بإمام هدى حسن سيرةً وصفًا سريرةً فراق صورةً ورقّ معنىً، وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن الانقياد إليه أعلى ولا أدنى؛ ونزع جلبابها عن شغل غيرها فلم يُعْرِها نظراً ولم يُصْنَع لها أذنًا، وصرف وجهها عن أساء فيها تصرفاً فلم يرفع بها رأساً ولم يعمر لها معنى .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ حَلَّتْ لِلنُّفُوسِ حِينَ حَلَّتْ ، وَمِنْ جَلَّتِ الْخُطُوبَ حِينَ جَلَّتْ ؛
وَمَسَارَّ سَرَتْ إِلَى الْقُلُوبِ فَسَرَتْ ، وَمَبَارَّ أَقْرَبَتِ الْعُيُونَ فَقَرَّتْ ؛ وَعَوَارِفَ أَمَّتْ
الْخَلِيقَةَ فَنَوَالَتْ وَمَا وَلَّتْ ، وَقَدِمَ صِدْقٍ ثَبَتَتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْخِلَافَةِ فَمَا تَزَلَّتْ
وَلَا زَلَّتْ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَكُونُ لَنَا مِنْ دَرَكِ الشُّكُوكِ
كَالْيَمِّ ، وَلِمَهَاوِي الشُّبْهِ دَارِيهِ ، وَلِلْقَاصِدِ الْجَمِيلَةِ حَاوِيهِ ، وَلِشُقَّةِ الزَّيْغِ وَالْإِرْتِيَابِ
طَاوِيهِ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي نَصَحَ الْأُمَّةَ إِذْ بَلَغَ فَشْفَى عَلَيْهِمَا ، وَأُورِدَهَا
مِنْ مَنَاهِلِ الرَّشْدِ مَا أَطْفَأَ وَهْجَهَا وَبَرَّدَ غَلِيلَهَا ؛ وَأَوْصَحَ لَهُمْ مَنَاجِيحَ الْحَقِّ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهَا ،
وَأَبَانَ لَهُمْ سُبُلَ الْهُدَايَةِ : ﴿ فَمَنْ آهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِيَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أُمَّةٍ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْأُمَمَةِ ، وَرَضِيَ عَنْ أَفْخَاهِ أَوْلِيَاءِ
الْعَدْلِ وَوُجُودِ الْأُمَّةِ ؛ صَلَاةً وَرِضْوَانًا يُعَمِّنُ سَائِرَهُمْ ، وَيُشْمَلَانِ أَوْطَمَ وَأَجْرَهُمْ ؛ سَيِّمًا
الصَّدِيقِ الْفَائِزِ بِأَعْلَى الرُّتَبَتَيْنِ صِدْقًا وَتَصَدِيقًا ، وَالْحَازِزِ قَصَبِ السَّبْقِ فِي الْفَضِيلَتَيْنِ
عِلْمًا وَتَحْقِيقًا ، وَمَنْ عَدَلَ الْأَنْصَارُ إِلَيْهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَعْدَ مَا جَمَعُوا عَلَى تَقْدِيمِهِ ،
وَبَادَرَ الْمَهَاجِرُونَ إِلَى بَيْعَتِهِ اعْتِرَافًا بِتَفْضِيلِهِ وَتَكْرِيمِهِ . وَالْفَارُوقِ الشَّدِيدِ فِي اللَّهِ بِأَسَا
وَاللَّيْنِ فِي اللَّهِ جَانِبًا ، وَالْمُؤَفِّي لِلْخِلَافَةِ حَقًّا وَالْمُؤَذِي لِلْإِمَامَةِ وَاجِبًا ؛ وَالْقَائِمِ فِي نُصْرَةِ
الدِّينِ حَقَّ الْقِيَامِ حَتَّى عَمَّتْ فَتُوْحُهُ الْأَمْصَارَ مَشَارِقَ وَمَغَارِبًا ، وَأَطَاعَتُهُ الْعُنَاصِرُ
الْأَرْبَعَةُ : إِذْ كَانَ لِلَّهِ طَائِعًا وَمِنَ اللَّهِ خَائِفًا وَإِلَى اللَّهِ رَاغِبًا . وَذِي النُّورَيْنِ الْمَعُولِ
عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَصْحَابِ الشُّورَى تَنْوِيهًِا بِقُدْرِهِ ، وَالْمَخْصُوصِ بِالْإِخْتِيَارِ تَفْخِيمًا
لَأَمْرِهِ ؛ مَنْ حُصِرَ فِي بَيْتِهِ فَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ عَنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، وَشَاهِدَ
سُيُوفِ قَاتِلِيهِ عَيَانًا فَقَابَلَ فَتَكَاتِهَا بِجَمِيلِ صَبْرِهِ . وَأَبَى الْحَسَنِ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْ
الْخِلَافَةِ حِينَ سُئِلَهَا ، وَاسْتَعْفَى مِنْهَا بَعْدَ مَا أَضْطُرَّ إِلَيْهَا وَقِيلَ لَهَا ؛ وَكُشِفَ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ

الدنيا فأمَّ قِبَلَتها بقلبه ولا وَلَى وجهه قِبَلَهَا، وَصَرَّحَ بِمَقَاطِعَتِهَا بِقَوْلِهِ : « يَا صَفَرَاءُ غُرَّى غُرَّى يَا بَيْضَاءُ غُرَّى غُرَّى » لَمَّا وَصَلَهَا مِنْ وَصَلَتِهَا ؛ وَسَائِرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُمْ ، النَّاهِجِينَ نَهَجَهُمْ وَالْوَارِدِينَ وَرَدَّهُمْ .

أما بعدُ ، فَإِنَّ لِلْإِمَامَةِ شُرُوطًا يَجِبُ اعْتِبَارُهَا فِي الْإِمَامِ ، وَلَوْازِمٌ لَا يُقْتَفَرُ قَوَائِمُهَا فِي الْإِبْتِدَاءِ وَلَا فِي الدَّوَامِ ، وَأَوْصَافًا يَتَعَيَّنُ إِمَاعُهَا ، وَأَدَابًا لَا يَسَعُ إِهْمَالُهَا ؛ مِنْ أَهْمِّهَا الْعَدَالَةُ الَّتِي مَلَائِكُهَا التَّقْوَى ، وَأَسَاسُهَا مِرَاقَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَبِهَا تَقَعُ الْهَيْبَةُ لِصَاحِبِهَا فَيَجَلُّ ، وَتَمِيلُ النُّفُوسُ إِلَيْهَا فَلَا تَمَلُّ ؛ فَهِيَ الْمَلَكَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى تَرْكِ الْكِبَائِرِ وَأَجْتِنَابِهَا ، وَالزَّاحِرَةِ عَنِ الْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ وَارْتِكَائِهَا ؛ وَالْبَاعِثَةُ عَلَى مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَنَهْيِهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَالصَّارِفَةُ عَنْ إِبْنَتِهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْحُرْمَاتِ ؛ وَالمَوْجِبَةُ لِلتَّعَقُّفِ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَالْحَامِلَةُ عَلَى تَجَنُّبِ الظُّلُمَاتِ وَرَدِّ الْمَظَالِمِ . وَالشَّجَاعَةُ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْبَيْضَةِ وَالذَّبُّ عَنْهَا ، وَالْإِسْتِظْهَارُ بِالْفَزْوِ عَلَى نِكََايَةِ الطَّائِفَةِ الْكَافِرَةِ وَالْقَضُّ مِنْهَا ؛ وَالْقُوَّةُ بِالشُّوْكَةِ عَلَى تَنْفِيذِ الْأَوَامِرِ وَإِمَاضِهَا ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاسْتِيفَائِهَا ، وَنَشْرِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَإِعْلَانُهَا ، وَدَحْضُ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ وَإِخْفَائِهَا ، وَقَطْعُ مَادَّةِ الْفَسَادِ وَحُسْمُ أَدْوَانِهَا ؛ وَالرَّأْيُ الْمُوَدِّدُ إِلَى السِّيَاسَةِ وَحُسْنُ التَّدْبِيرِ ، وَالْمُعْنَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمَّاكِنِ عَنْ مَزِيدِ الْحَدِّ وَالتَّشْمِيرِ ؛ وَالْمَعِينُ فِي خُدْعِ الْحَرْبِ وَمَكَايِدِهِ ، وَالْمُسْعِفُ فِي مَصَادِرِ كُلِّ أَمْرٍ وَمَوَارِدِهِ .

هَذَا وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ أُمَّةً وَسَطًا ، وَوَعَظَّنَا بِمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ مَنْ تَمَرَّدَ وَعَتَا أَوْ تَجَبَّرَ وَسَطًا ، وَعَصَمَ أُمَّتَنَا أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَى الضَّلَالِ ، وَصَانَ جَمْعَنَا عَنِ الْخَطْلِ فِي الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ ؛ وَنَدَبَنَا إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَسَوَّغَ لَأُمَّتِنَا الْأَجْتِهَادَ فِي النَّوَازِلِ وَالْأَحْكَامِ فَاجْتِهَادُهُمْ لَا يُنْكَرُ خُصُوصًا فِي شَأْنِ الْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ

أ كد أسباب المعالم الدينيّة وأقواها ، وأرفع المناصب الدنيويّة وأعلاها ؛ وأعزّ الرُتب رُتبةً وأعلاها ، وأحقّها بالنظر في أمرها وأولاها . وكان القائمُ بأمر المسلمين الآن فلانُ بنُ فلان الفلاني ممّن حادّ عن الصّراط المستقيم ، وسلك غير التّهجّ القويم ؛ ومال عن سنن الخلفاء الراشدين فأدركه الزّلل ، وقارف المآثم فعاد بالخلل ؛ فعاث في الأرض فسّادا ، وخالف الرّشد غنادا ؛ ومال إلى الغي اعتيادا ، وأسلم إلى الهوى قيادا ؛ قد أنتقل عن طور الخلافه ، وعزّيز الإنافه ؛ إلى طور العامّة فأنصف بصفتهم ، وأنّسم بسماتهم ؛ فُنكركيحبُ عليه إنكاره قد باشره ، وصديقُ سوء يتعيّن عليه إبعاده قد وازره وظاهره ؛ إن سلك فسيل التّهمة والإرتياب ، أوقصدَ أمرا نحا فيه غير الصّواب ؛ منهمكٌ على شهواته ، منعكفٌ على لذّاته ، متشاغلٌ عن أمر الأئمة بأمرٍ بَيْنه وبناتِه ؛ الجُبْنُ رأسُ ماله ، وعدمُ الرّأي قرينُه في أفعاله وأقواله ؛ قد قنع من الخلافة بأنسمها ، ورضي من الإمامة بوسمها ؛ وظنَّ أنَّ السّودد في لبس السّواد فمال إلى الحيف ، وتوهم أنَّ القاطع الغمدُ فقطع النّظر عن السّيف .

ولمّا أطلع الناس منه على هذه المنكرات ، وعرفوه بهذه السّمات ، وتحقّقوا فيه هذه الوصمات ؛ رغّبوا في استبداله ، وأجمعوا على خلعهِ وزوالهِ ؛ فليجئوا إلى السلطان الأعظم الملك الفلاني (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) نصر الله جنوده ، وأسميْ جُدوده ، وأزهف على عُدّة الله حُدوده ؛ ففوضوا أمرهم في ذلك إليه ، وألقوا كلّهم عليه ؛ بجمع أهل الحلّ والعقد منهم ، ومن تصدّر إليهم الأمور وتردّ عنهم ؛ فاستخاروا الله تعالى وخلعوه من ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وأنسلخوا عن طاعته ؛ وجردوه من خلافته ، تجريد السّيف من القِراب ، وطوّوا حكم إمامته ، كطى السّجل للكتاب . وعند ماتمّ هذا الخلع ، وأنطوى حكمه على البتّ والقطع ، ألتمس الناس إماما يقوم بأمور الإمامة فيوفّيها ، ويجمع شروطها ويستوفيها ؛ فلم يجدوا لها أهلا ،

ولا يها أحق وأولى، وأوفى بها وأمل، من السيّد الأعظم الإمام النبوى سليل
 الخلافة، وولى الإمامة أبى فلان فلان العباسى الطائع لله «مثلا» أمير المؤمنين .
 لازال شرفه باذخا، وعزّيزته الشريف شاحنا، وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخا،
 فساموه ببعثها فلى، وشاموا برقه لولايتها فأجاب وما تأبى، علمّا منه بأنها تعينت
 عليه، وانحصرت فيه فلم تجد أعلى منه فتعدّل إليه؛ إذ هو أبّن بجديتها، وفارس
 نجديتها، ومزِيل عُمتها، وكاشف كُربتها؛ ومُجلى غياها، ومُجّد عواقبها، وموصّح
 مذهبها، وحاكمها المكين، بل رشيدُها الأمين؛ فنهض المقام الشريف السلطانى
 الملكى الفلانى المشار إليه : قرّن الله مقاصده الشريفة بالنجاح، وأعماله الصالحة
 بالصلاح؛ وبدّر إلى بيعته فبايع، وأتم به من حضر من أهل الحلّ والعقد فتابع،
 وقابل عقدها بالقبول فضى، ولزم حُكْمها وأقضى؛ وأتصل ذلك بسائر الرعية
 فاتقادوا، وعلموا صوابه فمشوا على سننه وما حادوا؛ وشاع خبر ذلك فى الأمصار،
 وطارت به مخلّقات البشائر إلى سائر الأقطار؛ فتعرفوا منه اليمن فسارعوا إلى أمثاله،
 وتحقّقوا صحته وثباته بعد اضطرابه وأعتلاله؛ واستعادوا من نقص يصيبه بعد تمامه
 لهذا الخليفة وكِماله؛ فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصراها، وجميل
 وفائها وكريم مظهرها؛ وجادت بجزيل الأمتنان، وتلا لسان كرمها الوفى على وليّها
 الصادق : ((هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)) بخد له بالسّلطنة الشريفة عهدا،
 وطوق جيده بتفويضها إليه عهدا؛ وجعله وصيه فى الدين، ووليه فى أمر
 المسلمين؛ وقلّده أمر الممالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها، وملكه أزممتها وحقق
 له مواعيدها؛ وعقد له لواءها ونشر عليه أعلامها، وصرفه فيها على الإطلاق
 وفوض إليه أحكامها؛ وألبسه الخلعة السوداء فكانت لسودده شعارا، وأسبغ عليه
 رداءها فكان له دنارا؛ وكتب له العهد فسق المعاهد صوب العهاد، ولهج الأنام

بذكره فاطمات العباد والبلاد ، وعند ماتم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأصل ،
وأمنت الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين ، وبنعمته مستبشرين ، طُوبَ لَب
أهل البيعة بما يحملهم على الوفاء ، ويمنع بيعتهم من التكرار بعد الصفاء : من توثيق
عقدها بمؤكد أيمانها ، والإقامة على الطاعة لخليفتها وسُطانها ، فبادرُوا إلى ذلك
مُسرعين ، وإلى داعيه مُهطعين ، وبالغوا في الموائيق وأكدوها ، وشددوا
في الأيمان وعقدوها ، وأقسموا بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالم
خاتمة الأعين وما تُخفي الصدور في البدء والإعاده ، على الوفاء لها والموالاة ، والنصح
والمصافاة ، والمواقفة والمُشايعة ، والطاعة والمُتابعة ، يُوالون من والاها ، ويُعادون
من عاداهما ، لا يقعدون عن مُناصرتيها عند المِمام مُلِّمه ، ولا يرقبون في عدوها
إلا ولا ذقه ، جارين في ذلك على سَنَنِ الدوام والإستمرار ، والثبوت واللزوم
والإستقرار ، على أن من بدل منهم من ذلك شرطاً أو عفاً له رسماً ، أو حادَ عن
طريقه أو غير له حُكماً ، أو سَلَكَ في ذلك غير سبيل الأمانة ، أو استحلَّ الغدر
وأظهر الخيانة ، مُعلنًا أو مُسرّاً في كلّه أو بعضه ، متآولاً أو مُحتالاً لإبطاله أو نقضه ،
فقد برئ من حَوْلِ الله المتين وقوته الواقية ، ورُكِنه الشديد وذِمته الوافية ، إلى
حَوْلِ نفسه وقوته ، ورُكِنه وذِمته ، وكلُّ امرأةٍ في عِصمته الآن أو يترُوجها مَدّة
حياته طالق ثلاثاً بصريح لفظ لا يتوقف على نيّة ، ولا يُفَرِّق فيه بين سُنّة ولا بدعة
ولا رجعة فيه ولا مثنويّة ، وكلُّ مملوك في ملكه أو يملكه في بقيّة عُمره من ذكرٍ
أو أنثى حرٌّ من أحرار المسلمين ، وكلُّ ما هو على ملكه أو يملكه في بقيّة عُمره إلى
آخر أيامه من عينٍ أو عَرَض صدقة للفقراء والمساكين ، وعليه الحجُّ إلى بيتِ الله
الحرام ثلاثين حُجّةً ثلاثين عُمرّةً راجلاً حافياً حاسراً ، لا يقبلُ الله منه غير الوفاء بها
باطناً ولا ظاهراً ، وإهداء مائة بدنية في كل حُجّة منها في عُمرته ويُسرته ، لا تُجزئُه

واحدة منها عن حجة الإسلام وعمرته ؛ وصوم الدهر خلا المنهى عنه من أيام
السنة ، وصلاة ألف ركعة في كل ليلة لا يُباح له دُونَ أدائها غَمَضٌ ولا سِنَةٌ ؛
لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدَلاً ، ولا يُؤَجَر على شيءٍ من ذلك قَوْلاً ولا فِعْلاً ؛ متى
ورى في ذلك أو استثنى ، أو تأوّل أو استفتى ، كان الحنث عليه عائداً ، وله إلى دار
البوارقائد ، معتمداً في ذلك أشدّ المذاهب في سرّه وعلايته ، على نية المستخلف
له دُونَ نيّته ؛ وأمضوها ببيعة محكمة المباني ثابتة القواعد ، كريمة المساعي جميلة
المقاصد ؛ طيبة الحنّى جليسة العوائد ، قاطعة البراهين ظاهرة الشواهد ؛ وأشهدوا
على أنفسهم بذلك مَنْ حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإسلام وعلمائه ، وأئمة
الدين وفقهائه ؛ بعد أن أشهدوا الله عليهم وكفى بالله شبيداً ، وكفى به لخائنين
خصيماً : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتُهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . والله تعالى يجعل آتقائهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يسرى إلى يُمْنى ؛
ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ .
إن شاء الله تعالى .

مجلسه در روز پنجشنبه ۱۳۰۴/۱۲/۱۵

تأليف: محمد باقر

تأليف: محمد باقر

المذهب الرابع

(مما يُكْتَبُ فِي بَيْعَاتِ الْخُلَفَاءِ أَنْ يَفْتَحَ الْبَيْعَةَ بِقَوْلِهِ : هَذِهِ بَيْعَةٌ ، وَيَصِفُهَا وَيَذْكُرُ مَا يَنْبَغُ ، ثُمَّ يَعِزُّ بِالْخَلِيفَةِ الْمَيِّتِ ، وَيَهْنِئُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَقَرِّ ، وَيَذْكُرُ فِي حَقِّ كُلِّ مِنْهُمَا مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْوَصْفِ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ)

وهذه نسخة بَيْعَةِ أَنْشَأَهَا الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ ، عَلَى مَا رَأَيْتُهُ فِي ” الْجَوَاهِرِ الْمُلْتَقَطَةِ “ الْمَجْمُوعَةِ مِنْ كَلَامِهِ ، لِلْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ^(١) « أَبِي الْعَبَّاسِ » « أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الرَّيِّعِ سُلَيْمَانَ » [الْمُسْتَكْنَى بِاللَّهِ] آبِنِ الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ . وَذَكَرَ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ نَازِطٍ الْجَيْشِيُّ فِي ” دُسْتُورِهِ “ أَنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَهَا تَجَرِبَةً ^(٢) لِحَاطَرِهِ ، وَهِيَ مُرْتَبَةٌ عَلَى مَوْتِ خَلِيفَةٍ .

ونصها بعد البسملة الشريفة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْيُؤُونَكَ إِنَّمَا يَأْيُؤُونَ اللَّهَ بِدِينِهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَوْفٍ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

هَذِهِ بَيْعَةُ رِضْوَانٍ وَبَيْعَةُ إِحْسَانٍ ، وَبَيْعَةُ رِضَا تَشْهَدُهَا الْجَمَاعَةُ وَيَشْهَدُ عَلَيْهَا الرَّحْمَنُ ؛ بَيْعَةُ يَلْزَمُ طَائِرُهَا الْعُنُقُ ، وَتُحْمَمُ بِشَائِرُهَا عَلَى الْأَفْقِ ، وَتَجَلُّ أَنْبَاءُهَا الْبَرَارِيُّ وَالْبَحَارُ مَشْحُونَةٌ الطَّرِيقُ ؛ بَيْعَةُ تَصْلُحُ لِنَسَبِهَا الْأُمَّةُ ، وَتُنَجِّحُ بِسَبَبِهَا النِّعْمَةُ ، وَتُؤَلِّفُ بِهَا الْأَسْبَابُ وَتَجْعَلُ بَيْنَهُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ؛ بَيْعَةُ تَجْرَى بِهَا الرِّفَاقُ ، وَتَتَرَاخَمُ زَمَرُورُ

(١) كَذَا فِي تَارِيخِ أَبِي الْقَدَاءِ ، وَأَبْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَالْعَبْرَاءُ أَيْضًا وَوَقَعَ فِي ج ٣ ص ٢٦٥ مِنْ هَذَا الْمُؤَلَّفِ أَنْ لُقِبَ

الْمُسْتَعْمِمْ وَالصَّوَابُ مَا هُنَا .

(٢) أَيْ امْتِنَاعًا لِفِكْرِهِ .

الكواكب على حَوْضِ الْحَجَرَةِ لِلْوَفَاقِ ؛ بِبِعَةِ سَعِيدَةٍ مَيَّوْنَةٍ ، بِبِعَةِ شَرِيفَةٍ بِهَا السَّلَامَةُ
 فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَضْمُونَةٍ ؛ بِبِعَةِ صَحِيحَةٍ شَرْعِيَّةٍ ، بِبِعَةِ مَلْحُوظَةٍ مَرْعِيَّةٍ ؛ بِبِعَةِ تَسَابُقِ
 إِلَيْهَا كُلِّ نِيَّةٍ وَتَطَاوُعِ كُلِّ طَوِيَّةٍ ، وَتُجْمَعُ عَلَيْهَا أَشْنَاتُ الْبَرِيَّةِ ؛ بِبِعَةِ يَسْتَهْلُ بِهَا الْعَمَامُ ،
 وَيَتَهَلَّلُ الْبَدْرُ التَّمَامُ ؛ بِبِعَةِ مُتَّفَقٍ عَلَى الْإِجْمَاعِ عَلَيْهَا ، وَالْإِجْتِمَاعِ لِنَبْطِ الْأَيْدِي إِلَيْهَا ؛
 أَنْعَقَدَ عَلَيْهَا الْإِجْمَاعُ ، وَأَنْعَقَدَتْ صِحَّتُهَا مِنْ سَمْعِ اللَّهِ وَأَطَاعِ ، وَبَذَلَ فِي تَمَامِهَا كُلِّ
 أَمْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، وَحَصَلَ عَلَيْهَا اتِّفَاقُ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَوَصَلَ بِهَا الْحَقُّ إِلَى
 مَسْتَحَقِّهِ وَأَقْرَبُ الْخَصْمِ وَأَقْطَعَ التَّرَاجُعَ ؛ وَتَضَمَّنَهَا كِتَابُ كَرِيمٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ،
 وَيَتَلَقَّاهُ الْأُئِمَّةُ الْأَقْرَبُونَ .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ : ﴿ ذَلِكَ مِنْ
 فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ . وَإِنَّا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَإِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ . أَجْمَعَ عَلَى هَذِهِ
 الْبَيْعَةِ أَرْبَابُ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَأَصْحَابُ الْكَلَامِ فِيمَا قَلَّ وَجَلَّ ؛ وَوُلَاةُ الْأُمُورِ
 وَالْأَحْكَامِ ، وَأَرْبَابُ الْمَنَاصِبِ وَالْحُكَّامِ ؛ وَحَمَلَةُ الْعِلْمِ وَالْأَعْلَامِ ، وَحُمَاةُ السِّيُوفِ
 وَالْأَقْلَامِ ، وَأَكَابِرُ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، وَمِنْ أَنْخَفَضَ قَدْرُهُ وَأَنَافَ ؛ وَسَرَوَاتُ قَرِيشَ
 وَوُجُوهُ بَنِي هَاشِمٍ وَالبَقِيَّةُ الطَّاهِرَةُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَخَاصَّةُ الْأُئِمَّةِ وَعَامَّةُ النَّاسِ ؛
 بِبِعَةِ تَرْسِيٍّ بِالْحَرَمَيْنِ ^(١) خِيَامُهَا ، وَتَحْقِيقِ عَلَى الْمَازَمِينِ أَعْلَامُهَا ، وَتَتَعَرَّفُ عِرْفَاتُ
 بَيْرُكَاتِهَا وَتَعْرِفُ بَنِي أَيَّامُهَا ؛ وَيَوْمَنْ عَلَيْهَا يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ، وَتُؤَمُّ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ
 وَالْمِزْبَةِ ؛ وَلَا يُتَنَغَّى بِهَا إِلَّا وَجْهُ اللَّهِ الْكَرِيمِ ، وَفَضْلُهُ الْعَمِيمِ ؛ لَمْ يَبْقَ صَاحِبٌ سَنَجِقِ ^(٢)
 وَلَا عِلْمٌ ، وَلَا ضَارِبٌ بِسَيْفٍ وَلَا كَاتِبٌ بِقَلَمٍ ؛ وَلَا رَبٌّ حُكْمٌ وَلَا قَضَاءٌ ، وَلَا مَنْ
 يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي اتِّفَاقٍ وَلَا إِمْضَاءٍ ؛ وَلَا إِمَامٌ مُسَجِّدٌ وَلَا خَطِيبٌ ، وَلَا ذُو قُتْيَا يُسْأَلُ

(١) لعله ترى بالحرمين تأمل .

(٢) في الأصل سيف وهي تصحيف .

فُجِيبَ ، وَلَا مَنْ بَيْنَ جَنْبَيْ الْمَسَاجِدِ وَلَا مَنْ تَضُمُّهُمْ أَجْنَحَةُ الْحَارِيبِ ، وَلَا مَنْ يَمْتَدُّ فِي رَأْيٍ فُيْخِطُ أَوْ يُصِيبُ ، وَلَا مَتَحَدُّ بِحَدِيثٍ ، وَلَا مَتَكَلَّمٌ بِقَدِيمٍ وَحَدِيثٍ ؛ وَلَا مَعْرُوفٌ بِدَيْنٍ وَصَلَاحٍ ، وَلَا فُوسَانُ حَرْبٍ وَكِفَاحٍ ؛ وَلَا رَاشِقٌ بِسَهَامٍ وَلَا طَاعِنٌ بِرِمَاحٍ ، وَلَا ضَارِبٌ بِصَفَاحٍ ، وَلَا سَاجِعٌ عَلَى قَدَمٍ وَلَا طَائِرٌ بِغَيْرِ جَنَاحٍ ؛ وَلَا مَخَالِطٌ لِلنَّاسِ وَلَا قَاعِدٌ فِي عُزْلَةٍ ، وَلَا جَمْعُ كَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ ؛ وَلَا مَنْ يَسْتَقِيلُ بِالْحَوْزَاءِ لِوَأْوِهِ ، وَلَا يَقِلُّ فَوْقَ الْفَرْقَدِ ثَوَاوُهُ ؛ وَلَا بَادٍ وَلَا حَاضِرٌ ، وَلَا مُقِيمٌ وَلَا سَائِرٌ ؛ وَلَا أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ، وَلَا مُسِرٌّ فِي بَاطِنٍ وَلَا مُعَلَّنٌ فِي ظَاهِرٍ ؛ وَلَا عَرَبٌ وَلَا عَجَمٌ ، وَلَا رَاعِي لِبَلٍ وَلَا غَنَمٌ ؛ وَلَا صَاحِبُ أَنَاةٍ وَلَا إِبْدَارٍ ، وَلَا سَاكِنٌ فِي حَضَرٍ وَبَادِيَةٍ بِدَارٍ ؛ وَلَا صَاحِبُ عَمَدٍ وَلَا جِدَارٍ ، وَلَا مَلْجَأٌ فِي الْبَحَارِ الزَّائِحَةِ وَالْبَرَارِيِّ الْقِفَارِ ؛ وَلَا مَنْ يَتَوَقَّلُ صَهَوَاتِ الْخَلِيلِ ، وَلَا مَنْ يُسِيلُ عَلَى الْعَجَاجَةِ الذَّلِيلِ ، وَلَا مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِ شَمْسُ النَّهَارِ وَتُجُومُ اللَّيْلِ ؛ وَلَا مَنْ تُظِلُّهُ السَّمَاءُ وَتَقِلُّهُ الْأَرْضُ ، وَلَا مَنْ تُدَلُّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ عَلَى اخْتِلَافِهَا وَتَرْتَفِعُ دَرَجَاتُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ حَتَّى آمَنَ بِهِذِهِ الْبَيْعَةِ وَأَتَمَّنَ عَلَيْهَا ، وَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ إِلَيْهَا ؛ وَأَقْرَبَهَا وَصَدَّقَ ، وَغَضَّ لَهَا بَصَرَهُ خَاشِعًا وَأَطْرَقَ ؛ وَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ بِالْمُبَايَعَةِ ، وَمُعْتَقَدَهُ بِالْمُتَابَعَةِ ؛ رَضِيَ بِهَا وَأَرْضَاها ، وَأَجَازَ حُكْمَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْضَاهَا ؛ وَدَخَلَ تَحْتَ طَاعَتِهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

والحمد لله الذى نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو أحكم الحاكمين ، والحمد لله الذى أخذ حق آل بيت نبيه من أيدي الظالمين ؛ والحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله رب العالمين .

ولانه لما آستأثر الله بعبده سليمان أبي الربيع الإمام المستكفى بالله أمة المؤمنين - كرم الله مثواه - وعوضه عن دار السلام بدار السلام ، ونقله فزكى بدنه عن

شهادة السَّلام بشهادة الإسلام؛ حيثُ آثره ربه بقرْبه، ومهدَّ لجنه وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه، وخارله في جواره رقيقاً، وجعل له على صالح سلفه طريقاً؛ وأنزله ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. الله أكبر ليومه لولا خلفه كادت تَضِيقُ الأرض بما رَحِبَتْ، وتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ؛ وتُنَى كُلُّ سِرِيَّةٍ بما أَدْنَحَتْ وما خَبَتْ؛ لقد أَضْطَرَّ سَعِيرٌ، إلا أَنَّهُ في الجَوَانِحِ، لقد أَضْطَرَّ مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ، لولا خَلْفُهُ الصَّالِحُ، لقد أَضْطَرَّ مَأْمُورٌ وَأَمِيرٌ، لولا الْفِكْرُ بَعْدَهُ في عَاقِبَةِ الْمَصَالِحِ؛ لقد غَاضَتِ الْيَحَارُ، لقد غَابَتِ الْأَنْوَارُ، لقد غَالَبَ الْبُدُورُ ما يَلْحَقُ الْأَهْلَةَ مِنَ الْمِحَاقِ وَيُذْرِكُ الْبَدْرَ مِنَ السَّرَارِ؛ تُسِفَتِ الْجِبَالُ تَسْفَا، وَخَبَتْ مَصَابِيحُ النُّجُومِ وَكَادَتْ تُطْفِئُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. لقد جَمَعَتِ الدُّنْيَا أَطْرَافَهَا وَأَزْمَعَتْ عَلَى الْمَسِيرِ، وَجُمِعَتِ الْأُمَّةُ لَهْوِ الْمَصِيرِ، وَزَاغَتْ يَوْمَ مَوْتِهِ الْأَبْصَارُ: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾. وَبَقِيَتِ الْأَلْبَابُ حَيَارَى، وَوَقَفَتْ نَارَةٌ تُصَدِّقُ وَتَارَةً تُنَارِي؛ لَا تَعْرِفُ قَرَارًا، وَلَا عَلَى الْأَرْضِ اسْتِقْرَارًا: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾.

ولم يكن في النَّسَبِ الْعَبَّاسِيُّ وَلَا فِي جَمِيعِ مَنْ فِي الْوُجُودِ، لَا فِي الْبَيْتِ الْمُسْتَرَشِدِيِّ وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنْ بِيُوتِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَقَايَا آبَاءٍ لَهُمْ وَجُدُودٌ، وَلَا مَنْ تَلَدُهُ أُخْرَى اللَّيَالِي وَهِيَ عَاقِرٌ غَيْرُ وَلُودٍ؛ مَنْ تَسَلَّمَ إِلَيْهِ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَدَ نِيَّاتَهَا، وَسَرَّ طَوِيَّاتَهَا؛ إِلَّا وَاحِدٌ وَأَيْنَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ هُوَ وَاللَّهُ مِنْ أَنْحَصَرَفِهِ اسْتَحْقَاقُ مِيرَاثِ آبَائِهِ الْأَطْهَارِ، وَثَرَاثِ أَجْدَادِهِ وَلَا شَيْءَ هُوَ إِلَّا مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ رِدَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ وَهُوَ ابْنُ الْمُتَقَلِّ إِلَى رَبِّهِ، وَوَلَدُ الْإِمَامِ الذَّاهِبِ لَصُلْبِهِ؛ الْمَجْمَعُ عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَنَامِ،

فَرُدُّ الْأَيَّامَ ، وَوَاحِدٌ وَهَكَذَا فِي الْوُجُودِ الْإِمَامَ ؛ وَأَنَّهُ الْحَاضِرُ لِمَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُ
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَالْفَائِزُ بِمِلْكِ مَا بَيْنَ الشَّارِقِ وَالْغَارِبِ ؛ الرَّاقِي فِي صَفِيحِ السَّمَاءِ
هَذِهِ الذَّرْوَةُ الْمُنِيفَةُ ، الْبَاقِي بَعْدَ الْأَئِمَّةِ الْمَاضِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ؛ الْمَجْتَمِعُ
فِيهِ شُرُوطُ الْإِمَامَةِ ، الْمُتَضَعُ لِلَّهِ وَهُوَ مِنْ بَيْتِ لَا يَزَالُ الْمُلْكُ فِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛
الَّذِي تَصَفَّحَ السَّحَابَ نَائِلُهُ ، وَالَّذِي لَا يُغَرُّ عَازِرُهُ وَلَا يُغَيِّرُهُ عَاذِلُهُ ؛ وَالَّذِي :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * شَتَاها لَقَبِضَ لَمْ تَطْفَعُهُ أَنَامِلُهُ

وَالَّذِي :

لَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضَيِّعٌ نَصِيبَهُ * وَلَا وَرِقُ الدُّنْيَا عَنْ الدِّينِ شَاذِلُهُ

وَالَّذِي مَا أَرْتَقَى صَمُوءَ الْمُنْبَرِ بِحُضْرَةِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ إِلَّا قَالَ نَاصِرُهُ وَقَامَ قَائِمُهُ ؛
وَلَا قَعَدَ عَلَى سِرِيرِ الْخِلَافَةِ إِلَّا وَعُرِفَ بِأَنَّهُ مَا خَابَ مُسْتَكْفِيهِ وَلَا غَابَ حَاكِمُهُ ؛
نَائِبُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالْقَائِمُ بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلِيفَتُهُ وَابْنُ عَمِّهِ ،
وَتَابِعُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَوَارِثُ عِلْمِهِ ، سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ « أَحْمَدُ أَبُو الْعَبَّاسِ »
الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِبِقَائِهِ الدِّينَ ، وَطُوقُ بَسِيفِهِ [رِقَابِ]
الْمُلْحِدِينَ ، وَكَبَتَتْ تَحْتَ لَوَائِهِ الْمُعْتَدِينَ ؛ وَكُتِبَ لَهُ النُّصْرَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَكَفَّ
بِجِهَادِهِ طَوَائِفَ الْمُفْسِدِينَ ، وَأَعَادَ بِهِ الْأَرْضَ مَمْنًى لَا يَدِينَ بِدِينٍ ؛ وَأَعَادَ بَعْدَهُ أَيَّامَ
آبَائِهِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ؛ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ،
وَعَلَيْهِ كَانُوا يَعْمَلُونَ ؛ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ ، وَقَدَّرَ آقِنْدَارَهُ ؛ وَأَسْكَنَ فِي قُلُوبِ الرِّعْيَةِ سَكِينَتَهُ
وَوَقَّارَهُ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْوُجُودِ وَجَعَ لَهُ أَفْطَارَهُ .

وَلَمَّا آتَقَلَّ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ السَّيِّدُ وَلَحِقَ بِدَارِ الْحَقِّ أَسْلَافَهُ ، وَنُقِلَ إِلَى سِرِيرِ الْجَنَّةِ
عَنْ سِرِيرِ الْخِلَافَةِ ؛ وَخَلَا الْعَصْرُ مِنْ إِمَامٍ يُمَسِّكُ مَا بَقِيَ مِنْ نَهَارِهِ ، وَخَلِيفَةُ يُغَالِبُ

مُرَبَّدَ الليل بأنواره ، ووارث بنى بمثلله ومثل أبيه أستغنى الوجود بعد ابن عمه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم عن نبي مقتفٍ على آثاره ؛ ونسَى ولم يَعْهَدْ فلم يبقَ إذ لم يُوجَد النصُّ إِلَّا الإجماع ، وعليه كانت الخلافةُ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع ، أقتضت المصلحة الجامعة عقدَ مجلسٍ كلِّ طَرْفٍ به معقود ، وعقدَ بيعةٍ عليها الله والملائكةُ شهود ، وجميع الناس له ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ . فحضر من لم يُعْبَأَ بعده بن تحلف ، ولم يُرْبَأْ^(١) معه وقد مدَّ يده طائفاً من مدّها وقد تكلف ؛ واجتمعوا على رأيٍ واحدٍ واستخاروا الله تعالى فيه نَحَارَ ، وناهيكَ بذلك من مُخْتَارَ ، وأخذت يمينُ مُمَدِّ إليها الأيمان ، ويُسَدِّ بها الإيمان ؛ وتعطى عليها المَوَاتِيقُ ، وتعرض أمانتها على كلِّ فريق ؛ حتى تقلد كلُّ من حضر في عُقْبِهِ هذه الأمانة ، وحطَّ يده على المصحف الكريم وحلف بالله العظيم وأتمَّ أيمانه ؛ ولم يقطع ولم يستثن ولم يتردد ، ومن قطع من غير قصدٍ أعاد وجَدَدَ ؛ وقد نوى كلُّ مَنْ حلف أن النية في يمينه نيةٌ من عُقِدَتْ هذه البيعة له ونيةٌ من حلف له ، وتزعم بالوفاء في ذمته وتكفله ؛ على عادةِ أيمان البيعة بشروطها وأحكامها المرددة ، وأقسامها المؤكدة ؛ بأن يبذل لهذا الإمام المفترضة طاعته الطاعة ، ولا يفارق الجمهور ولا يُظْهِرَ عن الجماعة أنجاءه ؛ وغير ذلك مما تضمنته نُسُخُ الأيمان المكتتب فيها أسماء من حلف عليها مما هو مكتوبٌ بخطوط من يكتب منهم ، وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتب وأذنوا لمن يكتب عنهم ؛ حسب ما يشهد به بعضهم على بعض ، ويتصدق عليه أهل السماء والأرض ؛ بيعةٌ تم بمشيئة الله تمامها ، وعم بالصواب العَدَقُ نَحْمَاهَا ؛ ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ . وهب لنا الحسن ؛ ثم الحمد لله الكافي عبده ، الوافي وعده ، الموافق لمن يُضَاعَفُ على كل

(١) أى لم يبال به ولم يكثر . انظر اللسان والقاموس .

مَوْهَبَةً حَمْدَهُ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمٍ يَرْغَبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي آزْدِيادِهَا ، وَيَرْهَبُ إِلَّا أَنْ يَقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِأَمْدَادِهَا ؛ وَيَرَأْبُ بِهَا مَا أَثْرَفِيَا أَثْرَمَالِيكَه (؟) مَا بَانَ مِنْ مُبَايَنَةِ أَضْدَادِهَا .

نَحْمَدُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةً لَا تَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهَا ، وَلَا تَبْخُلُ بِمَا يُفَوِّقُ السَّهَامَ مِنْ سَدَادِهَا ؛ وَلَا نَظْلُ إِلَّا عَلَى مَا يُوْجِبُ كَثْرَةَ أَعْدَادِهَا ، وَتَيْسِيرَ إِقْرَارِ عَلَى أَوْرَادِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَقَايَسُ دَمُ الشَّهَدَاءِ وَمَدُّ مِدَادِهَا ، وَتَنَافُسُ طُرُرُ الشَّيَابِ وَغُرُرُ السَّحَابِ عَلَى أَسْتِمْدَادِهَا ؛ وَتُجَانَسُ رُقُومُهَا الْمَدْيِجَةُ وَمَا تَلْبَسُهُ الدَّوْلَةُ الْعَبَاسِيَّةُ مِنْ شِعَارِهَا ، وَاللَّيَالَى مِنْ دَنَارِهَا ، وَالْأَعْدَاءُ مِنْ حِدَادِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمَاعَةِ آلِهِ مِنْ سَقَلٍ مِنْ أَبْنَائِهَا وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَجْدَادِهَا ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَكْسَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ مَا كَانَ لِحَدِّهِ ، وَوَهَبَهُ مِنَ الْمُلْكِ السُّلَيْمَانِيَّ عَنْ أَبِيهِ مَا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلَّمَهُ مَنَظِقَ الطَّيْرِ بِمَا تَجَعَّلَهُ حَمَائِمُ الْبَطَاقِ مِنْ بَدَائِعِ الْبَيَانِ ، وَسَخَّرَ لَهُ مِنَ الْبَرِّ يَدَ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ مَا سَخَّرَ مِنَ الرَّيْحِ لِسُلَيْمَانَ ؛ وَأَتَاهُ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مَا أَمَدَّهُ بِهِ أَبُوهُ سُلَيْمَانُ وَتَصَرَّفَ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْفَخَّارِ مَا أَطَاعَهُ بِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ ؛ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ لِبَاسِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا يَقْضِي لَهُ سَوَادُهُ بَسُودَ الْأَجْدَادِ ، وَيَنْفُضُ عَلَى كَلِّ الْهَذَبِ مَا فَضَّلَ عَنْ سُودِئِهِ الْقَلْبِ وَسَوَادَ الْبَصَرِ مِنَ السَّوَادِ ؛ وَيَمُدُّ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَلَّ دَارُ مُلْكٍ وَكُلُّ مَدِينَةٍ بَغْدَادُ ؛ وَهُوَ فِي لَيْلِهِ السَّجَادُ ، وَفِي نَهَارِهِ الْعَسْكَرِيُّ وَفِي كَرَمِهِ جَعْفَرُ الْجَوَادِ يُدِيمُ الْإِبْتِهَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِ ، وَالْإِبْتِهَاجَ بِمَا يُغْنِي كُلَّ عَدُوٍّ بِرِيقِهِ ؛ وَيَبْدَأُ يَوْمَ هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ مِنْ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ ، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ مِمَّا يَتَحَلَّى

به الإمام ، ويُقدِّمُ التقوى أمامه ، ويُقرنُ عليها أحكامه ، ويتَّبِعَ الشرعَ الشريفَ
ويَقِفُ عنده ويوقِفُ الناسَ ، ومن لا يَجِلُّ أمره طائعاً على العينِ حملاً بالسِّيفِ
غَضَباً على الرأسِ ؛ ويعجِّلُ أميرُ المؤمنين بما يَشْفِي به النفوسَ ، ويُزِيلُ به كَيْدَ
الشیطانِ إنه يَسُوسُ ، يأخُذُ بقلوبِ الرعايا وهو غنى عن هذا ولكن يسوسُ ؛
وأمرُ المؤمنين يُشْهِدُ اللهَ وخليقته عليه أنه أقرَّ كلَّ أمرٍ من ولاةِ الأمور الإسلامية
على حاله ، واستمرَّ به في مَقِيلِهِ تحتَ كَنَفِ ظِلَالِهِ ؛ على اختلاف طبقاتِ ولاةِ
الأُمورِ ، وتفرُّقهم في الممالك والثغور ؛ براً وبحراً ، سهلاً ووعراً ، وشرقاً وغرباً ،
وبعداً وقرباً ؛ وكلَّ جليلٍ وحَقِيرٍ ، وقليلٍ وكثيرٍ ؛ وصغيرٍ وكبيرٍ ، ومَلِكٍ ومملوكٍ
وأَمِيرٍ ، وجُنْدَى يَبْرُقُ له سَيْفٌ شهيرٌ ، ورُوحٌ طَيرٌ ؛ ومن مع هؤلاء من وُزَرَاءَ وقضاةٍ
وكتَّابٍ ، ومن له يدٌ تبقى في إنشاءٍ وتحقيقِ حسابٍ ؛ ومن يتحدثُ في بَريدٍ وخَراجٍ ،
ومن يُحتاجُ إليه ومن لا يُحتاجُ ؛ ومن في الدُّروسِ والمدارسِ والرُّبُطِ والزَّوَايا
والخَوَاقِ ، ومن له أعظمُ التعلُّقاتِ وأدنى العلائقِ ؛ وسائرُ أربابِ المراتبِ ،
وأصحابِ الرُّوُاتبِ ؛ ومن له في مالِ الله رِزْقٌ مَقْسُومٌ ، وحقٌّ مجهولٌ أو معلومٌ ؛
واستمرارُ كلِّ أمرٍ على ما هو عليه ، حتَّى يستخيرَ اللهَ ويتَّيَّنَ له ما بين يديه ؛ فما زاد
تأهيله ، زاد تفضيله ؛ وإلا فأميرُ المؤمنين لا يُريدُ سوى وجهِ الله ، ولا يُحايِ أحداً
في دينٍ ، ولا يُحايِ [عن] أحدٍ في حقٍّ ؛ فإن الحُمامةَ في الحقِّ مداجاةٌ على المسامين ؛
وكلُّ ما هو مستمِرٌّ إلى الآن ، مستقرٌّ على حُكْمِ الله مما فَهَمَهُ الله له وفَهَمَهُ سُلَيْمانُ ،
لا يغيِّرُ أميرُ المؤمنين في ذلك ولا في بعضه ، معتبرٌ مستمِرٌّ بما شَكَرَ اللهَ على نعمه
وهكذا يُجَازِي من شَكَرَ ، ولا يَكْدِرُ على أحدٍ مَورِداً نَزَّهُ اللهَ به نِعَمَهُ الصَّافِيَةَ عن
الكَدَرِ ؛ ولا يَتَأَوَّلُ في ذلك مَتَأَوَّلٌ ولا من بَجَرَ النعمةَ أو كَفَرَ ، ولا يَتَعَلَّلُ متعلِّلاً فإنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُعَوِّدُ باللهِ ويُعيِّدُ أَيْامَهُ مِنَ الْغَيْرِ ؛ وَأَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْلَى اللَّهِ أَمْرُهُ -

أَنْ يُعْلَنَ الْخُطْبَاءُ بِذِكْرِهِ وَذِكْرِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْآفَاقِ ، وَأَنْ تُضْرَبَ
بِاسْمِهِمَا الْبُقُودُ الْمُتَعَامَلُ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَيُنْتَهَجَ بِالْبَدْعَاءِ لَهَا عَطْفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَيُصْرَحَ مِنْهُ بِمَا يُشْرِقُ بِهِ وَجْهُ الدَّرْهِمِ وَالْدِّينَارِ ؛ وَتُبَاهَى بِهِ الْمَنَابِرُ وَدَوْرُ الضَّرْبِ :
هَاتِيكَ تَرْفَعُ أَسْمَهُمَا عَلَى أَسْرَةٍ مُهُودَهَا ، وَهَذِهِ عَلَى أَسَارِيرِ نَقُودِهَا ؛ وَهَذِهِ تَقَامُ بِسَبَبِهَا
الصَّلَاةُ ، وَتِلْكَ تُدَامُ بِهَا الصَّلَاتُ ؛ وَكِلَاهُمَا تُسْتَأَلُ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَلَا يُلَامُ عَلَى مَا تَعِيهِ
الْأَذَانُ وَتُوعِيهِ الْجُيُوبُ ؛ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ تَحْدَقُ بِجَوَارِهِ الْأَحْدَاقُ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ
الْأَعْنَاقُ ؛ وَتُبْلَغُ بِهِ الْمَقَاصِدُ ، وَيَقْوَى بِهِمَا الْمُعَاضِدُ ؛ وَكِلَاهُمَا أَمْرُهُ مَطَاعٌ ، مِنْ غَيْرِ
نَزَاعٍ ، وَإِذَا لَمَعَتْ أَزِمَةُ الْخُطْبِ طَارَ لِلذَّهَبِ شُعَاعٌ ؛ وَلَوْلَاهُمَا مَا اجْتَمَعَ جَمْعٌ
وَلَا آفَضَ ، وَلَا عَرَفَ الْأَنَامُ مِنْ تَأْتَمٍّ ؛ فَالْخُطْبُ وَالذَّهَبُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ ، وَبِهِمَا
يَذْكُرُ اللَّهُ قِيَاءَ^(١) الْمَسَاجِدِ ؛ وَلَوْلَا الْأَعْمَالُ ، مَا بُذِلَتِ الْأَمْوَالُ ، وَلَوْلَا الْأَمْوَالُ ، مَا وُلِّيتِ
الْأَعْمَالُ ؛ وَلَاجَلُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ النَّسْبَةِ ، قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ لَهُ السَّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ ؛ وَقَدْ
أَسْمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْجَمْعِ الْمُشْهُودِ مَا يَتَنَاقَلُهُ كُلُّ خَطِيبٍ ، وَيتداولُهُ كُلُّ بَعِيدٍ
وَقَرِيبٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِأَوَامِرٍ وَنَهَى عَنْ نَوَاهٍ وَهُوَ رَقِيبٌ ؛ وَتَسْتَفْزَعُ الْأَوْلِيَاءُ لَهَا
السَّجَايَا ، وَتُتَضَرَّعُ الْخُطْبَاءُ فِيهَا بِنُعُوتِ الْوَصَايَا ؛ وَتَكْتَلُ بِهَا الْمَزَايَا ، وَتَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاعِظُ
وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَشَائِخِ الْخَبَايَا مِنَ الزَّوَايَا ؛ وَتَسْمُرُ بِهَا الشُّمَارُ وَيَتَرَنَّمُ الْحَادِي وَالْمَلَّاحُ ،
وَيُرُوقُ شَجْوُهَا فِي اللَّيْلِ الْمُقْمِرِ وَيُرْقَمُ عَلَى جَنْبِ الصَّبَاحِ ؛ وَتُعْطَرُ بِهَا مَكَّةُ بَطْحَاهَا
وَتَحْيَا بِحَدِيثِهَا قُبَاهُ ، وَيَلْقَنَهَا كُلُّ أَبٍ فَهَمَّ آئِنُهُ وَيَسْأَلُ كُلُّ أَبْنٍ أَنْ يُجِيبَ أَبَاهُ ؛ وَهُوَ
لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رُشْدٌ وَعَلَيْكُمْ بَيْنُهُ ، وَإِلَيْكُمْ مَا دَنَاكُمْ بِهِ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ وَلَوْلَا قِيَامُ الرَّعَايَا بِهَا
مَا قِيلَ اللَّهُ أَعْمَالُهَا ، وَلَا أَمْسَكَ بِهَا الْبَحْرُ وَدَحَا الْأَرْضُ وَأَرْسَى جِبَالُهَا ؛ وَلَا أَتَفَقَّتِ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي بَعْضِ النُّسخِ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ قِيَامٌ ، أَوْ قَوَامٌ . تَأَمَّلْ .

الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أذيالها ، وأخذها دون بني أبيه
ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ؛ وقد كفأكم أمير المؤمنين السؤال بما
فتح لكم من أبواب الأرزاق ، وأسباب الإرتفاق ؛ وأحسن لكم على وفاءكم وعلمكم
مكارم الأخلاق ، وأجركم على عوائدكم ولم يمسك خشية الإملاق ؛ ولم يبق على
أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل
بما ينتفع به من يحيى - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - من بعده ، ويزيد على كل
من تقدم ، ويقيم فروض الحج والجهاد ، ويقيم الرعايا بعذله الشامل في مهاد ؛
وأمير المؤمنين يقيم على عباده موسم الحج في كل عام ، ويشمل سكان الحرمين
الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ؛ ويجهز السبل على دوابه ويرجو أن يعود إلى
حاله الأول في سالف الأيام ، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويُرسل إلى
ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام ؛ ويقوم بقومة قبور الأنبياء - صلوات الله
عليهم - أين كانوا وأكثرهم في الشام ؛ والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سنتها ،
وقويم سنتها ؛ وستزيد في أيام أمير المؤمنين بمن أنضم إليه ، وبما يتسلمه من بلاد
الكفار ويسلم على يديه .

وأما الجهاد ، فيكتفى بأجتهد القائم عن أمير المؤمنين بأموره ، المقلد عنه جميع
ما وراء سريره ؛ وأمير المؤمنين قد وكل إليه - خلد الله سلطانه - عناء الأيام ، وقلده
سيفه الرابع بوارقه ليسله واجده على الأعداء [وإلا] سل خياله عليهم في الأحلام ؛
ويؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العدا ، وانتراج [مابا] يديهم من بلاد
الإسلام لأنه حقه وإن طال عليه المدى ؛ وقد قدم الوصية بأن يوالى غزو العدو
الخذول برا وبحرا ، ولا يكف عمن يظفر به منهم قتلا وأسرا ، ولا يفك أغلا لا
ولا إصرأ ؛ ولا ينفك يرسل عليهم في البحر غرابانا ، وفي البر من الخيل عقباناً ؛ يحمل

فيهما كل فارس صقرا، ويحى المالك ممن يحوز أطرافها بإقدام، ويتخول أكنافها الأقدام؛ وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور، وما يحتاج إليه من آلات القتال، وما يحتاج به الأعداء ويعجز عنه المحتال؛ وأمّهات الممالك التي هي مرابط البؤد، ومرابط الأسود، والجنّاح المدود؛ ويتفقد أحوالهم بالعرض، بما لهم من خيل تعقد [بالعجاج] ما بين السماء والأرض؛ وما لهم من زرد مصون، وبيض مسها ذائب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون؛ وسيوف قواضب، ورماح لكثرة طعنها من الدماء خواضب، وسهام توصل القسي وتفارقها فتح حين مفارق وتزجر القوس زجرة مغاضب.

وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها تطيب قلوبكم، وإطالة ذيل التطويل على مطلوبكم؛ وماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حماية إلا ما أباح الشرع المطهر، ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر.

وأما جريئات الأمور، فقد علمتم بأن فيمن تقلد عن أمير المؤمنين غنى عن مثل هذه الذكري، وفقى حق لا يتسغل بطلب شيء فكريا؛ وفي ولادة الأمور، ورعاة الجمهور؛ ومن هو سداد عمله، ومداد أمله، ومراد من هو منكم معشر الرعايا من قبله؛ وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ومن خولكم وأنتم وهم فما منكم إلا من استعرف أمير المؤمنين وتمشى في مرضى الله على خلقه، وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى في طاعة الله في خلقه؛ وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداء النصيحة، وإبداء الطاعة بسيرة صحيحة؛ وقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رافته، ولزم حكم بيعته؛ وألزم طائره في عنقه، ويستعمل كل منكم في الوفاء ما أصبح به عليا: ((ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)).

هذا قول أمير المؤمنين، وعلى هذا عهد إليه وبه يعهد، وما سوى هذا فهو جُور لا يُشهد به عليه ولا يشهد؛ وهو يعمل في ذلك كله ما تُحمد عاقبته من الأعمال، ويحجل منه ما يصلح به الحال والمال؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال، ويستعيد بالله من الإهمال؛ ويختتم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان، ويحمد الله وهو من الخلق «أحمد» وقد آناه الله مُلك سليمان؛ والله تعالى يمتع أمير المؤمنين بما وهبه، ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر الطويل عقبه؛ ولا يزال على أسرة العلياء قعوده، ولباس الخلافة به أبهة الجلالة كأنه مامات منصوره ولا ردى مهديه ولا ذهب رشيده^(١).

المقصود السادس

(فيما يكتب في آخر البيعة)

إذا آتتهى إلى آخر البيعة، شرع في كتابة الخواتم على ما تقدم، فيكتب: «إن شاء الله تعالى» ثم يكتب التاريخ. ثم الذى يقتضيه قياس العهود أنه يكتب المستند عن الخليفة فيكتب «بالإذن العالى المولوى الإمامى النبوى المتوكلى» - مثلاً - أعلاه الله تعالى» وكأن الخليفة الذى عقدت له البيعة هو الذى أذن فى كتابتها.

قلت: ولو أسقط المستند فى البيعات فلا حرج بخلاف العهود: لأنها صادرة عن مؤل وهو العاهد، فحسن إضافة المستند إليه، بخلاف البيعة فإنها إنما تصدر عن أهل الحل والعقد كما تقدم. ويكتفى فى المستند عنهم بكتابة خطوطهم فى آخر

(١) هذه المعاهدة من قلم القاضى الفاضل ليست لابسـة حلل بلاغته ولا متسرلة جلابيب فصاحته فهى تجربة لم تنقح ومسودة لم تصحح كما أشار إليه ابن ناظر الجيوش فليتبـه.

البيعة كما سيأتي ، ثم بعد كتابة المستند - إن كُتِبَ - تُكْتَبُ الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة ، على ما تقدم في الكلام على الفوائج والخواتم في مقدمة الكتاب .

ثم يَكْتُبُ مَنْ بايع من أهل الحل والعقد والشهود على البيعة .

فأما من تولى عقد البيعة من أهل الحل والعقد فيكتب : « بايعته على ذلك ، وكتب فلان بن فلان » ويدعو في خلال ذلك قبل اسمه بما يناسب : مثل أن يقال « بايعته على ذلك قدس الله خلافته » أو « زاد الله في شرفه » أو « زاد الله في اعتلائه » وما أشبه ذلك .

وأما الشهود على البيعة فالواجب أن يكتب كل منهم : « حضرت جريان عقد البيعة المذكورة ، وكتب فلان بن فلان » كما يكتب الشاهد بجريان عقد النكاح ونحوه ، ولا بأس أن يدعو في رسم شهادته قبل كتابة اسمه بما يناسب : مثل « قرنها الله تعالى باليمن أو بالسداد » أو « عرف الله المسلمين بركتها » وما أشبه ذلك .

المقصود السابع

(في قطع الورق الذي تكتب فيه البيعة ، والقلم الذي تكتب به ،

وكيفية كتابتها ، وصورة وضعها)

وأعلم أن البيعات لم تكن متداولة الاستعمال لقلّة وقوعها ، فلم يكن لها قطع ورق ، ولا تصوير متعارف فيتبع ، ولكنه يؤخذ فيها بالقياس وعموم الألفاظ .

فأما قطع ورقها ، فقد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق نقلًا عن محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » أن قطع البغدادى الكامل للخلفاء والملوك . ومقتضى

ذلك أنَّ البيعات تُكتب فيه ، وهو قياس ما ذكره المقرَّ الشهابي بن فضل الله في " التعريف " من أنَّ للعهود قطعَ البغدادى الكامل على ماسياتى ذكره .

قلت : لكن سياقى فى الكلام على عهود الخلفاء أنها الآن قد صارت تكتب فى قطع الشامى الكامل ، وبينهما فى العرض والطول بون كبير على ما تقدم بيانه فى الكلام على قطع الورق ؛ وحينئذ فينبغى أن تكون كتابة البيعات فى قطع الشامى مناسبة لما تكتب فيه عهود الخلفاء الآن .

وأما القلم الذى يكتب به فبحسب الورق الذى يكتب فيه : فإن كُتبت البيعة فى قطع البغدادى ، كانت الكتابة بقلم مختصر الطوار ، إذ هو المناسب له ؛ وإن كُتبت فى قطع الشامى ، كانت الكتابة بقلم الثلث الثقيل إذ هو المناسب له .

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها ، فقياس ما هو متداول فى كتابة العهود وغيرها ، أنه يتبدأ بكتابة الطرة فى أول الدرج بالقلم الذى تكتب به البيعة سطورا متلاصقة لا خلوا بينها ، ممتدة فى عرض الدرج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابة فى قطع البغدادى الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة فى عهود الملوك عن الخلفاء على ماسياتى ذكره ؛ ويترك بعد الوصل الذى فيه الطرة ستة أوصال بياضا من غير كتابة : لتصير بوصل الطرة سبعة أوصال ؛ ثم يكتب البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاته تكاد تلحق الوصل الذى فوقه بهامش عريض عن يمينه قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة ؛ ثم يكتب تحت البسملة سطرا من أول البيعة ملاصقا لها ؛ ثم يخلى مكان بيت العلامة قدر شبر جريا على قاعدة العهود وإن لم تكن علامة تكتب ، كما يخلى بيت العلامة فى بعض المكاتبات ولا يكتب فيه شئ ؛ ثم يكتب السطر الثانى تحت بيت العلامة على

سَمَتَ السَّطْرَ الَّذِي تَحْتَ الْبِسْمَةِ فِي بَقِيَّةِ الْوَصْلِ الَّذِي فِيهِ الْبِسْمَةُ ؛ وَيُحْرَصُ أَنْ تَكُونَ نِهَايَةُ السَّجْعَةِ الْأَوَّلِي فِي أَثْنَاءِ السَّطْرِ الْأَوَّلِ أَوِ الثَّانِي ؛ ثُمَّ يَسْتَرْسِلُ فِي كِتَابَةِ بَقِيَّةِ الْبَيْعَةِ وَيَجْعَلُ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ قَدْرَ رُبْعِ ذِرَاعٍ بِذِرَاعِ الْقَمَاشِ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْعُهُودِ ؛ وَيَسْتَضِحِبُ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْبَيْعَةِ ، فَإِذَا آتَتْهُ إِلَى آخِرِهَا كَتَبَ "إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى" ثُمَّ التَّارِيخَ ، ثُمَّ الْمُسْتَدَّ ، ثُمَّ الْمَحْمَدَةَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْحَسْبَةَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الْفَوَاتِحِ وَالْخَوَاتِمِ فِي مَقْدَمَةِ الْكِتَابِ ؛ ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ بَايَعٍ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ خُطُوطَهُمْ ، ثُمَّ الشُّهُودَ عَلَى الْبَيْعَةِ بَعْدَهُمْ . وَإِنْ كَانَتِ الْكِتَابَةُ فِي الْقَطْعِ الشَّامِي ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْقُصَ عَدْدُ أَوْصَالِ الْبَيَاضِ الَّذِي بَيْنَ الطَّرَةِ وَالْبِسْمَةِ وَصَلَيْنِ فَتَكُونُ خَمْسَةً ، وَيَنْقُصُ الْهَامِشُ فَيَكُونُ قَدْرَ ثَلَاثَةِ أَصَابِعٍ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ قَانُونُ الْكِتَابَةِ .

وهذه صورة وضعه في الورق ممثلاً لها بالطرّة التي أنشأها لذلك ، والبيعة الثانية من البيعتين اللتين أنشأتهما

بياض بأعلى الدرج بقدر أصبع

هذه بَيْعَةٌ مَيُونَةٌ ، بِالْيَمْنِ مَبْتَدَأَةٌ بِالسَّعْدِ مَقْرُونَةٌ ؛ لِمَوْلَانَا السَّيِّدِ الْجَلِيلِ الْإِمَامِ النَّبِيِّ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ابْنِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ أَبِي الْفَتْحِ أَبِي بَكْرٍ الْعَبَّاسِيِّ : زَادَ اللَّهُ تَعَالَى شَرْفَهُ عَلَؤًا ، وَنَفَارَهُ شُمُوعًا . قَامَ بِعَقْدِهَا السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَعْظَمُ ، وَالشَّاهَنْشَاهُ الْمُعْظَمُ ، الْمَلِكُ الظَّاهِرُ أَبُو سَعِيدٍ بَرْقُوقَ ، خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانَهُ ، وَنَصَرَ جُيُوشَهُ وَأَعْوَانَهُ ؛ يَجْمَعُ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ ، وَالْإِعْتِبَارِ وَالنَّقْدِ : مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ ، وَوُجُوهِ النَّاسِ وَالْوُزَرَاءِ وَالصُّلَحَاءِ وَالنَّصَحَاءِ ؛ وَإِمَاضَائِهَا عَلَى السَّدَادِ ، وَالتَّجْحُّجِ وَالرِّشَادِ . عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ

بياض ستة أوصال

بسم الله الرحمن الرحيم

هاشم الحمد لله الذي جعلَ بيتَ الخلافةِ مَنَابَهُ للناسِ وأَمَنًا . وأقام

بيت العلامة

تقدير شبر

سُورَ الإمامةِ وَقَايَةً لِلْأَنَامِ وَحِصْنًا ؛ وَشَدَّ مِنْهَا بِالْعَصَابَةِ

تقدير ربع ذراع

الْقُرْشِيَّةَ أَزْرًا وَشَادَ مِنْهَا بِالْعُصْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ رُكْنًا . وَأَغَاثَ

تقدير ربع ذراع

الْخَلْقَ بِإِمَامٍ هُدًى حَسَنٍ سِيرَةٍ وَصَفًا سَرِيرَةٍ فَرَاقَ صُورَةً وَرَقًّا مَعْنَى .

ثم يأتى على الكلام إلى آخر البيعة على هذا النمط إلى أن ينتهى إلى

قوله : والله تعالى يجعلُ أُنْتَقالهم من أدنى إلى أعلى ومن يُسرى إلى يمنى ،

ويحقق لهم بمن أَسْتَخْلَفَهُ عليهم وَعَدَهُ الصَّادِقَ بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ هاشم

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا .

إن شاء الله تعالى

كتب في الثاني من جمادى الأولى ١٢٨٠

سنة إحدى وتسعين وسبع مائة

بإذن العالي المولوى الإمامى النبوى المتوكلى ١٢٨٠

أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

بايعته على ذلك	بايعته على ذلك	بايعته على ذلك
زاد الله تعالى في أعتلائه	زاد الله تعالى في شرفه	قدس الله تعالى خلافته
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

صورة خط المايهين
للخليفة من أهل الحل والمقد

حضرت	حضرت	حضرت
جریان عقد	جریان عقد	جریان عقد
البيعة المذكورة	البيعة المذكورة	البيعة المذكورة
عَرَفَ اللهُ المسلمين	قَرَنَهَا اللهُ تعالى	قَرَنَهَا اللهُ تعالى
بِرَكَّتِهَا	بِالسَّداد	بِالْيَمْنِ والبركة
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

ورد
في
البيعة
المذكورة
خط
الملك
السلطان

النوع الثاني

(من البيعات ، بيعات الملوك)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بَنَ فَضْلَ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" : أَنَّ مَنْ قَامَ مِنَ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ عَهْدٍ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ تُكْتَبَ لَهُمْ مَبَايِعَةٌ ؛ وَكَأَنَّهُ يَرِيدُ أَصْطِلَاحَ بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْأَمْرِيَّةِ ؛ أَمَّا بِلَادُ الْمَغْرِبِ فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ مُصْطَلَحِهِمْ بِكُتَابَةِ الْبَيْعَاتِ لِلْمُلُوكِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ عَنْدهُمْ خَلِيفَةٌ يَدِينُونَ لَهُ ، يَتَقَلَّدُونَ الْمُلْكَ بِالْعَهْدِ مِنْهُ . بَلْ جُلُومُهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ يَدْعِي الْخِلَافَةَ فَهُمْ يَكْتُبُونَ الْبَيْعَاتِ لِهَذَا الْمَعْنَى .

وهذه نسخة بيعة من هذا النوع ، كُتِبَ بِهَا لِلْسلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي الحجاج بن نصر بن الأحمر الأنصاري ، صاحب حمراء غرناطة من الأندلس ، مفتحة بخطبة على قاعدتهم في بيعات الخلفاء على ما تقدم ذكره ؛ وربما تكرر الحمد فيها دلالة على عظم النعمة . من إنشاء الوزير أبي عبد الله محمد بن الخطيب صاحب ديوان إنشائه ، على ما رأيته في ديوان ترسله ، وهي :

الحمد لله الذى جلّ شأنه ، وعزّ سلطاناً ، وأقام على ربوبيّته الواجبة فى كلّ شيء خلقه برهاناً ، الواجب الوجود ضرورةً إذ كان وجود ماسواه إمكاناً ؛ الحى القيوم حياةً أبديةً سرمديّةً منزّهة عن الابتداء وال انتهاء [فلا تعرّف وقتاً ولا تستدعى زماناً ؛ العليم الذى يعلم السرّ وأخفى ^(١)] فلا يعزّب عن علمه مثقال ذرّة فى الأرض ولا فى السماء إلّا أحاط بها علمها وأدركها عياناً ؛ القدير الذى ألقت الموجودات كلّها إلى عظّمته يد الخضوع استسلاماً له وإذعاناً . المرید الذى بمشيئته تصريف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، فإن منع منع عدلاً وإن منع منع إحساناً ؛ شهيد تدأول الملوك بدوام ملكه ودلّ حدوث ماسواه على قدمه ، وأننت ألسنة الحى والجماد على مواهبه وقسمه ، وفاض على عوالم السماء والأرض بحر جوده العميم النوال من قبل السؤال وكرمه ، وإن من شيء إلّا يسبح بحمده ويثنى على نعمه سرا وإعلاناً . فهو الله الذى لا إله إلّا هو ليس فى الوجود إلّا فعله ، إلّا له الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر كلّهُ ، وسع الأكوان على تباينها فضله ، وقدّر المواهب والمقاسم عدله ، منعا ومنحا وزيادة ونقصانا .

والحمد لله الذى بيده الإختراع والإنشاء ، مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، سبق فى مكنون غيبه القضاء ، وخفيت عن خلقه الأسباب وعميت عليهم الأنباء ، وعجزت عقولهم أن تدرك منها كنهها أو تكشف منها بياناً .

والحمد لله الذى رفع قبة السماء ما اتخذ لها عمّاداً ، وجعل الأرض فراشاً ومهاداً ، وخلق الجبال الراسية أوتاداً ، ورتّب أوضاعها أجناساً متفاضلة ، وأنواعاً متباينة متقابلة : حيواناً ونباتاً وجماداً ، وأقام فيها على حكمة الإبداع دلائل باهرة الشعاع

(١) الزيادة من ربحانة الخطاب لأبن الخطيب (ص ٤٨ ج ١) .

وأشهادا ، وجعل الليل والنهار خِلْفَةً والشمس والقمر حُسبانا . وقدر السياسة
سياجا لعالم الإنسان يَضُمُّ منه ما اَنْتَشَرَ ، وَيَطْوِي من تعديهِ ما نشر ، ويَحْمِلُهُ على
الآداب التي تُرِشِدُهُ إذا ضَلَّ وتُقيِّمُهُ إذا عَثَرَ ، وتجبرُهُ على أن يلتزم السنن ويتَّبِعَ
الأثر ، لُطْفًا منه شَمِلَ البَشَر وَحَنَانًا .

ولما عَمَرَ الأرض بهذا الجنس الذي فَضَّلَهُ وَشَرَّفَهُ ، وَهَبَ له العَقْل الذي تَفَكَّرَ
به في حكمته حتَّى عَرَفَهُ ، وبما يَحِبُّ لِرَبِّهِ الوَاجِبَةَ وَصَفَهُ ، جعلهم درجاتٍ
بعضُها فوقَ بعضٍ فقرا وَغِنًى وطاعةً وَعِصْيَانًا . واختار منهم سَفَرَةَ الوُحَى وحَمَلَةَ
الآيات ، وأرسل فيهم الرُّسُلَ بالمُعْجِزَات ، وعَرَّفَهُم بما كَفَّفَهُم من الأعمال
المُفْتَرَضَات : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .
يَوْمَ اَعْتَبَارِ الأَعْمَالِ وَأَعْتَبَارِ الحَسَنَات ، وَنَصَبِ العَدْلِ والمُجَازَاةِ في يومِ العَرْضِ عليه
قِسْطًا وَمِيزَانًا .

نَحْمَدُهُ وله الحمدُ في الأولى والآخِرَةِ ، ونُثْنِي على مَوَاهِبِهِ الجَمَّةِ وآلائِهِ الوَافِرَةِ ،
وَنُتَمِّدُ يدَ الصَّرَاعَةِ ، في مَوْقِفِ الرِّجَاءِ والطَّاعَةِ ، إلى المَزِيدِ من مَنِّهِ الهَامِيَةِ الهَامِرَةِ ،
ونَسْأَلُهُ دَوَامَ الطَّافَةِ الخَافِيَةِ وَعِصْمَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَأَتَّصِلُ نِعْمَهُ التي لا تَزَالُ تَتَعَرَّفُهَا
مَتْنًى وَوَحْدَانًا . ونَشْهَدُ أَنَّهُ اللهُ الذي لا إِلَهَ إِلَّا هو وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ . [شَهَادَةُ
نِيحْدُهَا في المَعَادِ عُدَّةً وَاقِيَةً ، وَوَسِيلَةً للأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَيْهِ رَاقِيَةً ، وَذَخِيرَةً صَالِحَةً
بَاقِيَةً ، وَنُورًا يَسْعَى بين أَيْدِينَا وَيَكُونُ على الرِّضَا والقَبُولِ فينا عُنْوَانًا ^(١)] . ونَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا النَّبِيَّ العَرَبِيَّ القُرْشِيَّ الهاشِمِيَّ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الذي أَصْطَفَاهُ
وَأَخْتَارَهُ ، وَرَفَعَ بين النَّبِيِّينَ والمرسلين مِقْدَارَهُ ، وَطَهَّرَ قلبه وَقَدَّسَ أَسْرَارَهُ ، وَبَلَّغَهُ

من رِضاهُ أَخْيَارَهُ ، وأعطاهُ لِيَوَاءِ الشَّفَاعَةِ يَقْفُو آدَمَ وَمَنْ بعده من الأنبياءِ الْكَرَامِ
 أَنَارَهُ ، وجعله أَقْرَبَ الرُّسُلِ مَكَانَةً وَأَرْفَعَهُمْ مَكَانًا . رسولُ الرَّحْمَةِ ، ونُورُ الظُّلُمَةِ ،
 وإمامُ الرُّسُلِ الْأَيْمَةِ ، الذي جمعَ له بين مَرْيَةِ السَّبْقِ ومَرْيَةِ التَّيَمِّهِ ؛ وجعل طاعته
 من الْعَذَابِ الْمُقِيمِ أَمَانًا . صاحبُ الشَّفَاعَةِ التي تَوَمَّلُ ، والوسيلةُ التي إلى الله بها
 يُتَوَسَّلُ ، والدرجةُ التي لم يُؤْتَهَا الْمَلِكُ الْمُقَرَّبُ ولا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، والرتبةُ التي لم يُعْطِهَا
 اللهُ سِوَاهُ إِنْسَانًا . انتخبَهُ من أَشْرَفِ الْعَرَبِ أُمًّا وَأَبَا ، وَأَزَكَى الْبَرِيَّةِ طِينَةً وَأَرْفَعَهَا
 نَسَبًا ، وَابْتَعَثَهُ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ عَجًّا وَعَرَبًا ، وَمَلَأَ بُنُورَ دَعْوَتِهِ الْبَسِيطَةَ جَنُوبًا وَشَمَالًا
 وَمَشْرِقًا وَمَغْرِبًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الَّذِي آمَنْتَ بِهِ الْخُنَّ لِمَا سَمِعْتَهُ وَقَالُوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا
 قُرْآنًا نَجْمًا ﴾ . تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَبَيَّنًا . فَصَدَعَ صَلَّي اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ مِنْ آخِثَارِ ذَاتِهِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْطَفَاهَا ، وَأَدَّى أَمَانَةَ اللهِ وَوَقَّاهَا ،
 ورَأَى الْخَلَائِقَ عَلَى شَفَى الْمَتَالِفِ فَتَلَّاهَا ، وَتَبَعَ أَدْوَاءَ الضَّلَالِ فَشَفَاهَا ، وَمَحَا مَعَالِمَ
 الْجَهْلِ وَعَقَّاهَا ، وَشَادَ لِلْخَلْقِ فِي الْحَقِّ بُنْيَانًا . مُؤَيِّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي حُجِّجُهَا تُقْبَلُ
 وَتُسَلَّمُ : فَمَنْ جَدَّعَ لِفِرَاقِهِ يَتَأَلَّمُ ، وَجَمَادٍ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ يَتَكَلَّمُ ، وَجَبِشَ شَكَا الظُّمَأِ
 فَفَجَّرَ لَدَيْهِ الْمَعِينِ مِنْهُ بَنَانًا . وَأَيُّ مُعْجِزَةٍ كَكِتَابِ اللهِ الَّذِي لَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ ،
 فَهُوَ الْيَمُّ وَالْعُلُومُ النَّافِعَةُ كُلُّهَا مَذَانِبُهُ ، وَأَفْقُ الْحَقِّ الَّذِي تَهْدِي فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 كَوَاكِبُهُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فُرْقَانًا . فَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
 بِنُورِ رَبِّهَا وَآيَاتِهِ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللهِ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَبَلَغَ مُلْكُ أُمَّتِهِ
 مَا زَوَى لَهُ مِنْ أَقْطَارِ الْمَعْمُورِ وَجِهَاتِهِ ، حَتَّى عَمَرَ مِنْ أَكْثَافِ الْبَسِيطَةِ ، وَأَرِيفِ
 الْبَحَارِ الْمُحِيطَةِ ، وَهَادَا وَكُنَّابَنَا . وَنَقَلَتْ كُنُوزُ كَسْرَى بِعِزِّ دَعْوَتِهِ الْغَالِبَةِ ، وَظَفِرَتْ
 بِفَلَجِ الْخِصَامِ أَيْدِي عِزَائِمِهَا الْمُطَالِبَةِ ، وَأَصْبَحَ إِيوَانُ فَارَسِ مَجَرِّ مَاحِ الْعَرَبِ
 الْعَارِبَةِ ، وَقَدَفَتْ جُنُودَ قَيْصَرَ مِنْ ذَوَائِلِهَا بِالشُّهْبِ الثَّاقِبِ ، حَتَّى قَرَعَ عَنْ مَدَرَتِهِ الطَّيْبَةِ

أُتِيَ بالصفقة الخائبة، وخلصت إلى فسطاط مصر بكائبها المتعاقبه، فلا تسمع
الآذانب في إقامتهم إلا إقامةً وأذاناً . ولا دليل أظهر من هذا القطر الأندلسي
الغريب الذي خلصت إليه سيوفها أثباج البحار، على بُعد المراحل ونزوح الديار،
وتكائف العمالات واختلاف الأمصار، ومُنْقَطَعِ العِمَارَةِ بأقصى الشمال ومحط السفار،
طلعت عليه كلمة الله طُلُوعَ النهار، وأستوطنته قبائل العرب الأحرار، وأرغمت فيه
أنوف الكفار، ضراباً في سبيل الله وطعانا .

ولمّا استقام الدين، وتمّ معالم الإيمان الرسول الأمين، وظهر الحق المبين،
وراق من وجه الملة الخفيفة السمحة الجين، وأخذ المسالك والمآخذ الإفصاح
والتبيين، وتقررت المستندات المعتمدات سنةً وقرآناً، أشعره الوحي بالرحلة
عن هذه الدار، والانتقال إلى محلّ الكرامة ودار القرار، وخيره الملك فاختار الرفيق
الأعلى موثقاً إلى كرم الاختيار، [و] وجد صحبه رضى الله عنهم في الاستخلاف بعده
والإيثار مجباً مشرقة الأنوار، أطلقت بالحق يداً وأنطقت بالصدق لساناً .
صلى الله عليه وعلى آله وصحابه، وأسرته الطاهرة وعصابته، وأنصاره وأصهاره
وقرآته، الذين كانوا في معاصدته إخواناً، وعلى إغلاء إمرة الحق أعواناً . نجوم
الملة وأقمارها، وغيوثها الهامية وبحارها، وسيوف الله التي لا تنبؤ سفارها، وأعلام
الهدى التي لا تبلى آثارها، ودعائم الدين التي رفعت منه على البر والتقوى أركاناً .

وحياً لله وجوه حتى الأنصار بالنعيم والنصرة، أولى البأس عند الحفيظة والعفو
عند القدره، الراضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ويذهبوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فنعمت المتقبة والأثره، الحائزون ببيعة الرضوان فضلاً من الله ورضواناً .
ووزرائه وظهرائه في كل أمر، وخالصته يوم أحد وبدر، لم يزالوا صدراً في كل

قَلْبَ وَقَلْبًا فِي كُلِّ صَدْرٍ ، يَصَلُّونَ دُونَهُ كُلِّ جَمْرٍ ، وَيَفْدُونَهُ بِنُفُوسِهِمْ فِي كُلِّ سِرٍّ
وَجَهْرٍ ، وَيَعْمَلُونَ فِي إِعْلَاءِ دِينِهِ بِضِيَاءِ عِضَابٍ وَسُمْرٍ لِدَانَا . صَلَاةٌ لَا تَزَالُ سَحَابُهَا
ثَرَّةً ، وَنَحِيَّةٌ دَائِمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ، مَا لَهَجَتْ الْأَلْسُنُ بِثَنَائِهِمْ ، وَوَقَفَتْ الْمَفَاخِرُ عَلَى عَلَيَّائِهِمْ ،
وَتَعَلَّمَتِ الْمَوَاهِبُ مِنْ آلَائِهِمْ ، وَقَصُرَتِ الْحَمَامِدُ عَلَى مُسَمِّيَاتِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ ، وَكَانَ
حُبُّهُمْ عَلَى الْفُوزِ بِالْحَنَةِ صَمَانًا .

وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ لِهَذَا الْأَمْرِ النَّصِيرِي الَّذِي سَبَبَهُ بِسَبَبِهِمْ مُؤْصُولٌ ، وَهُمْ لِقُرُوعِهِ
السَّامِيَةِ أَصُولٌ ، فَيَا هَآءَا مِنْ نُصُولٍ خَلَقَتْهَا نُصُولٌ ، أَنْجَزَتْ وَعَدَ النُّصْرَةِ وَهُوَ مُنْطَوِلٌ ،
وَأَحْيَتْ رُبُوعَ الْإِيمَانِ وَهِيَ طُلُولٌ ، نَصْرًا عَزِيزًا وَقَتَحًا مَبِينًا ، وَتَأْيِيدًا عَلَى أَعْدَائِكَ
وَتَمْكِينَا ، وَمُلْكًا يَبْقَى فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ وَسُلْطَانًا . وَأَعِنَّا اللَّهُمَّ عَلَى
مَا أَوْجِبَتْ لَهُ مِنْ مَفْرُوضِ الطَّاعَةِ ، وَتَادِيَةِ الْحَقِّ بِجَهْدِ الْإِسْتِطَاعَةِ ، وَأَعِصْمْنَا
بِبِلَائِهِ الْعَادِلَةِ مِنَ الْإِضَاعَةِ ، وَآحِلْنَا مِنْ مَرْضَاتِهِ عَلَى سَنَنِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَاجْعَلْهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَآخِزْنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ .

أَمَّا بَعْدَ مَا أَفْتَتِحُ بِهِ مِنْ تَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ ، وَالشَّاءِ الَّذِي تَتَعَطَّرُ الْأَنْدِيَّةُ بِتَرْيْدِهِ ؛
فَإِنَّ مِنَ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَعْبُضُهُ الْوُجُودُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَالْمَعْلُومِ الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ ضَلَّ
مِنْ يُنْكِرُهُ أَوْ يُنْحَدُّهُ ، وَالذَّائِعِ بِكُلِّ قُطْرٍ تَرْوِيهِ رُؤَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُسْنِدُهُ ؛ مَا عَلَيْهِ هَذَا
الْمُلْكُ النَّصْرِيُّ الْحَيُّ ، الْأَنْصَارِيُّ الْمُتَمَتِّعُ ؛ الَّذِي يُصِيبُ شَاكِلَةَ الْحَقِّ إِذَا رَمَى ،
وَيَعْمُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ غَيْثُهُ مَهْمَا هَمَى ؛ مِنْ أَصَالَةِ الْأَعْرَاقِ ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ؛
وَالْفَضْلِ الْبَاهِرِ الْإِشْرَاقِ ، وَالْجِهَادِ الَّذِي هُوَ سَمَرُ الرَّكْبِ وَحَدِيثُ الرَّفَاقِ ؛ وَأَنَّ قَوْمَهُ
الْمُلُوكَ الْكَرَامَ إِنْ قُوِّحُوا بِنَسَبٍ ذَكَرُوا سَعْدَ بَنِي عُبَادَةَ وَمَجْدَهُ ، أَوْ كُوِّثُوا بِعَدَدٍ غَلَبُوا
بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، أَوْ اسْتَنْصَرُوا فَتَجَرَّوْا كُلَّ شِدَّةٍ ، وَاسْتَظْهَرُوا مِنْ [عِزِّهِمْ] ^(١) الْمَوْهُوبِ ،

وَصَبْرُهُمْ عَلَى الْخُطُوبِ ، بَكْلٌ عَدَدَ وَعْدِهِ ؛ دَارَهُمُ النَّغْرُ الْأَقْصَى وَنِعْمَتِ الدَّارِ ،
وَشِعَارُهُمْ « لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ » وَنِعَمَ الشَّعَارِ ؛ زُهَادٌ إِذَا ذُكِرَ الدِّينُ ، أَسْوَدٌ إِذَا حَمِيتِ
الْمَيَادِينُ ؛ جَبَالٌ إِذَا زَحَفَتِ الصُّفُوفُ ، بُدُورٌ إِذَا أَظْلَمَتِ الرُّجُوفُ ؛ غِيُوثٌ إِذَا
مُنِعَ الْمَعْرُوفُ ، أَفْرَادٌ إِذَا ذُكِرَتِ الْأُلُوفُ ؛ إِنْ بُوِيَعُوا فَلَمَّلَا كُتَّةً وَفُودٌ [وَحِمْلَةُ الْعِلْمِ]^(١)
وَحِمْلَةُ السَّلَاحِ شُهُودٌ ؛ وَإِنْ وَلَدُوا فَالْسُيُوفُ تَمَاضٍ ، وَالسُّرُوحُ مُهُودٌ ، وَإِنْ أَفْخَرُوا
لِلْعُدُوِّ فَالظَّلَالُ بُنُودٌ ، وَجُنُودُ السَّبْعِ الطَّبَاقِ جُنُودٌ ، وَإِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَسْهَرُوا جُفُوفَهُمْ
فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْجُفُوفُ رُقُودٌ .

وإِنَّ هَذَا الْقَطْرَ الَّذِي آتَيْتُهُ سَيْلُ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ إِلَى نَاحِيَتِهِ ، وَأُجِيلَتْ قِدَاحُ
الْفُوزِ بِالْدَّعْوَةِ الْحَقِيقَةِ عَلَى الْأَفْطَارِ فَأَخَذَ الْإِسْلَامُ بِنَاصِيَتِهِ ؛ كَانَ مِنْ فَتْحِهِ الْأَوَّلِ
مَاقِدُ عِلْمٍ ، حَسَبَ مَاسْطَرٍّ وَرِسْمٍ ؛ وَإِنَّ مُوسَى بْنَ نَصِيرٍ وَفَتَاهُ ، حَلَّ مِنْ فُرْضَةٍ بِمَجَازِهِ
مَحَلَّ مُوسَى وَفَتَاهُ ؛ وَحَلَّ الْإِسْلَامُ مِنْهُ دَارَ قَرَارٍ ، وَخِطَّةً خَلِيقَةً بَارِثِيَادٍ وَأَخْتِيَارٍ ؛
وَبَلَدًا لَا يُحْصَى خَيْرُهُ ، وَلَا يَفْضُلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمِزْيَةِ مَاعِدَا الْحَرَمَيْنِ غَيْرُهُ ؛ وَأَمْتَدَّتْ
الْأَيَّامُ حَتَّى تَأْتِيَ الْعُدُورُ لِرَوْعَتِهِ ، وَخَفَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ صَرَعَتِهِ ؛ وَقَدَحَ فَأَوْرَى ،
وَأَعْضَلَ دَاوَاهُ وَأَسْتَشْرَى ، وَصَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْكُبْرَى ؛ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَمَدَ
الدِّينِ مِنْهُمْ بِالْعُمْدَةِ الْوَثِيقَةِ ، حُمَاةَ الْحَقِيقَةِ ، وَأُتَمَّةَ الْخَلِيقَةِ ، وَسُلَالَةَ مَفْتِيحِ الْيَمَامَةِ
وَمَفْتِيحِ الْحَدِيقَةِ ، لِأَجْهَازِ النَّصْلِ ، وَأَجُنَّتْ مِنَ الدِّينِ الْفِرْعُ وَالْأَصْلُ ؛ لَكُنْهُمْ
أَتْتَدَبُوا إِلَى إِمْسَاكِ الدِّينِ بِهَا أَتْتَدَابَا ، وَوَصَلُوا لِلْإِسْلَامِ أَسْبَابَا ، وَتَنَاقَلَهَا مِنْهُمْ صَقْرُ
قَيْسِ الْخَزَرَجِ ، ذُو الْحُسَامِ الْمُضَرَّجِ ، وَالنَّاءِ الْمَوْجَّجِ ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَالِبُ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ
أَبْنِ يُوسُفَ بْنِ نَصْرٍ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، الْمُنْتَدَبُ لِإِقَامَةِ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، قُدُوةُ الْمُلُوكِ
الْمُجَاهِدِينَ : نَصَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَتَقَبَّلَ جِهَادَهُ ، وَشَكَرَ دِفَاعَهُ عَنْ حُوزَةِ الْإِسْلَامِ

[وَجَلَادَهُ ؛ فَأَقْشَعَتِ الظُّلَمَةُ ، وَتَمَسَّكَتِ الْأُمَّةُ ؛ وَكَفَّ الْعَدُوُّ وَأَقْصَرَ ، وَرَأَى
 الْإِسْلَامُ بَيْنَ أَسْتَنْصَرٍ ، وَأَسْتَبْصَرَ فِي الطَّاعَةِ ^(١)] مَنْ أَسْتَبْصَرَ ؛ وَهَبَتْ بِنَصْرِ اللَّهِ
 الْعَزَائِمَ ، وَكَثُرَتْ عَلَى الْعَدُوِّ الْمَهْزَائِمُ ؛ وَتَوَارَتْهُوا مُذْكَمَهَا وَلَدَّا عَنْ أَبِ ، مُسْتَنْدِينَ
 إِلَى عَدْلٍ وَبَذَلٍ وَبَسَالَةٍ وَجَلَالَةٍ وَحَسَبٍ ؛ تَتَضَّحُ فِي أَفْقِ الْجَلَالِ نَجْمٌ سِيرِهِمْ هَادِيَةٌ
 لِلسَّائِرِينَ ، وَتَفَرَّقَ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ فِي اللَّهِ أَسْوَدُ الْعَرِينِ ؛ إِلَى أَنْ قَامَ بِالْأَمْرِ وَسْطَى
 سِلْكَهُمْ ، وَبَرَكَتُهُ مُلْكُهُمْ ؛ الْخَلِيفَةُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةُ بِالْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ ، الشَّهِيرُ
 الْجَلَالَةُ وَالْبَسَالَةُ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ بِوَاجِبِ الْحَقِّ ؛ سَاحِبُ أَذْيَالِ
 الْعَقَافِ وَالطَّهَارَةِ ، السَّعِيدُ الْإِيَالَةَ وَالْإِمَارَةَ ، الْبَعِيدُ الْغَارَةَ ؛ مَنْ دُعِيَ الْعَدُوُّ لِبَاسٍ
 حُسَامِهِ ، وَذُخِرَ الْفَتْحُ الْهَنِيءُ لِأَيَّامِهِ ؛ صَدْرُ الْمُلُوكِ الْمَجَاهِدِينَ ، وَكَبِيرُ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ ،
 الْبَعِيدُ الْمَدَى فِي حِمَايَةِ الدِّينِ ؛ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ ، أَبُو الْوَلِيدِ ، ابْنُ الْمُؤَلَّى الْهَامِ الْأَوْحَدِ ،
 الرَّفِيعُ الْمَجْدُ ؛ الظَّاهِرُ الظَّاهِرِ الْأَعْلَى ، الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ الْجَلِيلُ الْمُقَدَّسُ الْأَرْضِي ؛
 « أَبِي سَعِيدٍ » بَنِ أَبِي الْوَلِيدِ ، بَنِ نَصْرٍ . فَأَحْيَا رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَالِمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ،
 وَجَلَّى بُنُورَ عَدْلِهِ غِيَاظَ الدُّجْنَةِ ؛ وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَحَمَاهُ ، وَرَمَى ثَغْرَةَ الْكُفْرِ فَأَضْمَاهُ ؛
 قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ الطَّيِّبَ ، وَسَقَى لِحَدَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الْقَهَامَ الصَّيِّبَ ؛ وَأَوْرَثَ الْمُلُوكَ
 الْجِهَادِيَّ مِنْ وَلَدِهِ خَيْرَ مَلِكٍ قُبِلَتْ مِنْهُ كَفِّ ، وَأَسْتَدَارَ بِهِ مَوَكِبُ الْجِهَادِ مُلْتَفٍّ ؛
 وَشَمَخَ بِخِدْمَتِهِ أَنْفَ ، وَسَمَّا إِلَى مَشَاهِدَتِهِ طَرْفَ ؛ وَتَأَرَّجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَرَفَ ، وَجَرَى
 إِلَى بَابِهِ حَرْفَ ؛ مَوْلَانَا الْمَلِكُ الْهَامُ ، الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ ؛ مَنْ أَشْرَقَ بُنُورُ إِيَالَتِهِ الْإِسْلَامَ ،
 وَتَشَرَّفَتْ بِوُجُودِهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ؛ بِدُرِّ الْمُلُوكِ وَشَمْسِهِ ، وَسِرُّ الزَّمَانِ الَّذِي قَصُرَ عَنْ
 يَوْمِهِ أَمْسُهُ ؛ الَّذِي أَشْتَهَرَ عَدْلُهُ ، وَبَهَّرَ فَضْلُهُ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِنَايَةُ رَبِّهِ ، وَكَانَ
 الْخُضُوعَ لَهُ فِي سَلْمِهِ وَحَرْبِهِ ؛ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُدُوءُ الْمُلُوكِ الْمَجَاهِدِينَ وَالْأُمَّةِ

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب لأبن الخطيب وهي لازمة لاستقامة الكلام .

العارفين ؛ السعيد ، الشهيد ، الطاهر ، الظاهر ؛ الأوحى الهام ، الخليفة الإمام
(أبو المجتاج) رفع الله درجته في أوليائه ، وحشره مع الذين أنعم عليهم من أنبيائه
وشهادته ؛ فوضعت المسالك وبانت ، وأشرق المعاهد وأزدانت ؛ وشمل الصنع
الإلهي واللطف الخفي أقطار هذه الأمة حيث كانت . ولما اختار الله له
ما عنده ، وبلغ الأمد الذي قدره سبحانه حياته وحده ؛ وقبضه إليه مستغفرا لذنبه ،
مطمئنا في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه ؛ كانما تأهب للشهادة
[فاختار] مكانها وزمانها ، وطهر بالصوم نفسه التي كرم الله شأنها ، وطيب روحها
وريحانها ؛ فوقعت آراء أرباب الشورى التي تصح الإمامة باتفاقها ، وتتعدد بعقد
ميثاقها : من أعلام العلم بقاعدة [ملكه] غرناطة حرمها الله تعالى التي غيرها لها تبع ،
ومحاة الإسلام الذين في آرائهم للدين والدنيا متفجع ؛ وخلصان الثقات ، ووجوه
الطبقات ، على مبايعة وارث ملكه بحقه ، الحائز في ميدان الكمال وإحراز مال الإمامة
من الشروط وإللال خصل سببه ؛ كبير ولده ، وسابق أمده ؛ ووارث ملكه ،
ووسطى سلوكه ؛ وعماد قسطاطه ، وبدر الهالة من بساطه ؛ مولانا قمر العلياء ، ودرة
الخلفاء ، وفرع الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ؛ الذي ظهرت عليه مخايل
الملك ناشئا ووليدا ، وأستشعرت الأقطار به وهو في المهد أمانا وتمهيدا ؛ وأستشرف
الدين الحنيف فأطلع جيدا ، وأستأنف شبابا جديدا ؛ ناصر الحق ، وغياث الخلق ؛
الذي تميز بالسكينة والوقار ، والحياء المنسدل الأستار ، والبسالة المرهوبة الشفار ؛
والجود المنسكب الأمطار ، والعدل المشرق الأنوار ؛ وجمع الله فيه شروط الملك
والإختيار ، مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ؛ السلطان الفاضل ، والإمام العادل ؛ والهام
الباسل ، الكريم الشامل ؛ شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ؛ أمير المسلمين ،
وقوة أعين المؤمنين ، أبو عبد الله : وصل الله أسباب سعده ، كما حلّى أجياد

المنابر بالدعاء لمجده ؛ وجعل جنود السماء من جنده ، ونصره بنصره العزيز فما النصر إلا من عنده ؛ ورأوا أن قد ظفرت بالعروة الوثقى أيديهم ، وأمن في ظل الله رايحهم وغاديتهم ، ودلت على حسن الخواتم مباديتهم ؛ فقبادروا وآثالوا ، وتبخثروا في ملايس الأمن واختالوا ؛ وهبوا إلى بيعته تطيرهم أجنحة السرور ، ويعلن أنطلاق وجوههم بانسراح الصدور ؛ واجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور : مابين الشريف والمشروف ، والرؤساء أولى المنصب المعروف ؛ وحمل العلم وحمل السيف ، والأمناء ومن لديهم من الألوف ، وسائر الكافة أولى البدار لمثلها والخفوف ؛ ففقدوا له البيعة الوثيقة الأساس ، السعيدة بفضل الله على الناس ، البريء عهدتها من الإرتياب والالتباس ؛ الحائرة شروط الكمال ، الماحية بنور البيان ظلم الإشكال ؛ الضميمة حسن العقبي ونجح المال ، على ما يوبع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن له من الصحابة والآل ؛ وعلى السمع والطاعة ، وملازمة السنة والجماعة ؛ فأيديهم في السلم والحرب ردة ليده ، وطاعتهم إليه خالصة في يومه وغده ؛ وأهواؤهم متفقة في حالي الشدة والرخاء ، وعقودهم محفوظة على تدابير السراء والضراء ؛ أشهدوا عليها الله وكفى بالله شهيدا ، وأعطوا صفقات أيمانهم تثبيتا للوفاء بها وتأكيذا ، وجعلوا منها في أعناقهم ميثاقا وثيقا وعهدا شديدا ؛ والله عز وجل يقول : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . ومن أصدق من الله وعدا أو وعيدا . وهم قد بسطوا أيديهم يستزليون رحمة الله بالإخلاص والإتابة ، وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ؛ يسألونه خير ما يقضيه ، والسير على ما يرضيه .

اللهم بآبك عند تقلب الأحوال عرفنا ، ومن بحر نعمك العميمة أغترفنا ، وعفوك ستر من عيوبنا كل ما آجرتنا وأقترنا ؛ ومن فضلك أغيتنا ، وبعينك التي

لَا تَأْتُمْ حَرَسَتْنَا وَحَمَيْتَنَا [فَانْصُرْ حِينًا وَآرَحِمْ مِيتَنَا] ^(١) وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَنَا؛ وَاجْعَلْ لَنَا الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِيمَا إِلَيْهِ هَدَيْتَنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّ قَطْرَنَا مِنْ مَادَّةِ الْإِسْلَامِ بَعِيدٌ ، وَقَدْ أَحْدَقَ بِنَا بِحَرْزٍ زَاخِرٍ وَتَدْوٍ شَدِيدٍ ، وَفِينَا أَيْمٌ وَضَعِيفٌ وَهَرِمٌ وَوَيْدٌ [وَأَنْتَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عَبِيدُكَ .

اللَّهُمَّ مَنْ بَايَعَنَا فِي هَذَا الْعَقْدِ ^(١) فَاسْعِدْنَا بِمُبَايَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَكَنْ لَهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ اسْتِنْفَادِ جُهِدِهِ فِي التَّحْقِظِ وَاسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَكُفِّ عَنْهُ كَفٌّ عَدُوِّكَ وَعَدُوَّهُ كُلُّمَا هَبَّتْ بِهِ رِيَّاحُ طَاعَتِهِ ؛ يَا مَنْ يُفَرِّدُ الْعَبْدَ بِضِرَاعَتِهِ ، وَيُعَوِّذُ بِحِفْظِهِ مِنْ إِضَاعَتِهِ .

اللَّهُمَّ أَدْعِنَا حَقَّهُ فَإِنَّا لَا نَقْوَى عَلَى إِدَائِهِ ، وَتَوَلَّ عَنَّا شُكْرَ مَا حَمَدْنَاهُ مِنْ سِيرَتِهِ وَسِيرَةِ آبَائِهِ ، وَاحْلِلْهُ مِنْ تَوْفِيقِكَ عَلَى سَوَائِهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا إِلَيْهِ نَاطِرُونَ ، وَعَنْ أَمْرِهِ صَادِرُونَ ، وَلَا نَجَازُ وَعْدَكَ فِي نَصْرِ مَنْ يَنْصُرُكَ مَتَظَرُّونَ ؛ فَاعِنْهُ عَلَى مَا قَلَّدْتَهُ ، وَأَنْجِزْ لِدِينِنَا عَلَى يَدَيْهِ مَا وَعَدْتَهُ ؛ فَافْقَدْ شَيْئًا مِنْ وَجَدِكَ ، وَلَا خَابَ مِنْ قَصْدِكَ ، وَلَا ضَلَّ مِنْ اعْتِمَادِكَ ، آمِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وَكُتِبَ الْمَلَأُ الْمَذْكُورُونَ أَسْمَاءَهُمْ بِخُطُوطِ أَيْدِيهِمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِمَا آلَتَرَمَوْهُ دُنْيَا وَدِينًا ، وَسَلَكُوا [مِنْهُ] سَبِيلًا مُبِينًا ؛ وَذَلِكَ فِي الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ لَشَوَّالٍ مِنْ عَامِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِينَ .

قلت : وقد أخبر آخر هذه البيعة بأن المبايعين للسلطان تُؤْخَذُ خُطُوطُ أَيْدِيهِمْ فِي كِتَابِ الْبَيْعَةِ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِمَا بَايَعُوا عَلَيْهِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ كِتَابَةَ الْبَيْعَةِ عِنْدَهُمْ كَمَا فِي مَكَاتِبَتِهِمْ فِي طُومَارٍ وَاحِدٍ كَبِيرٍ مُتَضَائِقٍ السُّطُورِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ طَرَّةٌ بِأَعْلَاهُ كَمَا فِي كِتَابَةِ الْمَصْرِيِّينَ .

الباب الثالث

من المقالة الخامسة في العهود، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معنى العهد)

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معانٍ :

أحدها - الأمان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ .

الثاني - اليمين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ .

الثالث - الحفاظ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ” حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ “ .

الرابع - الذمة . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ” لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ “ .

الخامس - الزمان . ومنه قولهم : ” كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ عَهْدِ فُلَانٍ “ .

السادس - الوصية . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ ﴾ وهو المراد هنا .

قال الجوهري : ومنه اشتق العهد الذي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ ^(١) .

(١) بهامش الاصل هنا حاشية نصها «ولم سابع» وهو قولهم في الدعاء للكل بعد موته : سقى الله عهده

برحمته أى مكانه المدفون فيه يسقى بالرحمة . فصح أن يطلق على الزمان والمكان .

الفصل الثانى

(فى بيان أنواع العهود ، وهى ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(عهودُ الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلّق النظر به من ثمانية أوجه)

الوجه الأول

(فى أصل مشروعيتها)

والأصل فى ذلك ما ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه قيل لعمر عند موته "ألا تعهد؟" فقال : ألتجمل أمركم حياً وميتاً؟ إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى ، [يعنى أبا بكر] ^(١) : وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأثبت استخلاف أبى بكر رضى الله عنه بذلك ، مشيراً إلى ما روى : "أنه لما أشتدّ بأبى بكر الصديق رضى الله عنه الوجع ، أرسل إلى على وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار ، فقال : قد حصر ما ترون ، ولا بد من قائم بأمركم ، فإن شئتم استخروكم لأنفسكم ، وإن شئتم استخرتكم لكم . قالوا : بن اختر لنا ، فأمر عثمان فكتب عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (على ماسياتى ذكره) فقال عمر : لا أطيق القيام بأمر الناس . فقال أبو بكر هاؤنا سيني ! وتهده فانقاد عمر ، ثم دخل عليه طلحة فعاتبه على استخلاف عمر . فقال : إن عمر والله خير لكم وأنتم شر له ، والله لو وليتكم لجلعت أنفك فى قفاك ، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذى يضعها . أتيتي وقد وكفت عينك ، تريد أن تفتنى عن ديني

وَرَدَّنِي عَنْ رَأْيِي، قُمْ لَا أَقَامَ اللَّهُ رَجْلَكَ، وَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ عَمَصْتَهُ وَذَكَرْتَهُ بِسُوءٍ
لَأُحِقَّنَكَ بِحَمْضَاتٍ قُنَّةٍ حَيْثُ كُنْتُمْ تُسْتَوُونَ وَلَا تَرَوُونَ، وَتَرَعُونَ وَلَا تَشْبَعُونَ، وَأَنْتُمْ
بِذَلِكَ يَجْحُونَ رَاضُونَ، فَقَامَ طَالِحَةُ نَخْرَجَ .

قال العسكري : الحَمْضَات جمع حَمْضَةٍ ضَرْبٌ مِنَ النَّبْتِ ، وَالْقُنَّةُ أَعْلَى الْجَبَلِ .

قال الماوردي : وَكَانَ اسْتِخْلَافُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُمَرَ بَاتِّفَاقٍ مِنَ الصَّحَابَةِ
مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ فَكَانَ إِجْمَاعًا .

وَقَدْ عَهَدَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى سِتَّةٍ ، وَهُمْ عُمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَالِحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ؛ وَتَرَكَهَا شُورَى بَيْنَهُمْ ، فَدَخَلُوا فِيهَا
وَهُمْ أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَشْرَافُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

الوجه الثاني

(فِي مَعْنَى الْإِسْتِخْلَافِ)

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ " التَّهْذِيبُ " فِي الْفَقْهِ : الْإِسْتِخْلَافُ أَنْ يُجْعَلَ
خَلِيفَةً فِي حَيَاتِهِ ثُمَّ يُخْلَفُهُ بَعْدَهُ . قَالَ : وَلَوْ أَوْصَى بِالْإِمَامَةِ فَوْجَهَانِ : لِأَنَّهُ يُنْجَرُجُ^(١)
بِالْمَوْتِ عَنِ الْوِلَايَةِ فَلَا يَصِحُّ مِنْهُ تَوَلِيَةُ الْغَيْرِ . وَاسْتَشْكَلَ الرَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا
التَّوْجِيهَ بِكُلِّ وَصِيَّةٍ ؛ وَبِأَنَّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ جَعْلِهِ خَلِيفَةً بَعْدَهُ : إِنْ أُرِيدَ بِهِ اسْتِنَابَتُهُ
فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَهْدًا إِلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ . وَإِنْ أُرِيدَ جَعْلُهُ إِمَامًا فِي الْحَالِ ، فَهُوَ :
إِمَامًا خَلَعَ نَفْسَ الْعَاهِدِ ، وَإِمَامًا اجْتَمَعَ إِمَامِينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ أُرِيدَ جَعْلُهُ خَلِيفَةً
أَوْ إِمَامًا بَعْدَ مَوْتِهِ فَهُوَ الْوَصِيَّةُ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ .

(١) أَيْ وَأَحْمَهُمَا عَنْهُ عَدَمُ الْجَوَازِ . بِدَلِيلِ التَّعْلِيلِ .

قلت : وهذا جُنوحٌ من الرافعي رحمه الله إلى صِحَّةِ الخلافة بالوصية أيضا ،
(١) كما تصح بالإسنيخلاف .

الوجه الثالث

(فيما يجبُ على الكاتب مراعاته)

وأعلم أنه يجبُ على الكاتب أن يُراعى في كتابة العهد بالخلافة أموراً :

منها — براءة الاستهلال بذكر ما يتفق له : من معنى الخلافة والإمامة وأشتقاقيهما ، وحال الولاية ، ولقب العاهد والمعهود إليه ، ولقب الخلافة ، إلى غير ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات .

ومنها — أن يُنبّه على شرف رتبة الخلافة ، وعُلُو قدرها ، ورفع شأنها ، ومسيس الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا .

ومنها — أن يُنبّه على اجتماع شروط الإمامة في المعهود إليه من حين صدور العهد بها من العاهد ، فقد قال الماوردي : إنه تُعتبر شروط الإمامة في المعهود إليه من وقت العهد ، حتى لو كان المعهود إليه صغيراً أو فاسقاً وقت العهد وبالغا [عدلاً] عند الموت ، لم تصح خلافته حتى يستأنف أهل الاختيار بيعته . قال الرافعي رحمه الله : وقد يُتوقف في هذا . قال النووي رحمه الله في "الروضة" : لا يُتوقف . والصواب ما قاله الماوردي .

ومنها — أن يُنبّه على اجتهاد العاهد وتروى نظره في حقية المعهود إليه : فقد قال الماوردي : وإذا أراد الإمام أن يعهد بالإمامة ، فعليه أن يُجهِد رأيه في الأحق بها ، والأقوم بشروطها ، فإذا تعين له الاجتهاد في أحد ، عهد إليه .

(١) في الأصول كما لا تصح الخ والظاهر أن « لا » زائدة من النسخ تأمل .

ومنها — أن يُشِير إلى تقدُّم الاستخارة على العهد ، وأنَّ استخارته أدته إلى المعهود إليه ؛ فإنَّ الاستخارة أمرٌ مطلوب في كل أمر ، خصوصاً أمر المسلمين وعموم الولاية عليهم ، فإنَّ اختيار الله للخلق خيرٌ من اختيارهم لأنفسهم ، والله يقول الحق وهو يهْدِي السَّبِيل .

ومنها — أن يَنْبَ على أنَّ عهده إليه بعد مشورة أهل الاختيار ومراجعتهم في ذلك ، وتصويبهم له ، خروجاً من الخلاف . فقد حكى الرافعي رحمه الله وجهين فيما إذا كان المعهود إليه أجنبياً من العاهد ليس بولَد ولا والد : هل يجوز أن ينفرد بعقد البيعة له وتفويض العهد إليه ولا يستشير فيه أحداً؟ أحقُّهما الجواز : لأنَّ العهد إلى عمر رضى الله عنه لم يُوقَف على رضا الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأنَّ الإمام أحقُّ بها ، فكان اختياره فيها أمضى ، وقوله فيها أنفذ .

وحكى الماوردي في جواز انفرد العاهد بالبيعة فيما إذا كان المعهود إليه والداً أو ولداً ثلاثة مذاهب :

أحدها — ما اقتصر الرافعي رحمه الله على نسبته إلى الماوردي ، ومقتضى كلامه ترجيحه : أنه يجوز الانفرد بعقدها للولَد والوالد جميعاً : لأنه أمير للأمة نافذ الأمر لهم وعليهم ؛ فغلب حكم المنصب على حكم النسب ؛ ولم يجعل للثمة طريقاً على أمانته ، ولا سبيلاً إلى معارضته .

والثاني — أنه لا يجوز انفراذه بها لولَد ولا والد حتى يُساوَرَ فيه أهل الاختيار فيروّنه أهلاً لها ، فيصح منه حينئذ عقد البيعة : لأن ذلك [منه] تركية [له] تجرى مجرى الشهادة ، وتقليده على الأمة يجري مجرى الحكم ؛ والشهادة والحكم ممنعان من الولد والوالد للثمة ، لما جيل عليه من الميل إليهما .

والثالث — أنه يجوز أن ينفرد بعقد البيعة لوالده دون ولده : لأن الطبع إلى الولد أميل ؛ فأما عقدُها لأخيه وغيره من الأقارب والمناسيين فكمقدها للأجانب في جواز الانفرد بها .

ومنها — أن ينبّه على العلم بحياة المعهود إليه وجوده إن كان غائبا . فقد قال الماوردي : إنه لو عهد إلى غائب مجهول الحياة لم يصحّ عهده ، وإن كان معلوم الحياة صح ، ويكون موقوفا على قدومه .

ومنها — أن ينبّه على أن المعهود إليه منصوص عليه بمفرده ، أو وقع العهد شورى في جماعة وأفضيت الخلافة إلى واحد منهم بإخراج الباقيين أنفسهم منها ، أو اختيار أهل الحل والعقد أحدهم : إذ يجوز للخليفة أن يعهد إلى اثنين فأكثر من غير تقديم البعض على البعض ؛ ويختار أهل الاختيار بعد موته واحداً من عهد إليه : فإن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جعلها شورى في ستة ، فقال : الأمر إلى علي وبازائه الزبير بن العوام ؛ وإلى عثمان وبازائه عبد الرحمن بن عوف ؛ وإلى طلحة وبازائه سعد بن أبي وقاص . فلما توفى عمر رضي الله عنه ، جعل الزبير أمره إلى علي ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف ؛ فخرج منها ثلاثة ، وبقيت شورى^(١) في عثمان وعلي ؛ ثم بايع علي عثمان . والمعنى في الشورى أنه لا يجوز أن يجعل الإمامة بعد العاهد في غير المعهود إليهم .

ومنها — أن ينبّه على عدد المعهود إليهم وترتيبهم إن كان قد رتب الخلافة في أكثر من واحد ، إذ يجوز أن يعهد إلى اثنين فأكثر على الترتيب . فلورتب

(١) أي بعد أن أخرج عبد الرحمن منها نفسه . وفي كتاب الأحكام السلطانية للماوردي فصارت الشورى بعد الستة في هؤلاء الثلاثة ونرج منها أولئك الثلاثة ثم بعد الثلاثة في اثنين علي وعثمان .

الخِلافةَ في ثلاثة مثلاً - فقال : الخليفةُ بعدى فلان ، فإذا مات ، فالخليفةُ بعده فلان ؛
 [فإذا مات فالخليفةُ بعده فلان] ^(١) كانت الخِلافةُ منتقلةً إليهم على ما رتبها . ففي صحيح
 البخارى من رواية ابنِ عمر رضى الله عنهما ” أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 اسْتَخْلَفَ عَلَى جَيْشِ مُؤَتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ - وقال : إِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
 فَإِنْ أُصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَإِنْ أُصِيبَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ رَجُلًا ، فَتَقَدَّمَ زَيْدٌ
 فَقُتِلَ ، فَاتَّخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ، فَاتَّخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ،
 فَاتَّخَذَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ” . قال الماوردى : وإذا جاز ذلك
 في الإمارة جاز مثله في الخِلافة . قال : وقد عَمِلَ بِذَلِكَ في الدولتين مَنْ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ
 أَحَدٌ من علماء العصر :

فعهد سليمانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إلى عمر بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثم بعده إلى يَزِيدَ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، وأقره عليه مَنْ عاصره من الناس ، وَمَنْ لَانَاخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ .
 وَرَتَّبَهَا الرَّشِيدُ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ بَنِيهِ : الْأَمِينِ ، ثُمَّ الْمَأْمُونِ ، ثُمَّ الْمُؤْتَمَنِ ، مِنْ غَيْرِ
 مَشُورَةٍ مِنْ عَاصِرِهِ مِنْ قُضَلَاءِ الْعُلَمَاءِ . ^(٢)

ولو قال العاهد : عَهِدْتُ إِلَى فُلَانٍ ، فَإِنْ مَاتَ فُلَانٌ بَعْدَ إِفْضَاءِ الْخِلافةِ إِلَيْهِ ،
 فَالْخليفةُ بعده فلان ، لم تصحَّ خِلافةُ الثَّانِي ، ولم ينعقدَ عَهْدُهَا : لِأَنَّهُ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْهِ
 فِي الْحَالِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ وَلِيًّا عَهْدِهِ بَعْدَ إِفْضَاءِ الْخِلافةِ إِلَى الْأَوَّلِ ، وَقَدْ يَمُوتُ قَبْلَ
 إِفْضَائِهَا إِلَيْهِ فَلَا يَكُونُ عَهْدُ الثَّانِي بِهَا مُتَبَرِّمًا .

ومنها - أَنْ يُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ صُدُورَ الْعَهْدِ فِي حَالِ تَقْوُذِ أَمْرِ الْعَاهِدِ وَجَوَازِ تَصَرُّفِهِ ،
 فَإِنَّهُ لَوْ أَرَادَ وَلِيُّ الْعَهْدِ قَبْلَ مَوْتِ الْعَاهِدِ أَنْ يُرَدَّ مَا إِلَيْهِ مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ إِلَى غَيْرِهِ

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٠ ويظهر أنها سقطت من قلم الناسخ .

(٢) في ” الأحكام السلطانية ” عن مشورة الخ حرر .

لم يُجْزَ : لأنَّ الخلافة لا تستقرُّ إلا بعد موت المستخلف . وكذا لو قال : جعلته ولىَّ عهدٍ إذا أفضتِ الخلافةُ إلىَّ لم يُجْزَ : لأنه ليس في الحال بخليفة ، فلم يصحَّ عهده بالخلافة .

ومنها — أن يُنبّه على قبول المعهود إليه العهدَ ، فإنه إذا عهد الإمام بالخلافة إلى من يصحُّ العهدُ إليه على الشروط المعتبرة فيه ، كان العهدُ موقوفاً على قبول المعهود إليه : فإن قيل صحَّ العهدُ وإلا فلا ، حتى لو امتنع من القبول بوسع غيره . والعبرة في زمن القبول بما بين عهد العاهد وموته على الأصح ، لتنتقل عنه الإمامة إلى المعهود إليه مستقرةً بالقبول المتقدم . وقيل : إنما يكون القبول بعد موت العاهد : لأنه الوقت الذي يصحُّ فيه نظرُ المعهود إليه .

ومنها — أن يُورد من وصايا العاهد للمعهود إليه ما يليق به . وقد ذكر الماوردي أن الذي يلزمه من أمور الأئمة عشرة أشياء :

أحدها — حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأئمة ، وأنه إن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه ، أوضح له الحجّة ، ويبيّن له الصواب ، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود : ليكون الدين محروساً من الخلل ، والأئمة ممنوعة من الزلل .

الثاني — تنفيذ الأحكام ، بين المتشاجرين ، وقطع الخصام ، بين المتنازعين ، حتى تعم النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

الثالث — حماية البيضة ، والدب عن الحرم : ليتصرف الناس في المعاش ، وينتشرُوا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال .

الرابع — إقامة الحدود لتُصان محارمُ الله تعالى عن الإِتهام ، وتُحفظَ حقوقُ عباده من الإِنتلاف والاستِهْلاك .

الخامس — تحصينُ الثُّغُورِ بِالْعُدَّةِ المانِعة ، والقُوَّةِ الدافِعة ، حتَّى لا يظفَرُ الأعداءُ بِفِرَّةٍ يَنْتَهِكُونَ بِهَا مَحَرَّمًا ، أو يَسْفِكُونَ فِيهَا مَسْلِمًا أو معَاهِدًا دِمًا .

السادس — جهادٌ مَن عَانَدَ الإسلامَ بعد الدَّعوة حتَّى يُسَلِّمَ أو يَدْخُلَ فِي الدِّمَّةِ : لِيَقَامَ بِحَقِّ الله تعالى فِي إِظْهَارِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ .

السابع — جِبَايَةُ الْفِيءِ وَالصَّدَقَاتِ عَلَى مَا أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ نَصًّا وَاجْتِهَادًا مِنْ غَيْرِ حَيْفٍ وَلَا عَسْفٍ .

الثامن — تَقْدِيرُ الْعَطَاءِ وَمَا يُسْتَحَقُّ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَقْتِيرٍ ، وَدَفْعُهُ فِي وَقْتٍ لَا تَقْدِيمَ فِيهِ وَلَا تَأْخِيرَ .

التاسع — أَسْتِكْفَاءُ الْأَمْنَاءِ ، وَتَقْلِيدُ النَّصَحَاءِ ، فِيمَا يَفُوضُهُ [إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ] ^(٢) وَيَكُلُّهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ : لَتَكُونَ الْأَعْمَالُ بِالْكَفَاةِ مَضْبُوتَةً ، وَالْأَمْوَالُ بِالْأَمْنَاءِ مُحْفُوظَةً .

العاشر — أَنْ يُبَاشِرَ بِنَفْسِهِ مُشَافَرَةَ الْأُمُورِ وَتَصَفَّحَ الْأَحْوَالِ : لِيَنْهَضَ بِسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ ، وَحِرَاسَةِ الْمِلَّةِ ؛ وَلَا يُعَوَّلَ عَلَى التَّفْوِيزِ تَسَاغُلًا بِلَذَّةٍ أَوْ عِبَادَةً ، فَهَذَا يَخُونُ الْأَمِينَ وَيُغْشِي النَّاصِحَ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . فَلَمْ يَقْتَصِرِ اللَّهُ

(١) يطلق الفى على الغنيمة والخراج والمراد هنا الثانى .

(٢) الزيادة من "الأحكام" .

تعالى على التفويض دون المباشرة ، بل أمره بمباشرة الحكم بين الخلق بنفسه .
وقد قال صلى الله عليه وسلم : ” كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ “ ولله درُّ
محمد بن يزيد وزير المأمون ، حيث قال مخاطباً له :

مَنْ كَانَ حَارِسَ دُنْيَا إِنَّهُ قَيْنٌ * أَنْ لَا يَنَامَ وَكُلَّ النَّاسِ تُؤَامُ !

وَكَيْفَ تَرْقُدُ عَيْنَا مَنْ تَضَيِّفُهُ * هَمَّانِ مِنْ أَمْرِهِ : حَلٌّ وَإِبْرَامُ !

وحيثذا فيجب على الكاتب أن يضمّن هذه الأمور العشرة في وصايا المعهود
إليه . وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في ” التعريف “ في وصية وليّ العهد
بالخلافة ومن في معناه من الملوك وولاة عهدهم هذه الأمور ممتزجة بأمور أخرى
من مهمات الملك وحسن تديره وسياسته .

قلت : إنما يحسن إيراد هذا كله في وصايا ولاة العهد إذا كان الأمر على ما كانت
الخلافة عليه أولاً من عموم التصرف ؛ أما الآن فالواجب أن يقتصر في وصاياهم
على حسن التأني في العهد بالسلطنة لمن يقوم بأعبائها ، وأن يكون ماتقدّم مختصاً
بوصايا الملوك في المعهود عن الخلفاء .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يتضمنه العهد)

وهذه نسخة طرة أنشأتها لينسج على منوالها ، وهي :

هذا عهد إمامي قد علّت جدوده ، وزاد في الارتقاء في العلياء صعوده ، وفصلت
بالجواهر قلائده ونظمت بنفيس الدرّ عقوده . من عبد الله ووليه الإمام المتوكل

على الله أبى عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر، بالخلافة المقدسة، لولده السيد الجليل ذخيرة الدين، وولى عهد المسلمين؛ أبى الفضل العباس : بلغه الله فيه غاية الأمل ، وأقر به عين الأمة كما أقر به عين أمير المؤمنين وقد فعل على ما شرح فيه .

الوجه الخامس

(فيما يكتب لأولياء العهد من الألقاب)

[وهو] كما سيأتى فى الطريقة الثانية من المذهب الأول مما يكتب فى متن العهد من كلام المقر الشهابى بن فضل الله فى " التعريف " أنه يقال فيه : الأمير السيد الجليل ، ذخيرة الدين ، وولى عهد المسلمين ؛ أبى فلان فلان . وفى المذهب الثالث فيما كتب به للمستوفى بن المستفى ما يوافق ، وقد تقدم أنه لا يقع فى ألقابهم إطناب ، ولا تعدد ألقاب ، فليقتصر على ذلك أو ما يشابهه .

الوجه السادس

(فيما يكتب فى متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا »)

مثل : « هذا ماعهد به فلان لفلان » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا كتاب آكتبه فلان لفلان » ونحو ذلك .

وللكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدمين)

وهي أن لا يأتي بحُطبة في أثناء العهد، ولا يتعرّض إلى ذكر أوصاف المعهود إليه والثناء عليه، أو يتعرّض لذلك باختصار؛ ثم يأتي بالوصايا؛ ثم يختتمه بالسلام أو بالدعاء أو بغير ذلك مما يناسب. وعلى ذلك كانت جهود السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، أتباعاً للصديق رضى الله عنه فيما كتب به لعمر بن الخطاب، كما تقدمت الإشارة إليه في الاستشهاد.

ونسخته فيما رواه البيهقي في "السنن" واقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل".

«هذا ماعهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن برّ وعدل فذلك ظني به، وإن بدّل أو غير فلا علم لي بالغيب، والخير أردت بكم، ولكل أمرئ ما آكتسب من الإثم: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾».

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" عن المدائني أنه حين دعا عثمان ابن عفان رضى الله عنه لكتابة العهد بالخلافة بعده قال: آكتب «هذا ماعهد أبو بكر بن أبي حنيفة في آخر عهده بالدنيا [نازحاً عنها] وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يتوب الفاجر، ويؤمن الكافر، ويصدق الكاذب؛ وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وقد استخلف» - ثم دهمته غشية فكتب عثمان: «عمر بن الخطاب». فلما أفاق، قال: أكتبته شيئاً؟ قال نعم عمر

ابن الخطاب . قال : « رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَمَا إِنَّكَ لَوَكَّيْتَنَ نَفْسَكَ لَكُنْتَ أَهْلًا لَهَا ، أَكْتُبُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَضِيَهُ لَكُمْ ، فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ ، وَإِنْ بَدَلَ فَلِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ ، وَالْخَيْرُ أَرَدْتُ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) » .

وعلى هذه الطريقة كُتِبَ عَهْدُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْخُلَافَةِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
وهذه نسخته فيما ذكره أَبُو قَتِيبَةَ فِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ :

هَذَا مَا عَهِدَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ .
عَهِدْتُ أَنَّهُ يَشْهَدُ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ؛ وَأَنْ مَجِّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعَثَهُ إِلَيَّ مُحْسِنِي عِبَادِهِ بِشِيرَا ، وَإِلَى مُذْنِبِيهِمْ نَذِيرَا . وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ حَقًّا : خَلَقَ الْجَنَّةَ رَحْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَالنَّارَ نِقْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ عَصَاهُ ؛ وَأَوْجَبَ الْعَفْوَ جُودًا وَكَرَمًا لِمَنْ عَفَا عَنْهُ . وَأَنَّ سُلَيْمَانَ مُقَرَّرٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَبِمَا تَعَلَّمَهُ نَفْسُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ؛ مُوجِبًا عَلَى نَفْسِهِ اسْتِحْقَاقَ مَا خَلَقَ مِنَ النِّقْمَةِ ، رَاجِيًا لِنَفْسِهِ مَا خَلَقَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَوَعْدَ مِنَ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَأَنَّ الْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا مَقْدُورَةٌ بِإِرَادَتِهِ ، مَكُونَةٌ بِتَكْوِينِهِ ؛ وَأَنَّهُ الْهَادِي فَلَا مُغْوِيٍّ وَلَا مُضِلٍّ لِمَنْ هَدَاهُ وَخَلَقَهُ لِرَحْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ يُفَتِّنُ الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ بِالسُّؤَالِ عَنْ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أُمَّتِهِ ، لَا مُنْجِيٍّ لِمَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا لِمَنْ اسْتَنْثَاهُ عِزَّ وَجَلَّ فِي عِلْمِهِ . وَسُلَيْمَانُ يُسْأَلُ اللَّهُ الْكَرِيمَ بِوَاسِعِ فَضْلِهِ ، وَعَظِيمِ مَنِّهِ ، الثَّبَاتَ عَلَى مَا سَرَّ وَأَعْلَنَ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِّهِ وَحَقِّ نَبِيِّهِ عِنْدَ

(١) كذا في الأصول بالنصب وكذلك وقع في كتاب الإمامة والسياسة لأبن قتيبة .

(٢) في كتاب الإمام والسياسة لأبن قتيبة «خيرها وشرها من الله وأنه هو الهادي الخ» .

مَسْأَلَةُ رُسُلِهِ ؛ وَالنَّجَاةَ مِنْ هَوْلِ فِتْنَةٍ قَتَانِيَةٍ . وَيَشْهَدُ أَنَّ الْمِيزَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ يَقِينٌ ، يَزِنُ سِيِّئَاتِ الْمُسِيئِينَ ، وَحَسَنَاتِ الْمُحْسِنِينَ : لِيُرَى عِبَادَهُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا أَرَادَهُ مِنَ [الْخَيْرِ] لِعِبَادِهِ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ؛ وَأَنَّ مِنْ ثَقُلَتِ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَئِذٍ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنَّ حَوْضَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمَوْقِفِ لِلْعَرْضِ حَقٌّ ، وَأَنَّ عِدَدَ آيَاتِهِ كُنُجُومِ السَّمَاءِ ، مِنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَسَلِيمَانَ يَسْأَلُ اللَّهُ بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ أَنْ لَا يُرَدَّهُ عَنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ عَطْشَانٌ . وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بَعْدَهُمَا حَيْثُ الْخَيْرُ وَفِيهِمَنْ الْخَيْرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . وَأَنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةُ كُلُّهَا الْمَذْكُورَةُ فِي عَهْدِهِ هَذَا يَعْلَمُهَا اللَّهُ مِنْ سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ وَعَقْدِ ضَمِيرِهِ ، وَأَنَّهُ بِهَا عَبْدٌ رَبِّهِ فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَمَاضِي عُمْرِهِ ، وَعَلَيْهَا أَتَاهُ يَقِينُ رَبِّهِ ، وَتَوَفَّاهُ أَجَلُهُ ، وَعَلَيْهَا يُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ كَانَتْ لَهُ بَيْنَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ بَلَايَا وَسِيَّئَاتٌ ^(١) لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْهَا تَحِييدٌ وَلَا بَدٌّ ، جَرَى بِهَا الْمَقْدُورُ مِنَ الرَّبِّ النَّافِذُ إِلَى إِتِمَامِ مَا حَدَّثَ ؛ فَإِنْ يَعْفُ وَيَصْفَحُ فَذَاكَ مَا عُرِفَ مِنْهُ قَدِيمًا وَنُسِبَ إِلَيْهِ حَدِيثًا ، وَتِلْكَ صِفَتُهُ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ ، وَكَلَامِهِ النَّاطِقِ ؛ وَإِنْ يُعَاقِبُ وَيَذَقِّمُ فَبِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ يُخْرِجُ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَهْدَهُ هَذَا وَسَمِعَ مَا فِيهِ مِنْ حِكْمَةٍ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَمُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنْ يَدَعَ الْإِحْنَ الْمُضْغَنَةَ ، وَيَأْخُذَ بِالْمَكَارِمِ الْمُدْجَنَةِ ؛ وَيَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ بِالضَّمِيرِ النَّصُوحِ وَالذِّعَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالصَّفْحِ الصَّرِيحِ ؛ يَسْأَلُهُ الْعَفْوَ عَنِّي ، وَالْمَغْفِرَةَ لِي ، وَالنَّجَاةَ مِنْ فَرَجِي وَالْمَسْأَلَةَ فِي قَبْرِي ، لَعَلَّ الْوُدُودَ ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْكُمْ مُجَابَ الدَّعْوَةِ بِمَا مِنْ اللَّهِ عَلَيَّ

(١) فِي كِتَابِ الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ « لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْهَا مَحِصٌ وَلَا دُونَهَا مَقْصَرٌ بِالْقَدْرِ السَّابِقِ وَالْعِلْمِ النَّافِذِ فِي مُحْكَمِ الْوَحْيِ فَإِنْ يَعْفُ » الخ .

من صفحه يعود؛ إن شاء الله. وأنّ وليّ عهد سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين، وصاحب أمره بعد موته، في جُنده ورعيته وخاصته وعامته؛ وكلّ من استخلفني الله عليه، واسترعاي النظر فيه، الرجل الصالح «عمر بن عبد العزيز» بن مروان ابن عمي، لما بلوت من باطن أمره وظاهره، ورجوت الله بذلك [وأردت] رضاه ورحمته إن شاء الله. ثم من بعده تُسلم إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان إن بقي بعده، فإنّي مارأيت منه إلّا خيرا ولا أطلعت له على مكروه. وصغار ولدي وكبارهم إلى عمر، إذ رجوت أن لا يألوهم رشدا وصلاحا؛ والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين وهو أرحم الراحمين؛ وأقرءوا عهدي عليكم السلام ورحمة الله. ومن أبي أمرى هذا أو خالف عهدي هذا - وأرجو أن لا يخالفه أحد من أمة محمد - فهو ضالّ مضلّ يُستعَب؛ فإنّ أعتَب وإلّا فإنّي لمن صاحب^(١) (?) عهدي فيهم بالسيف السيف والقتل القتل، فانهم مستوجبون لهم، وهم لهيته ملقحون، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان.

تم ذلك والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله.



وعلى نحو من ذلك كتب المأمون العباسيُّ عهدَ عليّ بن موسى العلويّ (المعروف بالرّضيّ) بالخلافة بعده.

وهذه نسخته فيما ذكر صاحب العقّد :

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده، لعلّي بن موسى بن جعفر وليّ عهده.

(١) في كتاب الامامة والسياسة « والا فالسيف والله المستعان » وهي واضحة.

أما بعد، فإن الله عز وجل أصطفى الإسلام ديناً، وأصطفى له من عباده رُسلًا
 دالّين عليه، وهادين إليه، يبشّرونهم بأجرهم، ويصدقّ عليهم ما ضيّم به حتى أتته
 نبوة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرُّسل، ودروس من العلم، وانقطاع
 من الوحي، وأقتراب من الساعة؛ فحتم الله به النبيين وجعله شاهدًا لهم، ومهيّئًا
 عليهم؛ وأنزل عليه كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
 تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. فأحلّ وحرّم، ووعد وأوعد؛ وحذّر وأنذر، وأمر به
 ونهى عنه؛ لتكون له الحجة البالغة على خلقه؛ و﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا
 مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما
 أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد والغلبة
 حتى قبضه الله إليه، وأختار له ما عنده صلى الله عليه وسلم من النبوة وختم
 الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة، جعل قوام الدين، ونظام أمر
 المسلمين، بالخلافة وإتمامها وعزّها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تُقام بها
 فرائض الله وحُدوده، وشرائع الإسلام وسُننه، ويُجاهد بها عدوه. فعلى خُلفاء الله
 طاعته فيما استَحفظهم وأسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خُلفائهم
 ومعاونتهم على إقامة حقّ الله وعدله، وأمن السبيل وحقّ الدماء، وصلاح ذات
 البين، وجمع الألفة؛ وفي إخلال ذلك اضطرابُ حبل المسلمين واختلالهم،
 واختلاف ملّتهم، وقهر دينهم، واستعلاء عدوهم، وتفرّق الكلمة، وخسران الدنيا
 والآخرة. فحقّ على من استخلفه الله في أرضه، وأثمنه على خلقه [أن] يؤثّر ما فيه
 رضا الله وطاعته ويعد [ل] فيما الله واقفه عليه وسائله عنه، ويحكم بالحق ويعمل
 بالعدل فيما حمّله الله وقلّده؛ فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام :

﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ . وقال عز وجل : ﴿قَوْرَبَكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .
وبلغنا أن عمر بن الخطَّاب قال : « لو ضاعت سَخْلَةُ بَجَانِبِ الْفُرَاتِ لَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهَا » . وأيم الله إنَّ المسئول عن خاصَّة نفسه ، الموقوف على عمله ، فيما بين الله وبينه ، لَمَتَّعُضُّ لَأَمْرٍ كَبِيرٍ ، وعلى خَطَرٍ عَظِيمٍ ، فكيف بالمسئول عن رعاية الأُمَّة ؛ وبالله الثَّقة ، وإليه الْمَفْزَعُ والرَّغْبَةُ في التوفيق مع العِصْمة ، والتَّسْديد والهداية إلى ما فيه ثُبُوتُ الْحُجَّةِ ، والفَوْزُ من الله بِالرَّضْوَانِ والرحمة . وأنظُرُ الأئمةَ لنفسه ، وأنصَحْهُمْ في دينه وعبادته وخلافته في أرضه ، مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَكُتِبَ لَهُ وَسَنَةٌ نَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدَّةِ أَيَّامِهِ ؛ وَاجْتَهَدَ وَاجْتَهَدَ رَأْيُهُ وَنَظَرَهُ فِيمَنْ يُؤَلِّيه عَهْدَهُ ، وَبِخْتَارِهِ لِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَرِدَائِهِمْ بَعْدَهُ ؛ وَيُنْصِبُهُ عَلَمًا لَهُمْ ، وَمَقَرَّعًا فِي جَمْعِ أَقْتَمِهِمْ ، وَلَمْ شَعْنِهِمْ ، وَحَقَّنْ دِمَائِهِمْ ، وَالْأَمْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ فُرْقَتِهِمْ ، وَفَسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ ، وَرَفَعَ نَزْعَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْعَهْدَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ تَمَامِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَكِمَالِهِ وَعِزِّهِ وَصَلَاحِ أَهْلِهِ ؛ وَأَلْهِمُ خُلَفَاءَهُ مِنْ تَوْسِيدِهِ لِمَنْ يَخَارُونَهُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَظُمَتْ بِهِ الْعَمَّةُ ، وَسَمِلَتْ مِنْهُ الْعَافِيَةُ ، وَتَقَضَّى اللَّهُ بِذَلِكَ مَرَّةً^(١) أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالْعَدَاوَةِ وَالسَّعْيِ فِي الْفُرْقَةِ وَالرَّفْضِ لِلْفِتْنَةِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ أَفْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ فَاخْتَبَرَتْ بَشَاعَةَ مَذَاقَتِهَا ، وَثَقَلَ تَحْمِلُهَا وَشَدَّةَ مَثَوِيَّتِهَا ؛ وَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ تَقَلَّدَهَا مِنْ أَرْتِبَاطِ طَاعَةِ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ فِيمَا حَمَّلَهُ مِنْهَا ؛ فَأَنْصَبَ^(٢)

(١) في اللسان ج ٧ ص ١٥ « المرفطح الميم الحبل » .

(٢) أى تركها تسير في الناس ، ففي اللسان الرِّفْضُ أَنْ يَطْرُدَ الرَّجُلَ عَنْهُ وَابِلَهُ إِلَى حَيْثُ يَهْوَى فَاذَا بَلَغَتْ لَهَا عَنْهَا وَزَكَاهَا .

(٣) لعله ناظرًا فيها بما يقتضيه منصبها وما يجب الخ وبه يستقيم الكلام بعد تأمل .

بدنه، وأسهر عينه؛ وأطال فكره فيما فيه عز الدين، وقمع المشركين؛ وصلاح الأمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة؛ ومنعه ذلك من الخفض والدعة بهني العيش: علما بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقي الله مناجته في دينه وعباده، ومختارا لولاية عهده، ورعاية الأمة من بعده، أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه، وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه؛ مناجيا لله بالاستخارة في ذلك، ويسأله إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره، ومعملا في طلبه واتباعه من أدل بيته من ولد عبد الله ابن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، ومقتصرا فيمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغا في المسألة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته، حتى استقصى أمورهم بمعرفته، وأبتلى أخبارهم مشاهدة، وكشف ما عندهم مسألة؛ فكانت خيرته بعد استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده، من البيتين جميعا «علي بن موسى بن جعفر» بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: لما رأى [من] فضله البارِع، وعلمه الناصع؛ وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتحميه من الدنيا، وتساميه من الناس؛ وقد استبان له ما لم تبي الأخبار عليه متواطئه، والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة؛ ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا وناشئا، وحدنا ومكتحلا؛ فعقد له بالعقد والخلافة إيثارا لله والدين، ونظرا للمسلمين، وطلباً للسلامة وثبات الحجّة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرَبِّ العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصته، وقواده، وخدমে، فبايعوه مسرعين مشرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو أشبك به رحما وأقرب قرابة، وسمّاه «الرضي» إذ كان رضىا عند أمير المؤمنين.

فبأيُّعوا مُعَشَّرِيَّتِ أمير المؤمنين وَمَنْ بالمدينة المحروسة من قُوَّاده وجُنَّده، وعامة المسلمين « الرِّضَى » من بعده ، على أَسْمِ الله وبركته وحُسْنِ قضائِهِ لدينه وعبادِهِ ؛ بيعةً مبسوطةً إِلَيْهَا أيديكم ، منسَحِرَةً لَهَا صدُورُكم ، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وآثَر طَاعَةَ الله والنظرَ لِنَفْسِهِ ولكم فيها ، شاكرينَ لله على ما أَلْهَمَ أمير المؤمنين من نَصَاحَتِهِ في رِعايَتِكُمْ ، وحرصه على رُشْدِكُمْ وصَلاحِكُمْ ، راجينَ عائِدَهُ في ذلك في جمع أُلُفَّتِكُمْ ، وحُسنِ دِماءِكُمْ ، وَلَمْ شَعْنِكُمْ ، وسَدِّ نُغُورِكُمْ ، وقُوَّةِ دينِكُمْ ، ورَغَمِ عدوِّكم ، وأَسْتِقَامَةِ أُمُورِكُمْ . وسارِعُوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فَإِنَّهُ الأَمْرُ إن سارِعْتُمْ إِلَيْهِ ، وَحِدْتُمْ اللَّهَ عَلَيْهِ ؛ عَرَفْتُمْ الحِطَّ فِيهِ . إن شاء الله تعالى .



وعلى هذه الطريقة كتب الوزير أبو حفص بن بُرْد عَهْدَ الناصر لدين الله عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر العاصريّ ، عن المؤيَّد بالله هشام بن الحكم الأمويّ ، الخليفة بالأندلس . وهذه نسخته :

هذا ما عَهَدَ هشامُ المؤيَّد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامَّةً ، وعاهدَ الله عليه من نَفْسِهِ خاصَّةً وأعطى به صَفْقَةً يمينه ببيعة تامَّةً ؛ بعد أن أنعمَ النظرَ وأطالَ الاستِخارةَ وأهمَّه ما جعل الله إِلَيْهِ من الإمامة ؛ وعَصَبَ به من أمر المؤمنين ، وأتقَى حُلُولَ القَدَرِ بما لا يُؤْمَنُ ، وخافَ نُزُولَ القضاء بما لا يُصَرَفُ ، وَخَشِيَ أنْ يَحمَ محتومُ ذلك عليه ، ونزلَ مقدُّورُهُ به ، ولم يرفعْ لهذه الأُمَّةَ علماً تأوَّى إِلَيْهِ ، ومَلْجَأً تنعِطِفُ عليه ، أنْ يَكُونَ يلقى رَبَّهُ تبارك وتعالى مفرطاً ساهياً عن أداء الحقِّ إِلَيْهَا ؛ وَيُغْمَصَ عند ذلك من أحياء قُرَيشٍ وغيرها من يَسْتَحِقُّ أن يُسَنَدَ هذا الأَمْرُ إِلَيْهِ ، وَيُعَوَّلَ في القيام به عليه ؛ ويستوجبُه بدينه وأمانته ، وهُدْيِهِ وصِيانَتِهِ ؛

بعدَ أطراح الهوى والتحرى للحق ، والتزلف إلى الله جلّ جلاله بما يُرضيه .
وبعد أن قطع الأواصر ، وأنشط الأقارب ؛ فلم يجد أحداً أجدر أن يوليّه عهده ،
وفوض إليه الخلافة بعده : لفضل نفسه ، وكرم خيمه ، وشرف مرتبته ، وعلو
منصبه ؛ مع ثقاه وعفافه ، ومعرفته وحزمه وتقواه ؛ من المأمون العيب ، الناصح
الحبيب «أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور» أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه
الله ؛ إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله - أبتلاه واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ؛
فراه مسارعاً في الخيرات ، سابقاً في الحلبات ؛ مستولياً على الغايات ، جامعاً للأثرات ؛
ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ؛ فلا غرو أن يبلغ من سبيل البر مداه ،
ويجوى من خلال الخير ماحواه ؛ مع أن أمير المؤمنين - أيده الله - بما طالعه من
مكنون العلم ، ووعاه من مخزون الأثر ؛ يرى أن يكون وليّ عهده القحطاني الذي
حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة : «أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من خطان يسوق الناس بعصاه " فلما
استوى له الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ؛ [و] لم يجد عنه مذهباً ، ولا إلى غيره
معدلاً ، صرح إليه في تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ؛ طائعا
راضياً مجتهداً ، وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازاه وأنفذه ، ولم يشترط فيه مشيئة
ولا خياراً ؛ وأعطى على الوفاء به في سرّه وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه ،
وزمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذم الخلفاء الراشدين من آبائه ؛ وذمة نفسه :
أن لا يبدل ، ولا يغير ، ولا يحول ، ولا يزول ؛ وأشهد الله على ذلك والملائكة
(وكفى بالله شهيدا) . وأشهد من أوقع اسمه في هذا ، وهو جائز الأمر ، ماضى
القول والفعل ، بحضرم وليّ عهده المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور
وفقّه الله ، وقبوله ما قلّده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ؛ وذلك في شهر ربيع الأول

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . وكتبَ الوزراءُ والقضاةُ وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم بذلك .

الطريقة الثانية

(طريقة المتأخرين من الكُتَّاب)

أن يأتي بالتحميد في أثناء العهد، ويأتي من ألقاب ولي العهد بما يناسب على الاختصار؛ وعليها أقصر المقر الشَّهَابِي بن فضل الله في "التعريف" فقال : وأعلم أنَّ عهود الخلفاء عن الخلفاء لم تجر عادة من سلف من الكُتَّاب أن يستفتحها إلا بما يذكر، وهو :

« هذا ما عهد [به] عبد الله ووليه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، عهد إلى ولده، أو [إلى] أخيه الأمير السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين أبي فلان فلان، أيده الله بالتمكين، وأمدّه بالنصر المبين، وأقر به عين أمير المؤمنين » . ثم يُنْفِق كل كاتب بعد هذا على قدر سعته، ثم يقول :

« أما بعد، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويصلّي على نبيه محمّد صلى الله عليه وسلم » ويخطب في ذلك خطبة يُكثّر فيها التحميد وينتهي فيه إلى سبعة؛ ثم يأتي بعد ذلك بما يُناسب من القول : يصف فكر الذي يعهد فيمن بعده؛ ويصف المعهود إليه بما يليق من الصفات الجليلة . ثم يقول : « عهد إليه وقلده بعده جميع ما هو مقلده، لما رآه من صلاح الأمة، أو صلاح الخلق، بعد أن استحار الله تعالى في ذلك، ومكث مدة يتدبّر ذلك ويروى فيه فكره وخاطره، ويستشير أهل الرأي والنظر، فلم ير أقوم منه بأمور الأمة ومصلح

الدنيا والدين» ومن هذا ومثله ؛ ثم يقال : «إنَّ المعهودَ إليه قِيلَ ذلك منه» ويأتى في ذلك بما يليق من محاسن العبارة وأحاسين الكلام .

قلت : ولم أظفر بنسخة عهدٍ على هذا الأسلوب الذى ذكره المقرُّ الشهابي ؛ وقد أنشأت عهداً على الطريقة التى أشار إليها ، امتحاناً للخاطر : لأنَّ يكونَ عن الإمام المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد أبى الفتح أبى بكر ، خليفة العصر ، لولده العباس : ليكونَ أُمُودَجا يُنسَج على مِنواله .

ومن غريب الاتفاق أنى أنشأته فى شُهور سنةٍ إحدى وثمانمائة امتحاناً للخاطر كما تقدّم ، وضمّته هذا الكتابَ وتمادى الحالُ على ذلك إلى أن قبَضَ الله تعالى الإمامَ المتوكل - قدس الله تعالى رُوحه - فى سنة ثمان وثمانمائة ؛ فأجمع أهلُ الحلِّ والعقد على مبايعته بالخلافة ؛ فبايعوه وحققَ الله تعالى ما أجراه على اللسان من إنشاء العهد باسمه فى الزمن السابق ؛ ثم دعَتْنى داعيةٌ إلى التمثل بين يديه الشريفتين فى مستهلِّ شهرِ ذى القعدة الحرام سنة تسع وثمانمائة ، فقرأته عليه من أوله إلى آخره ، وهو مُضغ له مظهرُ الآتِهاج به ؛ وأجاز عليه الجائزة السنية . ثم أنشأت له رسالةً وضمّنته إياها وأوِعتُ بخزانته العالية عمرها الله بطول بقائه .

وهذه نسخته :

هذا عهدٌ سعيدُ الطالع ميمونُ الطائر ، مباركُ الأوّل جميلُ الأوسط حميدُ الآخر ؛ تشهد به حضراتُ الأملاك ، وترقُّه كَفُ الثرى بأقلام القبول فى صحائف الأفلاك ؛ وتُباهى به مُلوكُ الأرض ملائكة السماء ، وتسرّى بنشره القبولُ إلى الأقطار فتشّره بكلِّ ناحيةٍ علما ، وتطلّع به سعادةُ الجَدِّ من مُلوك العَدْل فى كلِّ أفقٍ نجما ، وترقُص من فرحها الأنهار فتتقطّطها شمسُ النهار بذهب الأصيل على صَفحاتِ الماء ؛ عهدٌ به

عبدُ الله وولِيه أبو عبد الله محمدُ المتوَكِّلُ على الله أميرُ المؤمنين إلى ولده السيد
الجليل عُدَّة الدين وذخيرته ، وصَفِيَّ أمير المؤمنين من ولده وخيرته ، المستعين بالله
أبي الفضل العباس بلغ الله فيه أمير المؤمنين غاية الأمل ، وأقرب به عين الخلافة
العباسية كما أقرب به عين أبيه وقد فعل .

أما بعدُ ، فالحمد لله حافظ نظام الإسلام وواصل سببه ، ورافع بيت الخلافة
وماذ طنبه ، وناظم عقد الإمامة المعظمة في سلك بني العباس وجاعلها كلمة باقية
في عقبه .

والحمد لله الذي عَدَّقَ أمرَ الأمة منهم بأعظمهم خطراً ، وأرفعهم قدراً ،
وأرجحهم عقلاً وأوسعهم صدراً ، وأجزلهم رأياً وأسلمهم فكراً .

والحمد لله الذي أقتر عين أمير المؤمنين بخير ولي وأفضل ولد ، وشد أزره بأكرم
سيد وأعز سند ، وصرف اختياره إلى من إذا قام بالأمر بعده قيل هذا الشبل
من ذاك الأسد .

والحمد لله الذي جمع الآراء على اختيار العاهد فما قلوه ولا رفضوه ، وجبل
القلوب على حب المعهود إليه فلم يروا العدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمد لله الذي جدد للريعية نعمة مع بقاء النعمة الأولى ، وأقام لأمر الأمة من
بني عم نبيه المصطفى الأولى بذلك فالأولى ، واختار لعهد المسلمين من سبقت إليه
في الأزل إرادته فأصبح في النفوس معظماً وفي القلوب مقبُولاً .

والحمد لله الذي أضحك الخلافة العباسية بوجود عباسها ، وأطاب بذكره رايها
فتعطر الوجود بطيب أنفاسها ، ورفع قدره بالعهد إليه إلى أعلى رتبة مئيفه ،

(١) وَخَصَّهُ بِمِشَارَكَةِ جَدِّهِ الْعَبَّاسِ فِي الْإِسْمِ وَالْكُنْيَةِ فَفَازَ بِمَا لَمْ يُفْزَ بِهِ قَبْلَهُ مِنْهُمْ سِتُّ وَأَرْبَعُونَ خَلِيفَةً .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى الْكَافَّةِ طَاعَةَ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنَ الْأُتَمَّةِ ، وَأَرْزَمِهِمُ الدُّخُولَ فِي بَيْعَةِ الْإِمَامِ وَالْإِتْقِيَادَ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ فَكَيْفَ بَيْنَ أَجْمَعٍ عَلَى سُودَدَةِ الْأُتَمَّةِ ، وَأَوْصَحَ السَّبِيلَ فِي التَّعْرِيفِ بِمَقَامِ الْآلِ وَالْعِتْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ﴿فَلَا يُكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا مَنَحَهُ مِنْ طَيِّبِ أُرُومَةٍ سَمَّتْ أَصْلًا وَزَكَتْ فَرْعًا ، وَحَبَّاهُ مِنْ شَرَفٍ مُحْتَدٍ رَاقٍ نَظَرًا وَشَاقٍ سَمْعًا ، وَوَصَلَهُ بِهِ مِنْ نِعَمٍ آثَرَتْ نَفَاقًا وَأَثَرَتْ نَفْعًا ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَوَارَثُونَهَا كَالْخِلَافَةِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَيُوصَى بِهَا أَبَدًا الْأَوَّلُ مِنْهُمْ الْآخِرُ ، وَيُؤْذَنُ قِيَامُهُمْ بِنُصْرَتِهَا أَنَّهُمْ مَعْدَنُ جَوْهَرِهَا النَّفِيسِ وَنِظَامُ عَقْدِهَا الْفَاحِشِ ، وَيَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الَّذِي خَصَّ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ بِكَرِيمِ الْحَبَاءِ وَشَرِيفِ الْإِنَافَةِ ، وَنَبَّهَ عَلَى بَقَاءِ الْأَمْرِ فِي بَيْتِهِ بِقَوِيٍّ ضَلَّ مَنْ أَظْهَرَ عِنَادَهُ أَوْ أَضْمَرَ خِلَافَهُ ، حَيْثُ أَسْرَّ إِلَيْهِ : ” أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ بِي خُتْمِ النَّبُوَّةِ وَبَوْلَدِكَ تُخْتَمُ الْخِلَافَةُ “ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَوةً تَعْمُ بَرَكَتُهَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، وَيَشْمَلُ مَعْرُوفُهَا الْمَعْهُودَ إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ شَرَفُهَا الْعَاهِدَ ، وَيَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا الْمَقْرُوءَ وَلَا يَسْعُ إِنْكَارُهَا الْجَاهِدَ ، مَانُوهُ بِذِكْرِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَائِرِ ، وَخَفَقَتِ الرَّايَاتُ السُّودُ عَلَى عَسَاكِرِ الْمَوَاكِبِ وَمَوَاكِبِ الْعَسَاكِرِ ، وَسَلَّمَتْ سَلَامًا كَثِيرًا .

(١) ذَكَرَ اسْمَ الْعَدَدِ عَلَى حَدِّ مَا أُنْشِدَهُ الْفَرَاءُ .

أَبُوكَ خَلِيفَةً وَلَدَتْهُ أُخْرَى * وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَلِكَ الْكَمَالِ

هذا وكل راجع مستؤول عن رعيته ، وكل أمرئ مجبول على نيته ، مخبر بظاهرة
عن جميل ما أكنه في صدره وما أسرّه في طويته ؛ والإمام منصوب للقيام بأمر الله
تعالى في عبادته ، مأمور بالنصيحة لهم جهده طاقته وطاقته اجتهداه ، مطلوب بالنظر
في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبدء أمرهم ومعاذ ؛ ومن ثم اختلفت آراء
الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت مقاصدُهم ، وتوَعَّتِ اختياراتُهم بحسب
الاجتهاد واختلفت مواردُهم ؛ فعهد الصديق إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
متبثنا ، وتركها عمر شورى في ستة وقال : « اتحمل أمركم حيا وميتا ! » وأتى
رضى الله عنه لكل من المذهبين بما أذعن له انلخص وسلم ، فقال : « إن أعهد فقد
عهد من هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى
الله عليه وسلم » فأخذ الخلفاء في ذلك بستئهما ، ومشوا فيه على طريقتهما ؛ فن
راغب عن العهد وراغب فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أو أخيه ؛ كل
منهم بحسب ما يؤدى إليه اجتهداه ، وتقوى عليه عزيمته ويترجح لديه أعتاده .

ولما كان أمير المؤمنين - أحسن الله مآبه - قد نور الله عين بصيرته ، وخصه
بطهارة سيره وصفاء سيرته ؛ وآناه الله الملك والحكمه ، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح
أمر الأمة ؛ وعلمه مما يشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم ، وأصطفاه على
أهل عصره وزاده بسطة في العلم والجسم ؛ فلا يعزم أمرا إلا كان رشادا ، ولا يعتمد
فعلا إلا ظهر سدادا ؛ ولا يترقب رأيا إلا ألغى صوابا ، ولا يشير بشيء إلا أحدث
آثاره بداية ونهاية واستصحبها ؛ ومع ذلك فقد بلا الناس وخبرهم ، وعلم بالتجربة
حالمهم وخبرهم ، وأطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم ، وما به مصلحة خاصتهم
وجمهورهم ؛ وترجح عنده جانب العهد على جانب الإهمال ، ورأى المبادرة إليه أولى
من الإهمال ؛ ولم يزل يروى فكرته ، ويعمل رويته ؛ فيمن يصلح لهذا الأمر

بعده ، وينهض بأعبائه الثقيلة وحده ، ويتبع فيه سبله ويسلك طرائقه ، ويقفنى في السيرة الحسنة أثره ويشيم في العدل بوارقه ؛ ويقبل على الأمر بكتيته ويقطع النظر عما سواه ، ويتفرغ له من كل شاغل فلا يخلطه بما عداه .

وقد علم أن الأحق بأن يكون لها حليفاً من كان بها خليفاً ، والأولى بأن يكون لها قريناً من كان بوصلها حقيقاً ، والأجدر أن يكون لديها مكيماً من آتخذ معها يداً وإلى مرضاتها طريقاً ؛ والأليق بمنصبها الشريف من كان بمطلوبها ملياً ، والأحرى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وفياً ، والأوفق لمقامها العالى من كان خيراً مقاماً وأحسن ندباً ؛ وكان ولده السيد الأجل أبو الفضل المشار إليه هو الذى وجهت الخلافة وجهها إلى قبلته ، وبالغت في طلبه وألحت في خطبته ؛ على أنه قد أُرْضِعَ بلبانها وربى في حجرها ، وأنسب إليها بالبنوة فضمته إلى صدرها ، وكيف لا تنتشبت بجباله ، وتتعلق بأذياله ، وتطمع في قربه ، وتتعالى في حبه ؛ وتميل إلى أنسه ، وتراوده عن نفسه ، وهو كفؤها المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتها ، ونسيبها السامى إلى أعاليها الراقى على شرفاتها ؛ إذ هو شبلها الناشئ في آجامها ، بل أسدها الحامى لحماها ، ومجيرها الوافى بذمامها ، وفارسها المقدم في حلبة سباقها ووارثها الخائر لجميع سهامها ؛ وحاكمها الطائع لأمرها ، ورشيدها المأمون على سرها ، وناصرها القائم بواجبها ، ومهديها الهادى إلى أفضل مآزيرها ؟ قد ألحفت من الخلافة بردائها ، وسكن من القلوب في سويدائها ، وتوسمت الآفاق تفويض الأمر إليه بعد أبيه فظهر الخلق في أرجائها ؛ وأتبع سيرة أبيه في المعروف وأقتفى أثره في الكرم ، وتشبه به في المفارح (ومن يشابه أبه فما ظلم) وتقبل الله دعاء أبيه فوهب له من لدنه ولياً ، وأجاب نداءه فيه فكان له في الأرض وآتاه الحكم صبيّاً ، فاستوجب أن يكون حينئذٍ للمسلمين ولياً عندهم ، والياً على أمورهم في حلهم وعقدهم ، متكفلاً بالأمر في قربه وبعده ،

مُعِينًا لِأَيِّسِهِ فِي حَيَاتِهِ خَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَأَنْ يَصْرِّحَ لَهُ بِالِاسْتِخْلَافِ وَيُوضِّحَ ،
وَيَتَلَوَّ عَلَيْهِ بِلِسَانِ التَّفْوِيزِ ﴿ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾ .

وَأَقْتَضَتْ شَفَقَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْفَتُهُ ، وَرِفْقُهُ بِالْأُمَّةِ وَرَحْمَتُهُ ؛ أَنْ يَنْصَبَ لَهُمْ
وَلِيَّ عَهْدٍ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مُتَّصِفًا ، وَمِنْ بَحْرِهِ الْكَرِيمِ مُغْتَرِفًا ، وَمِنْ ثِمَارِ مَعْرُوفِهِ
الْمَعْرُوفِ مُقْتَطِفًا ؛ وَلِتَنْهَلَهُ الْعَذْبُ وَإِرْدَا . وَعَلَى بَيْتِهِ الشَّرِيفِ وَسَائِرِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
عَائِدًا ؛ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ هُوَ مُسْتَكْمَلٌ لْجَمِيعِهَا ، مُسْتَوْعِبٌ لِأَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا ؛ وَهُوَ بِمَطْلُوبِهَا
أَمْلَى ، وَعَلَى قُلُوبِ الرِّعْيَةِ أَحْلَى ؛ وَلِلْغَلِيلِ أَشْفَى ، وَبِالْعَهْدِ الْجَمِيلِ أَوفَى ؛ مِنْ وَلَدِهِ
الْمُشَارِ إِلَيْهِ . فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ، وَأَمْرَائِهِ
وَوُزَرَائِهِ ، وَخَاصَّتِهِ وَذَوِيهِ ، وَأَقَارِبِهِ وَبَنِيهِ ، وَأَعْيَانُ أَهْلِ الْعَصْرِ وَعَامَّتُهُ ، وَجُمْهُورِهِ
وَكَافَّتِهِ ؛ فَرَأَوْهُ صَوَابًا ، وَلَمْ يَعْرِهُمْ فِيهِ ظَنَّةٌ وَلَا مُسْتَرَابًا ، وَلَا وَجَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى بَابِ
غَيْرِهِ طَرِيقًا وَلَا إِلَى طَرِيقِ غَيْرِهِ بَابًا ؛ فَاسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَأَقْبَلَ خَاطِرُهُ الشَّرِيفُ
عَلَيْهِ ، وَكَرَّرَ الِاسْتِخَارَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَحِيدًا إِلَّا إِلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ أَنْعَقَدَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَعُدِمَ فِيهِ الْمَخَالَفُ
بَلْ لَمْ يَكُنْ أَصْلًا ؛ حَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ التَّوْفِيقَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ ؛ وَجَدَّ
الِاسْتِخَارَةَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَقَلَّدَهُ مَا هُوَ مُتَقَلِّدُهُ مِنْ اخْتِلَافَةِ الْمُقَدَّسَةِ بَعْدَهُ
عَلَى عَادَةٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ ، وَقَاعِدَةٍ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ؛
وَفَوْضَ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا ، وَأَصُولِهَا وَمَعَالِمِهَا : مِنْ عَهْدٍ وَوَصَايَاهُ ،
وَعَزْلِ وَوَلَايَاهُ ؛ وَتَفْوِيزٍ وَتَقْلِيدٍ ، وَاتِّزَاعٍ وَتَحْلِيدٍ ؛ وَتَفْرِيقٍ وَجَمْعٍ ، وَإِعْطَاءٍ
وَمَنْعٍ ، وَوَصْلٍ وَقَطْعٍ ؛ وَصِلَةَ وَإِذْرَارٍ ، وَتَقْلِيلٍ وَإِكْثَارٍ ؛ جُزْئِيًّا وَكُلِّيًّا ، وَخَفِيًّا

وجليها ؛ ودانها وقاصيها ، وطائعها وعاصيها ؛ تفويضاً شرعياً ، تاماً مرضياً ، جامعاً لأحكام الولاية جمعاً يعم كل نطاق ، ويسرى حكمه في جميع الآفاق ، ويدخل تحته سائر الأقاليم والأمصار على الإطلاق ؛ لا يغير حكمه ، ولا يغيّر رسمه ؛ ولا يطمش سبهم ، ولا يافل نجمه .

قبل المعهود إليه - أعلى الله مقامه - ذلك بمحض من القضاة والحكام ، والعلماء الأعلام ؛ ولزم حكمه وأثرهم ، وكتب في سبيلات الأفلاك وأرسم ، وحملت رسائله مع برد السحاب فطافت به على سائر الأمم ؛ وهو - أبقاه الله - مع ما طبع عليه طباعه السليمة ، وجلبت عليه سجاياه الشريفة وأخلاقه الكريمة ؛ قد تلقى عن أمير المؤمنين من شريف الآداب ما عُدّي به في مهده ، وتلقف منه من حسن الأدوات ما يرويه بالسند عن أبيه وجده ؛ مما أنطبع في صفاء ذهنه الصّقل وأنقش في فهمه ، واختلط من حال طفولته بدمه ولحمه وعظمه ؛ حتى صار طبعا ثانيا ، وخلقا على ممر الزمان باقيا ؛ واجتمع لديه الغريزى فكان أصلا ثابتا ، وفرعا على ذلك الأصل القوى ثابتا ؛ لكن أمير المؤمنين يوصيه تبركا ، ويشرح له ما يكون به - إن شاء الله - متمسكا ؛ والمرء إلى الأمر بالخير مندوب ، ووصية الرجل لبينه مطلوبة فقد قال تعالى : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ .

فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجح ، و [اجعل] التقوى رأس مالك : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ والجا إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لحا ؛ وكتب الله هو الحبل المتين ، والكتاب المبين ؛ والمنهج القويم ، والسبيل الواضح والصراط المستقيم ؛ فتمسك منه بالعروة الوثقى ، وأسلك طريقته المثلى وأهتد بهديه فلا تضل ولا تأسق ؛ وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالإقتداء بأفعالها الواضحة ، والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة ؛ عالما بأن الكتاب والسنة أخوان لا يفترقان ،

وَمُتَلَا زِمَانٍ بِجَبَلِ التَّبَائِنِ لَا يَعْتَا قَانُ ، وَالْإِلَادَ وَالرَّعَايَا خُطُوهَا بَنَظْرَكَ مَا اسْتَطَعْتَ ،
وَتَشَبَّتَ فِي كُلِّ قَطْعٍ وَوَصَلَ فَأَنْتَ مُسْتَوِلٌ عَنْ كُلِّ مَا وَصَلَتْ وَقَطَعْتَ ، وَالْآلَ
وَالْعِتْرَةَ النَّبَوِيَّةَ فَفِيهِمَا حَقُّ الْقَرَابَةِ مِنْكَ وَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
أَشْرَقَتْ بِهِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا أَكْرَمْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنَّمَا أَكْرَمْتَهُ بِسَبَبِهِ ، وَأَتَّبَعَ فِي السَّيْرِ
سِيرَةَ آبَائِكَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَا تَزْغُ عَنْهَا ، وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا بِهَا وَبِمَا هُوَ - إِنْ
اسْتَطَعْتَ - خَيْرٌ مِنْهَا ، وَأَقِفْ فِي الْمَعْرُوفِ أَنَا رَهُمُ الْمُقَدَّسَةِ لِنَحْوِي مِنَ الْمَأْثِرِ مَاحَوْوًا ،
وَأَحْذِ حَذْوَهُمْ فِي طَرِيقِهِمُ الْمُبَارَكَةِ وَأَبْنِ الْمَجْدَ كَمَا بَنَوْا ، وَأَحْيِ مِنَ الْعَمَلِ سُنَّةَ سَلَفِكَ
الْمُصْطَفِيِّ الْأَخْيَارِ ، وَأَحْرِضْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأُتَمَّةِ الَّذِينَ يُظَاهِمُ اللَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ :
﴿ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .
وَأُسَلِّفْ خَيْرًا تُذَكِّرُ بِهِ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي ، وَيَنْتَظِمُ ذِكْرُهُ فِي عُقُودِ الْأَيَّامِ كَمَا تَنْتَظِمُ فِي السَّلَكِ
الْأَلَا لِي ، وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ وَجْهَ اللَّهِ لِيَكُونَ فِي نُصْرَتِكَ فَإِنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نُصْرَتِهِ
لَا يُبَالِي ، وَلِتَعْلَمَ حَقَّ الْيَقِينِ أَنَّ حَسَنَةَ الْإِمَامِ تُضَاعَفُ بِحَسَبِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ
الْمَصَالِحِ أَوْ يَتَجَدَّدُ بِسَبَبِهَا ، وَسَيِّئَتُهُ كَذَلِكَ فَمَنْ سَنَّ سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ لِمُئْمِنِهَا وَإِثْمٌ مِنْ
عَمَلِهَا ، وَدُرٌّ مَعَ الْحَقِّ كَيْفَ دَارَ وَمِلٌّ مَعَهُ حَيْثُ مَالٌ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا يَقُومُ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَأْنَفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَالٍ ، وَلَا تُحْطَرُ بِبَالِكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ آتَى إِلَيْكَ بِقُوَّةٍ ، أَوْ يَغُرَّكَ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ
النَّاءِ عَلَيْكَ فَالْثَّأْرُ بِالْمَدْحِ يُحِلُّ بِالْمُرُوءَةِ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى نَسَبِكَ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَدْخَلَهُ
الْجَنَّةَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ وَلَوْ كَانَ هَاشِمِيًّا قُرَشِيًّا ، وَاسْتَنْصِرْ
اللَّهَ يَنْصُرَكَ وَاسْتَعِزْ بِهِ يَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَظَهِيرًا ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا
وَنَصِيرًا ﴾ وَكُنْ [مِنْ] اللَّهِ حَافِظًا وَمِنْ مَكْرِهِ مِنَ الْمُشْفِقِينَ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينَ .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، ووصيتهُ ثملى عليك ؛ ﴿ وَذَكَرْنَاكَ اللَّهُ كَرِيًّا
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ والله تعالى يبلغه منك أملاً ، ويحقق فيك علماً ويزكي بك عملاً ؛
والاعتمادُ على الخطِّ المقدس الإمامي المتوكلِّ - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، حجة فيه
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(أن يفتتحَ العهدَ بعد البسملة بلفظ « من فلان إلى فلان » كما يُكتبُ في المكاتبات
ثم يأتي بالبعدية ويأتي بما يناسبه مما يقتضيه الحال من ذكر الولاية ،
ووصف المتولى ، واختيار المولى له ونحو ذلك)
ثم قاعدةُ كتابهم أنهم يأتون بعد ذلك بالتحديد في أثناء العهد .

وهذه نسخةُ عهدٍ من ذلك ، كُتِبَ بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي ، ولولده
حيدرة بأن يكونَ وليَّ عهد الخلافة بعده ؛ وليس فيها تعرضٌ لتحديد أصلاً ، وهو .
من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى ولده ونجله ، وسلالته الطاهرة ونسله ، وأجمع على شرفه والعامل بمرضاة
الله في قوله وفعله ، وعقده وحله ؛ الأمين أبي تراب حيدرة ، ولي عهد
أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلام عليك : فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويسأله أن
يصلّي على جدّه محمّد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ،
الأئمة المهديّين ؛ وسلّم تسليماً .

أما بعدُ ، فإنَّ الله تعالى لبديع حكيمته ، ووسيع رحمته ، استودعَ خلفاءه من خلقه
وبرأه ، واستكفى أمانه من صورهِ وذرائه ؛ وربّهم مرتبة النفوس من الأجساد ،

وَنَزَّلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَاءِ مِنَ الْأَزْنَادِ ؛ وَجَعَلَهُمْ مُسْتَخْدِمِينَ لِأَفْكَارِهِمْ فِي مَصَالِحِ الْبَرِيَّةِ
الَّتِي غَدَّتْ فِي أَمَانِهِمْ ، وَحَصَلَتْ فِي ضَمَانِهِمْ ؛ فَظَلَّتْ فِي ذِمَامِهِمْ ، وَسَعِدَتْ فِي عِزِّ
مَقَامِهِمْ وَظَلَّ أَيَّامُهُمْ : لِأَنَّهُمْ نَصَبُوا لِلنَّظَرِ فِيمَا جَلَّ وَدَقَّ ، وَتَعَبُوا لِرَاحَةِ الْكَافَّةِ نَعْبَا
صَعْبٍ وَعَظْمٍ وَشَقٍّ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ الْحِكْمَةِ ، وَضَرْبًا مِنْ أَفْضَلِ تَذْيِيرِ
الْأُتَمِّ ؛ إِذْ لَوْ سَاوَى بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْءِوسِ ، وَالسَّائِسِ وَالْمُسَّوسِ ؛ لَأَخْتَلَطَ
الْخُصُوصُ بِالْعُمُومِ ، وَلَمْ يَبْقَ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ .

وَقَدْ اسْتَخْلَصَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَشْرَفِ أُسْرَةٍ وَأَكْرَمِ عِصَابَةٍ ، وَأَيَّدَهُ فِي جَمِيعِ
آرَائِهِ بِالْحَرَامَةِ وَالْجَزَالَةِ وَالْأَصَالَةِ وَالْإِصَابَةِ ؛ وَقَضَى لِأَغْرَاضِهِ أَنْ يَكُونَ السَّعْدُ لَهَا
خَادِمًا ، وَحَتَمَ لِمَقَاصِدِهِ أَنْ يُصَاحِبَهَا التَّوْفِيقُ وَلَا يَنْفَكَّ لَهَا مُلَازِمًا ؛ وَجَمَعَ لَهُ مَا تَفَرَّقَ
فِي الْخَلِيقَةِ مِنَ الْمَفَاحِرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَأَهْلَمَهُ النَّظَرَ فِي حُسْنِ الْخَوَاتِمِ وَحَمِيدِ الْعَوَاقِبِ .

وَلَمَّا كَانَ وَلِيُّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَرَ أَبْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمُنْتَهَى لِأَشْرَفِ
الْمَرَاتِبِ مِنْ تَقَادُمِ السِّنِّينَ ؛ وَقَدْ آسَتَوْا عَلَى الْفَخْرِ بِكَتْسَابِهِ وَآتِسَابِهِ ، وَتَصَدَّتْ لَهُ
مَخْطُوبَاتُ الرَّتَبِ لِيُحَوِّزَهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ وَاسْتِجَابَةِ ؛ وَلَهُ مِنْ فَضِيلَةِ ذَاتِهِ مَا يُدَلُّ عَلَى
النَّبِإِ الْعَظِيمِ ، وَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ مَا يَهْتَدَى بِهِ السَّارِي فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ؛ وَحِينَ حَوَى
تَالِدَ الْفَخْرِ وَطَارِفَهُ وَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالْقَدِيمِ عَنِ الْحَدِيثِ وَلَا بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقَدِيمِ ؛
وَالصِّفَاتُ إِذَا اخْتَلَفَتْ أَرْبَابُهَا لَا تَقَعُ إِلَّا دُونَهُ ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ
لِلَّذِينَ يُخْلِصُونَ فِيهِ وَيَتَوَلَّوْنَهُ ؛ وَلِيَفْخَرَ بِأَنْ خُصَّ مِنَ الْعِنَايَةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ بِالْحِظِّ الْأَجْزَلِ ،
وَلِيَتَسَمَّحَ عَلَى الْبَرَايَا لِيَكُونَ مَدْمُوحًا بِالْكَلْبِ الْمَنْزَلِ ؛ وَلِيَبْدُخَ فَإِنَّ وَصْفَهُ لَا تُبْلَغُ غَايَتُهُ
وَإِنْ اسْتُخْدِمَتْ فِيهِ الْفِكْرُ ، وَلِيَبْجَحَ فَإِنْ فَضْلُهُ لَا يُدْرِكُ حَقِيقَةً إِلَّا إِذَا تُبْلِغْتَ السُّورُ ،
فَأَمْتَعَهُ اللَّهُ بِمَوَاهِبِهِ لَدَيْهِ وَأَمْتَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَأَجْرَى أُمُورَهُ عَاجِلًا وَأَجَلًا بِسَبَبِهِ .

(١) رأى أمير المؤمنين أن يختصه بولاية عهد أمير المؤمنين تمييزاً له بهذا النعت الشريف، وسموا به إلى ما يجب لحجده الشاخص وحله المنيف؛ وأقتداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يشرفون به أبناءهم الأكرمين، وتخصيصاً له بما يبقى نخره على متجدد الأزمان ومتناول السنين. وأمر أمير المؤمنين أن يتخير من رجال دولته، ووجوه أجناده وشيعته؛ طائفة يكون إليه انتماءؤها، وإلى شرف هذا النعت انتسابها واعتراؤها؛ فتوسم بالطائفة العهدية، وتخطي إذا أخلصت في الولاية بالسعادة الدائمة الأبدية؛ وتظل موقوفة على خدمته، متصرفة على أوامره وأمثلته؛ منتبهة في طاعته إلى أغراضه ومآربه، ملازمة للأزم المتعين من ملازمة الخدمة في مواكبه؛ والله تعالى يجعل ما رآه أمير المؤمنين من ذلك كافلاً بالخيرات، ضامناً لشمول المنافع وعموم البركات؛ إن شاء الله تعالى: والسلام على ولي عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.



وهذه نسخة بولاية العهد من خليفة لولده بالخلافة على هذه الطريقة، من إنشاء القاضي الفاضل؛ أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاث مرات، وهي:

من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في العهد قبله.

(٢) أما بعد، فالحمد لله الذي استحق الحمد بفضلِهِ، وأجرى القضاء [على ما أراده] ووسع الجرائم بعفوه وعذله؛ وصرف المراحم بين قوله وفعله، وأعلى منار الحق

(١) لعل هذا جواب الشرط في أول الفقرة قبل ويكون العامل في حين بعده محذوفاً دل هذا عليه . تأمل .

(٢) بياض في الأصل والتصحيح من المقام .

وَأَرْشَدَ إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَاخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِينًا وَعَصَمَ الْمُعْتَلِقِينَ بِحَبْلِهِ ، وَأَوْضَحَ سُبُلَ النِّجَاةِ بِمَا أَوْضَحَ لِسَالِكِيهِ مِنْ سُبُلِهِ ؛ وَتَعَالَى عُلَاهُ إِلَى الصِّفَاتِ ، فَلَمْ يُوصَفْ بِمِثْلِ قَوْلِهِ :
 ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ﴾ وَتَنَزَّهَ عَنْ أَشْتَرَكَ التَّشْبِيهَاتِ ، فِي كُلِّ جَلِيلٍ الْوَصْفِ مُسْتَقَلَّةً وَغَيْرِ
 مُسْتَقَلَّةً ؛ عِلْمٌ مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ خَطَرَاتُ الْأَسْرَارِ ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ نَظَرَاتُ الْأَبْصَارِ ،
 وَأَتَفَرَّجَتْ عَنْهُ غَمَرَاتُ الْأَخْطَارِ ، وَأَخْفَتْهُ سِتْرَاتُ الظُّلُمَاءِ وَبَاحَتْ بِهِ جَهَرَاتُ
 الْأَنْوَارِ : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ
 وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ عِنْدَهُ الْإِسْلَامَ ، فَهَنْ أَبْتَغَى غَيْرَهُ صَلَّى الْمَنْهَجُ ، وَأُبْعَدَ
 الْمَعْرَجُ ، وَأَسْتَلْقَحَ الْمُخْدَجُ ، وَغَلَطَ الْمَخْرَجُ ، وَفَارَقَ النُّورَ الْأَبْلَجُ ، وَرَكِبَ الطَّرِيقَ
 الْأَعْوَجُ ، وَأَتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاللِّسَانِ الْمُلْجَلَجِ ؛ وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ فَازَ بِالسَّعْيِ
 النَّجِيجِ ، وَحَازَ الْمُتَجَرَّ الرَّيِّجَ ؛ وَوَرَدَ الْمَوْرِدَ الْأَخْمَدُ ، وَيَمُّ الْقَصْدِ الْأَقْصَدُ ، وَوَجَدَ
 الْجَدَّ الْأَسْعَدَ ، وَسَلَكَ الْمَنْهَجَ الْأَرْشَدَ ؛ فَهُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى ،
 وَالدرَجَةُ الْعُلْيَا ؛ وَأَمَرَ بِهِ خَيْرُ الْمَرْسَايْنِ ، الْمَنْعَوْتُ فِي سَيْرِ الْأَوَّلَيْنِ ، الْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ
 الْمُبِينِ ، وَالْقَائِمُ رَسُولًا فِي الْأُمِّيْنِ ، وَالْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ ؛
 وَالدَّاعِي الَّذِي مَنْ أَجَابَهُ وَآمَنَ بِهِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأُجِيرَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ ،
 وَالْمُسْتَقِلُّ [بِالْعِبَادَةِ] الْعَظِيمِ ، بِفَضْلِ مَا مُنِحَ مِنْ انْخِلَاقِ الْعَظِيمِ ، وَالْمُدْوَحُ بِقَوْلِهِ :
 ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَصَلَ النُّبُوَّةَ بِالْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
 وَخَصَّهَا بِالْخَصَائِصِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِنَاثِمِ الْكَرَامَةِ ، وَأَجَارَهَا بِخَلْقِهِ مِنْ مَتَالِفِ

الطامة وبوادي الندامة ، وهدى بشرف مقامه إلى دار المقامه ؛ وأسترد بأنوار تدبيره
من ظلام الباطل الظلامه ، وأحسن بما أجراه من نظره النظر للخاصة والعامة ،
(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِين) .

يحمده أمير المؤمنين أن رفعه إلى ذلك المحل المنيف ، وأستعمر به المقام الشريف ،
وأظهر كلمة الدين الحنيف ، ونفى عنه تعالى التعمق وتجديف التحريف ،
وبين بموافقة توفيق هديه طريق التكليف ، وأمدّه بمواد إلهية تشتهر فتستغني عن
التعريف ، وتصل فتقطع مواد التكليف .

ويسأله أن يصل على جدّه محمد الذي نسخ بشريته الشرائع ، وهدب بهدياته
المشارع ، وأيده بالحجج القواطع ، والأنوار السواطع ، وجعل من ذريته جبال الله
القوارع ، ومن مشكاته نجوم الهدى الطوالع ، وعُدّت صنائعه بالله إذا أفتخرت
المنعمون بالصنائع ؛ وعلى أخيه وأبنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب المخصوص
بأخوته ، وأبي الثقلين من عترته ، والسابق إلى الإسلام فهو بعده أبو عذريته ؛
وإلى تفرج الكرب عن وجهه في الحرب فهو ابن بجدته . وعلى الأئمة من ذريتهما
مصايح الظلمات ، ومفاتيح الشكوك المبهمات ، والمنوحين من شرف السمات ،
ماجل عن المسامات ، والمدوحين بفضل الجاه في الأرضين والسّموات .

وإن الله بحكمته البديعه ، ورحمته الوسيعة ؛ أقام الخلفاء خلقه قواماً وبحقه
قواماً ، وجعل نار الحوادث بنورهم برداً وسلاماً ، وجعل لهم الهداية بأمره إزاماً ،
وأستصرف بهم عن الخلق عذاب جهنم (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) ؛ فهم أرواح
والخلائق أجسام ، وصباح والمسالك أظلام ، وثمرات والوجود أحكام ، وحكام
والحقائق أحكام ، يسهرون في منافع الأنام وهم نيام ، وينفردون بوصب النصيب

وَيُقِرُّوْنَهُمْ بِلَذَاتِ الْجَمَامِ ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدَايَاتِهِمْ إِلَى مَا تَدِقُّ عَنْهُ حَوَائِطُ الْأَفْهَامِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بَوَسَائِطِ إِلْهَامٍ . وَقَدْ أَصْطَفَى اللَّهُ الْأَمِيرَ مِنْ تِلْكَ الْأُسْرَةِ ، وَرَقَّاهُ شَرَفَ تِلْكَ الْمَنَاسِرِ وَمُلْكَ تِلْكَ الْأُسْرَةِ ، وَأَنَارَ بِمَقَامِهِ نُجُومَ السَّعَادَةِ الْمُسْتَسْرَةِ ؛ وَأَسْتَخْدَمَ الْعَالَمَ لِأَغْرَاضِهِ ، وَسَدَّدَ كُلَّ سَهْمٍ فِي رَمْيِهِ إِلَى أَغْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَهُوَ وَاقِعٌ بِحُسْنِ عَوَاقِبِ إِقْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ طَاعَتَهُ فِي خَلْقِهِ فَالْسَّعِيدُ مِنْ تَلَقُّ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَقْرَاضِهِ ، وَأَمْضَى أَوَامِرُهُ عَلَى الْأَيَّامِ فَمَا يَقَالُهَا صَرْفٌ مِنْ صُرُوفِهَا بِاعْتِرَاضِهِ ، وَأَدَارَ الْحَقِّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ ، وَكَشَفَ لَهُ مَا أَسْتَجَنَّ تَحْتَ أَسْتَارِ الْأَقْدَارِ ، وَوَقَفَ الْخَيْرَ وَالنُّصْرَةَ عَلَى آرَائِهِ وَرَايَاتِهِ فَهُوَ الْمُسْتَشَارُ وَالْمُسْتَخَارُ ؛ وَأَهْلَمَهُ أَنْ يَحْفَظَ لِلْأُمَّةِ غَدَهَا كَمَا حَفِظَ لَهَا يَوْمَهَا ، وَأَنْ يُجَرِّىَ لَهَا مَوَارِدَ تَوْفِيقِ الْإِرْتِيَادِ وَلَا يُطِيلَ حَوْمَهَا ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ الْمُؤْمِنَ عَلَى تَلَجٍّ مِنَ الصُّدُورِ ، وَفَلَجٍّ مِنَ الظُّهُورِ ، وَيُودِعَ عِنْدَهَا بَرْدَ الْيَقِينِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى مُسْتَوْدَعِ الثُّورِ ؛ وَيَجْعَلَهَا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَتَتَّبِعَهَا ، وَيُجِلِّهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُصْبِ فَتَرْتَبِعَهَا ؛ وَيُعَلِّمُ نَدَى خَيْرِهِ لِيَكُونَ غَايَتَهَا وَمَفْرَعَهَا ، وَيُعْرِفَهَا مِنْ تَنْتَظَرِهِ فَتَنْتَظِرُهُ مَا لَهَا وَمَرَجِعُهَا ؛ وَيَقْتَدِي فِي ذَلِكَ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ ، وَيُسِيرُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ الْمَشِيرُ مَقَامَ الْبَشِيرِ .

وَلَمَّا كُنْتَ حَافِظَ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يُتَوَجَّعَ بِهِ السَّرِيرُ ، وَالنَّجْمِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ نَسْتَطِيلَ إِلَى أَنْوَارِهِ وَنَسْتَطِيرَ ، وَالذَّخِيرَةِ الَّتِي ادَّخَرَهَا اللَّهُ لِنَيْلِ كُلِّ خَطَرٍ وَدَفْعِ كُلِّ خَطِيرٍ ، وَالسَّحَابِ الَّذِي فِيهِ الثَّجُّ الْمَطِيرُ ، وَالنَّجْمِ الْمُنِيرُ ، وَالرَّجْمِ الْمُبِيرُ ، وَقَدْ تَجَلَّتْ لَكَ أَوْجُهُ الْكَرَامَاتِ وَتَبَدَّتْ ، وَتَبَرَّجَتْ لَكَ مَخْطُوبَاتِ الْمَقَامَاتِ وَتَصَدَّتْ ، وَطَلَبَتْكَ كُفًاءً لِنَيْلِ عَقِيلَتِهَا وَسُكْنَى مَعْقِلِهَا فَمَا تَعَدَّتْ ، وَأَدَّتْ إِلَيْكَ لَطَائِفَ فَهْمِكَ مِنْ أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ مَا أَدَّتْ ؛ وَعَرَفْتَ مِنْ سِيَمَاكَ هَدَى النُّبُوَّةِ ، وَاجْتَمَعَ لَكَ مَرْيَةُ الشَّرَفَيْنِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْأَبُوءِ وَالْبُنُوءِ ، وَأَخَذْتَ كِتَابَ الْحِكْمَةِ

وَمَصُونِ الْعِصْمَةِ بِقُوَّةٍ ، وَأَجَرَتِ الْقُلُوبَ الَّتِي بِعَوَارِضِ الشَّكِّ مَمْنُونَةً ، وَآثَرَتِ الْعَقَائِدَ
الَّتِي بِنَوَاقِصِ الْعَقْدِ مَمْلُوءَةً ، وَغَدَّتْ وَجُوهَ الْأَنَامِ بِأَيَّامِكَ مَجْلُوءَةً ، وَتَوَافَقَتِ الْأَلْسُنُ عَلَى
مَدْحِكَ وَلَا مِثْلَ مَا مُدِحَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْلُوءَةِ ، وَكُنْتَ بِحَيْثُ تَذْهَبُ بِالْأَهْوَالِ
الْمُسْلُوءَةِ ، وَتُقْبِلُ بِالْأَمَالِ الْمَرْجُوءَةِ ؛ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا ضَلَّ لَهْدَاهُ نُورُكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ،
وَلَوْ أَنَّ ذِكْرَكَ شَدَّ تَبَدُّى فِي الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَوْ أَنَّكَ طَلَعْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ
لَمَا تَسَاءَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا فِي النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ قَدِيمًا عَلَا فَوْقَ كُلِّ حَدِيثٍ لَقَامَ لَكَ
الْحَدِيثُ مَقَامَ الْقَدِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنَامِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لَصَعِدَتْ دُونَهُمُ الْمَقَامُ
الْكَرِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ تَجَسَّمَتْ لِلنَّازِلِينَ لِأَعَدَّتْ آيَةَ مُوسَى الْكَلِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ
هِدَايَتِكَ الْغُرَاءَ تَسَمَّتْ لِلذَّاكِرِينَ لِأَحْيَيْتَ بِهَا الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، وَلَوْ أَنَّ عُلُومَكَ
أَنْتَشَرَتْ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَتَلَوُا : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ) وَلَوْ أَنَّ لَيْلَةَ وَلَادَتِكَ رَصَدَتْهَا
الْبَصَائِرُ ، رَأَتْ كَيْفَ يُفَرَّقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، وَالصِّفَاتُ إِذَا أَحْتَفَلُ أَرْبَابُهَا وَقَفَتْ
لَكَ عِيْدًا ، وَالْأَيَّامُ إِذَا كَانَتْ طُرُوقًا لِفَضَائِلِكَ كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا لِلْعِيْدِ عِيْدًا ،
وَالْأَنْسَابُ إِذَا عَدَدَتْهَا كَانَ الْجَدُّ سَعِيدًا ؛ فَلْتَفَخَّرْ قَبْلَ السَّيْرِ بِأَنْ أَمْلَيْتَ عَلَيْهَا السُّورَ ،
وَأَبَشِّرْ بِأَنْ الْمُنْتَظَرُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لَكَ فَوْقَ مَا تَعَجَّلُهُ النَّظَرُ ، وَاشْمَعْ بِأَنْ سَادَةَ الْقِبَائِلِ
مُضَرُّ وَأَنْكَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدُ مُضَرَ ، وَأَبْدَعْ بِأَنْكَ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ مَنْ غَابَ
وَمَاعِنَكَ عِوَضٌ فِي كُلِّ مَنْ حَضَرَ ، وَأَبْجَحْ بِأَنْكَ قَدْ أَهْلَتْ لِأَمْرِ أَبِي اللَّهِ لَهُ إِلَّا أَوْلَى
الْعَزْمِ وَالْخَطَرِ ، وَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ خَلْقِكَ لَهَا بِقَدَرٍ ، وَمَزِيَّةٍ لِأَبَوَيْ حَقِّهَا مِنْ أَضْمَرِ
فَأَغْرَقَ أَوْ نَطَقَ فَشَكَرَ : وَقِيلَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ
هَدَانَا اللَّهُ) : (وَقُلْ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) .

فإليك هذا الأمرُ يَصِيرُ، وأنتَ لَهُ واللهُ لك نِعَمُ المولى ونِعَمُ النصير؛ وتأهبْ له في درجته التي لا يَنَالُهَا باعٌ قصير، ولا يَمْتَطِيهَا إِلَّا من آخِثَارِهِ اللهُ على عِلْمٍ من أهل الثقلين ولو أنَّ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ ظهير، ولا نرى لها أهلاً إِلَّا مَنْ أَرَاهُ اللهُ من آيَاتِهِ أَنَّهُ هو السَّمِيعُ البصير، وفاوِضُ أمير المؤمنين في مُشْكِلَاتِ الأمر ولا يَنْبُتُكَ مثلُ خَيْرٍ، وأَقْدَمَ منه بمن هو [في] أهل دهره وصِيُّ الوصيِّ ونَظِيرُ النذير، وأَهْدَى بنوره الذي هو بالنور البائِنِ دُونَ الخلق بشير، وسِرٌّ إذا اسْتَعْمَلَكَ اللهُ فيهم بما رَأَيْتَ أمير المؤمنين به فيهم يَسِيرُ، وأَدْعُ اللهُ بأن يُسِّرَ على يَدِكَ مَنَاجِحَهُمْ إِنَّ ذَلِكَ على الله يَسِيرُ، وأَعْرِفْ مَا أَتَرَكَ اللهُ به من أَنَّهُ لم يَجْعَلْ لِيَدِكَ كُفُوءًا إِلَّا ذَا الْفَقَارِ وَلَا لَقَدَمَكَ كُفُوءًا إِلَّا الْمَنْبَرُ والسريِر، وتحدَّثْ بنعمة الله وإجرائِها فأمير المؤمنين اليومَ عليك أميرٌ وأنتَ غَدًا على المؤمنين أميرٌ: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُ مِنْ لَدُنِّي فَكُفْرًا﴾ .

وأما العدلُ وإفاضتُهُ، والجورُ وإغاضتُهُ، والصَّعْبُ ورياضتُهُ، والجَلْبُ وترويضُهُ، والخطْبُ وتقويضُهُ، والجُهادُ ورفعُ علمه، والذَّبُّ عن دينِ الله وحِفْظُ حُرْمِهِ، والأمرُ بالمعروفِ ونُشْرُ دِائِهِ، والنهيُّ عن المنكرِ وطِيُّ أَعْتِدَائِهِ، وإقامةُ الحدِّ بالصَّفْحِ والحدِّ، والمُساواةُ في الحقِّ بين المولى والعبد؛ وبثُّ دعوة الله في كلِّ غُورٍ من البلاد وتَجْدُّ، وأمرُ عباد الله إن عباد الله في زمَنِكَ الرغد؛ فذلك عهدُ الأئمة الراشدين، وهو إليك من أمير المؤمنين، عَهْدٌ مُؤَكَّدُ الْعَقْدِ: وهو سُنَّةُ فَضْلِ الخلفاء التي لا تَجِدُ لها تَحْوِيلًا، ومعنى العهد الذي أمر الله بالوفاء به فقال: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

وهل يُوصَى البحرُ بتلاطُمِ أمواجه؟ وتَدَأْعُ أفواجه؟ وبِزَأْرِ عَجَاجِهِ؟ وهل يُحَصُّ البدرُ المنيرُ على أن يُبَيِّرَ سراجَهُ، وَيَطْلُعَ لِيَتَّضِحَ للسالكِ مِنهاجَهُ؟ أو يُنْبِئُهُ على هدايته

إذا تهادته أبرأه ؟ عليك من سرائر أنوار الله ما يغنيك أن توصي ، ولديك من
ظواهر لطائف الله ما يميز به عن الخلق إذ أضحيت به مخصوصا ، ومن شواهد اختيار
الله ما تظاهرت عليك آياته نصوصا ، فيسلام الله يحييك المؤمنون ، وبالإعتلاق
بعضمة ولائك في يوم الفزع الأكبر يأمنون ، والله منجزك وعده كما أنجزه لمن
جعلهم أئمة لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ، والله سبحانه يهدي إليك تحية من
عنده مباركة طيبة ، ويؤدي إلى مقام شرفك سحابة رحمة غدقة صبيته ، ويجعل
ماراه أمير المؤمنين من ولايتك عهدا ، وكفالتك للأمة بعده ، للسرات ناظما ،
ولساعات حاسما ، وللبركات جامعا ، وللباطل خافضا وللق رافعا . وأمر أمير المؤمنين
أن يعين على رجال من أولياء دولته ، ووجوه شيعته ، وأنصار سريته ، عدة يكون
إليك اعتراضها ويك اعتراضها ، وببابك العالی إقامتها وإلى جنبك أنحيارها ، فتكون
موسومة بالعبودية ، ومتعرضة بالولاء للسعادة الأبدية ، فتتمثل على ما مثله من
المراسم ، وتتصرف على ما تصرفها عليه من الغزائم ، وتكون أبدا لما ينفذ عنك من
أحكام الهبات والمكارم ، وتقوم من ملازمة الخدمة في موايك بما هو لكل خادم
فرص لازم ، وتسارع في مطالبك إلى ما يسارع إليه الخازم ، وتجوّد باسماء الإنعام
بالغدق الساجم . وتقدر لها من الواجبات والزيادات ما تقتضيه همم المكارم ، تبدل
في الخدمة الإجتهد ، وتنافس فيما تستمد [به] الخطوة بحضرته والإتحاد ، وعرضها
من الإحسان الجم للآزدياد ، وبلغها المراد بما تبلغ بها من المراد : لتتشف بأن تكون
تحت ركابه العالی متصرفه ، وتفتخر بأن تكون أنسابها باسمه العالی مشرفة ،
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثالث

(أن يَفْتَحَ العهد بعد البسملة بخطبة مفتوحة بـ «الحمد لله» ثم يَأْتِي بالبعدية،
ويأتى بما يُناسبُ الحال على نحو ما تقدم، وعليه عمل أهل زماننا
مع الاختصار على تجميد واحدة، والاختصار في القول)

وهذه نسخة أوردتها على بن خلف من إنشائه في كتابه "مواد البيان" لترتيب
الكتابة في زمن الفاطميين، وهي :

الحمد لله مُعِزِّ دِينِهِ بِخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَمُرْتَبِّ حَقِّهِ بِأَوْلِيَائِهِ الْهَادِينَ؛ الَّذِي أَخْتَارَ
دِينَ الْإِسْلَامَ لَصَفْوَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَخَصَّ بِهِ مَنْ اسْتَخْلَصَهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ؛ وَجَعَلَهُ
حَبْلَهُ الْمَتِينَ، وَدِينَهُ الَّذِي أَظْهَرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ؛ وَسَبِيلَهُ الْأَفْسَحَ، وَطَرِيقَهُ الْأَوْضَحَ؛
وَأَبْتَعَتْ بِهِ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَأَعْلَنَ بِذِكْرِهِ؛ وَالنَّاسُ فِي فِتْرَةِ
الضَّلَالَةِ، وَعَمْرَةُ الْجَهَالَةِ؛ فَلَمَّا أُتِمَّ فِي نُصْرَةِ حَقِّهِ، وَتَأْيِيدِهِ لِسُعْدَاءِ خَلْقِهِ [قبضه]^(١)
إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ الْأَثَرُ، طَيَّبَ الْخَبَرَ [وقام]^(١) بِخِلَافَتِهِ، مَنْ آتَخَبَهُ مِنْ طَهْرَةِ عِثْرَتِهِ؛ وَأَوْدَعَهُمْ
حِكْمَتَهُ، وَكَفَّلَهُمْ شَرِيعَتَهُ؛ فَاقْتَفَوْا سَبِيلَهُ، وَاتَّبَعُوا دَلِيلَهُ؛ كُلُّمَا قَبِضَ مِنْهُمْ سَلَفًا إِلَى
مَقَرِّ مَجْدِهِ، أَصْطَفَى خَلَفًا لِلْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

يُجَمِّدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَفْضَى إِلَيْهِ بَرَاثَ الْإِمَامَةِ وَالرَّسَالَةِ، وَهَدَى بِهِ كَمَا هَدَى
يُجَدِّهِ مِنَ الزَّيْفِ وَالضَّلَالَةِ؛ وَأَخْتَصَّ بِمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ، وَنَصَبَهُ رَحْمَةً لِلْكَافَةِ؛ وَأَتَمَّ
نِعْمَتَهُ [عليه] كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى آبَائِهِ، وَأَجَزَلَ حَقَّهُ مِنْ حُسْنِ بَلَاءَتِهِ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا اسْتَرْعَاهُ،
وَوَفَّقَهُ فِيمَا وُلَّاهُ؛ وَأَنْهَضَهُ بِإِعْزَازِ الْمَلَّةِ، وَلِإِكْرَامِ الْأُمَّةِ؛ وَلِإِمَانَةِ الْبِدْعِ، وَلِإِطْلَالِ

(١) بياض بالأصل، والتصحيح ما يقتضيه المقام .

الْمَذْهَبِ الْمُخْتَرَعِ ؛ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ ، وَالْإِسْتِقَامَةَ عَلَى لَاحِظِ السُّنَنِ ؛ وَوَهَبَهُ مِنْ بَيْنِهِ
وُذُرِيَّتَهُ ، مُوَازِرِينَ عَلَى مَا حَمَلَهُ مِنْ أَعْبَاءِ خِلَافَتِهِ ، وَمُظَاهِرِينَ عَلَى مَا كَلَّفَهُ مِنْ إِمَاعَانِ
النَّظَرِ فِي بَرِيَّتِهِ .

وَيَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى عَجْدِ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَالْخَيْرَةِ مِنْ خُلَصَائِهِ ؛ الَّذِي شَرَّفَهُ بِخِتَامِ
رُسُلِهِ ، وَإِقْرَارِ نِيَابَتِهِ فِي أَهْلِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ وَبَابِ حُكْمَتِهِ ،
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَصِيِّهِ فِي أُمَّتِهِ ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، مَنَاهِجَ رَحْمَتِهِ ،
وَسُرُجَ هِدَايَتِهِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْخِلَافَةَ لِلْكَافَّةِ عِصْمَهُ ، وَلَأَهْلَ الْإِيمَانِ رَحْمَهُ ، تَجْمَعُ
كَلِمَتُهُمْ ، وَتَحْفَظُ أَقْلَتُهُمْ ؛ وَتُصْلِحُ عَامَّتَهُمْ ، وَتُقِيمُ فَرَائِضَهُ وَسُنَنَهُ فِيهِمْ ، وَتَمُدُّ رُوقَ
الْعَدْلِ وَالْأَمْنَةِ عَلَيْهِمْ ؛ وَتَحْسِمُ أَسْبَابَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ ، وَتَقْمَعُ أَهْلَ الْعِنَادِ
وَالشَّقَاقِ ؛ وَلِذَلِكَ وَصَلَ اللَّهُ حُبْلَ الْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقَبِ أَوْلِيَائِهِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

ولما نظرَ أميرُ المؤمنينَ بعينَ اليَقِينِ ، وَأَقْبَسَ مِنَ الْحَقِيقَةِ قَبَسَ [الْحَقِّ] الْمُبِينِ ،
عَرَفَ مَا بُنِيَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا مِنْ سُرْعَةِ الزَّوَالِ ، وَوَشَكَ التَّحَوُّلَ وَالْإِنْتِقَالَ ؛ وَأَنَّ
مَا قَوَّضَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ خِلَافَتِهِ لَا بَدَّ أَنْ يَتَّقِلَ عَنْهُ إِلَى أَبْنَائِهِ الْمَيَامِينِ ، كَمَا أُنْتَقَلَ إِلَيْهِ
عَنْ آبَائِهِ الرَّاشِدِينَ ؛ فَلَمْ يَغْتَرَّ بِمَوَاعِيدِهَا الْمُحَالِ ، وَأَصْرَبَ عَمَّا تُتَخَدَعُ بِهِ مِنَ الْأَمَانِيِّ
وَالْأَمَالِ ؛ وَأَشْفَقَ عَلَى مَنْ كَفَّلَهُ اللَّهُ بِسِيَاسَتِهِ ، وَحَمَلَهُ رِعَايَتَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
الْمُعْتَصِمِينَ بِحُبْلِ دَعْوَتِهِ ؛ الْمُسْتَمِيلِينَ بِظُلْمِ بَيْعَتِهِ ، عِنْدَ تَقْضَى مُدَّتِهِ وَنُزُوعِهِ إِلَى آخِرَتِهِ ؛
فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ، بِالْأَجْلِ الْمَحْتُومِ : مِنْ أَتَشَارَ الْكَلِمَةُ ، وَأَنْبَتَاتِ الْعِصْمَةِ ؛
وَأَنْشِقَاقِ الْعَصَا ، وَإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ ؛ وَأَسْتِيلَاءِ الْفِتَنِ ، وَتَعْطِيلِ الْقُرُوضِ وَالسُّنَنِ ؛ فَنَظَرَ

لهم بما يَنْظِمُ شَمْلَهُمْ ، وَيَصِلُ حَبْلَهُمْ ، وَيُزْجِرُ ظَلَمَتَهُمْ ، وَيَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ ، وَيُؤَلِّفُ
أَفْعِدَتَهُمْ ، ورأى أن يَهْدِي إلى فلان وَلَدَهُ : لأنه قَرِيبُهُ في عِلْمِهِ وَفَضْلُهُ ، وَعَقِيْبُهُ
في إِنْصَافِهِ وَعَدْلِهِ ، وَالْمُتَّوَحُّعُ من بعده ، وَالْمَرْجُو لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَلِمَا جَمَعَ اللهُ لَهُ
من شُرُوطِ الإِمَامَةِ ، وَكَمَلَهُ له من أَدَوَاتِ الْخِلَافَةِ ، وَجَبَلَهُ عَلَيْهِ من الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ ،
وَحَصَّصَهُ بِهِ من الرِّصَانَةِ وَالرَّجَاحَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّامِحَةِ ، وَأَتَاهُ من فَضْلِ الْخِطَابِ ،
وَجَوَامِعِ الصَّوَابِ وَمَحَاسِنِ الْآدَابِ ، وَوَقَايَةِ الدِّينِ ، وَالْغِلْظَةِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَاللُّطْفِ
بِالْمُؤْمِنِينَ ، بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ اسْتِخَارَةَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ ، وَسَأَلَهُ تَوْفِيقَهُ لِمَا يُرْضِيهِ ، وَوَقَفَ
فِكْرُهُ عَلَى اخْتِيَارِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِهِ مَعَ إِيثارِهِ ، وَيُلَوِّحُ في شَمَائِلِهِ ، وَيَسْتَوْضِحُ
في مَخَالِيهِ ، أَنَّهُ الْوَلِيُّ الْمُجْتَبِيُّ ، وَالْخَلِيفَةُ الْمُصْطَفَى ، الَّذِي يَحْيِي اللهُ بِهِ ذِمَارَ الْحَقِّ ،
وَيُعْلِي بِسُلْطَانِهِ شِعَارَ الصِّدْقِ ، وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - قَدْ أَفْضَى إِلَيْهِ بِمَا أَفْضَى بِهِ إِلَى
الْخُلَفَاءِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَامِنَاتِ مَا أَفَاضَهُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ عَاقَدَهُ
وَعَاهَدَهُ عَلَى مِثْلِ مَا عَاهَدَهُ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ : مِنْ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ ، وَاسْتِشْعَارِ
خِيفَتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ وَالْعَمَلِ بِكُتَابِهِ وَسُنَّتِهِ ، وَإِقَامَةِ حُدُودِ اللهِ الَّتِي حَدَّاهَا ، بِفُرُوضِهِ الَّتِي
وَكَّدَهَا ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِسَلَفِهِ الرَّاشِدِينَ ، فِي الْمُكَالَفَةِ عَنِ الدِّينِ ، وَالْمُسَاحَةِ عَنْ أَوْزَارِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَبَسْطِ الْعَدْلِ عَلَى الرِّعْيَةِ ، وَالْحُكْمِ بَيْنَهُم بِالسَّوِيَّةِ ، وَإِنْصَافِ الْمَظْلُومِ
مِنَ الظُّلْمِ ، وَكَفِّ يَدِ الْمُغْتَصِبِ الْغَشُومِ ، وَصَرْفِ وِلَاةِ الْجَوْرِ عَنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ،
وَتَحْيِيرِ مَنْ يَنْظُرُ بَيْنَهُمْ فِي الْمَظَالِمِ وَالْأَحْكَامِ ، وَأَنْ لَا يُؤَلَّى عَلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ يَثِقُ بَعْدَالَتِهِ ،
وَيَسْكُنُ إِلَى دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ ، وَلَا يَقْسَحُ لِشَرِيفٍ فِي التَّعَدَّى عَلَى مَشْرُوفٍ ، وَلَا يَقْوَى
فِي التَّسَلُّطِ عَلَى مَاضِعُوفٍ ، وَأَنْ يَجْهَلَ النَّاسُ فِي الْحُقُوقِ عَلَى السَّوَاوِي ، وَيُجْرِيَهُمْ
فِي دَوْلَتِهِ عَلَى التَّنَاصُفِ وَالتَّكَاثُفِ ، وَيَأْمُرُ مُجَابِهِ وَتَوَابَهُ بِإِيصَالِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِ ،
وَتَمْكِينِهِمْ مِنْ عَرَضِ حَوَائِجِهِمْ وَمَظَالِمِهِمْ عَلَيْهِ : لِيَعْلَمُوا : الْوِلَاةُ وَالْعُمَالُ ، أَنَّ رِعْيَتَهُ

على ذكر منه وبأل ؛ فِتَحَامُوا التثْقِيلَ عليهم والإِصرارَ بهم . وأشهد عليه بكل ماشرطه
وحَدَّده ، والعمل بما يحد إليه فيما تقلده . على أنه غنى عن وصية وتبصير ، وتنبيه
وتذكير ؛ إلا أن محمداً سيد المرسلين يقول لعلى صلى الله عليهما ” أُرسل عاقلاً
(١) الا فأوصه “ .

فبايعوا على بركة الله تعالى طائعين غير مكرهين ، برغبة لا برهبة ، وبإخلاص
لا بمُدَاهَنَة ، بيعة رِضا واختيار ، وأتقياد وإيثار ؛ بصحة من نيأتكم ، وسلامة
من صدوركم ؛ وصفاء من عقائدكم ، ووفاء واستقامة فيما تضعون عليه أيمانكم :
ليُعرفكم الله [من] سُبوغ النعمة ، وشمول الخبرة ؛ وحسن العاقبة ، وأتفاق الكلمة ؛
ما يُقر نواظركم ، ويرد ضمايركم ؛ ويذهب غل صدوركم ويعز جانبكم ، ويذل
مجانبيكم ؛ فاعلموا هذا وأعملوا به إن شاء الله .

وقد يُغني هذا الكتاب الذي ذكرناه معنى العهد ، فلا يحتاج إلى عهد :
وعلى ذلك كُتِبَ عن الإمام المستكفي بالله أبى الربيع سليمان ، أبى الحاكم بأمر
الله أحمد ، عهد ولده المستوثق بالله « بركة » بالخلافة بعده . وهذه نسخته :
الحمد لله الذى أيد الخلافة العباسية بأجل والد وأبر ولد ، وجعلها كلمة باقية
فى عقبه والسند كالسند ، وآواهم من أمرهم إلى الكهف فالكهف وإن تنأهى
العدد ؛ وزان عطفها بسود سواد شعارهم المسجلة أنوارهم ولا شك أن النور
فى السواد ، وعدق بصولتهم النبوى معجزها كل مناد .
(٢)

(١) كذا فى الأصول مضبها عليه وحرر .

(٢) لعله وقدع . أى كف . تأمل .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ فِيهِمْ ، وَزُورِ الْرَحْمَةِ بِتَوَافِيهِمْ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مَحْضَةً الْإِخْلَاصِ ، كَافِلًا مَحْضُهَا بِالْفِكَاكِ مِنْ أَسْرِ الشَّرِكِ وَالْخَلَاصِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِمَا أَوْصَحَ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَقَعَ أَهْلُ الْعِنَادِ ، وَالشَّفِيعُ الْمَشْفَعُ يَوْمَ التَّنَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا أَنْقِضَاءَ لَهَا وَلَا نَقَادَ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (وَيَذْكُرُ اسْمَهُ) يَتَعَصَّمُ بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ مَا جَعَلَ اللَّهُ [لَهُ] مِنَ التَّفْوِيضِ ، وَيُشِيرُ إِلَى الصَّوَابِ فِي كُلِّ تَصْرِيحٍ مِنْهُ وَتَعْرِيزٍ ، وَإِنِّهُ شَدَّ اللَّهُ أَرْزَهُ ، وَعَظَّمَ قُدْرَهُ ، أَسْتَخَارَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْوَصِيَّةِ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ الْمَفْتَخِمَةِ الْمُوَرَّثَةِ عَنِ الْآبَاءِ وَالْجُدُودِ ، الْمُقْلَقَةِ إِلَيْهِ مَقَالِيدُهَا كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوَالِدِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْمَوْلُودِ ، لَوْلَدِهِ السَّيِّدِ ، الْأَجَلِّ ، الْمَعْظَمِ ، الْمَكْرَمِ ، فَلَانٍ ، سَلِيلِ الْخِلَافَةِ وَشَيْبِلِ غَايِبِهَا ، وَنُحْبَةِ أَحْسَابِهَا وَأَنْسَابِهَا ، أَجَلَهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ ، وَجَمَّلَ بِهِ عِطْفَ الْأَمَانَةِ وَقَوَّهَ : لِمَا تَلَمَّحَ فِيهِ مِنَ النَّجَابَةِ اللَّائِحَةِ عَلَى شِمَائِلِهِ ، وَظَهَرَ مِنْ مَسْتَوْتِقِ إِبْدَاءِ سِرِّهِ فِيهِ بَدَائِلُ بُرْهَانِهِ وَبُرْهَانِ دَلَالَتِهِ ، وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ - صَانِهَا اللَّهُ تَعَالَى - مَوْلَانَا أَوْ سَيِّدُنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ حَضَرَ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ : قُضَاةَ قُضَايَتِهِمْ ، وَعُلَمَاءَهُمْ ، وَعُدُولَهُمْ ، يَجْلِسُ الشَّرِيفُ ، أَنَّهُ رَضِيَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ الْآنَ لَوْلَدِهِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ فَلَانٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَسَّحَ اللَّهُ فِي أَجَلِهِ ، وَعَهْدَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلَ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدُهَا ، وَجَعَلَ بِيَدِهِ زِمَامَ مُبْدِئِهَا وَمُعِيدِهَا ، وَصَّى لَهُ بِذَلِكَ جَزِيَّتَهُ وَكُلِّيَّتَهُ ، وَغَاظِضَهُ وَجَلِيَّتَهُ ، وَصِيَّةً شَرْعِيَّةً بِشُرُوطِهَا الْإِلَازِمَةِ الْمَعْتَبَرَةِ ، وَقَوَاعِدِهَا الْمَحْرَرَةِ ، أَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي تَارِيخِ كَذَا .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد ولى الخلافة عن الخليفة ، وما يكتبه
الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته
من قبول المعهود إليه ، وشهادة الشهود على العهد)

أما ما يكتب في المستند ، فينبغى أن يكون كما يكتب في عهود الملوك عن الخلفاء ،
على نحو ما تقدم في البيعات ؛ وهو أن يكتب : « بالإذن العالى ، المولوى ، الإمامى ،
النبوى ، الفلانى » (بقلب الخلافة) أعلاه الله تعالى « أو نحو ذلك من الدعاء .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فينبغى أن يكتب : « عهدي إليه
بذلك » : لأنه اللفظ الذى ينعقد به العهد . ولو كتب : « فوضت إليه ذلك »
كما يكتب الخليفة في عهد السلطان الآن على ماسياتى ، كفى ذلك . والأليق بالمقام
الأول .

وأما ما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته ، فالمنقول فيه عن المتقدمين
ما كتب به « على الرضى » تحت عهد المأمون إليه بالخلافة ، وهو :

الحمد لله الفعّال لما يشاء ، لأمعّب حكمه ، ولا رادّ لقضائه ، يعلم خائنة
الأعين وما تخفى الصدور ؛ وصلواته على نبيه محمد خاتم النبیین ، وآله الطيبين
الطاهرين . أقول وأنا على بن موسى بن جعفر : إن أمير المؤمنين عصده الله
بالسداد ، ووفقه للرشاد ؛ عرّف من حقنا ما جهله غيره : فوصل أرحاما قطعت ،
وأمن أنفسا فرغت ، بل أحيّاها وقد تلفت ، وأغناها إذ أفقرت ؛ متبعا رضا رب
العالمين ، لا يريد جزاء من غيره وسيجزى الله الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ؛

ولأنه جعل إلى عَهْدِهِ، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده؛ فمن حلَّ عُقْدَةَ أمر الله
بَسَدَهَا، أو قَصَمَ عُرْوَةَ أَحَبِّ الله إِيثَاقَهَا، فقد أباح حَرِيمَهُ وأحلَّ مُحَرَّمَهُ؛ إذ كان
بذلك زارياً على الإمام، منتكِها حرمة الإسلام؛ بذلك جرى السالفُ فصبر منهم
على القتل، ولم يُعْتَرَضْ بعدها على العزَمَاتِ؛ خوفاً على شَتَاتِ الدين، وأضطراب
حبل المسلمين؛ ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تُنْتَهَزُ، وباقية تُتَدَرَّبُ؛ وقد جعلتُ
لله تعالى على نفسي إن استرعى على المسلمين، وقلدني خلافتَه، العملَ فيهم عامةً
وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصةً بطاعته وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن لا أسفك دمًا حراماً، ولا أبيعَ فرجاً ولا مالاً؛ إلا ماسفكته حدوده، وأباحته
فرائضه؛ وأن أتخيرَ الكفأة جهدي وطاقتي. جعلتُ بذلك على نفسي عهداً مؤكداً
يسألني [الله] عنه، فإنه عز وجل يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾.
فإن أحدثت أو غيرت أو بدلتُ، كنتُ للغير مستحقاً، وللنكال متعريضاً؛ وأعوذُ بالله
من سخطه، وإليه أَرْغَبُ في التوفيق لطاعته، والحوّل بيني وبين مَعْصِيَتِهِ، (في عامة
المسلمين؛ والخاصة والحزريد لان على ضد ذلك) : ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي
وَلَا بِيكُمْ﴾ : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾. لكنني آمنتُ
أمرَ أمير المؤمنين وآثرتُ رضاه، والله يعصمني وإيَّاه؛ واشهدتُ الله على نفسي
بذلك وكفى بالله شهيداً. وكتبتُ بخطي بحضرة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكرم، وإسیر بن المعتمر، وحماد
ابن العُثمَان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

ثم كتب فيه مَنْ حَضَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وهذه صورة كتابتهم.

فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ماصورته :

(١) ثبتت هذه العبارة في الاصل وعليها علامة التوقف . ولم نثر عليها في غير هذا الكتاب . تأمل .

”رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب: ظهره وبطنه، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد، ومرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق، بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع المسلمين، وأبطال الشبهة التي كانت أعترضت آراء الجاهلين: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾. وكتب ”الفضل بن سهل“ في التاريخ المعين فيه“.

وكتب عبد الله بن طاهر ماصورته « أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر بن الحسين » .

وكتب يحيى بن أكرم القاضي ماصورته: « شهد يحيى بن أكرم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها، وكتب بخطه بالتاريخ » .

وكتب حماد بن النعمان ماصورته: « شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه، وكتب بيده بتاريخه » .

وكتب بشر بن المعتمر ماصورته: « شهد بذلك بشر بن المعتمر، وكتب بخطه بالتاريخ » .

قلت: وعلى نحو ما تقدم من كتابة المعهود إليه بالقبول وشهادة الشهود على العهد ينبغي أن يكون العمل أيضا في زماننا: ليجمع خط العاهد بالتفويض على ما تقدم، وشهادة الشهود. ولو اقتصر المعهود إليه في الكتابة على قوله: « قِلْتُ ذلك » كان كافيا، وإن كان أميا أكفى بشهادة الشهود.

الوجه الثامن.

(في قطع الورق الذي يُكْتَب فيه عهودُ الخلفاء، والقلم الذي يُكْتَب به،
وكيفية كتابتها وصورة وضعها)

أما قطع الورق فمقتضى قول المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" أن للعهود قطع البغدادى الكامل، وأن عهود الخلفاء تُكْتَب في البغدادى كما هو مستعمل في عهود الملوك عن الخلفاء، على ما سيأتى في موضعه إن شاء الله تعالى. وهو مقتضى ما تقدم في الكلام على قطع الورق في مقدمة الكتاب نقلًا عن محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" أن القطع الكامل للخلفاء.

قلت : وقد أخبرني من يُوثَّق به أنه وقف على عهد المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، والِد المتوكل على الله : أبي عبد الله محمد خليفة العصر، وهو مكتوب في قطع الشامى الكامل، وأنه كُتِب عهد المتوكل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء. وكأنهم لما تفهقرت الخلافة وضعف شأنها، وصار الأمر إلى الملوك المتغلبين على الخلفاء، تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع كامل البغدادى إلى قطع الشامى. وهذا هو المناسب للحال في زماننا.

وأما القلم الذي يُكْتَب به، فالحكم فيه ما تقدم في البيعات، وهو إن كُتِب العهد في قطع البغدادى، كُتِب بقلم مختصر الطومار. وإن كُتِب في قطع الشامى، كُتِب بقلم الثلاثين الثقيل.

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها، فعلى ما تقدم في كتابة البيعات، وهو أن يُبتدأ بكتابة الطرة في أول الدرج بالقلم الذي يُكْتَب به العهد سطورا متلاصقة ممتدة

في عَرْض الدَّرَج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكُتَابَةُ في قَطْع
 البَغْدَادِيَّ الكَامِل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عُهُود المُلُوك عن الخلفاء ؛ فَيَتَرَكُ
 بعد الوصل الذي فيه الطَّرَّة سِتَّة أوصال بياضًا من غير كُتَابَة ، ثم يَكْتُبُ البِسْمَلَةَ
 في أول الوصل الثامن بحيث يُلْحَقُ أَعْلَى أَلِفَاتِهِ بالوصل الذي فوقه ، بهامش قَدَر
 أربعة أصابع أو خمسة ؛ ثم يَكْتُبُ تحت البِسْمَلَةَ سَطْرًا من أول العهد ملاصقًا لها ؛
 ثم يَخْلِي مكان بيت العلامة قَدَر شبر كما في عُهُود المُلُوك ؛ ثم يَكْتُبُ السطر الثاني
 تحت بيت العلامة على سَمْتِ السطر الذي تحت البِسْمَلَةَ . ويَحْرُسُ أن تكونَ نهاية
 السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني ؛ ثم يَسْتَرْسِلُ في كُتَابَةِ بقية العهد إلى آخره ،
 ويجعل بين كل سطرين قَدَر رُبْع ذراع بذراع القَمَاش . فإذا آتته إلى آخر العهد ،
 كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المَسْتَنَد ، ثم الحمدلة ، والصلاة على النبي صلى الله
 عليه وسلم والحسبلة ، على ما تقدم في الفواتح والخواتم . ثم يَكْتُبُ المعهود إليه
 والشهود بعد ذلك . وإن كُتِبَ في قطع الشامي ، فعلى ما تقدم في البيعات : من
 أنه ينبغي أن يُقْتَصَرَ في أوصال البياض على خمسة أوصال ، ويكون الهامش قَدَر
 ثلاثة أصابع .

وهذه صورة وضعه في الورق ، مُمَثِّلًا فيها بالطَّرَّة التي أنشأتها ، على ما تقدم ذكره
 في العهد الذي أنشأته على لسان الإمام المتوكل على الله خليفة العصر لولده العباس .
 وهو العهد الأخير من المذهب الأول من عُهُود الخلفاء عن الخلفاء

هذا عهدُ إمامي قد علَتْ جُدُودُهُ ، وزاد في الارتقاء في العلياء صُعودُهُ ، وفُصِّلَتْ
بالجواهر قِلائِدُهُ ونُظِّمَتْ بنفيس الدرِّ عُقُودُهُ ؛ من عبدِ الله وولِيَّه الإمامِ المتوَكِّلِ
على الله أبي عبدِ الله محمد ابن الإمامِ المعتضِدِ بالله أبي الفتح أبي بكر ، بالخِلافة
المقدَّسة لولَدِهِ السيدِ الجليل ؛ ذَخِيرَةِ الدِّين ، وولِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، أبي الفضل
العبَّاس ، بَلَّغَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ غَايَةَ الْأَمَلِ ، وأَقَرَّ بِهِ عَيْنَ الْأُمَّةِ كما أَقَرَّ بِهِ عَيْنَ أَبِيهِ
وقد فَعَلَ على ما شرح فيه

بياض ستة أوصال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دامش هذا عهد سعيد الطالع ميمون الطائر مبارك الأول

عهدت إليه بذلك

وکتب فلان بن فلان

جمیلُ الأوسَطِ حمیدُ الآخرِ تشهد به حضراتُ الأملاك

وَتَرْفُؤُهُ كَفُّ الثَّرِيَّا بِأَقْلَامِ الْقَبُولِ فِي صَحَائِفِ الْأَفْلَاكِ وَتُبَاهِي

بِهِ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ وَمَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، وَتَسْرَىٰ بِنَشْرِهِ الْقَبُولُ إِلَى الْأَقْطَارِ

هـامش
فَتَنْشُرْ لَهُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ عِلْمًا، وَتُطْلَعُ بِهِ سَعَادَةُ الْجَدِّ مِنْ مُلُوكِ الْعَدْلِ
فِي كُلِّ أَفْقٍ نَجْمًا .

ثم يأتي على الكلام إلى آخر العهد على هذا النمط إلى أن ينتهي إلى
قوله فيه «والله تعالى يبلغه منك أملاً، ويحقق فيك علماً، ويزكي بك عملاً»

إن شاء الله تعالى

كتب في اليوم الأول من المحرم
سنة إحدى وثمانمائة

بالإذن العالي ، المولوي ، الإمامي ، النبوي ، المتوكل ،

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

شهد على العاهد والمعهود إليه
فيه زادهما الله شرفاً
وكتب فلان بن فلان
وكذا بقية الشهود

شهادة
خط
شهود
العهد

قبلت ذلك
وكتب فلان ولي
عهد أمير المؤمنين

صورة
خط
المعهود

النوع الثاني

(عهود الخلفاء للوك ، ويتعلق النظر به من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعتها)

والأصل فيها ما رواه ابن إسحاق وغيره : أنه لما رجع وفد بني الحريث بن كعب إلى قومهم باليمن بعد وفود [هم] على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأربعة أشهر ، بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ولي وفدهم عمرو بن حزم ، يفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم . وكتب له كتاباً عهد فيه عهده ، وأمره فيه أمره ، على ماسياتي ذكره في أول نسخ العهود الواردة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمره إيمان في حياته إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه . وذلك أصرح دليل وأقوم شاهد لما نحن فيه .

الوجه الثاني

(في بيان [معنى] الملك والسلطنة اللتين يقع العهد بهما)

قد تقدم في الكلام على الألقاب نقلاً عن " الفروق " في اللغة للعسكري أن الملك أخص من السلطنة : لأن الملك لا يطلق إلا على الولاية العامة ، والسلطنة تُطلق على أنواع الولايات ؛ حتى إن الفقهاء يعبرون عن القاضي ووالي البلد في أبواب الفقه بالسلطان .

ثم تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يدبرها ويقوم بأعبائها على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — وهو أعلاها وزارة التفويض، وهو أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على آجتهاده، وينظر فيها على العموم . وعلى ذلك كانت السلطنة في زمن الخلفاء الفاطميين بمصر على ماسياتى ذكره . قال الماوردى في "الأحكام السلطانية" : ولا يمتنع جواز مثل ذلك : لأن كل ما وكل إلى الإمام من تدبير [الأمة] لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستئابة، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور، [من تفرده بها] ليستظهر به على نفسه ولنفسه، فيكون أبعد من الزلل، وأمنع من الخلل . قال : وتعتبر في [تقليد] هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده . وقد تقدم بيان شروط الإمامة في الكلام على البيعات . ثم قال : وكل ما صح من الإمام صح من وزير التفويض إلا في ثلاثة أشياء :

أحدها — ولاية العهد . فإن للإمام أن يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

الثاني — أن للإمام أن يستعفى الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير .

الثالث — أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام .

وتفارق هذه الوزارة الخلافة في عموم النظر فيما عدا ذلك من وجهين :

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

(٢) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

أحدهما — مختص بالإمام وهو أن يتصفح أفعال الوزير وتدير الأمور : ليقتر منها ماوافق الصواب ، ويستدرك ماخالفه : لأن تدير الأمة إليه موكل ، وعلى أجهاده محمول .

والثاني — مختص بالوزير . وهو مطالعة الإمام بما أمضاه من تدير ، وأنفذه من ولاية وتقليد : لئلا يصير بالاستبداد كالإمام .

أما وزارة التنفيذ فسيأتي الكلام عليها في تقليد الوزارة إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني — إماره الاستكفاء .

وهي التي تتعد عن اختيار من الخليفة . وتشتمل على عمل محدود ونظر معهود ، بأن يفوض الخليفة إليه إماره بلد أو إقليم ولاية على جميع أهله ، ونظراً في المعهود من سائر أعماله ، فيصير عام النظر فيما كان محدوداً من عمل ، ومعهوداً من نظر . قال الماوردي : فينظر فيما إليه في تدير الجيش ، وترتيبه في النواحي ، وتقدير أرزاقهم إن لم يكن الإمام قد قدرها ، وإدارها عليهم إن كان الإمام قد قدرها ؛ وكذلك [النظر في] الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام ، وجباية الخراج ، وقبض الصدقات والعمل فيهما ، وتفريق ما يستحق منهما ، وحماية الحرم ، والدب عن البيضة ، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل ، وإقامة الحدود في حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين ، والإمامة في الجمع والجماعات بالقيام بها ، والاستخلاف عليها ، وتفسير الحجيج من عمله ومن يتر عليه من غير عمله ؛ وجهاد من يليه من العدو ، وقسم الغنائم في المقاتلة ، وأخذ خمسها لاهل الخمس . وله أن يتخذ وزير تنفيذ لا وزير تفويض .

وعلى هذا كانت الأمراء والمُال في الأقاليم والأمصار من ابتداء الإسلام إلى أن تغلب المتغلبون على الأمر واستضعف جانب الخلفاء .

قال الماوردي : ويعتبر في هذه الإمارة ما يعتبر في وزارة التفويض من الشروط : إذ ليس بين عموم الولاية وخصوصها فرق في الشروط المعبرة فيها .

القسم الثالث - إمارة الاستيلاء .

وهي أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويفوض إليه تديرها ، فيستولى عليها بالقوة ، فيكون [الأمير] باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه ينفذ أحكام الدين : لتخرج عن الفساد إلى الصحة ، ومن الخطر إلى الإباحة ؛ نافذ التصرف في حقوق الملة وأحكام الأمة . وهذا ما صار إليه الأمر بعد التغلب على الخلفاء ، والاستبداد بالأمر بالعبدة والقوة .

قال الماوردي : وهذا وإن خرج عن عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه ، ففيه [من] حفظ قوانين الشرع وحراسة الأحكام الدينية مالا يجوز أن يترك مختلاً مدخولاً ، ولا فاسداً معلولاً ؛ فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ، ما امتنع في تقليد الاستكفاء والاختيار : لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز .^(٢) قال : والذي يحفظ بتقليد المستولي من قوانين الشريعة سبعة أشياء ، يشترك في الترامها الخليفة المولى والأمير المستولى ، ووجوبها في جهة المستولى أغلظ .

(١) عبارة "الأحكام السلطانية" وإمارة الاستيلاء التي تمقد عن اضطراب فهي أن يستولى بالقوة على بلاد يقلده الخليفة لإمارتها ويفوض إليه الخ وهي أوضح وأصرح .

(٢) في المصباح . وله مكنة أى قوة وشدة .

أحدها - حِفْظُ مَنْصِبِ الإِمَامَةِ فِي خِلاَفَةِ النُّبُوَّةِ، وَتَدْيِيرُ أُمُورِ الْأُمَّةِ : لِيَكُونَ مَا أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ مِنْ إِقَامَتِهَا مُحْفُوظًا، وَمَا تَفَرَّعَ عَنْهَا مِنَ الْحَقُوقِ مُحْرُوسًا .

والثاني - ظُهُورُ الطَّاعَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا حُكْمُ الْعِنَادِ فِي الدِّينِ ، وَيَنْتَفِي بِهَا مَأْتَمُ الْمُبَايَنَةِ لَهُ .

والثالث - أَجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَى الْأَلْفَةِ وَالتَّنَاصُرِ : لِيَكُونَ الْمُسْلِمُونَ يَدًّا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ .

والرابع - أَنْ تَكُونَ عُقُودُ الْوِلَايَاتِ الدِّينِيَّةِ جَائِزَةً، وَالْأَحْكَامُ وَالْأَقْضِيَّةُ [فِيهَا] نَافِذَةً ؛ لَا تَبْطُلُ بِفَسَادِ عُقُودِهَا، وَلَا تَسْقُطُ بِخَلَلِ عُهُودِهَا .

الخامس - أَنْ يَكُونَ اسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ الشَّرْعِيَّةِ بِحَقٍّ تَبَرُّأً بِهِ ذِمَّةٌ مُؤَدِّيَهَا ، وَيُسْتَبِيحُ أَحَدُهَا وَمُعْطِيهَا .

السادس - أَنْ تَكُونَ الْحُدُودُ مُسْتَوْفَاةً بِحَقٍّ ، وَقَائِمَةً عَلَى مُسْتَحَقٍّ ؛ فَإِنَّ جَنْبَ الْمُؤْمِنِ حِمَى إِلَّا مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُدُودِهِ .

السابع - أَنْ يَكُونَ لِلْأُمَّةِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَازِعٌ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، بِأَمْرِ بِحَقِّهِ إِنْ أَطِيعَ، وَيَدْعُو إِلَى طَاعَتِهِ إِنْ عُصِيَ . ثُمَّ قَالَ : فَإِنْ كُنْتُ فِيهِ شُرُوطُ الْإِخْتِيَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ، كَانَ تَقْلِيدُهُ حَتْمًا اسْتِدْعَاءً لَطَاعَتِهِ ، وَدَفْعًا لِمُشَاقَّتِهِ وَخِلَافَتِهِ ؛ وَجَرَى عَلَى مَنْ اسْتَوَزَرَهُ أَوْ اسْتَنْابَهُ أَحْكَامُ مَنْ اسْتَوَزَرَهُ الْخَلِيفَةُ أَوْ اسْتَنْابَهُ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ [فِيهِ] شُرُوطُ الْإِخْتِيَارِ ، جَازَ لَهُ إِظْهَارُ تَقْلِيدِهِ اسْتِدْعَاءً لَطَاعَتِهِ وَحَسْمًا لِمُخَالَفَتِهِ وَمَعَانَدَتِهِ ؛ وَكَانَ نَفْذُ تَصَرُّفَاتِهِ فِي الْحَقُوقِ وَالْأَحْكَامِ مَوْقُوفًا عَلَى أَنْ يَسْتَتِيبَ الْخَلِيفَةُ

له مَنْ تَكَامَلَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ . قَالَ : وَجَازَ مِثْلُ هَذَا وَإِنْ شَدَّ عَنْ الْأَصُولِ : لِأَنَّ
الضَّرُورَةَ تُسْقِطُ مَا عُوِزَ مِنْ شُرُوطِ الْمَكِينَةِ .

قُلْتُ : وَمَمْلَكَةُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مِنْ حِينَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى زَمَانِنَا
دَائِرَةٌ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ ، لَا تَكَادُ تَخْرُجُ عَنْهَا : فَكَانَتْ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ « إِمَارَةٌ
أَسْتَكْفَاءٌ » يُولَّى عَلَيْهَا الْخَلِيفَةُ فِي كُلِّ زَمَنٍ مَنْ يَقُومُ بِأَعْبَائِهَا ، وَيَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِهَا ،
قَاصِرُ الْوِلَايَةِ عَلَيْهَا ، وَاقِفٌ عِنْدَ حَدٍّ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلِيفَةِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ،
إِلَّا مَا كَانَ فِي أَيَّامِ بَنِي طُوْلُونَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ الْخُلَفَاءِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ .
فَلَمَّا أَسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْفَاطِمِيُّونَ وَاسْتَوَزَرُوا أَرْبَابَ السُّيُوفِ فِي أَوَائِرِ دَوْلَتِهِمْ ،
وَعُظُمَتْ كِبَرَتُهُمْ عِنْدَهُمْ ، صَارَتْ سُلْطَانَتُهَا « وَزَارَةٌ تَقْوِيضٌ » . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يُخْتَجِبُ
وَالْوَزِيرُ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْمَمْلَكَةِ كَالْمُلُوكِ الْآنَ أَوْ قَرِيبَ مِنْهُمْ . وَكَانُوا يُلقَّبُونَ بِالْقَابِ
الْمُلُوكِ الْآنَ : كَالْمَلِكِ الْأَفْضَلِ رِضْوَانِ وَزِيرِ الْحَافِظِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِالْمَلِكِ
مِنْهُمْ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ . وَالْمَلِكُ الصَّالِحُ طَلَّاعِ بْنِ رُزَيْكِ
وَزِيرُ الْفَائِزِ ثُمَّ الْعَاضِدِ . وَالْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ بْنُ شَادِي وَزِيرُ الْعَاضِدِ ،
وَأَبْنِ أَخِيهِ صِلَاحُ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ وَزِيرُ الْعَاضِدِ أَيْضًا ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِلَّ
بِالْمُلْكِ وَيَخْطُبَ بِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ بَيْقَدَادَ . وَلَا تُنْكَرُ فِي تَسْمِيَةِ الْوَزِيرِ مَلِكًا ،
فَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ
أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَلِكِ الْوَزِيرُ لَا الْمَلِكُ نَفْسَهُ . وَلَمَّا أَتَرَعَتْ مِنْ
الْفَاطِمِيِّينَ وَصَارَتْ إِلَى بَنِي أَيُّوبَ ، وَكَانُوا يَلُونَهَا عَنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ،
صَارَتْ « إِمَارَةٌ أَسْتِيلَاءٍ » لِأَسْتِيلَائِهِمْ عَلَيْهَا بِالْقُوَّةِ ، وَاسْتَبْدَادِهِمْ بِالْأَمْرِ وَالتَّعْدِيرِ
مَعَ أَصْلِ إِذْنِ الْخَلِيفَةِ وَتَقْلِيدِهِ . وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ لُقِّبَ « جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ »

في زمن وزارته له بالسلطان ، ولم يأخذ الناس في التلقيب به . فلما تغلب
الملوك بالشرق على الخلفاء وأسبّدوا عليهم ، صار لقب السلطان سمة لهم ، مع
ما يختصهم به الخليفة من ألقاب التشريف : كَشَرَف الدّولة ، وَعَضُد الدّولة ،
وَرُكْن الدّولة ، وَمُعِزّ الدّولة ، وَعِزّ الدّولة ، ونحو ذلك . وشاركهم في لقب السلطنة
غيرهم من ملوك النواحي ، فلقب بذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتلقب
بالملك الناصر عند استبداده بالملك على العاضد الفاطمي بعد وزارته له ، ونقل
ما كان من وزارة التفويض والعهد بها إلى السلطنة ، وصارت الوزارة عن السلطان
معدومة بقدر مخصوص من التصرف . وبقي الأمر على ما هو عليه من الاستيلاء
والاستبداد بالملك ، مع أصل إذن الخليفة وكتابة العهد بالملك ، وهي على ذلك إلى
زماننا ، إلا ما كان في زمن تعطيل جيد الخلافة من الخلفاء ، من حين قتل التتار
« المستعصم » آخر خلفاء بني العباس ببغداد إلى حين إقامة الخليفة بمصر
في الدولة الظاهرية ببرس . على أن في السلطنة الآن شها من وزارة التفويض ،
فإن الخليفة يفوض إليه في تقليده تدير جميع الممالك الإسلامية بالتفويض العام
لا يستثنى منها شيئا . وغير هذه المملكة وإن كان خارجا عن يده فهو داخل في عموم
ولايته ، حتى لو غلب على شيء منها أو فتحه لم يحتج فيه إلى تولية جديدة من
الخليفة . ولا مانع لذلك : فسيأتي في الكلام على المناشير أنه يجوز للإمام أن يقطع
أرض الكفر قبل أن تفتح ، وإذا جاز ذلك في الإقطاع ففي هذا أولى . وحينئذ
تكون سلطنة الديار المصرية الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء .

الوجه الثالث

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه)

وأعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور :

منها — براعة الاستهلال بما يتبهاؤه من اسم السلطان أو لقبه الخاص : مثل فلان الدين ، أو لقبه بالسلطنة : مثل الناصر ، والظاهر ، ونحوهما ؛ أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيعات وعهود الخلفاء .

ومنها — التنبيه على شرف السلطنة وعزوتها ، ووجوب القيام بأمر الرعية ، وتحمل ذلك عن الخليفة .

ومنها — الإشارة إلى اجتهد الخليفة وإعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة ، وأنه لم يجد بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه ، فيصفه بالصفات الجميلة ، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك .

ومنها — الإشارة إلى جريان لفظ تنعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض ، وقبول ذلك ، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد .

ومنها — إيراد ما يليق بالمقام من الوصية ، بحسب ما يقتضيه الحال : من عزوتها الخلافة وانخفاضها ، مبينا لما يلزمه القيام به : من حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وتنفيذ الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وحماية البيضة ، والذب عن الحرم ، وإقامة الحدود ، وتحصين الثغور ، وجهاد أعداء الله وغزوهم ، وجباية الفئء والصدقات على ما أوجبه الشرع من غير حيف ولا عسف ،

وتقدير العطاء، وصرف ما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، في وقت الحاجة إليه، وأستكفاء الأمناء، وتقليد النُصحاء للأعمال والأموال، ومباشرة الأمور بنفسه وتصفّح الأحوال ؛ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة : من إقامة مؤسّم الحجّ، وتأمين الحرم الشريف وإكرام ضرائح الأنبياء وبيت المقدس، وتحرير مقادير المعاملات، وغير ذلك مما يقتضيه أمر المملكة .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرّة، وهو نمطان)

النمط الأول — ما كان يُكتب في وزارة التفويض في دولة الفاطميين .

وكان الخليفة هو الذي يكتب بيده . وهذا أمر وإن كان قد تُرك فالمعرفة به خير من الجهل ، خصوصاً وقد أثبت المقرّ الشّهابي بن فضل الله عهدئ أسد الدين شيركوه وأبن أخيه السلطان صلاح الدّين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد، في جملة عهود الملوك على ما سيأتي ذكره . وسنوردُهما في جملة عهود الملوك عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما كتب به العاضد في طرّة عهد أسد الدّين شيركوه المتقدّم ذكره، وهو :

« هذا عهد لا عهد لوزيرٍ بمثله ، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لحمله، والحجة عليك عند الله بما أوصحه لك من مرّاشد سُبّله ، فخذ كتاب أمير المؤمنين

يُقُوهُ، وَأَسْجَبَ ذَيْلَ الْفَخَّارِ بَانَ أَعْتَرَتْ خِدْمَتُكَ إِلَى بُنْوَةِ النُّبُوَّةِ ؛ وَأَتَّخِذْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْفَوْزِ سَبِيلًا ﴿ وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ .



ومن ذلك ما كتب به العاضدُ أيضا في طرّة العهد المكتتب عنه بالوزارة
للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قبل استيلائه بالسلطنة ، وهو :

« هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وَحُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ؛ فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ
وَيَمِينِكَ ، وَخُذْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَمِينِكَ ؛ وَلِمَنْ مَضَى بِحَدَّثَانَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنُ أَسْوَاهُ ، وَلِمَنْ بَقِيَ بَقْرُنَا أَعْظَمُ سَلَوَاهُ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ ﴾ .

النمط الثاني — ما يُكْتَبُ فِي طَرَّةِ عُهُودِ الْمُلُوكِ الْآنَ .

وهو قريب مما كان يُكْتَبُ أَوَّلًا مما تقدّم ذكره ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُبَدَّلُ فِيهِ لَفْظُ الْوِزَارَةِ
بِالْمُلْكِ وَالسَّلْطَنَةِ ؛ وَيَكُونُ الَّذِي يَكْتُبُهُ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ الْعَهْدَ دُونَ الْخَلِيفَةِ . ثم هو
بحسب ما يؤثّرهُ الْكَاتِبُ مما يُدُلُّ عَلَى صَدْرِ الْعَهْدِ عَلَى مَا يَنْتَضِيهِ الْحَالُ .

وهذه نسخة طرّة عهدٍ ، كُتِبَ بِهَا الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ ،
فِي نَسْخَةِ عَهْدِ أَنْشَاءِ لِلْسُلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ
وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَهُوَ :

« هذا عهدٌ شَرِيفٌ تَجَدَّدَتْ مَسَرَّاتُ الْإِسْلَامِ بِتَجْدِيدِهِ ، وَتَأَكَّدَتْ أَسْبَابُ
الْإِيمَانِ بِتَأْكِيدِهِ ؛ وَوُجِدَ النَّصْرُ الْعَزِيزُ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ بِوُجُودِهِ ، وَوَفَدَ الْإِثْنُ وَالْإِقْبَالُ

على الخليفة بوفوده، وورد الأناضول مؤيد الأمان بؤروده . من عبد الله ووليه الإمام
المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس
أحمد . عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد ، خلد الله سلطانه ،
ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه » .



تم الجزء التاسع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العاشر

وأوله الوجه الخامس

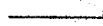
(فيما يكتب فى ألقاب الملوك عن الخلفاء ، وهو نمطان)



والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل



فهرس

الجزء التاسع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

القسم الثانى - من مقاصد المكاتبات الإخوانيات ... ،

وهى على سبعة عشر نوعا ٥

النوع الأول - التهانى، وهى على أحد عشر ضربا ٥

الضرب الأول - التهنتة بالولايات ٦

» الثانى - » بكرامة السلطان، وأجوبته ٢٥

» الثالث - » بالعود من الحج ٣١

» الرابع - » بالقدوم من السفر ٣٣

» الخامس - » بالشهور والمواسم والأعياد ٣٩

» السادس - » بالزواج والتسرى ٥٤

» السابع - » بالأولاد ٥٦

» الثامن - » بالإبلال من المرض والعافية من السقم ... ٦٣

» التاسع - » بقرب المزار ٧٠

» العاشر - » بتزول المنازل المستجدة ٧١

» الحادى عشر - نواذر التهانى ٧٣

النوع الثانى - من مقاصد المكاتبات التعازى، وهى على أضرى ٨٠

الضرب الأول - التعزية بالأبن ٨٠

» الثانى - » بالبنت ٨٥

» الثالث - » بالأب ٨٦

» الرابع - » بالأم ٨٧

» الخامس - » بالأخ ٨٨

» السادس - » بالزوجة ٩٠

» السابع - التعازى المطلقة ٩٢

صفحة

النوع الثالث - من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة ...	١٠٠
» الرابع - الشفاعات والعنايات ...	١٢٤
» الخامس - التشوق ...	١٤٢
» السادس - فى الأستراحة ...	١٥٠
» السابع - فى أخطاب المودّة وأفتتاح المكاتبه ...	١٥٥
» الثامن - فى خطبة النساء ...	١٥٩
» التاسع - فى الأسترضاء والأستعطاف والأعتذار ...	١٦٥
» العاشر - فى الشكوى ...	١٧٣
» الحادى عشر - فى آستراحة الحوائج ...	١٧٦
» الثانى عشر - فى الشكر ...	١٨٣
» الثالث عشر - فى العتاب ...	١٨٩
» الرابع عشر - فى العيادة والسؤال عن حال المريض ...	٢٠٣
» الخامس عشر - فى الذم ...	٢١٧
» السادس عشر - فى الأخبار ...	٢١٩
» السابع عشر - فى المداعبة ...	٢٢٥
الفصل الثامن - فى إخفاء ما فى الكتب من السر، وهو على نوعين	٢٢٩
النوع الأول - ما يتعلق بالكتابة ، وهو على ضربين ...	٢٢٩
الضرب الأول - ما يتعلق بالمكتوب به ...	٢٢٩
» الثانى - ما يتعلق بالخط المكتوب ...	٢٣٠
النوع الثانى - الرموز والإشارات التى لاتعلق لها بالخط والكتابة	٢٤٩
المقالة الخامسة - فى الولايات، وفيها أربعة أبواب ...	٢٥٢
الباب الأول - فى بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه	
ثلاثة فصول ...	٢٥٢

صفحة

٢٥٢		الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات
٢٥٢		الطبقة الأولى - الخلافة
٢٥٢		» الثانية - السلطنة
		» الثالثة - الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن
		السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر
٢٥٢		والشام والحجاز، وهي على خمسة أنواع
٢٥٣		النوع الأول - ولايات أرباب السيوف
٢٥٥		» الثاني - ولاية أرباب الأقلام
٢٥٩		» الثالث - ولاية أرباب الوظائف الصناعية
٢٥٩		» الرابع - ولايات زعماء أهل الذمة
٢٦٠		» الخامس - ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع
		الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
		ما تجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات
٢٦١		على سبيل الإجمال
		الفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
		ما يقع به التفاوت في رتب الولايات . وذلك
٢٦٣		من سبعة أوجه
٢٦٣		الوجه الأول - الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع
٢٦٣		النوع الأول - ألقاب الخلفاء
٢٦٣		» الثاني - » الملوك
٢٦٤		» الثالث - ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان
٢٦٦		الوجه الثاني - ألقاب إسناد الولايات إلى صاحب الوظيفة
٢٦٨		» الثالث - الأفتاحات
		» الرابع - تعدد التعميد في الخطبة أوفى أثناء الكلام
٢٦٩		وأتحاده

صفحة

- الوجه الخامس - الدعاء ٢٦٩
- » السادس - طول الكلام وقصره ٢٧٠
- » السابع - قطع الورق ٢٧١
- الباب الثانى - من المقالة الخامسة فى البيعات، وفيه فصلان ٢٧٣
- الفصل الأول - فى معناها... .. ٢٧٣
- » الثانى - فى ذكر تنويع البيعات، وهى نوعان ٢٧٤
- النوع الأول - بيعات الخلفاء، وفيها سبعة مقاصد... .. ٢٧٤
- المقصد الأول - فى أصل مشروعيتهما ٢٧٤
- » الثانى - فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية ٢٧٥
- » الثالث - فى بيان ما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة البيعة... .. ٢٧٦
- » الرابع - فى بيان مواضع الخلافة التى تستدعى الحال
- كتابة المبايعات فيها ٢٧٩
- » الخامس - فى بيان صورة ما يكتب فى بيعات الخلفاء،
- وفيه أربعة مذاهب ٢٨٠
- المذهب الأول - أن تفتتح المبايعه بلفظ «تبايع فلانا أمير المؤمنين»
- خطابا لمن تؤخذ عليه البيعة ٢٨٠
- » الثانى - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتتح المبايعه
- بلفظ «من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الامام
- الفلانى» إلى أهل دولته ٢٨٦
- » الثالث - أن تفتتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتوحة
- بالحمد لله الخ ٢٩٨
- » الرابع - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتتح البيعة
- بلفظ «هذه بيعة الخ ٣٢٠